

المواقف المشتركة

لعلماء العراق و ايران ضد الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية ١٩٠٥ - ١٩٢٠ م

دراسة تأريخية وثائقية

الجزء الأول

الدكتور كامل سلمان الجبوري

مؤسس المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف الاشرف

رئيس تحرير مجلة (آفاق نجفية) النجفية





المــواقـف المشتــركـة

لعلماء العراق و ايران ضد الغزو الأجنبي

للبلاد الإسلامية ١٩٠٥ ـ ١٩٢٠ م

المواقف المشتركة

لعلماء العراق و ايران ضد الغزو الأجنبي

للبلاد الإسلامية ١٩٠٥ ـ ١٩٢٠ م

دراسة تأريخية وثائقية

الجزء الأول

الدكتور كامل سلمان الجبوري

مؤسس المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف الاشرف

رئيس تحرير مجلة (آفاق نجفية) النجفية



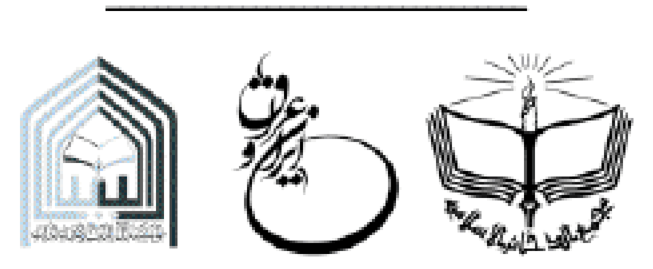


مجمع الذخائر الاسلامية

بالتعاون مع مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

بمناسبة المؤتمر الدولي الأول للتراث المشترك بين ايران والعراق

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥م



مجمع الذخائر الاسلامية

بالتعاون مع مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

المواقف المشتركة

لعلماء العراق و ايران ضد الغزو الأجنبي

للبلاد الإسلامية ١٩٠٥ ـ ١٩٢٠ م

دراسة تأريخية وثائقية

الجزء الأول

تأليف: الدكتور كامل سلمان الجبوري

گرافیست: روح الله علی‌زاده

چاپ: ظهور / صحافی: نفیس

نوبت چاپ: اول ـ ١٣٩٣ ش (٢٠١٤م)

شمارگان: ٥٠٠ دوره

ردمك المجلد الأول: ٩٧٨-٩٦٤-٩٨٨-٦٩٥-٤ ISBN

ردمك الدورة: ٩٧٨-٩٦٤-٩٨٨-٦٩٣-٠ ISBN

ارتباط با ناشر

قم: خیابان طالقانی (آذر)- کوی ٢٣ - پلاک ١ - مجمع ذخائر اسلامی

تلفن: ٧٤٠ ٧٧١٣ ٢٥٣ ٩٨+ دورنگار: ١١١٩ ٧٧٠ ٢٥٣ ٩٨+ همراه: ٤٣٣٥ ٢٥٢ ٠٩١٢

نشانی پایگاههای اینترنتی:

www.mzi.ir www.zakhair.net

info@mzi.ir info@zakhair.net

سعر الدورة: ٧٠.٠٠٠ تومان/٧٥ دولار


بسم الله الرحمن الرحيم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، صحبه المنتجبين.

تتمتع البلاد الإسلامية بميزات فائقة، تختلف فيها عمّا يحيط بها من البلدان، فالموقع الجغرافي، ووفرة الخيرات، والغني بالثروات المعدنية، والمياه المتدفقة، وخصوبة الأرض الصالحة للزراعة، مما جعلتها منذ أمد بعيد محط الأنظار، خصوصاً أنظار الدول الاستعمارية الطامعة، التي أخذت تعنى عناية بالغة في تدبير الكيفية التي يمكن بها أن تسيطر على هذه الثروات الطائلة، وأن تتغلغل بين ظهراني في أبنائها، والإتصال بمختلف طبقات سكانها، وأخذت تخطط وبمختلف الأساليب في كيفية التوغل فيها وسلب خيراتها، إضافة إلى اعتناقها الدين الإسلامي والتزامها بمبادئها وعقائدها، ولم يتركوا آية فرصة في التغلغل بين الصفوف لكسب رضى الناس واسترضائهم، ومجاملة زعماء الدين المتنفذين، محاولين اختراق تلك الصفوف، ولم يدر في خلدهم أن زعماء الدين كانوا يقظين كل اليقظة، يتابعون عن كثب جميع تصرفاتهم ومحاولاتهم، بالرغم من السبات العميق الذي يغط به حكام العالم الإسلامي الكبير يومذاك، خصوصاً عند احتدام تقسيم البلاد الإسلامية إلى دول صغيرة وأقاليم وطوائف و...

وكان في طليعة تلك الدول، الدول الحواضن للعلماء والمتصدين لهذه المؤامرات وأعني بهما (العراق وإيران) لما يتمتعان به من خلفية تأريخية، ودور كبير في التاريخ الإسلامي عبر مسيرته الطويلة، أصبحا يمثلان الحجم الكبير في هذا التاريخ، باعتبارهما بلدين يمتلكان المواصفات المتشابهة وكأنهما بلد واحد، عاشت فيهما الأحداث الكبيرة التي تركت بصماتها على كل ملامح الأوضاع السياسية اللاحقة في مختلف بلاد العالم الإسلامي في حياة الشعوب الإسلامية، بحيث لا تجد أي تجمع إسلامي في انتماءاته المذهبية، أو في اتجاهاته الفكرية، أو في خطوطه السياسية، إلاّ وتلاحظ وجود شيء عراقي أو إيراني، في أي جانب من تلك الجوانب، سواء كانت فقهية أو كلامية أو لغوية أو سياسية وغيرها، لأن البلدين كانا يحملان في تاريخهما اتجاهات تلك الجوانب وفي جميع المجالات الآنفة.

فالعراق وإيران بمدنهما المقدسة: النجف، كربلاء، الكاظمية، سامراء، قم، مشهد وغيرها.

النجف الأشرف التي تمثل المركز العلمي الديني الأول للمسلمين في العالم، التي تولت إعداد الفقهاء الذين ينطلقون لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون، أو ليمنحوا الفكر الفقهي والفلسفي عمقاً وامتداداً وحيوية، وليفتحوا النوافذ على آفاق الشعر والأدب من خلال الشعراء والأدباء الذين يعيشون في دائرة النشاط الثقافي الإسلامي في النجف الأشرف ولا تقل المدن الأخرى عن تلك النشاطات.

فهي - المدن السابقة- تراقب الأوضاع السياسية المتحركة في العالم الإسلامي، لاسيما في البلدان التي ترتبط بالمرجعية الدينية في البلدين، وتتحرك كلاً منهما من خلال الفتاوى الصادرة عنها لتواجه حاكماً ظالماً، أو دولة جائرة، أو محتلاً كافراً

غادراً، لأن الحركة التي تنطلق في الفتاوى الشرعية تبدع الشهادة في مواقع الجهاد، وتوحي بالأجر العظيم في مواقع التضحية.. الأمر الذي يجعل الواقع السياسي الإسلامي متأثراً بطريقة سلبية أو إيجابية بالواقع الفقهي الذي يمثله العلماء الفقهاء في حركتهم الشرعية في الصعيد السياسي سلباً أو إيجاباً.

وقد عاشت المرجعية الدينية في القرن الرابع عشر الهجري حركة حية في الواقع السياسي الذي كان يطل- في أكثر من مرحلة تأريخية- على إيران باعتبار الارتباط العضوي المباشر بين المرجعية وبين الشعب الإيراني المسلم الذي يلتزم بفتاواها، ويتحرك من خلال تعليماتها في قضاياه الداخلية على مستوى التعقيدات المتصلة بشخصية الحاكم، وطبيعة الحكم وشرعية القانون وقضاياه الخارجية المتصلة بعلاقاته بالدول الأجنبية الكافرة التي كانت تحاول السيطرة على مقدراته السياسية والاقتصادية، فيما كانت تخطط له من معاهدات واتصالات.. وما إلى ذلك، فكانت الفتاوى الشرعية تواكب التحرك الشعبي وتوجهه وتقوي مواقفه، وكانت التعليمات الحركية، والمداخلات السياسية تعمل على ترشيد الحركة.

ولم تقف عند هذا الحد، بل حتى التوجه لمقاتلة الغازي، فقد ذهب كثير من العلماء بأنفسهم أو بأبنائهم إلى جبهات القتال، بين حامل للسلاح أو معبأ للجماهير.

ولنا في الحركة الدستورية (المشروطة التي تعني الحكم المشترط بدستور ومجلس نيابي، والمستبدة) عام ١٩٠٥، خير دليل على الانفتاح السياسي في ذهنية المرجعية الدينية، وفي حركتها الثورية، فلقادة المشروطة رأيهم في قيادتها للسير بالأمة إلى حياة حرة كريمة تحت لواء الشورى والديمقراطية، ولزعماء المستبدة بعد نظرهم في عدم السير بركاب قافلة أولئك، لما كانوا يخشونه من نتائج.

وكانت العلاقة واضحة بين الشعب الإيراني والمرجعية الدينية في النجف، فقد وصلت إلى الاتفاق على ضرورة الحياة الدستورية عام ١٩٠٦ برسائل تطالب فيها المشورة في مسائل (ضرورة إيجاد مجلس دستوري) أو لمَ يكن؟ وكيف يكون؟ وهل بوجود الملك ورئيس الوزراء وبقية أجهزة الدول السابقة؟

ووصلت الرسالة الأولى إلى الشيخ محمد كاظم الأخوند الخراساني، والشيخ حسين الخليلي، والسيد محمد كاظم اليزدي، فقد أجابهم الأولان بنصيحة جواز إنشاء النظم الدستورية، وأكدوا أن من الضروري تنفيذها، وتريّث الأخير.

وبالرغم من أن جذور الحركة الدستورية الإيرانية تخص إيران وتعنيها، إلاّ أن لهذا الحدث دور في تاريخ نمو الوعي الفكري السياسي لدى أبناء النجف، فقد كان شباب المشروطية في النجف أكثر الناس اندفاعاً في التطلع إلى الحضارة الحديثة والاقتباس منها.

وبما أن مكانة المجتهدين في إيران أقوى منها في أي بلد آخر، لأنهم استطاعوا أن يبرزوا أنفسهم كزعماء أزمات بلدهم، وقادوا العامة ضد الأوضاع، غير أنهم أرادوا الاعتماد على قوة المرجعية الدينية في النجف ضد سلطة الشاه والحكومة، كما حدث في أيام انتفاضة التنباك الناجحة، التي حرّم فيها آية الله السيد مرزة محمد حسن الشيرازي استعمال (التنباك) لغرض مكافحة الامتيازات وشركات الاحتكار الأجنبية، وأدى هذا التحريم أخيراً إلى خسارة الشركة وإلغاء امتيازها.

وإذا جرينا مع حركة الجهاد على ١٩١٤ في العراق وإيران، فإننا نجد وعياً إسلامياً وحدودياً متقدماً في مواجهة الانكليز بالانضمام إلى الجيش التركي الذي كان يمثل الدولة العثمانية الإسلامية، في الوقت الذي كان علماء الشيعة في النجف

وفي غيرها يعانون من ضغط الأتراك على المستوى السياسي والمذهبي، مما قد يترك تأثيراً على مستوى التحرك في الأوساط التي تفكر في الدائرة الإسلامية بطريقة مذهبية، التي يفضل فيها البعض الخضوع للحاكم الكافر على الخضوع للحاكم المسلم إذا كان من مذهب آخر انطلاقا من العقدة المذهبية أو في الممارسات الظالمة في تصرفه اتجاه أهل مذهبه.

فقد وقف علماء الدين في البلدين ضد الغزو البريطاني للعراق، موقفاً مشرفاً قيادياً في تعبئة الجماهير، وكان المرجع الديني الأعلى في النجف في طليعة العلماء الذين أفتوا بالجهاد، ولم يكتفِ بهذا بل أرسل ولده (السيد محمد) على رأس وفد من العلماء للإشراف ميدانياً على مجريات المعركة، والشد على أيدي المجاهدين، وبقي هو في النجف يقود المعركة ويعبئ لها الرأي العام من خلال مكاتبته لزعماء القبائل ورؤساء المدن والقصبات للالتحاق بجبهات القتال، ورفد المعركة وإدارتها...

إن دراسة وثائق التأريخ السياسي الحديث توحي إلينا بأن المرجعية عندما تتحرك في خط الثورة الشعبية ضد المستعمر الكافر، فإنها تتحرك في المستوى الرفيع من الوعي السياسي المنفتح، والإدارة الحديدية، والموقف الصلب، وانطلاقاً من عمق الحكم الشرعي الإسلامي في مسألة الجهاد، بنفس القوة التي يمارسون فيها الحكم الشرعي في العبادات من الصلاة والصيام والحج ونحوها، وانسجاماً مع مصلحة الإسلام العليا في مقابل الكافرين والظالمين، بعيداً عن العقدة المذهبية.

❖ ❖ ❖

وعند هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب- ليبيا في ٣٠ أيلول ١٩١١م/ ١٣٢٩هـ خرجت المظاهرات في بغداد على شكل مواكب ومسيرات جماهيرية ضخمة،

وتألفت على أثرها لجان في بغداد والمدن العراقية لجمع التبرعات لنصرة الشعب الليبي، وتطوّع الآلاف من سكان العراق للمشاركة في مقاتلة الغزاة، ومواجهة التحدي الاستعماري الذي تتعرض له البلاد الإسلامية.

وعقد علماء النجف من العراقيين والإيرانيين مجالس عديدة، واجتماعات مكثفة، وعطلوا الدروس والجماعة، وأرسلوا الاحتجاجات إلى مختلف دول العالم، وأصدروا فتاواهم بوجوب الدفاع، وشكلوا لجاناً لجمع التبرعات وإرسالها إلى المجاهدين.

❖ ❖ ❖

وفي قضية الغزو الروسي لبعض المدن الإيرانية الشمالية عام ١٣٣١-١٣٣٢هـ/ ١٩١٢م وزحف القوات الروسية نحو مدينة تبريز ثم احتلالها وما صاحب ذلك من قتل وإعدام رجال الدين، وأدى ذلك إلى الهياج العام في إيران، وعندما وصلت أنباءه إلى العراق، قام العلماء بشبكة من الاتصالات المستعملة بالدولة العثمانية وروسيا وانكلترا وكاتبوا رؤساء تلك الجهات بضرورة انسحاب الجيوش الغازية.

وأصدر علماء النجف البيانات مستنكرين بشدة الهجوم الاستعماري الذي تقوم به كل من إيطاليا وروسيا وبريطانيا على بلاد المسلمين، وجسامة الخطر الذي تتعرض له البلاد الإسلامية، وأبعاد التحدي الاستعماري، ودعوا إلى التصدي للاستعمار والتنبه لمكائده، والدفاع عن كيان الدولتين الإيرانية والعثمانية، هذا بالرغم من سوء العلاقة بالحكومتين.

ولم تقف عند البيانات والاحتجاجات فحسب، بل أعلن العلماء بأنهم سيسافرون إلى كربلاء فالكاظمية ثم إيران، وأعلن الشيخ محمد كاظم الأخوند

الخراساني أنه عزم على السفر بصحبة عدد من المجتهدين، وتهيأ الناس، وامتلأ الجو بأهازيج العشائر والخطب الرنانة، ولكن فوجئوا بوفاة الآخوند في اليوم التالي.

وأخيراً سحبت الحكومة الروسية جيشها طبقاً للسياسة الروسية البريطانية التي بدأت تتوحد حذراً من السياسة الجرمنية الزاحفة..

❖ ❖ ❖

وعند بدء مداهمة الجيوش البريطانية الغازية للعراق من جهة البصرة، وإيران من جهة الحويزة عام ١٩١٤م، وعدم استطاعة الدولة العثمانية من مواجهتها، واستنجاد أبناء البصرة بالعلماء الأعلام يومذاك بالبرقيات والرسائل، أفتى العلماء في عموم العراق بالجهاد ومقاومة المحتلين، وقد نبذوا خلافات الماضي مع الحكام العثمانيين، ووقف العراقيون بمختلف فئاتهم في قتال البريطانيين، وكان لهم دور فاعل في المعارك، وتوجه المجاهدون بقيادة علمائهم الأعلام على خطين لثلاث جبهات:

(خط الفرات) جبهة الشعيبة

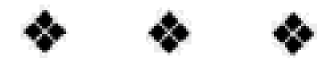
(خط دجلة) جبهة القرنة (جنوب العراق)

جبهة الحويزة (جنوب إيران)

وهذا الموقف خلال الحرب العالمية الأولى يمثل تجربة غنية في التاريخ الإسلامي المعاصر، ويكشف عن دور العامل العقائدي في تحديد الموقف العام الثابت إزاء الأحداث السياسية، وهو جزء مما اتسم به الشارع الإسلامي على امتداد مراحله المختلفة.

❖ ❖ ❖

ولعلماء الدين العراقيين والإيرانيين في إخماد حركات العصيان والثورة على الأتراك في نهاية وجودهم في العراق، كحادثة عاكف بك في الحلة، وحادثة حمزة بك في كربلاء سنة ١٣٣٣- ١٣٣٤هـ، وبقية حوادث فترة الانفلات الأمني بين انسحاب الأتراك والاحتلال البريطاني التام للمدن العراقية.



وفي عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م وبعد احتلال القوات البريطانية لبغداد، وتسرب بعض الأخبار عن نوايا الانكليز في كيفية حكم العراق ومستقبل الإدارة فيه، واهتمامهم بوضع التفرقة، وإثارة العداوات بين العراقيين أنفسهم، تنبه العراقيون إلى سوء النوايا هذه، وبدأ العمل بجدية وتسارع للثورة ضد الانكليز والانتقام منهم، فراحوا يؤلبون عليهم ويعملون ضدهم في كل مكان، وبما أوتوا من قوة، وتألفت جمعية النهضة الإسلامية السرية، التي تمكن بعض أعضائها من قتل الكابتن مارشال الحاكم الانكليزي المعين تواً لإدارة النجف.

وبدأت المقاومة المسلحة بين الثوار والجيش الانكليزي، وحوصرت النجف ما يزيد على ٤٠ يوماً..

طوال تلك الفترة كانت المرجعية الدينية العليا تواكب الحوادث مواكبة فعلية، من خلال السعي المتواصل وبذل الجهود المعلنة وغير المعلنة من خلال المبعوثين والرسائل، بينها وبين العلماء من جهة وبين السلطات المحتلة، لإستحصال العفو العام عن الثوار، وإنهاء الحصار.

وكيفما كانت أسباب تلك الثورة، ونتائجها، ومهما كانت الأهداف والأغراض، فهي أفهمت المواطن بقساوة الانكليز وسطوتهم، ومقاومة الثائرين، وأصبحت هذه الحالة المتوترة سبباً غير مباشر في التهيؤ لمقاومة الاحتلال وجهاته

وأنواعه، والتربص للفرص التي تساعد على مواجهته، وكانت بذلك الشرارة الأولى للقيام بالثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠.

❖ ❖ ❖

وما أن حل الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ حتى انطلقت الشرارة الأولى لثورة العشرين الخالدة بقيادة العلماء الأعلام، واندلعت نار الثورة، وتتابعت المعارك والثورات في كل ناحية من العراق، فكانت الاحتجاجات والمراسلات يرسل بعضها إلى دول العالم بواسطة سفاراتها وممثلياتها في طهران.

❖ ❖ ❖

وهكذا فإن علماء البلدين لم يألوا جهداً في سبيل تحرير العراق واستقلاله، ولم يكتفوا بالفتاوى والتصريحات، بل شاركوا بأنفسهم وتقدموا الصفوف في ساحات القتال، وأبلوا فيها بلاءً حسناً.

❖ ❖ ❖

بعد هذه المرحلة مع الأحداث التي شغلت البلاد الإسلامية خلال عقد ونصف من الزمن، نستخلص ما يلي:

١- رغم الاختلاف المعرفي بين العلماء في وجهات النظر، فقد توحدت أرائهم وجهودهم وانصهرت في بودقة واحدة لمواجهة التحديات الاستعمارية وصد هجوماتها الغادرة، وأصبح الموقف واحداً أمام غازٍ واحد، مهما تنوعت أشكاله ومصادره، وظروف القضية وهويتها وأهدافها.

٢- انعدام الخلافات المذهبية، وذوبان التعصب الطائفي، بين علماء الشعبين العراقي والإيراني، وأصبحت المواجهة بين شعب مسلم وغازٍ كافر كما في مواجهة الغزو الإيطالي في طرابلس الغرب- ليبيا-

٣- لم تقتصر مواقف العلماء على التصريحات والفتاوى والاحتجاجات، بل تجاوزت ذلك إلى التحرك فعلياً، والتوجه بأنفسهم أو بأولادهم ووكلائهم أو بالجميع لتعبئة المجاهدين في ساحات القتال وحمل السلاح وللانخراط في صفوف المقاتلين كما حدث ذلك في مقاومة الغزو الروسي لإيران، ومقاومة الغزو البريطاني للعراق وجنوب إيران، وثورة العشرين في العراق.

٤- وحدة الهدف لجميع علماء البلدين، وهو حرية الشعوب، وتقرير مصيرها بنفسها، وحكم البلد بيد أبنائه...

❖ ❖ ❖

أما هذا البحث فقد أعددته في قسمين:

القسم الأول: دراسة المواقف دراسة تأريخية موضوعية.

القسم الثاني: الوثائق المعتمدة في الدراسة وما يتعلق بها.

هذا ما رغبت إيراده، وما تمكنت عليه، فعليّ الجد والإجتهاد، ومن الله التوفيق والسداد، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه توكلت وإليه إنيب.

د. كامل سلمان الجبوري

مؤسس المتحف الوثائقي لثورة العشرين

في النجف الأشرف ومديره سابقاً

١٢ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ

١٥ نيسان ٢٠١١م

الحركة الدستورية الإيرانية

(المشروطة)

١٩٠٥م




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحركة الدستورية الإيرانية (المشروطة) [1]

المشروطة[2] هي حركة المطالبة بالدستور التي ظهرت في تركيا وإيران، وهي إنما سميت بهذا الاسم لأن القائمين بها اعتبروا مواد الدستور بمثابة «الشروط» التي يجب أن يتقيد بها الملك في حكم رعيته، وهذه فكرة مستمدة من نظرية «العقد الاجتماعي» التي شاعت في أوربا بعد قيام الثورة الفرنسية ومنها جاءت إلى تركيا وإيران.

ظهرت المشروطة في تركيا قبل ظهورها في إيران بما يزيد على ثلاثين سنة، ويعود سبب ذلك إلى قرب تركيا من أوربا وشدة تأثرها بالحضارة الأوربية. يجب أن لا ننسى أن الصراع بين القديم والجديد بدأ في تركيا منذ منتصف القرن الثامن عشر، أما في إيران فقد بدأ هذا الصراع منذ منتصف القرن التاسع عشر وذلك من جراء دخول بعض المخترعات والنظم الحديثة إلى إيران على عهد الشاه ناصر الدين.

المعروف عن الشاه ناصر الدين أنه كان معجباً بالحضارة الأوربية ميالاً للتعرف عليها ومشاهدتها عياناً، وقد سافر إلى أوربا ثلاث مرات فقوبل فيها بحفاوة بالغة، غير أنه كان يخشى تأثير الأفكار الأوربية على رعاياه ويكره أن تنتشر بينهم فكرة المشروطة على منوال ما انتشرت في تركيا.

يمكن القول إن ناصر الدين كانت له يد كبرى في إدخال معالم الحضارة الحديثة إلى إيران، وكان في الوقت نفسه شديداً تجاه كل من يتحدث عن القانون أو الدستور أو أية فكرة تحررية أخرى، وقد أحدث في المجتمع الإيراني من جراء ذلك نوعاً من التوتر، وبقي هذا التوتر كامناً يتحفز للظهور عند أول فرصة تتاح له. فلما مات ناصر الدين

---

(١) كانت أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث:
- لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ٣/ ١٠٣ ـ ١٢٧.
- المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني ٦٥ ـ ٩٧.
- دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٥ ـ ٤٤.

(٢) تلفظ المشروطية في تركيا (مشروطيت) وفي إيران (مشروطة).

وتبوأ العرش من بعده ابنه الضعيف مظفر الدين، انطلق التوتر الكامن وكأنه كان مستعداً للانطلاق[1].

عندما اغتيل الشاه ناصر الدين في عام ١٨٩٦ من قبل الميزرا أحمد رضا كرماني[2]، أحد مريدي السيد جمال الدين الأفغاني، تبوأ العرش مكانه ابنه مظفر الدين، وكان هذا الشاه الجديد على النقيض من أبيه متهافت الشخصية لا يخلو من غباء وفطارة، وكان بالإضافة إلى ذلك عليل البدن، ولم يكد يتولى الحكم حتى حفّت به جموع من المتزلفين الذين كانوا يطمحون أن ينالوا في عهده الثروات بكل وسيلة تقع في أيديهم[3].

كان الشاه مظفر الدين مولعاً كأبيه بالسفر إلى البلاد الأوربية غير أن الخزينة كانت في أيامه فارغة فاضطر إلى الالتجاء إلى القروض الأجنبية، ففي عام ١٨٩٨م عقد قرضاً مع إنكلترا[4]، واقترض من روسيا عام ١٩٠٠ ديناً قدره (٢,٤٠٠,٠٠٠) جنيه، واقترض منها عام ١٩٠٢ ديناً آخر قدره (٢,٠٠٠,٠٠٠) جنيه صرف معظم هذه المبالغ في رحلتين إلى أوربا[5] لغرض العلاج والاستشفاء، وقصد أوربا ثالثة عام ١٩٠٢ أيضاً ولم يستفد صحياً، وقد انتهزت روسيا الفرصة فصارت تمده بالقروض وتحصل منه على بعض المنافع والامتيازات الكمركية[6] مما أدى إلى انتشار التذمر والاستياء والغضب على الشاه ولاسيما إنها ترى في إيران طريقاً ممتازاً تؤدي إلى البحار المحيطة، ويكون ذريعة إلى تدخل روسيا بالقوة واحتلالها بحجة حماية قروضها للاستفادة من موقع إيران المذكور[7]، كما أثار سخط التجار وأهل «البازار» أي الحرفيين وأصحاب الدكاكين الذين يؤلفون في إيران طبقة ذات أهمية غير قليلة في الحياة الاجتماعية والسياسية، إذ أن لهم رؤساءهم وتقاليدهم النقابية التي تسمى

---

(١) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ٣/ ١٠٣.
(٢) انقلاب إيران ٢/ ٧٢، ٧٦، ٩١.
(٣) percy sykes (op.cit.) vol2 p.374.
(٤) رضا شاه بهلوي: ص٢٣.
(٥) ن.م، تاريخ أوربا الحديثة ص٢٧٩.
(٦) Richard Frye (Iran) - london - p.67.
(٧) تاريخ أوربا الحديثة ص٢٧٩.

«قواعد الصنف»، وإذا قرروا إغلاق دكاكينهم احتجاجاً على أمر من الأمور كان ذلك بمثابة نوع من الإضراب العام[1] وأصابوا الحياة الاقتصادية بالشلل. أضف إلى ذلك ما كان لأهل «البازار» من تأثير في رجال الدين وصلة معاشية بهم، فإذا اشتكوا من شيء فسرعان ما تسري شكواهم إلى رجال الدين ويصدر هؤلاء لهم الفتاوى المناسبة.

ومما زاد في الطين بلة أن الشاه مظفر الدين كان قد ترك شؤون الدولة بيد صهره الأمير «عين الدولة» وكان هذا جاهلاً صلفاً ومكروهاً من قبل الشعب الإيراني فكانت أعماله التعسفية من عوامل زيادة التذمر بين أهل «البازار».

بداية الحركة:

وقد أشعلت فتيل هذه الحركة حادثة بسيطة حدثت في عام ١٩٠٥، خلاصتها: أن نفراً من أهل «البازار» خالفوا بعض الأوامر الحكومية فأمرت الحكومة بشد أقدامهم في «الفلقة» وجلدهم بالسياط، وكانت تلك عادة متبعة تقع بين حين وآخر في عهد الشاه السابق دون أن يعيرها الناس اهتماماً كبيراً، أما الآن فقد اهتم الناس لها، وتجمع عدد كبير منهم بينهم جماعة من رجال الدين فذهبوا إلى مسجد الشاه القريب من سوق «البازار» الكبير بغية «الالتجاء» فيه.

استطاع الإمام في مسجد الشاه أن يطرد الملتجئين إليه بإيعاز من الحكومة وبمعونة جماعة من أعوانه، فخرج الملتجئون من المسجد وهم أكثر حماساً من قبل، وانضم إليهم أناس آخرون، وتوجهوا إلى بلدة «الشاه عبد العظيم» على بعد بضعة أميال من طهران ليلة ١٣ تشرين الثاني ١٩٠٥م/ ١٥ رمضان ١٣٢٣هـ فالتجأوا إلى المرقد المقدس الموجود فيها، وهناك أعلنوا أنهم لا يخرجون من مكانهم إلا بعد إجابة مطاليبهم، وكان من بين مطاليبهم عزل «عين الدولة» من منصبه وتأسيس دار للعدالة أطلقوا عليها اسم «عدالة خانه».

أخذ عدد الملتجئين في بلدة «الشاه عبد العظيم» يتكاثر يوماً بعد يوم، وكأن الناس وجدوا في ذلك فرصة لشفاء غليلهم من الحكومة، وصار الوعاظ والخطباء يصعدون المنابر ليندوا بالحكومة ويشجبوا أعمالها. ومما زاد في أهمية هذا «الالتجاء» أن اثنين

---

(١) يقظة العالم الإسلامي ٢/ ١٣.

من أكبر علماء طهران كانا من بين الملتجئين وهما: السيد محمد الطباطبائي والسيد عبد الله البهبهاني، كما كان بينهم الواعظ المشهور آغا سيد جمال الدين.

أرسل الشاه إليهم رسوله الخاص ليسترضيهم، فقابلوا الرسول بجفاء وأرجعوه خائباً. واضطر الشاه أخيراً أن يرسل إليهم كتاباً مسجلاً بخط يده يتعهد لهم فيه بإجابة مطاليبهم. وعند هذا وافقوا على العودة إلى طهران، وقد جهزهم الشاه بعربات ملكية فركب كبراؤهم فيها، واستقبلتهم الجماهير في طهران استقبال الفاتحين. ولا حاجة بنا إلى القول بأن مكانة الطباطبائي والبهبهاني قد ارتفعت ارتفاعاً هائلاً في نظر الجماهير يومذاك[1].

تفاقم الحركة:

يبدو أن الشاه لم يستطع تحقيق وعده حيث أخذ على يده صهره «عين الدولة». وفي منتصف أيار ١٩٠٦ أصيب الشاه بالشلل فانتهز «عين الدولة» الفرصة ليضرب ضربته، فقد أصدر أمره بإلقاء القبض على السيد محمد الطباطبائي، وحين جاء الجنود للقبض على هذا المجتهد الكبير تجمع الناس لتخليصه من أيديهم، فوقع من جراء ذلك اصطدام بين الجنود والأهالي سقط فيه واحد من الأهالي قتيلاً، وشاء القدر أن يكون هذا القتيل من طلبة العلم وسيداً من ذرية الرسول. ولما جرى تشييع السيد القتيل وقع اصطدام آخر سقط فيه خمسة عشر قتيلاً.

توتر الوضع في طهران إلى الدرجة القصوى، وغادر طهران كثير من علماء الدين، ومن بينهم الشيخ فضل الله النوري، حيث ذهبوا إلى بلدة قم المقدسة في ١٧ تموز ١٩٠٦م/ ٢٤ جمادى الأولى ١٣٢٤هـ ومعهم حوالي ألف شخص للالتجاء فيها، ثم أصدروا بياناً هددوا الشاه فيه أنهم سيغادرون إيران جميعاً إلى العراق ما لم يوف بوعده لهم في تحقيق المطاليب الشعبية. وأغلق أهل «البازار» دكاكينهم تأييداً للمجتهدين، فأصدرت الحكومة أمراً بنهب كل دكان يغلقه صاحبه[2].

واشتدت هذه المطالبة من الأحرار الإيرانيين وفي مقدمتهم الطبقة الروحانية التي

---

(١) لمحات اجتماعية ٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٢) ن.م ص١٠٨ ـ ١٠٩.

لعب فيها رجال الدين دوراً خطيراً، وكانت النجف تضم أعلاماً عظاماً منهم وعلى رأسهم الحاج ميرزا حسين الخليلي[1] (ت١٣٢٦هـ) وكان ركن النهضة الإيرانية الركين وزعيمها الكبير، عقدت في مدرسته الكبيرة محافل الإيرانيين أيام الاستبداد اجتماعات ومؤتمرات واسعة، والملا الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني[2]

---

(١) الميرزا حسين بن الميرزا خليل الطبيب بن المولى علي (الخليلي) (ت١٣٢٦هـ)، الفقيه الأصولي، الحجة المجتهد، أستاذ الفقه والأصول، العابد المحقق الزاهد. انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره، وكان أفقه أهل زمانه، وهو أحد أركان النهضة الإيرانية، تخرج على الشيخ محسن بن خنفر، والشيخ مرتضى الأنصاري، والشيخ مشكور الحولاوي، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، كان مجلس بحثه يزدحم بالعلماء والفضلاء والأعلام، مدرساً يمتاز عن غيره في الفقه والأصول.

توفي في شوال ١٣٢٦هـ.

عقبه: الشيخ محمد تقي، الشيخ محمد، الشيخ مهدي، الشيخ محمود، الشيخ محمد علي.

له: كتاب في الإجازة، كتاب في الغصب، شرح نجاة العباد.

«ترجمته في: أحسن الوديعة ١/ ١٩٦، أعيان الشيعة ط٢/ ٢٦/ ٩، رجال إيران ١/ ٣٨٩، ريحانة الأدب ٢/ ١٥٩، شخصيت أنصاري ٢٤٨، الذريعة ١٠/ ٣٣، علماء معاصرين ٩٢، فوائد الرضوية ١٣٥، ماضي النجف ٢/ ٢٢٦، معارف الرجال ١/ ٢٧٦، مكارم الآثار ٣/ ٨٩٤، نقباء البشر ٢/ ٥٧٣، معجم المؤلفين العراقيين ١/ ٣٤٣، لغت نامه ١٩/ ٦٥٢، معجم أدباء الأطباء ١/ ١٥٠، معجم رجال الفكر ٢/ ٥١٨».

(٢) الملا محمد كاظم الآخوند الخراساني، ابن الملا حسين الهروي النجفي (١٢٥٥ ـ ١٣٢٩هـ)، زعيم ديني، وفقيه أصولي، وعالم متتبع، متبحر في الفقه والأصول، جامع للمعقول والمنقول، ومن كبار أساتذة الجامعة النجفية، انتهت إليه زعامة الحوزة في كل مكان، وصارت تشدّ إليه رحال طلبة العلم من أقطار الأرض، وعمر مجلسه بمئات من العلماء والمجتهدين.

ولد في مشهد خراسان ـ إيران. وقرأ المبادىء، وأكمل العلوم العربية والمنطق فيه، انتقل إلى طهران فأقام فيه ستة أشهر درس خلالها بعض العلوم الفلسفية، ثم غادرها في سنة ١٢٧٨هـ متوجهاً إلى النجف الأشرف فأدرك الشيخ الأنصاري واختلف إلى درسه فقهاً وأصولاً، ثم حضر على السيد محمد حسن المجدد الشيرازي، والشيخ راضي النجفي، وحين خرج السيد الشيرازي إلى سامراء لم يصحبه وأقام في النجف وشرع التدريس فيها، حتى تخرج عليه عدد من العلماء وأهل التحقيق.

توفي في النجف في ذي الحجة ١٣٢٩هـ.

عقبه: الشيخ محمد، الشيخ أحمد، الشيخ مهدي، الشيخ حسن، الشيخ حسين، وبعد وفاته اتخذت ذريته وأسرته لنفسهم لقب «الكفائي» نسبة إلى مؤلفه «كفاية الأصول».

له: الإجارة، الاجتهاد والتقليد، التكملة في تلخيص التبصرة، حاشية الأسفار، حاشية فرائد الأصول، حاشية المكاسب، الرضاع، الدماء الثلاثة، شرح التبصرة، الطلاق، العدالة، القضاء والشهادات، كفاية الأصول، الوقف.

كتب عنه المرحوم الأستاذ عبد الرحيم محمد علي دراسة مفصلة بعنوان «المصلح المجاهد، =

(١٢٥٥ ـ ١٣٢٩هـ) والشيخ عبد الله المازندراني (١٢٥٦ ـ ١٣٣٠هـ)[١] والميرزا محمد حسين النائيني[٢] (١٢٧٧ ـ ١٣٥٥هـ) وعالم كربلاء السيد إسماعيل صدر

= الآخوند الخراساني» ط في النجف. كما كتب عنه حفيده الأستاذ عبد الحسين الكفائي كتاباً بعنوان «مرگي در نور».

«ترجمته في: أحسن الوديعة ١/ ١٨٣، الأعلام ٧/ ٢٣٤، أعيان الشيعة ٤٣/ ٩٢، الذريعة ١/ ١٢٢، ٦/ ١٦٠، ٢٢٠، ٨/ ١٣٢، ١١/ ١٩٣، ١٣/ ٢١٧، ١٤/ ١٨٤، ١٦/ ٣٢٤، ١٧/ ١٤٢، ١٨/ ٨٨، ٣٤٧، ٢١/ ٤١، شخصيت أنصاري ٢٩٩، ريحانة الأدب ١/ ٤١، معارف الرجال ٢/ ٣٢٣، ماضي النجف ١/ ١٣٦، معجم المؤلفين ٨/ ١٣٨، معجم المؤلفين العراقيين ٣/ ٢٢٧، مكارم الآثار ٥/ ١٥١٢، هدية الرازي ١٤٥، لغت نامه ٣٨/ ٢٠٢، رجال إيران ٤/ ١، نجوم السماء ١/ ٢٧٩، كتابهاي چابي عربي ٤٥ (الفهرست)، معجم رجال الفكر والأدب ١/ ٣٩ ـ ٤٠».

(١) الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد نصير بن محمد بن محمود الجيلاني المازندراني النجفي، (١٢٥٦ ـ ١٣٣٠هـ)، من أعاظم العلماء وكبار المدرسين، وممن تعهدوا الحركة العلمية في النجف بداية القرن الرابع عشر الهجري، قرأ مقدمات العلوم في بلاده (بارفروش) ثم هاجر إلى العراق فحضر في كربلاء على الشيخ زين العابدين المازندراني، ومنها إلى النجف فتتلمذ على الشيخ مهدي كاشف الغطاء، والمولى محمد الفاضل الإيرواني، والشيخ حبيب الله الرشتي، تصدى للتدريس وحضر عليه جمع كبير من أجلاء طلبة العلم.

ورشح للزعامة الدينية والمرجعية، وأصبح من كبار زعماء الدين، وأجلّ مراجع التقليد وأشهر المدرسين.

كان من أكبر مساعدي الآخوند الخراساني على تأييد الدستور ونشر الحرية، وتفانى في ذلك حتى أصبح يطلق عليه «العالم الدستوري».

توفي في ٤ ذي الحجة ١٣٣٠هـ.

له: أهبة العباد ـ ط، حاشية المكاسب، رسالة في الوقف، رسائل ومؤلفات أخرى في الفقه والأصول، شرح الشرائع ـ كتاب التجارة، والرهن، والطلاق.

«ترجمته في: أحسن الوديعة ٢/ ٢٣، الذريعة ٢/ ٢٤٨، رجال إيران ٢/ ٢٧٦، ريحانة الأدب ٥/ ١٤٦، لغت نامه ٤٢/ ٥٢، معارف الرجال ٢/ ١٨، مكارم الآثار ٥/ ١٥٣٠، نجوم السماء ٢/ ٢٨٠، نقباء البشر ٣/ ١٢١٩، مجلة العرفان ج٨ في ١٧ آب ١٩٠٩م، ص٣٩٨، ج١٠ في ذي الحجة ١٣٣٠هـ/ كانون الثاني ١٩١٢م، معجم رجال الفكر والأدب ٣/ ١١٣٨ ـ ١١٣٩».

(٢) الميرزا محمد حسين بن الشيخ عبد الرحيم شيخ الإسلام بن محمد سعيد بن عبد الرحيم نظر علي شاه النائيني المنوجهري النجفي (١٢٧٧ ـ ١٣٥٥هـ)، من كبار شيوخ الفقه وأساتذة الأصول، ومن أعظم علماء الشيعة وأكابر المحققين، فقيه أصولي، من أئمة التقليد والفتيا والمرجعية وزعماء الثورة.

أخذ مقدمات العلوم في أصفهان، ثم هاجر إلى العراق عام ١٣٠٣هـ ونزل مدينة سامراء، فحضر على السيد اسماعيل الصدر والسيد محمد الفشاركي الأصفهاني والسيد محمد حسن المجدد الشيرازي، وبعد وفاة السيد الشيرازي هاجر إلى كربلاء وأقام فيها عدة سنين، ثم تحوّل إلى النجف الأشرف وحضر على الشيخ محمد كاظم الخراساني، وأصبح فيما بعد من أعوانه وأنصاره في مهماته الدينية والسياسية. =

الدين[1] (١٢٥٨ ـ ١٣٣٨هـ) والشيخ محمد تقي الشيرازي[2] (١٢٥٦ ـ ١٣٣٨هـ) عالم سامراء. والسيد محمد كاظم اليزدي وهؤلاء كلهم من الإيرانيين ـ عدا السيد إسماعيل الصدر ـ وإليهم انتقلت المعركة، فكانت الغالبية العظمى من الطبقة المتنوّرة تؤيد حكم البلاد بدستور ومجلس نيابي وسمّوا بـ (المشروطة) وعلى رأسهم الخليلي والخراساني وأتباعهما، وتكونت جبهة معاكسة لهم يتزعمها السيد محمد كاظم اليزدي وأنصاره فهو «**يرى رأي من يقول أن مصلحة الدولة يجب أن تكون بيد شخص واحد مسؤول عنها لا يشاركه فيها مشارك، ويحتج لرأيه هذا بما يصل إليه اجتهاده الديني مبرهناً عليه بالبراهين والأدلة المختلفة، ومعه أتباعه من مختلف الطبقات وفي مقدمتهم**

= وبعد وفاة الشيخ الخراساني استقل بالتدريس والبحث وحضر عليه جمع من رجال العلم والفضل، ورجع إليه الكثير في التقليد، ونهض بأعباء الزعامة الروحية والقيادة الدينية.

توفي في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ.

عقبه: الشيخ الميرزا علي، الشيخ الميرزا محمد، الميرزا مهدي.

له: تنبيه الأمة وتنزيه الملّة ـ ط، حاشية العروة الوثقى، حاشية نجاة العباد، رسالة في المعاني الحرفية، رسالة في التزاحم والترتيب، رسالة في التعبدية والتوصلية، رسالة في قاعدة لا ضرر، رسالة في الشرط المتأخر، رسالة في الخيارات، رسالة في المعاطاة، رسالة في البيع الفضولي، رسالة في اللباس المشكوك.

«ترجمته في: أحسن الوديعة ٢/ ٩٦، أعيان الشيعة ٢٦/ ٢١٥، الذريعة ٤/ ٤٤٠، ٦/ ١٤٩، ١١/ ١٥٠، ١٤/ ١٨٣، ١٨/ ٢٩٤، ريحانة الأدب ٦/ ١٢٧، كتابهاي عربي ٢٢، ١٩٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٨٧، ٦٧٨، ٧٣٠، ٨٩٧، ٩٣٠، ١٩٩١، لغت نامه ٤٦/ ٣٠٣، ماضي النجف ٣٥/ ٣٦٤، مشهد الإمام ٣/ ١١٣، مصادر الدراسة ١٤، المطبوعات النجفية ١٨٦، ٣٤٠، معارف الرجال ١/ ٢٨٤، معجم رجال الحديث ٢٢/ ١٨، معجم المؤلفين ٤/ ١٦، معجم المؤلفين العراقيين ٣/ ١٥٢أ، مكارم الآثار ٦/ ٢١٦٩، نقباء البشر ٢/ ٥٩٣، هدية الرازي ١٠٠، معجم رجال الفكر والأدب ٣/ ١٢٦١ ـ ١٢٦٢».

(١) السيد إسماعيل الصدر العاملي (١٢٥٨ ـ ١٣٣٨): المرجع الوحيد في كربلاء، كان بعيداً كل البعد عن التدخل في أمور غير الدين، ولما شاع أمر محمد علي شاه في الاستبداد وإهراق الدماء البريئة أفتى بوجوب محاربته.

(٢) الشيخ محمد تقي الشيرازي (١٢٥٦ ـ ١٣٣٨هـ)، عالم كبير ونقيه شهير وثائر معروف، ولد بشيراز ونشأ وتلقى مبادىء العلوم والمقدمات في كربلاء، ثم هاجر إلى سامراء لحضور بحث المجدد السيد محمد حسن الشيرازي وتخرج عليه حتى عدّ في الطليعة من طلابه وهو قائد الثورة العراقية الكبرى وصاحب الفتوى الشهيرة في إعلان الحرب ضد الإنكليز عام ١٩٢٠، كما أفتى بوجوب محاربة الشاه محمد علي بعد أن تأكد لديه عدم صلاح بقائه في الحكم.

شاه إيران المستبد حينذاك[1]» وقد رأى السيد اليزدي أن هذا الأمر يعقبه فساد عظيم فادى نظره واجتهاده بحرمة ذلك ـ يقصد المشروطة ـ ولذا وقع الخلاف والنزاع ما بين الأهلين والحكومة وأدى الأمر إلى إراقة الدماء[2].

وهنا يشير علي الشرقي إلى المشروطة قائلاً: «ففي العصر الأول من القرن العشرين شبت في إيران ثورة سياسية حصل فيها انقسام رهيب جرّ إلى ويلات وكروب فكل صقع من إيران فيه معسكران «الشعب» و«الحكومة» وكان الأحرار يقودون حزب الشعب حزب المشروطة لأنه يريد الحكم مشروطاً ومقيّداً بدستور ومجلس شورى، ويقود الحزب الآخر رجال الحكومة، والمستبدون الذين يريدون أن يكون الحكم سلطة مطلقة ويسمى حزبهم حزب الاستبداد» وبما أن قادة الرأي العام الإيراني هم علماء النجف زحفت الحركة إلى النجف وتسعرت مشبوبة بين المتنورين وأكثرهم من المعممين الدارسين الذين يؤلفون حزب المشروطة وكانت زعامتهم معقودة للعلامة الملا كاظم الخراساني وإخوانه العلامة الخليلي والشيخ عبد الله وبقية الأعلام، أما حزب الاستبداد فيتكون من عامّة الناس وزعامتهم معقودة للسيد كاظم الطباطباني، وكان الثقل في هذا الحزب يريد إبقاء القديم على قدمه لأن السلطة عند هؤلاء مقدسة».

ولذا اشتدت الحملة ضد اليزدي من قبل الأحرار الإيرانيين والدستوريين وفي مقدمتهم رجال الدين والعلماء[3]، كما أصدر أحد العلماء المسلمين وهو الشيخ فضل الله النوري الفتوى التي جاء فيها بأن تأسيس برلمان وسن دستور للبلاد يغاير الشرع الإسلامي، واعتمد محمد علي شاه على هذه الفتوى وحل البرلمان وأوقف الدستور[4] ـ كما سيجيء هذا ـ وكان الشيخ محمد تقي نجل الميرزا الخليلي والميرزا مهدي نجل الشيخ الخراساني على اتصال وثيق ودائم بالأحرار الدستوريين الإيرانيين في إيران، ولهما التأثير الكبير في الوسط العلمي في النجف في دفع الحركة الدستورية[5]،

---

(١) السيد الإمام أبو الحسن، أحد خدام الشريعة المقدسة ص٤٢.

(٢) مج العرفان اللبنانية مج١٠ ج١٠ ص٩٩١.

(٣) مج١ ج٣ نيسان ١٩٠٩ ص١٢٨.

(٤) مذكرات رضا شاه ص١٥.

(٥) المصلح المجاهد ص٧٣، من حديث خاص للشيخ أغا بزرك مع مؤلفه المغفور له عبد الرحيم محمد علي.

واشتدت المطالبة بالدستور من قبل النجف بزعمائها الروحيين وما لهم من تأثير على الشاه[1]، وكان الشيخ الخراساني «أنفق سبعمائة ليرة عثمانية أجرة رسائل برقية في سبيل تأييد الدستور»[2].

وهنا حدث حادث له مغزاه العميق، فقد ذهب فريق من تجار «البازار»[3] والعلماء وغيرهم، إلى السفارة البريطانية ينشدون معونتها، وحين وجدوا منها تشجيعاً التجأوا إليها فخيّموا في حديقتها الواقعة في ضاحية قولهك، وهناك أخذ عددهم يتزايد يوماً بعد يوم حتى قدّر عددهم بنحو من عشرين ألف شخص[4]، ومما يلفت النظر أن السفارة كانت قد استعدت لإقامة مثل هذه الأعداد الغفيرة[5] وأخذت زوجة السفير تتحدث إلى المعتصمين بضرورة المطالبة بالحرية والمساواة والحياة الدستورية[6]، وأعلنوا أنهم لن يعودوا إلى فتح محلاتهم حتى تنفّذ مطاليب المجتهدين، وهي:

١ـ أن تقسم بلاد فارس إلى مناطق انتخابية.

٢ـ أن ينشأ مجلس نيابي مؤلف من (٢٠٠) عضواً تختارهم الأمة.

٣ـ أنه يجوز أن ينتخب لعضوية المجلس كل فرد من أهل فارس الذكور بشرط أنه يعرف القراءة والكتابة وأن لا ينقص سنه عن ٣٠ سنة ولا تزيد على ٧٠ سنة[7].

---

(١) انقلاب إيران ص٢٣١.

(٢) الشيعة والمنار ص٣٣.

(٣) البازار: لفظة فارسية تعني السوق، وهو مؤسسة تضم أصحاب المحلات التجارية ـ أي الحرفيين وأصحاب الدكاكين، وما زالوا يؤلفون في إيران طبقة ذات أهمية في الحياة الاجتماعية والسياسية، إذ أن لهم رؤسائهم وتقاليدهم النقابية التي تسمى (قواعد صنف) فإذا قرروا إغلاق دكاكينهم احتجاجاً على أمر من الأمور أصابوا الحياة الاقتصادية بالشلل، ويسيطر على نحو ثلثي تجارة التجزئة (المفرد) ويرتبط البازار بالمؤسسة الدينية بعلاقات وثيقة، وبالمقامات الدينية العليا، وهو الممول الرئيسي للمؤسسة الدينية، وتأريخياً تغلق الأسواق أبوابها عندما يغضب الفقهاء، ويعتصم التجار بالمساجد إذا أرادوا الاحتجاج على أحد قرارات السلطة.

(٤) تأريخ سياسي معاصر إيران ١/ ٥٦.

(٥) تأريخ العراق السياسي المعاصر ٢/ ٧١.

(٦) شعراء الغري ١٠/ ٨٥.

(٧) تاريخ أوربا الحديث ص٢٧٩.

التجاء في كربلاء:

لم يمض على حادثة التجاء أهل «البازار» في طهران إلى المفوضية البريطانية سوى مدة قصيرة حتى جرت في كربلاء حادثة مماثلة خلاصتها: أن الحكومة المحلية في كربلاء فرضت على الإيرانيين الساكنين فيها ضرائب خاصة، فأعلن الإيرانيون احتجاجهم على تلك الضرائب وتذمرهم منها، وكان يشجعهم على هذا الاحتجاج والتذمر محمد حسن خان القندهاري الذي كان يتولى وظيفة نائب القنصل البريطاني في كربلاء. فكان هذا الرجل يغريهم ويمنيهم، وقد وثقوا بوعوده فتجمعوا قريباً من دار القنصلية البريطانية الواقعة في محلة «الخيمگاه» وهم في حالة «الالتجاء» على الطريقة الإيرانية، ففرشوا البسط في الشارع وعلقوا خياماً على الجدران ليستظلوا بها من وهج الشمس، واستمروا على ذلك أكثر من خمسين يوماً يأكلون وينامون في مكانهم لا يتحولون عنه حتى سدوا الطريق على المارة.

كان المتصرف في كربلاء يومذاك رشيد بك الزهاوي، وقد حاول إقناعهم بالتفرق دون جدوى ثم وسّط بعض رجال الدين في ذلك فلم يأبهوا لهم. وقد بعث الميرزا حسين الخليلي والسيد كاظم اليزدي إليهم من النجف رسلاً ينصحونهم فلم يستمع أحد منهم للنصح. واضطر المتصرف أخيراً أن يرسل إليهم مدير الشرطة لينذرهم فقابلوا المدير بالاستهزاء وكأنهم كانوا واثقين أن الحكومة في العراق كحكومة إيران لا تستطيع أن تنتهك حرمة «الالتجاء»، أو لعلهم ظنوا أن بريطانيا العظمى كلها تقف إلى جانبهم.

وجهت الحكومة إليهم ثلاثة إنذارات متعاقبة كان الأول منها لمدة أسبوع، والثاني لمدة أربع وعشرين ساعة، والثالث لمدة ست ساعات. وقد حلت نهاية الإنذار الثالث في منتصف ليلة القدر من شهر رمضان ١٣٢٤هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١٩٠٦م ـ فأحاط الجنود بالملتجئين ووجهوا عليهم رصاص بنادقهم من كل ناحية، إن الملتجئين لم يكونوا يتصورون أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وقال قائل منهم: «لا تخافوا إنه ليس رصاصاً حقيقياً»، غير أنهم صاروا يتساقطون صرعى على الأرض، فأسرعوا يستغيثون بالقنصلية يدقون بابها لتسمح لهم بالدخول فلم يجدوا منها غوثاً. وعند هذا أطلقوا سيقانهم للريح بعد أن سقط منهم سبعون قتيلاً وعدد كبير من الجرحى.

استطاع السيد علي الشهرستاني من علماء كربلاء أن يذهب إلى بغداد وأن يتصل

بالقنصل الإيراني ليخبره بما جرى، وأبرق القنصل بتفاصيل الواقعة إلى طهران واسطنبول. ثم وصل إلى كربلاء خبراء أرسلهم القنصل البريطاني من بغداد للتحقيق في الأمر، فشهدوا محل الواقعة وأثر الرصاص في جدران القنصلية. وكان من نتيجة ذلك أن عزلت الحكومة العثمانية والي بغداد مجيد بك وعينت في مكانه أبو بكر حازم بك.

إن السؤال الذي يواجهنا هنا: هل كان هناك ارتباط سببي بين واقعة كربلاء وأحداث المشروطية في طهران؟ وهل أن محمد حسن خان حرض الإيرانيين على «الالتجاء» من تلقاء نفسه أم هو فعل ذلك بإيعاز من الحكومة البريطانية؟ إن في هذا سراً لا نعرفه، وربما كشفت عنه الوثائق فيما بعد[1].

إزاء هذا التصاعد في موقف المعارضة أعلن مظفر الدين شاه الموافقة على إقرار النظام الدستوري في البلاد في ١٥ آب ١٩٠٦م/ ٢٤ جمادى الثاني ١٣٢٤هـ فعاد علماء الدين إلى طهران وجرت انتخابات المجلس الملي (مجلس الشورى) في ١٢ أيلول ١٩٠٦م/ ٢٣ رجب ١٣٢٤هـ[2].

وافتتح المجلس الملي في طهران في ٧ تشرين الأول من عام ١٩٠٦، الموافق ١٨ شعبان ١٣٢٤هـ وقد حضر الشاه مظفر الدين حفلة الافتتاح على الرغم من مرضه. وكان أول عمل اهتم به المجلس الملي هو تأليف لجنة لصياغة مواد الدستور، وقد تمت صياغة الدستور وصادق عليه الشاه في شهر كانون الثاني من عام ١٩٠٧، ثم مات الشاه بعد ذلك بأيام معدودة وذلك في ٤ كانون الثاني ١٩٠٧م/ ١٩ ذي القعدة ١٣٢٤هـ.

كان الدستور الإيراني في كثير من نصوصه عبارة عن ترجمة حرفية للدستور البلجيكي الصادر في عام ١٨٣٠، فهو يقوم على أساس المبادىء الديمقراطية التي كانت شائعة في أوربا من حيث الاعتقاد بالقانون الطبيعي وحقوق الإنسان، وقد تصدى الشيخ فضل الله النوري بقوّة لمواجهة الانحراف الذي حدث في الحركة الدستورية، وتصدّى لمظاهر الانحراف بشدّة استطاع أن يحقق بعض المكاسب، ومنها: حصوله على تعهد من المجلس بأن تكون إيران دولة إسلامية، وأن أحكام الإسلام ثابتة غير

---

(١) لمحات اجتماعية ٣/ ١١٠ ـ ١١١.

(٢) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٨.

متغيّرة، وأن المشروطة أن لا تخالف الشريعة الإسلامية[1] مما دعا لجنة صياغة الدستور أن تجعله موافقاً للشريعة الإسلامية لا يخالفها في شيء. نجد هذا واضحاً في المادتين الأولى والثانية منه. وفيما يلي نصهما المترجم:

المادة الأولى: الدين الرسمي للدولة هو المذهب الجعفري الاثني عشري الحق من الإسلام، ويجب على الشاه أن يقر بهذا المذهب ويحميه.

المادة الثانية: إن المجلس، الذي تم تشكيله ببركة إمام العصر عجل الله فرجه، وتفضل جلالة الشاه، وسعي العلماء كثر الله أمثالهم، والأمة الإيرانية، لا يجوز له أبداً أن يسن أي قانون مناقض لشرائع الإسلام المقدسة... ومن الواضح أن العلماء هم الذين يقررون ذلك. ولهذا فالواجب رسمياً في كل دورة من دورات المجلس أن تكون فيه لجنة مؤلفة من خمسة أشخاص هم من المجتهدين والفقهاء الورعين، والعارفين أيضاً لحاجات العصر ومقتضياته... وعلى المجلس أن يعتبر هؤلاء أعضاء فيه. ووظيفتهم هي أن يدرسوا جميع اللوائح التشريعية فإذا وجدوا فيها ما يخالف الشرائع الإسلامية المقدسة رفضوه. وإن قراراتهم في هذا الصدد واجبة التنفيذ ونهائية. وإن هذا الشرط من الدستور لا يمكن تغييره إلى حين ظهور إمام العصر عجل الله فرجه[2].

ومن أهم المشاكل التي واجهت المجلس هي المشكلة المالية التي يئن منها الشعب، وكان الشاه وحكومته يريدون اقتراض (٤٠٠,٠٠٠) جنيه من إنكلترا وروسيا بالاشتراك، فعارض العلماء والحزب الوطني ذلك بحجة الخطر في تهديد استقلال البلاد، وأن تجمع المبالغ بقرض داخلي فأيد المجلس، ثم وضع المجلس مشروع قانون أساسي لحكم البلاد اضطر الشاه التوقيع عليه بعد مماطلة في ٣٠ ديسمبر ١٩٠٦ أي قبل موته بخمسة أيام، ووعد ألا يحل المجلس إلا بعد عامين على الأقل، ثم أقر المجلس بعض الإصلاحات هي:

١ـ منع اقتراض ديون جديدة من روسيا وإنكلترا.

٢ـ حد نفقات الشاه وإنقاصها إلى أصغر قدر ممكن.

---

(١) محمد تركمان: شيخ شهيد فضل الله نوري (فارسي) ١/ ١٥.
(٢) لمحات اجتماعية ٣/ ١١١ ـ ١١٢ بتصرف.

٣ـ إنشاء مصرف وطني.

٤ـ إبطال ابتزاز الأموال من الأهلين بطرق غير شرعية ولاسيما جباية الضرائب.

٥ـ عزل البلجيكين وغيرهم من الأجانب ممن أوتي بهم أول الأمر لإصلاح الجمارك بحجة أصبحوا ذوي نفوذ يخشى منه. وأنهم فضلاً عن عدم عملهم على التقليل من إسراف الشاه ساعدوه على ذلك[١]...

وفي ٤ كانون الثاني ١٩٠٧ توفي مظفر الدين شاه بعد ثلاثة أشهر من انعقاد أول جلسة للبرلمان الإيراني فخلفه في الحكم ولده:

محمد علي شاه:

بعد موت الشاه مظفر الدين ـ كما أسلفنا ـ تولى الحكم ابنه محمد علي شاه، وقد نودي به ملكاً على إيران في ٨ كانون الثاني وتوج في ١٩ منه، وكان طاغية طماعاً، سيء السيرة، وأخذ منذ بداية حكمه يتظاهر بالميل إلى الحكم النيابي واحترام الدستور والعمل من أجله، وأرسل إليه الشيخ الخراساني الوصايا العشر المشهورة وهي:

١ ـ ينبغي منكم بذل النفس والنفيس في المحافظة على الشريعة المطهرة وتشييد مباني الإسلام مع انتخاب معلم ديني أمين تتلقون عنه العلوم الشرعية اللازمة لمقام السلطنة كما أنه يجب عليكم المواظبة التامة على العبادات العملية فإن أداء الفرائض الإلهية موجبة لدوام سلطنتكم وسيادتكم على الرعية.

٢ ـ اجتنبوا الأساتذة الفاسدي العقائد عبدة الدنيا لأن مخالطتهم جاذبة لذميم الأخلاق ومرذول العادات كما يجذب المغناطيس الحديد.

٣ ـ بذل قصارى الجهد في إعلاء شأن الوطن وتنظيم أمور المملكة وتربية أفراد الأمة تربية صحيحة وحث الرعية على ممارسة الحرف والصنائع وترويج المنسوجات الوطنية بأن تختاروا لباسكم منها فإنكم إذا فعلتم ذلك اقتدى بكم رجال الدولة قاطبة وأفراد الرعية كافة، فلا شك بأن المملكة أنئذ تطلق من عقال الاحتياج للمنسوجات الخارجية وهكذا فعل «ميكادو اليابان» فإنه لما علم أن مفتاح ترقي مملكته يسير بهذا السبيل طرق أبوابه فنال مقعده النبيل. فإذا نهجتم في ابتداء سلطنتكم وعنفوان صباكم

---

(١) تاريخ أوربا الحديثة ص٢٨٠.

هذا المنهاج السديد تكونون واسطة لرقي البلاد ورفع الفقر ودفع الاحتياج الضارب أطنابه في ساحة الرعايا وعما قريب يحلقون بمنطاد المساعي المشكورة إلى أجواء النجاح وينالون حينئذ الاستقلال الحقيقي فنكون قد سعينا في تعمير بلادنا لنظل أصحاب الشوكة والاقتدار إن شاء الله.

٤ ـ بذل مساعيكم وصرف همتكم إلى نشر العلوم وترويج الصنائع العصرية التي حلقت بواسطتها الأمم إلى أوج الرقي ومن البديهيات المسلمة أن الإيرانيين أكملهم استعداداً وأحسنهم قابلية وقد كانوا في طليعة أمم العالم ولهم السبق عليهم وليس التأخر الحالي الحاصل في المملكة الآن الذي أوصلها إلى هذا الحد من الفقر والبلاء إلا عدم اعتناء الأسلاف بتلك الأمور وميلهم إلى مصنوعات الأجانب حتى أوجب ذلك قهراً سريان الداء في جسم كل فرد من أفراد المملكة فإحياء إيران فعلاً يدور على هذه النقطة المهمة.

٥ ـ الحذر كل الحذر من مداخلات الأجانب والعناية كل العناية في قطع دابر فتنتهم فإن البلاء مخيم على تلك الأنحاء كان بسببهم فلا ينبغي الاعتماد عليهم لا ما كان من استجلات قلوب ملوكهم وعظمائهم مع المحافظة التامة على مودتهم وليست هذه الديون الخطيرة الملقاة على عاتق الدولة إلا نتيجة مداخلتهم، ومن اللازم على رجال إيران المحبين لوطنهم انتخاب الرجال الأكفاء لإدارة السلطنة.

٦ ـ بذل الجهد في نشر العدالة الحقة والمساواة وذلك بأن يتساوى شخص السلطان نفسه وأضعف فرد من أفراد الرعية في الحقوق، وأحكام القانون الشرعي حاكمة على الكل من غير استثناء، فإذا ثبتت قدم السلطان في هذا الأمر وقام بأعباء هذا التكليف يتمكن جزماً من رقاب المعاندين ويأتون أذلاء صاغرين وعندها يكون أساس العدالة محكماً لا لفظاً وتوهماً.

٧ ـ محبة عموم الرعية والرأفة جلباً لقلوبهم وتنشيطاً لهممهم كي يرسخ حبك في قلوبهم.

٨ ـ ينبغي مراجعة تاريخ مشاهير ملوك العالم والإحاطة بمعرفة الطرق التي نهجوها في نشر العلوم الدينية والمدنية حتى أحكموا استقلال أممهم وزينوا صفحات التاريخ بعظيم أفعالهم حتى ضربت الأمثال بهم وأقيمت التماثيل لهم.

٩ ـ ستنكشف لذاتكم الملوكية عند مراجعة تاريخ إيران بأن السلاطين الماضين سواء كانوا قبل الإسلام أو بعده كانوا ممن انهمكوا في الملذات واتبعوا الشهوات وصرفوا أعمارهم في اللهو واللعب اقتفى رجال دولتهم آثارهم وسلكوا طرقهم فكانت نتيجة ذلك ضعف المملكة وذل الرعية وضياع الأموال وتبلبل الأحوال وممن كان منهم صارفاً نفسه عن الشهوات وكان أكبر همه إدارة المملكة وتربية الرعية ونشر العلوم والصنائع وتنظيم العساكر تقدم في زمن قصير على جميع الملوك، فالمأمول إن شاء الله تعالىٰ من الذات الملوكية الإعراض كلية عن الطريقة الأولى السافلة والاحتراس من سلوك مسالكها المردية ولا شك بأنكم تختارون الطريقة الثانية وتجعلونها نصب أعينكم وعما قريب تحصلون على النتائج الحسنة إن شاء الله.

١٠ ـ حفظ مقام العلم وتكريم حملته من العلماء العاملين والفقهاء المصلحين فإذا لا قدر الله حصل التقصير بجزئي من هذه الكليات نكون قد تعرضنا للمهلكات وذهبت الدولة من أيدينا فنعض بنان الندم ولات حين مندم والسلام[١].

الداعي

محمد كاظم الخراساني

وكان يقف إلى جانب الشيخ الخراساني في دعوته هذه الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني من أنصاره في رأيه السياسي: «ووقف معه جنباً لجنب لأنه كان يرى رأيه وكان يوم ذاك من أكبر الدعاة»[٢] في عنوان المعركة بين الدستوريين وأنصارهم، وألف رسالته المشهورة «تنبيه الأمة وتنزيه الملة» وأحدثت دوياً في الأوساط وغيرت وجهة نظر الكثير من دعاة الاستبداد، ونظراً لصدورها بالفارسية فقد ترجمها الأستاذ صالح الجعفري باسم الاستبدادية والديمقراطية[٣].

كان تظاهر محمد علي شاه في تأييد الدستور والمجلس مناورة محكمة الخيوط

---

(١) نشرت في مجلة العرفان ص١١٩/ مجلد٢/ ج١. محرم ١٣٢٨/ ١٢ ك٢/ ١٩١٠ بعنوان الوصايا العشر، أو كيف يوصي العلماء الملوك وكان الخراساني قد أرسلها إلى الشاه مع سفير خاص اسمه السيد محسن وقد أمر الشاه بتعليقها في غرفته.

(٢) نقباء البشر ٢/ ٥٩٤.

(٣) نشرت في مجلة العرفان اللبنانية مج ٢٠/ع١ و٢ و٤ و٥ ومج ٢١/ع١ و٢ و٤ ـ ٥.

لذلك فقد حرك بعض أذنابه في القيام ببعض الشغب نكاية بالدستور، وقد عين قواداً لقمع الحركات الوطنية ومن هؤلاء حاج صمد خان شجاع الدولة أو جلاد مراغة الذين شنق عدداً من الوطنيين بصورة وحشية جداً[1] والثاني (شجاع نظام مرندي) وهو سفاك مشهور وقد نسفه أحد الوطنيين بقنبلة يدوية، و(عين الدولة) نائب الشاه في شمال إيران كلها[2]، «ومما زاد في تمادي صمد خان صدور فتاوى لبعض المجتهدين بارتداد الأحرار عن الإسلام وكونهم مبدعين في دين الله يجب دفعهم، فضيق صمد خان الخناق (والمنصب والياً على أذربيجان من قبل الروس) على الأحرار نقماً منهم وولعاً بإراقة الدماء فضلاً عن أنهم قتلوا خاله حاج كبير آغا مجتهد مراغة»[3].

ومما زاد في شدة الصراع عقد المعاهدة الروسية البريطانية في ٣١ آب ١٩٠٧م/ ١٣٢٥هـ. ففي هذه المعاهدة اقتسمت الدولتان النفوذ في إيران حيث حصلت روسيا على القسم الشمالي منها بينما حصلت بريطانيا على القسم الجنوبي، فكان ذلك بمثابة ضربة قاسية على أنصار المشروطية إذ أصبحت طهران ومناطق إيران الشمالية تحت النفوذ الروسي مما شجع الشاه محمد علي على التمادي في نزعته الاستبدادية، وصار حراً يعمل ما يشاء دون أن يخشى من تدخل بريطانيا في دعم أنصار المشروطية[4].

كان الشاه محمد علي يحيط به مستشارون روس، وهو يتأثر بآرائهم تأثيراً كبيراً

---

(١) ومن هؤلاء: أغا ميرزا علي ثقة الإسلام زعيم الطائفة الشيخية من العلماء ومن المجاهدين من أجل الدستور. وأغا شيخ سليم من أئمة دوجي من العلماء.. وضياء العلماء من العلماء وخاله. وحسن وقدير أخوان لاب دستوري.. وإبراهيم آغا من زعماء الديمقراطيين.. وصادق الملك. وهؤلاء الثمانية صلبوا في عاشوراء.. وآغا ميرزا علي كان خطيباً ومصقعاً.. وميرزا أحمد خان السهيلي كان كاتباً فاضلاً شاعراً.. وآغا ميرزا كريم من الخطباء عندما صعد المشنقة صاح بأعلى صوته: ليحى الشيخ عبد الله المازندراني لأنه كان من مقلديه ويجاهد في سبيل الدستور وعمل بفتواه.. وحلاق.. وسمعت بواحد غلوا يديه ورجليه ثم أمر حمد خان بالقائه بين يدي كلب له كبير فافترسه وغيرهم كثير جاوزوا الستين رجلاً بين الذين قتلهم الروس وبين الذين قتلهم حمد خان، العرفان مج٩/ ج٦ ص٥٣٠.

(٢) مذكرات رضا شاه ص٥١.

(٣) مجلة العرفان اللبنانية مج٩ ع٦ ص٥٣٠، المصلح المجاهد ص٧٩.

(٤) يقظة العالم الإسلامي ٢/ ١٥.

ولاسيما برأي رجل منهم يهودي اسمه شبشال[1]. يقول المؤرخ لنشوفسكي: إن الروس كانوا يعتقدون بأن حركة المشروطية هي من تدبير بريطانيا ويعتبرونها مهددة لسطوتهم ونفوذهم في إيران، فاستغلوا تقربهم من بريطانيا في عام ١٩٠٧ وشجعوا الشاه محمد علي على تعطيل الدستور[2].

صار الشاه محمد علي على أي حال يبذل الأموال ويحشد الأنصار في سبيل القضاء على حركة المشروطية في بلاده، وكان الشعار الذي رفعه في ذلك هو أن الدستور بدعة مخالفة للشريعة الإسلامية[3].

وعليه صدرت الفتاوى من النجف وهي مطبوعة تنص على جواز محاربة الشاه محمد علي والإيقاع به لهتكه حرمة الشرع الشريف وكانت لأربعة من الأعلام وهم: الشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد إسماعيل الصدر والشيخ محمد تقي، والشيخ عبد الله المازندراني[4]، بوجوب الجهاد في سبيل الدستور والاستعداد للجهاد والدفاع فطفق الكثيرون يبتاعون البنادق، ورب رجل باع فرش بيته ليبتاع بندقية[5] ونتيجة لتطور المواقف والأحداث أبرقت البرقيات بتوسط العلماء إلى بلاط الشاه[6]. وقد أيد الشاه في موقفه هذا لفيف من رجال الدين الكبار على رأسهم الشيخ فضل الله النوري، وكان هذا الرجل من أنصار المشروطية في أول الأمر ثم انفصل عنهم وأخذ يحاربهم حرباً لا هوادة فيها ويتهمهم بأنهم بابيون وزنادقة. أما أنصار المشروطية فكان يتزعمهم السيد محمد الطباطبائي والسيد عبد الله البهبهاني. وبهذا انقسم الشعب الإيراني إلى حزبين متطاحنين، وصار كل حزب منهم يكفّر الحزب الآخر ويدعو إلى محاربته.

هذه كلها تثبت دسائس الشاه ضد المجلس والحياة الحرة الكريمة التي نعمت بها إيران مدة قصيرة من إنشاء مجالس محلية في طهران وأكثر المدن الإيرانية، تشبه تلك

---

(١) peter Avery (cp. clt) - p128.
(٢) الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ١/ ٥٨.
(٣) لمحات اجتماعية.
(٤) مجلة العرفان اللبنانية ج٥ ص٢٤٠ في ٢٩ مايس ١٩٠٩م.
(٥) ن. م، مج٩ ج٣ ص٢٤٣.
(٦) المصلح المجاهد ص٨٠

التي ظهرت في فرنسا إبان ثورتها الكبرى[١]، وقد أطلق عليها اسم «الانجمن». فكنت هذه النوادي تجمع التبرعات وتحشد الأنصار وتدربهم على السلاح بغية الدفاع عن المشروطية. وكثيراً ما شوهد رجال الدين بعمائمهم وهم يتدربون على استعمال البنادق معتقدين أنهم يقومون بواجب الجهاد في سبيل الله.

وتوقف توزيع الإقطاعيات على أنصار الشاه واسترجاعها وقطع الجرايات التي تجري على الكثيرين بدون عمل... وكان رأي روسيا ضد المجلس لذلك أمدت الشاه بالمعونة في إشاعة الضوضاء في البلاد، وسيرت الدولة العثمانية قسماً من جيشها إلى حدود إيران بحجة تسكين القلاقل فانهزم الجيش الإيراني المرسل لملاقاته[٢] واضطر الشاه على تأزم الوضع في إيران إلى دعوة البرلمان الجديد في ديسمبر ١٩٠٧[٣] وكان أعضاء البرلمان قرروا أن يحسنوا العلاقة بينهم وبين الشاه لاستمالته أو التخفيف من غلوائه وتنحيه بعض أعوانه الذين لهم الأثر في تعكير الجو، لكن دون جدوى... وفي ٣ حزيران سنة ١٩٠٨ فر الشاه إلى خارج طهران فجأة لغرض الاستعداد للقيام بالجولة الأخيرة فكان يجمع الجيوش ويقطع الاتصال بين العاصمة والأقاليم[٤].

وبعد صراع عنيف بين الشاه والمجلس النيابي استطاع الشاه في ٢٣ حزيران ١٩٠٨ أن يوجه للمشروطية ضربة قاصمة، فأعلن الأحكام العرفية ووجه جنود «القوزاق» بقيادة الكولونيل لياخوف الروسي لتطويق المجلس، ثم أمر بإطلاق المدافع عليه. وانتشر الرعب في طهران، وأخذ أنصار المشروطية يلوذون بالفرار، فاستطاع بعضهم أن يلتجيء إلى المفوضية البريطانية وينجو بنفسه بينما وقع البعض الآخر في قبضة القوات الحكومية. وقد شُنق من المقبوض عليهم اثنان أحدهما الميرزا جهانكير خان صاحب جريدة «صور إسرافيل» الثورية، والثاني هو الميرزا نصر الله الأصفهاني الذي كان من أشد وعاظ المشروطية تأثيراً في الجماهير حتى كان يُلقب بـ «ملك المتكلمين» وهو الذي لا يزال تمثاله قائماً في أحد شوارع طهران.

---

(١) percy sykes (op. clt.) vol2. p408.

(٢) تاريخ أوربا الحديثة ص٢٨١.

(٣) رضا شاه بهلوي ص٢٥.

(٤) المصلح المجاهد ص٨٦.

وبعد أن انتصر الشاه في طهران أبرق إلى ولاته في أنحاء إيران يأمرهم بإلغاء المشروطية وتشتيت شمل أنصارها وسد نواديهم[1] ببيان نصّه:

«إني وإن قد وعدت أن يفتتح مجلسكم في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٨ إلا أن الأكثرية من أعضاء المجلس والأهلين يلحون على صرف النظر عن افتتاحه، ومن هذه الجهة صممت أن أحقق رغبة الناس لأن افتتاح المجلس وتحقير الإسلام توأمان»[2].

وقد رد المصلح الخراساني على برقية الشاه بما نصه: «يا منكر الدين ويا أيها الضال - الذي لا نستطيع مخاطبتك بلقب «شاه» - كان المرحوم أبوك أعطى الدستور ليرفع الظلم والتصرفات غير القانونية عن الشعب الذي كان في ظلام دامس قروناً عديدة حيث أنه لا يوجد في المشروطية شيء يخالف الدين وكنا ننتظر من شجرة الدستور أن تثمر السعادة للشعب المظلوم ويحافظ بعد جلوسك على العرش، ومن هذا الوجه اعترفنا لك بولاية العهد الدستورية، وكذلك من اليوم الأول الذي تبوأت فيه عرش السلطنة، وضعت تحت أقدامك جميع الوعود والأيمان وعملت بجميع الحيل ضد المشروطية، وقد تجلى لنا خطأنا فيك حيث سعيت أن تجعلنا آلة بيدك ضد المجلس وحاولت أن ترشونا بقانون أساسي تافه نظمته أنت، والذي كان فيه ضرر للناس وأردت أن نصادق عليه. (والآن سمعنا أنك أرسلت إلينا أحد رجالك المقربين لشراء ذممنا بالذهب ولست عالماً أن سعادة الشعب أثمن كثيراً من ذهبك).

إننا نظن أن البيان الذي نشرته لإحياء المشروطية كان بتأثير الأجانب وكان كاتبه أحد المجتهدين المعادين للإسلام منْ باع دينه وإيمانه ووجدانه بالمال وهو من أتباع الشيطان. وفي بيانه المذكور بحث عن الدين والشريعة، ونحن بأمر الله وإرادة الشعب، وباسم الشيعة المدافعين نقول له: إن ذكرك للدين والشريعة كذب وهراء، أردت بكذبك هذا إغفال البسطاء المتمسكين بالدين لتمنع الدستور وتجعل الناس في ذل وفقر. وعلى هذا أنت عدو للدين المقدس وخائن للوطن وتشبه السارق الذي يسرق الناس باسم الدين والشريعة.

---

(١) لمحات اجتماعية ٣/ ١١٤.

(٢) التطور الفكري في العراق ص٢٥، المصلح المجاهد ص٨٧.

نحن الروحانيين من أهالي إيران نبلغك أن تنظر بدقة وتفكر في سعادة الشعب، وإلا فسوف يلقبك الشعب بالخيانة والمنكر ويلعنك إلى الأبد، اعمل معروفاً مرة واحدة في حياتك بأن تعطي للشعب المظلوم الحرية، إنك أنت والمجتهدون المرتزقة الذين يدعون بمخالفة المشروطية للشرع يتجاهلون حقيقة الدين بأن العدالة شرط حتى في الأمور الجزئية، ونحن بحسب اطلاعنا عن البلاد المطبق فيها الدستور: إنها تدار بحسب القوانين والعدالة، ونحن نقول بصراحة: ليس في المشروطية نقطة تخالف الدين الإسلامي بل إنها تتفق مع أحكام الدين وأوامر الأنبياء بخصوص العدالة ورفع الظلم عن الناس، يقول المثل: كن في حراستك سارقاً ولكن امنع الظلم عن الشعب، وأعط الشعب الدستور الحر لتتحسن أحواله، وأحرق السند الشيطاني وانشر بياناً آخر تعطي فيه الحرية. وإذا حصل تأخر منك عما قلناه فإننا سوف نحضر جميعاً في إيران ونعلن الجهاد ضدك. ولنا في إيران أتباع كثيرون والمسلمون كثيرون أيضاً فإننا أقسمنا على ذلك»[1].

وكيل المجتهدين

محمد كاظم الخراساني

حاول محمد علي شاه مواجهة التطورات المحتملة، باستدعاء الجيش الروسي في بداية سنة ١٩٠٩ لدخول الأراضي الإيرانية، معتبراً أن الوجود العسكري الروسي سيحبط محاولات العلماء التي تستهدف سلطته، وإن دخول هذه القوات عملية ضرورية لتثبيت سلطته، حتى لو استدعى ذلك إعطاء أذربيجان لروسيا[2].

وقد أثارت هذه الخطوة العلماء كافة، ممن يدعم المشروطية ومن لم يدعمها، فقد أبرق السيد محمد كاظم اليزدي إلى محمد علي شاه يشجب فيها دخول القوات الروسية إلى إيران، معتبراً ذلك احتلالاً عسكرياً، وهذا ما أثار مخاوف الحكومة الروسية، فقد كتب السفير البريطاني في بغداد يقول: «أبلغني المسيو ماسجكوف ـ موظف الحكومة الروسية ـ أن الملا محمد كاظم الخراساني له نفوذ عظيم في باكو، بشكل جعل من باكو

---

(١) التطور الفكري في العراق ص٢٧.

(٢) تشيع ومشروطيت در إيران ص١١٢.

أعظم مراكز نفوذه الفتّاكة التي تجري فيها التبليغات الثورية . . . كما إن أكثر الشخصيات [الروحانية] نفوذاً خارج باكو وسط المسلمين القفقاز هو السيد كاظم اليزدي، لهذا يقول: أنا أعتقد بأن الضروري إلى نقطة هامة هي أن السيد كاظم اليزدي لم يبتعد عن السياسة، إنه الآن يريد أن يستخدم نفوذه حتى يدفع الروس، وإن السيد كاظم اليزدي يُحترم كثيراً هناك. . . بناءً على ذلك إذاً كان يفكر بوجوب الاشتراك في الأمور السياسية، فمن الممكن أن يحرّك الثورات في القفقاز وإيجاد مشاكل واضطرابات واضحة للدولة الروسية»[1].

وأخذ الولاة ينتقمون من أنصار المشروطية، فكانوا يجلدون من يقع في أيديهم منهم أو يبعدونه أو يحبسونه. . .[2].

هذا كله جعل الشعب في ألم مستعر وغليان مستمر وتمهدت الأمور للقيام بالثورة، فقد هبت الثورات عليه في بعض المدن، وكان أهم هذه الثورات تلك التي نشبت في تبريز إذ استطاع أنصار المشروطية فيها أن ينظموا أنفسهم تنظيماً جيداً وتمكنوا من السيطرة على المدينة فترة غير قصيرة من الزمن[3]. وقد شجعت هذه الثورة أهل رشت لأن يقوموا بثورة مماثلة، وتحركت القوات الرشتية نحو مدينة قزوين فاحتلتها ثم توجهت نحو طهران. وجاءت الضربة القاصمة أخيراً على يد الحاج علي قلي خان رئيس قبائل البختيارية في منطقة أصفهان وهو المعروف بلقب «السردار أسعد»، فقد حشد هذا الرجل قوات مقاتلة بلغ عدد أفرادها ألفين ومعها عدة مدافع. وفي حزيران من عام ١٩٠٩ توجه السردار أسعد بقواته نحو طهران، والتقى على مقربة منها بالقوات القادمة من رشت، وفي ١٢ تموز دخل طهران فاتحاً[4].

وفي أثناء ذلك كتب الثوار الإيرانيون يستفتون الشيخ الخراساني، والشيخ المازندراني عن جواز دفع الضرائب إلى الحكومة غير الدستورية فأقرا بعدم جواز ذلك

---

(١) ن. م ص١١٦.
(٢) لمحات اجتماعية ٣/ ١١٤.
(٣) انظر المقالات المتسلسلة التي نشرتها مجلة العرفان الصيداوية في عام ١٩٢٣ بقلم السيد أحمد كسروي التبريزي.
(٤) ن. م.

مطلقاً[1] كما كتبا رسالة إلى تبريز يطلبان فيها مساعدة القائمين بالثورة ضد حكومة الشاه المستبدة، وبعد معارك بين الثوار وجيش الشاه في عدة مواقع، منها في ١٦ تموز ١٩٠٩م/ ٢٧ جمادى الثانية ١٣٢٧هـ ليلاً دخل الثوار إلى طهران[2] وجردوا فرقة القوزاق التي تحرس الشاه من سلاحها وأخيراً أنظم القوزاق للثوار[3] والتجأ الشاه إلى السفارة الروسية طلباً للسلامة في ١٧ تموز، وعُدَّ التجاؤه هذا تنازلاً عن الملك[4]، واراد الثوار من الحكومة إجابة طلبهم في:

١ ـ جلاء الجنود الروسية وكانوا قد احتلوا تبريز وغيرها من مدن أذربيجان إيران.

٢ ـ إعادة الحكم النيابي.

٣ ـ صرف الجنود غير المنظمة التي جمعها الشاه.

٤ ـ إبعاد الرجعيين من حاشية الملك[5].

وفي صباح اليوم الثاني سار الثوار إلى دار المجلس القديم واتخذوها مقراً، وفي مساء اليوم نفسه «اجتمع زعماء الوطنيين حضره رؤساء الجيش والمجتهدون والأعيان ومن تيسر جمعه من أعضاء المجلس القديم فأعلنوا عزل الشاه رسمياً»[6].

وفي ١٨ تموز ١٩٠٩ اختار الثوار أحمد ميرزا (ابن الشاه المخلوع)، شاهاً على إيران وهو ابن الثانية عشرة من العمر، وقد أقاموا عليه وكيلاً كبير أسرة آل قاجار يدعى عضد الملك، ووافق على ذلك العلماء الروحانيون وفي مقدمتهم الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازنداني، والحاج ميرزا حسين الخليلي، والشيخ الميرزا حسين النائيني[7] وبذلك قال الشعب كلمته بقيادة ثورته التحررية وزعيمها الروحي المصلح الخراساني واستقرت الأمور وهدأت الثورة.. وغادر الشاه المخلوع البلاد في شهر أيلول من العام نفسه ١٩٠٩، وحاول أن يسترجع عرشه بمساعدة الروس

---

(١) المصلح المجاهد ص٨٩.

(٢) رضا شاه بهلوي ص٢٥.

(٣) مج العرفان اللبنانية ج٨ في ١٧ آب ١٩٠٩ ص٣٩٧.

(٤) ن.م. مج١٠ في حزيران ١٩٢٥ ص٩٩١.

(٥) تاريخ أوربا الحديثة ص٢٨٤.

(٦) ن.م.

(٧) مجلة العرفان اللبنانية مجلد ١٠ في حزيران ١٩٢٥ ص٩٩١.

وتعضيدهم فلم يفلح[1] إذ دخل البلاد من شمالها ولكنه دحر اندحاراً لم يعد به بارقة أمل للعودة إلى الحكم، وقد قتل أرشد الدولة وهو من أقوى أنصاره[2] ثم هرب من إيران إلى سان ريمو وبقي بها برهة من الزمن حتى اغتالته يد المنون في نيسان ١٩٢٥/ النصف من رمضان ١٣٤٣[3].

ومن الجدير بالذكر بل المهم أن روسيا وإنكلترا اتفقتا على ما بينهما من الخصومة على تقسيم بلاد إيران في عهد محمد علي شاه إلى منطقتي نفوذ تجاري، المنطقة الشمالية وكانت من نصيب روسيا، والجنوبية من نصيب الإنكليز على أن تكون المنطقة الجنوبية الغربية منطقة حياد، وبقي هذا الاتفاق سراً إلى أن ألغي بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا في شباط ١٩١٨[4]. مما حفز العلماء الأعلام من الأحرار إلى إرسال بعوث إلى الآستانة ثم إلى إعلان الحرب على روسيا واحتلال الدولة العثمانية لإيران بسبب تلك المواقف الخبيثة التي وقفتها روسيا من المعاهدة السرية ومساعدة الشاه الذي سود التاريخ بأعماله البربرية وقساوته الوحشية أقاموا وكيلاً عنهم أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب والحر العثماني الشهير[5].

نتائجها:

أعطت الحركة المشروطية والدستورية عدداً من النتائج كانت بعضها سلبية والأخرى إيجابية بسبب عدم قطعية بعض رجال الثورة وتحفظاتهم، ثم عدم تنفيذ بعض مواد الدستور ندرج أهمها:

١ ـ تثبيت الدستور وقيام المجلس.

٢ ـ إعلاء كلمة العلماء وتبجيلهم لقيادتهم الحكيمة للحركة الدستورية وتفانيهم في سبيل الأمة.

٣ ـ تأديب المعارضين لمصالح الشعب وضربهم وتنحية الشاه وأعوانه.

---

(١) رضا شاه بهلوي ص٢٦.
(٢) مج العرفان اللبنانية مج٣ ج١٩ في ٢٤ أيلول ١٩١١ ص٧٣٨.
(٣) ن.م. مج١٠ ج١٠ في حزيران ١٩٢٥ ص٩٩٢.
(٤) رضا شاه بهلوي ص٢٧.
(٥) مجلة العرفان اللبنانية ج٧ في ١٨ تموز ١٩٠٩ ص٣٥٨.

٤ ـ اشتداد عداوة الروس لنظام تحت ظل الدستور وما نتج عن ذلك حركة مهمة قام بها الملا محمد كاظم الخراساني.

٥ ـ وقوع حوادث لم تكن بالحسبان في أنحاء المملكة الإيرانية وخصوصاً في مقاطعة أذربيجان ومقرها تبريز، نتيجة استغلال بعض ـ أصحاب الحركة ـ الفرصة ووقوع الخسائر في الأموال والأرواح.

إن نظرة السيد اليزدي إلى المشروطية قائمة على أساس رصد الممارسة الفعلية التي يقوم بها رجال المشروطية، وتشخيص دوافعهم من ورائها، حيث كان يعتبر أن موقفهم الحقيقي معادٍ للإسلام، وأنهم يريدون تعطيل أحكام الشريعة الإسلامية في المجتمع، وقد أبدى هذا الرأي ذات مرة في منزل شيخ الشريعة الأصفهاني[1].

مع العلم أن الشيخ النوري أصدر بياناً كشف فيه أن السيد كاظم اليزدي لا يعارض المشروطة، ويستند في ذلك على برقية أرسلها السيد اليزدي.

ومما يؤيد هذا الرأي مسوّدة البرقية التي بعثها إلى الآخوند الآملي نصّها[2]:

من النجف / رقم ٦٧٦

حضرة ثقة الإسلام الآملي دامت بركاته

لقد تملّكنا القلق من تجرؤ المبتدعين، وإشاعة كفر الملحدين، نتيجة الحرية الزائفة، وسوف لن يتمكنوا من تنفيذ مآربهم بعون الله، وبالطبع فإن الوقوف بوجه الكفر وصيانة العقيدة وتطبيق القوانين القرآنية القويمة والشريعة المحمدية الأبدية، يعتبر من أهم فرائض العلماء الربانيين، مع الأخذ بعين الاعتبار الأسباب الموجبة لصلاح وصون الدين ودماء المسلمين، لابأس من بذل الجهود في هذا الصدد.

٢٣ جمادى الأولى [١٣٢٥هـ] محمد كاظم اليزدي

كما أن تخلي العلماء في النجف الأشرف عن المشروطة كانت فترة انتظار مؤقتة، لحين توفر فرصة مناسبة لتصحيح مسار الحركة الدستورية[3].

---

(١) دور علماء الشيعة ص٢٦ عن مقابلة مع السيد عبد العزيز الطباطبائي في ٢٠ رمضان ١٤١٤هـ/ ٣ آذ ١٩٩٤.

(٢) ن.م ص٣٠.

(٣) ن.م ص٤٤.

وهذا مما حدث فعلاً ـ وهذا بعض ما كان يتوقّع السيد اليزدي ـ

فقد تمّت تعيينات في الحكومة سيطر فيها العلمانيون على المراكز الهامة في السلطة، وبذلك تم الالتفاف على الثورة واستفراغ محتواها الإسلامي.

وتصفية الشخصيات الإسلامية المعارضة للانحراف الدستوري والتي تخلّت عن دعمها للمشروطة، كالشيخ فضل الله النوري، الذي أُعدم يوم ٣١ تموز ١٩٠٩م/ ١٣ رجب ١٣٢٧هـ.

والسيد عبد الله البهبهاني الذي اغتيل في منزله في إحدى ليالي شعبان ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

«وقف السيد اليزدي من الحركة الدستورية موقفاً محايداً، لم يتدخل في السياسة ولم يعارض فيكون موقفاً سلبياً، ولكنهم لم يقنعوا باعتزاله عنهم، بل أرادوه ليخوض معهم، فامتنع وصعد برباطة جأش وعزم راسخ، ولم يجد فيه التهديد بالقتل ولا محاولات الاغتيال، فهاجموه وأهانوه وآذوه وكالوا له أنواع التهم، حتىٰ ألجأوه إلىٰ أن يقف منهم موقف المعارض»[1].

وكان قد وصل إليه قبل مجيء الرسل إلىٰ النجف الأشرف من ثقاة أصحابه في إيران أن واقع الأمر ليس علىٰ ظاهره، وأنها مكيدة من قبل الحكومة البريطانية للتدخل عن طريقها في شؤون المسلمين الإيرانيين وتنفيذ سيطرتها ومقاصدها في إيران المسلمة، وقد تبيّن صحة ذلك بعد مضي سنوات يسيرة حيث تراجع آية الله النوري عن موقفه الإيجابي، فأعلن استنكاره للأمر وشدّد عليه دون استمراره، فانتهىٰ الأمر إلىٰ صلبه أمام الناس عام ١٣٢٧هـ. . . إلى غيرها مما أوردناه في بحثنا.

تداعيات الحركة:

الشقاق في العراق:

إن هذه الأحداث الصاخبة التي حدثت في إيران لا يمكن ن تمر دون أن يكون لها صداها في المجتمع العراقي. والواقع أن الرسائل والاستفتاءات أخذت تنهال من إيران على كبار المجتهدين في النجف تسألهم عن المشروطية هل هي حلال أم حرام؟ وكان

---

(١) مذكرات الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المخطوطة،

جواب المجتهدين في أول الأمر أن المشروطية موافقة للشريعة الإسلامية، غير أنهم انقسموا بعدئذ على منوال ما انقسم علماء إيران، فأدى ذلك إلى ظهور الجدال والتنازع في أوساط العامة مما كان له أثره البالغ في المجتمع العراقي وتطور وعيه السياسي.

من أوائل الرسائل التي وردت إلى علماء النجف تستفتيهم في أمر المشروطية كانت هذه الرسالة ننقلها بعد ترجمتها إلى العربية:

إلى حضرات المجتهدين وحفظة الحكمة الإلهية ـ لا بد وأنكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي وأنتم تعرفون جيداً أن هذا المجلس الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الطريقة الاثني عشرية المقدسة لمحو الظالمين والخائنين ونشر العدل على جميع البلاد وإعلاء شأن الراية الإيرانية، ويؤسفنا أن عدداً من الأنانيين المفسدين أخذوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب من أجل محو المجلس. فنحن ننتظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين في هذا الشأن».

وعلى أثر وصول هذا الاستفتاء إلى النجف اجتمع كبار علمائها للجواب عليه، وكانت فتواهم التي اتفقوا عليها هي كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على القوم الظالمين إلى يوم القيامة.

أما بعد:

فبالتأييدات الإلهية والمراحم السماوية وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان روحنا فداه: إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وهي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين وينفذوها. وعليه نكرر قولنا: إن الإقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الإقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أي حركة ضد المجلس»[1].

وقد وقع على هذه الفتوى الملا كاظم الخراساني بالنيابة عن زملائه المجتهدين،

---

(١) التطور الفكري في العراق ص٢٣ـ٢٤.

ولم يشذ عنهم في ذلك سوى السيد كاظم اليزدي إذ امتنع عن التوقيع.

وكان امتناع هذا المجتهد بداية الانقسام بين المجتهدين، ثم أخذ الانقسام يشتد ويستفحل بمرور الأيام.

انقسم أهل النجف إلى فريقين متعاديين: أحدهما يدعو إلى المشروطية بزعامة الملا كاظم الخراساني، والآخر يدعو إلى الاستبداد بزعامة السيد محمد كاظم اليزدي. ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد ما في المجتمع النجفي من ميل مفرط إلى الجدل بوجه عام، فلما جاءت قضية المشروطية كانت حافزاً جديداً فيه حيث انثال الناس يتجادلون حولها بعنف شديد إلى درجة لم يسبق لها مثيل من قبل. وقد أشار أحد الشعراء إلى ذلك حيث قال:

تغيـرت الـدنيـا وأصبـح شـرهـا | يـروح بـإفـراط ويغـدو بتفـريـط
إلـى أيـن يمضـي مـن يـروم سـلامـة | ومـا النـاس إلاّ مستبـد ومشـروطـي[1]

وما زال الكثير من رجال الدين يحملون أسوأ الأثر عن المشروطة ويلعنونها لعناً وبيلاً.

فقد أورد الدكتور علي الوردي مثلاً: أنه التقى بالعلامة السيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي وسأله عن رأيه في المشروطة، فما كان من السيد الموسوي إلاّ أن يبادره على الفور بذمها ذماً قبيحاً ووصفها بأنها «خراب الدين»، ثم قال: إنها هي التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من ضياع!

وللعلامة الأصفهاني كتاب عنوانه «أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة»، وقد تطرق في كتابه إلى ذكر المشروطة عند ترجمته للشيخ فضل الله النوري، فهو يقول فيه ما نصه:

«وكان رحمه الله من كبار العلماء المجتهدين وأجلاء الفقهاء المحدثين والأدباء البارعين والنبلاء الجامعين ولدين الله من الناصرين... وقد صلبه أشرار الفرقة المعروفة بالمشروطة، والمتولي لصلبه بأمرهم رجل من الأرامنة يدعى ببيرم... في طهران بملأ من الناس، ولم يتكلم أحد أبداً، من دون جرم وتقصير لسبب ليس محل

---

(١) أعيان الشيعة، ط دمشق ١٩٣٨ ـ ٧/ ٤٦١، لمحات اجتماعية ٣/ ١١٦.

ذكره هنا. وقد قتلت هذه الفئة المعروفة جمعاً كثيراً من أعاظم علمائنا. . . وكان غرضهم من ذلك محو الدين كي تكون لهم الحرية التامة فيفعل كل منهم ما يشاء ويحكم ما يريد من دون معارض لهم ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره﴾[1] إذ مع نفوذ العلماء ما كانوا يقدرن أن يبثوا آرائهم الباطلة وينشروا عقائدهم الفاسدة في البلاد الإسلامية ولكن للبيت رب يحميه وللدين صاحب يقيه. . . ».

ويعود السيد محمد مهدي الموسوي إلى ذم المشروطية في موضع آخر من كتابه عند ترجمته للسيد كاظم اليزدي، فهو يصفها على النحو التالي:

إنها هي التي أنزلت الملوك عن عروشها والسلاطين عن تخوتها، وقتل فيها العلماء الورعون والوزراء العادلون، وأحدثت في الإسلام ثلمة عظيمة لا يسدها إلا ظهور المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه وسهل لنا مخرجه، وقد ذهب أبالسة المشروطة إلى حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي عليه الرضوان ليدخلوه في حزبهم العاطل كما أغفلوا جماعة من معاصريه، ولكن سيدنا المعظم استلم سراً عن أحوال الحزب المشروطي من أهالي بعض المدن الإيرانية، ممن يثق بقولهم، فلما كتبوا له حقيقة الأمر لم يدخل في الحزب وقعد في داره خائفاً يترقب. وقد أرادوا قتله لكن رؤساء أعراب النجف، وهم أهل الغيرة والحمية والديانة والفتوة، حفوا به وطافوا حول داره كطوافهم حول الكعبة المشرفة، فلم ير العدو الفرصة في قتله. وظني أن رؤساء النجف هؤلاء لو كانوا في طهران لمنعوا من قتل الشهيد السيد عبد الله البهبهاني. . . «اللهم أرنا الفجر الصادق والنور البارق، الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، مولانا إمام العصر والزمن، الحجة بن الحسن (ع)، ليأخذ من أعداء الدين ثأر المسلمين. . . »[2].

ومما زاد في الطين بلة أن الروس أسسوا في النجف قنصلية وعينوا لها رجلاً واسع الحيلة شديد الدأب في مقاومة المشروطية هو أبو القاسم الشيرواني، الذي وقف إلى جانب جماعة السيد اليزدي، وحاول أن يستميله في معارضة المشروطة، مما وضع السيد في دائرة الاتهام، وأُطلقت عليه تهمة كونه من أنصار الاستبداد[3].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.
(٢) أحسن الوديعة ص١٥٣ ـ ١٥٤، ٢٥٠ ـ ٢٥١.
(٣) تأريخ العراق السياسي المعاصر ٢/ ٨٢.

واستطاع اليزدي أن يستميل إليه الكثير من العامة ومغاوير المحلات من رجال «الزقرت» و«الشمرت»، فكان إذا خرج إلى الصلاة حف به المسلحون من أعوانه وهم يهتفون بالصلاة على محمد وآل محمد ـ تحدياً لأنصار المشروطية. وصارت الإشاعات تروج في أوساط العامة حول المشروطية بأن المقصود منها هو هدم الدين وإفساد الأخلاق.

وفي أحد الأيام ظهر على بعض الجدران في النجف إعلان فيه صورة يد تمسك مسدساً وفيه تهديد لليزدي بأنه سيقتل إذا لم ينزل على إرادة أنصار المشروطية، فهاج العوام لذلك وثارت بهم «الغيرة على ابن رسول الله» باعتبار أن اليزدي سيد من ذرية الرسول. وصار أنصار المشروطية عرضة للاعتداء والضرب في الأسواق والطرقات بحجة أنهم زنادقة مارقين عن الدين.

الواقع أن الجدال حول المشروطية لم يقتصر على النجف وحدها بل سرى إلى كربلاء والكاظمية وبعض مناطق العراق الأخرى. حتى وصل الحد إلى أن بعض طلبة العلوم الدينية في النجف لم يستطيعوا ولمدة سنة كاملة من زيارة كربلاء أو الكوفة أو مسجد السهلة خوفاً على أرواحهم[1].

ينقل د. علي الوردي عن أحد المسنين من أهل الكاظمية عما جرى في هذه البلدة من نزاع شديد وجدال حول المشروطية، فقد كان أكثر العامة من دعاة الاستبداد ويعدون الملا كاظم الخراساني هو وأتباعه كفاراً ولا يكادون يسمعون عن أحد العلماء أنه «مشروطة» حتى ينفضّوا عنه ويلعنوه ويتركوا الصلاة خلفه.

حاول أحد دعاة المشروطية، وكان شاباً شديد الحماس، أن يجمع التواقيع في تأييدها، فذهب إلى أحد العلماء في الصحن الكاظمي يطلب منه توقيعه، ولما وجده يرفض إعطاء خاتمه للتوقيع سحب السجادة من تحته ومنعه من الصلاة، وقد حدثت في الكاظمية ضجة من جراء ذلك وهبَّ نفر من مغاوير المحلات فطاردوا الشاب ثم أمسكوا به في أحد الأزقة، واعتدوا عليه اعتداءاً منكراً. وحين علمت الحكومة بالأمر أرسلت قوة من الجنود لحماية الاستبداديين، فأدى ذلك إلى انكماش المشروطيين

---

(١) سياحة في الشرق ص٣٠٣.

وتضاؤل نفوذهم في البلدة، وظل الوضع كذلك فيها حتى يوم إعلان الدستور في البلاد العثمانية حيث انقلب الوضع إلى عكسه[1].

يروي الشيخ محمد حرز الدين أنه كان في مسجد السهلة بالكوفة في ٧ شوال ١٣٢٦هـ/ ٢ تشرين الثاني ١٩٠٨م، فقدم جماعة من إيران يستفتون الميرزا حسين الميرزا خليل حول جزاء المحارب لله ولرسوله ممن يسعى في الأرض فساداً، هل يجوز قتله؟

وقد كتب الميرزا حسين والآخوند الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني الجواب بالإيجاب.

فأدرك الشيخ حرز الدين أنّ هؤلاء يستهدفون العلماء الذين يعارضون المشروطة، فأسرَّ للميرزا حسين بحقيقة الأمر، فطُلب أصحاب الاستفتاء فلم يعثروا عليهم، مما اضطر الميرزا إلى كتابة ورقة فيها عدول عما أفتى به، وتوفي بعد هذه الحادثة بثلاثة أيام[2].

من النوادر الأدبية التي تروى عن تلك الفترة أن أحد علماء الكاظمية وهو السيد محمد مهدي الصدر نظم بيتين من الشعر في ذم الاستبداديين، فانبرى الشيخ عبد الحسين الأسدي يرد عليه حيث قام بتشطير البيتين مما أدى إلى قلب معناهما إلى النقيض منه. ننقل فيما يلي البيتين مع تشطيرهما، وقد وضعنا التشطير بين قوسين تمييزا له عن الأصل:

المستبدون قد تاهوا ببغيهم ... (بذاك قد قال قوم وافتروا زورا)

(صم وبكم فهم لا يعقلون كما) ... لم يجعل الله في أبصارهم نورا

لو كان يمكنهم أن ينسخوا نسخوا ... (ما كان في لوحه المحفوظ مسطورا)

(مالوا لشورى الأولى قد حرفوا علناً) ... من الكتاب عناداً آية الشورى[3]

إعلان الدستور العثماني:

أعلن الدستور في البلاد العثمانية في ٢٣ تموز من عام ١٩٠٨، وانتشرت مظاهر

---

(١) لمحات اجتماعية ٣/ ١١٨.
(٢) معارف الرجال ١/ ٢٧٨.
(٣) لمحات اجتماعية ٣/ ١١٨.

الزينة والابتهاج في العراق بتلك المناسبة، فكان هذا التحول الفجائي في موقف الحكومة العثمانية من المشروطية عاملاً مهماً في تدعيم موقف الملا كاظم الخراساني وأعوانه وانخذال أعوان السيد محمد كاظم اليزدي[1].

فقد كان قبل انتصار الحركة الدستورية في تركيا كانت جماعة السيد اليزدي هي الأقوى، إذ كان يصلي وراءه الآلاف، في حين لم يكن يصلي وراء الآخوند الخراساني سوى عدد قليل لا يزيد على ثلاثين شخصاً[2].

وكان أنصار المشروطة يتعرضون لمضايقات العشائر العراقية لأنهم يرونهم خصوما للسيد اليزدي، حتى إن طلبة العلوم الدينية لم يستطيعوا الخروج من النجف الأشرف لمدة سنة كاملة لزيارة كربلاء والكوفة خوفاً من خصوم المشروطة[3].

من طبيعة العامة أنهم يستأسدون في حالة الأمن من الخطر، فإذا حل بهم الخطر انكمشوا في بيوتهم وأخذ كل منهم يتبرأ من عمل آخر ويزعم أنه لا دخل له في الأمور. وهذا هو ما حدث في النجف عند إعلان الدستور العثماني، فقد انكمش العوام أتباع السيد اليزدي وأصبح الجو ملائماً لأتباع الخراساني يصولون فيه ويجولون[4].

كما تعرض السيد اليزدي إلى مضايقات حكومة الاتحاد والترقي وهدّدوه بالنفي خارج العراق، وحاول بعض أنصار المشروطة الإساءة إليه اجتماعياً عن طريق إرسال برقيات إلى اسطنبول تتهمه بتهم سيئة، بغية تعريضه لعقوبة قاسية من الحكومة العثمانية[5].

كما حاول أحد القادة الأتراك التأثير على موقف السيد اليزدي، فزاره في النجف الأشرف، وطلب منه أن يصدر رأياً في الحركة الدستورية، فأجابه السيد اليزدي: إن الشعارات التي ترفعونها هي شعارات غربيّة، وهؤلاء الذين ينادون بالحرية إنما يريدون

(١) لمحات اجتماعية ٣/١١٨.
(٢) زندكاني آخوند خراساني، (ص١٣).
(٣) آغا نجفي قوجاني، سياحة شرق (فارسي).
(٤) لمحات اجتماعية ٣/١١٨.
(٥) دور علماء الشيعة ص٢٦ عن مقابلة مع المحقق السيد عبد العزيزي الطباطبائي ـ أحد أحفاد اليزدي ـ في ١٢ رمضان ١٤١٤هـ/ ٢٣ شباط ١٩٩٤.

إنهاء الإسلام في البلاد من خلال المظاهر الغربية في الحياة[1].

ونظم الشيخ علي الشرقي قصيدة يهجو بها اليزدي ويتشفى به.

كما نظم السيد صالح الحلي بعض الأبيات اللاذعة من الشعر قارن في أحدها بين اليزدي ويزيد:

فوالله ما أدرى غداً في جهنم أ(يزديّها) أشقى الورى أم (يزيدها)[2]

كان قائممقام النجف يومذاك ناجي السويدي، وهو بغدادي أديب له صلات حسنة مع أنصار المشروطية، وقد بذل جهده في تأييدهم. ثم زار النجف ثريا بك من زعماء الاتحاديين فاجتمع بالخراساني في إحدى المدارس الدينية، فكان يوماً حافلاً في النجف ابتهج له الأنصار وابتأس الخصوم. ويمكن القول إن بعض الذين كانوا من أنصار اليزدي تحولوا عنه وأخذوا يتملقون للحكومة ويهتفون بأعلى أصواتهم «يعيش الدستور!» ـ وليس هذا بالأمر الغريب!

الفوضى في إيران:

كان الإيرانيون يعتقدون أن المشروطية عند تطبيقها في بلادهم ستكون علاجاً ناجعاً لجميع مشاكلهم فلا يشكون بعد ذلك من شيء، ولكنهم وجدوا بعد انتصارحركة المشروطية وعزل الشاه محمد علي أنهم وقعوا في حالة هي أسوأ مما كانوا فيها.

أصبح كل من ساهم في الحركة طامحاً أن ينال أعظم المناصب مكافأة له على جهاده في سبيل «الملة»، وظهرت عصابات اللصوص في كثير من الأنحاء يعبثون بالأمن ويقطعون الطرق، وامتنع حكام الأقاليم عن إرسال ما عليهم من مبالغ للخزينة المركزية، وانقسم الناس شيعاً وأحزاباً كل حزب يعتقد أن رأيه هو الذي يجب أن يتبع في إصلاح البلاد.

إن قبائل البختيارية حصلت من تلك الفوضى على حصة الأسد، فقد احتلت مدينة أصفهان بحجة حماية الثورة، واستحصلت من الخزينة المركزية مبلغاً شهرياً قدره عشرون ألف تومان بدعوى حراسة الطريق، وذلك علاوة على ما كانت تجبي من الناس

---

(١) ن.م عن مقابلة مع السيد المذكور في ٢٠ رمضان ١٤١٤هـ/ ٣ آذار ١٩٩٤.

(٢) هكذا عرفتهم ١/١٠٩.

من ضرائب مباشرة. ومن الطرائف التي رويت في هذا الصدد أن لصاً من قطاع الطرق اسمه نائب حسين الكاشاني نهب ذات مرة أحد البختياريين وقال: إن هذه هي حصتي من الغنائم[1].

وكانت جلسات المجلس الملي تمثل أعجب المشاهد وأدعاها للسخرية، فقد كان الجدال بين النواب عنيفاً والشتائم متبادلة، وكثيراً ما شارك المستمعون فيها، وكان كل نائب يريد أن يخطب بحماس لينال إعجاب الغوغاء، حتى إذا خرج من المجلس توقع أن ينال من أهل الأسواق حمداً وتقديراً. وإذا كان النائب شديد التعصب جهوري الصوت استطاع أن يغلب الآخرين، في الجدال، ثم يدعي بعدئذ أن الحكومة لم تأخذ برأيه ولو كانت قد أخذت به لارتقت إيران إلى مصاف الدول العظمى.

كتب الوزير المفوض البريطاني إلى حكومته يقول ما مضمونه: إن الإيرانيين سيبقون إلى مدى جيلين غير جديرين بالنظام الدستوري. وقد علق أحد البريطانيين الذين كانوا يسكنون في طهران يومذاك على هذا القول إذ وضع اللوم على بريطانيا واعتبرها مسؤولة عن نشر الديمقراطية في البلاد التي لا تصلح لها...[2].

من الأعمال التي تورط بها أنصار المشروطية عند انتصارهم أنهم شنقوا المجتهد الكبير الشيخ فضل الله النوري الذي كان يتزعم أنصار الاستبداد في عهد الشاه محمد علي، وكان شيخاً وقوراً كبير السن، وقد قام بشنقه على ملأ من الناس رجل أرمني اسمه بيريم كان مديراً للشرطة حينذاك، فأدى ذلك إلى شيوع التذمر في أوساط الكثيرين من الناس. وانتهز الخصوم الفرصة فجعلوا شنق الشيخ بمثابة «قميص عثمان» وأقاموا له مجالس الفاتحة وحفلات التأبين في كل مكان، وأخذوا يبالغون في تمجيد الشيخ بغية التشهير بالمشروطة وأنصارها. ولم يقتصر ذلك على إيران بل سرت عدواه إلى العراق فأخذ خصوم المشروطية فيه يكثرون من إقامة مجالس الفاتحة على روح الشيخ وينادون: «أويلاخ، قتل شيخنا مظلوماً!»[3].

---

(١) J. M. Balfour (Recent Happennings In parsila) - london 1922- p99.

(٢) idtd, p85.

(٣) لمحات اجتماعية ٣/ ١٢٣.

إيجابية المشروطة:

إننا حين ننظر إلى حركة المشروطية بوجه عام نستطيع أن نقول إنها على علاتها كانت ذات أثر اجتماعي وفكري لا يستهان به في تطوير المجتمع العراقي. ينبغي أن لا ننسى أن أنصار المشروطية كانوا في ذلك الحين يمثلون «الجبهة التقدمية» بالنسبة للمرحلة الاجتماعية التي عاشوا فيها، فهم كانوا يدعون إلى تأسيس المدارس الحديثة، وتعلم اللغات والعلوم الأوربية، ومطالعة الجرائد والمجلات. وهذه كانت يومذاك من الأمور المستنكرة أو المحرمة في نظر العامة والكثير من رجال الدين.

كان شباب المشروطية في النجف من أكثر الناس اندفاعاً في التطلع إلى الحضارة الحديثة والاقتباس منها، فكانت الكتب والمجلات والجرائد الحديثة ترد إليهم خلسة، وكانوا يجتمعون في بيت أحدهم سراً لمطالعتها. وإذا خرجوا من البيت أخفوها تحت عباءاتهم لكي لا يراها أحد من العامة أو المتزمتين من رجال الدين فيثيرها عليهم شعواء.

أهم ما ألف في الدعوة إلى مبادىء المشروطة في تلك الفترة كتاب صدر في النجف باللغة الفارسية عنوانه «تنبيه الأمة وتنزيه الملّة». وكان مؤلفه الميرزا محمد حسين النائيني من كبار تلامذة الملا كاظم الخراساني، وقد جاء فيه بآراء جريئة جداً بالنسبة لزمانها كتعليم المرأة وإصدار الصحف وحرية الرأي وما أشبه. ومما يدل على أهمية الكتاب أن مؤلفه حاول التملص منه عندما صار من المراجع الكبار إذ هو خاف أن ينفر المقلدون منه بسبب هذا الكتاب. ففي عام ١٩٢٩ ترجم أحد النجفيين الكتاب إلى العربية ونشره تباعاً في مجلة العرفان الصيداوية، فأوعز النائيني إلى حاشيته بشراء جميع نسخ المجلة التي وردت إلى العراق لكي لا تصل إلى أيدي القراء[١].

---

(١) انظر دراستنا حول الكتاب ومؤلفه في كتاب (النجف في ربع قرن) ص٤٤٧ ـ ٤٥٢.

الغزو الإيطالي على طرابلس الغرب - ليبيا

١٣٢٩ — ١٣٣٠هـ / ١٩١١م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الهجوم الإيطالي على طرابلس الغرب ـ ليبيا ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م

أسفرت نتائج مؤتمر برلين الذي اختتم أعماله في ٢٠ تموز ١٨٧٨م/ ٢٠ رجب ١٢٩٥هـ، عن توقيع الدول الأوربية على اتفاقية تقرر فيها تمزيق الامبراطورية العثمانية وتقسيمها على مبدأ القوميات.

وفعلاً باشرت الدول الاستعمارية في إنجاز مقررات المؤتمر، فاستولت روسيا على مقاطعات هامة في شرق الأناضول وقفقاسيا، وفرضت نفوذها على جزء من بلغاريا التي تجزأت إلى ثلاثة أقسام، واحتلت البوسنة والهرسك، واستولت بريطانيا على جزيرة قبرص، وسيطرت فرنسا على تونس عام ١٨٨١م. أما إيطاليا فقد اعترضت على المؤتمر لأنها لم تحصل على أية حصّة من تقسيم الامبراطورية العثمانية[1].

وجرت مفاوضات عديدة تمخضت عن عدة اتفاقيات كانت منها الاتفاقية السرية بين إيطاليا وروسيا في تشرين الأول ١٩٠٩م وقد ورد فيها:

«يعمل الطرفان على حلّ مسائل البلقان وفق مبدأ القوميات. . وتتعهد روسيا أن تنظر بعين العطف إلى مصالح إيطاليا في طرابلس، كما تتعهد إيطاليا أن تنظر بعين العطف إلى مصالح روسيا في المضايق»[2].

في ٣٠ إيلول ١٩١١ وصل الخبر إلى بغداد بهجوم إيطاليا على طرابلس الغرب، فأصدر الوالي جمال باشا (السفاح) بياناً إلى المسلمين من أهل العراق طلب فيه منهم أن يهبوا لنصرة الدولة في حرب الكافرين. وعلى أثر نشر هذا البيان خرجت المظاهرات في بغداد على شكل مواكب تحمل الرايات والطبول، وذهب المتظاهرون إلى القشلة حيث خرج إليهم الوالي فخطب فيهم بالتركية كما خطب فيهم الزهاوي بالعربية، ثم ساروا من بعد ذلك في الطرقات وهم يهتفون لنصرة الدولة. ولم تخل تلك المظاهرات

---

(١) التأريخ الدبلوماسي ص٢٩ ـ ٤٠.

(٢) البلاد العربية والدولة العثمانية ص١٧٥ ـ ١٧٦.

من حادث مزعج إذ التقى في باب المعظم موكب باب الشيخ بموكب الحيدرخانة، والظاهر أن أحقاداً كانت موجودة بين المحلتين، فنشب بينهما قتال كان النصر فيه لأهل باب الشيخ[1].

وانطلق الشعراء من بعد ذلك يتبارون في نظم القصائد للتحريض على الجهاد ومساعدة الدولة العثمانية فيه، وكان أبرزهم في ذلك الرصافي وعبد اللطيف الحلي ومحمد حسن أبو المحاسن، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ومحمد رضا الشبيبي، وأخوه محمد باقر وعلي الشرقي وعبد العزيز الجواهري وإبراهيم منيب الباچچي وعبد الرحمن البناء.

وتألفت لجان خاصة في المدن العراقية لجمع التبرعات منها لجنة في البصرة برئاسة السيد طالب النقيب جمعت آلاف الليرات، وتطوع الألوف من سكان العراق للمشاركة في القتال ولكنهم لم يذهبوا. وتبرع مبدر الفرعون رئيس آل فتلة وهو في السجن بمبلغ قدره خمسمائة ليرة كما أعلن عن استعداده للمشاركة في الحرب[2]، وقد كافأه الوالي على ذلك فأطلق سراحه من السجن هو وأقرباؤه من رؤساء آل فتلة[3].

وعقد مجتهدو النجف الأشرف وعلماؤها مجالس عديدة واجتماعات مكثفة وعطّلوا الدروس والجماعة، تمخضت اجتماعاتهم في ذهاب السيد مسلم زوين وعزيز بك قائممقام النجف إلى ليبيا لدراسة إمكانية الاشتراك في الجهاد.

«وكان القائممقام يرفع التقارير إلى حكومته ـ أول بأول ـ ويعمل على إرسال الاحتجاجات وإيصالها إلى مختلف دول العالم، ويهيىء الوسائل لنشر فتاوى العلماء بوجوب الدفاع.

وقد أكثر من جمع التبرعات وإرسالها إلى حكومته.

وحاول إقناع السيد اليزدي على الاتفاق مع بقية العلماء والاشتراك في تلك الأعمال والمظاهرات، للنفوذ الديني العظيم الذي يتمتع به لدى الأكثرية الساحقة، وسلك لكسب موافقته مختلف الطرق فلم يفلح، وقد توسّط الأمر بعض الشيوخ من

---

(١) لهجة بغداد العربية ص٨.
(٢) الشعر العراقي وحرب طرابلس ص١١.
(٣) لمحات اجتماعية ٣/ ١٨٨.

الروحيين.

وبعد مراجعات طويلة ومداولات كثيرة ومناقشة وجدال دامت أشهراً حتى سئم الناس هذا الاختلاف، وخافوا سوء مغبّته، عند ذلك أمر السيد اليزدي بعقد اجتماع عام، وأعلن بذلك، ونادى المنادي يطلب خروج الناس إلى وادي السلام، فسارع عموم النجفيين ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، حتى كادت تخلو المدينة تقريباً، وغصّ الوادي بالناس ينتظرون رأي السيد وكلمته الأخيرة في أمر الجهاد، ودفاع العدو، وألقى الخطباء خطباً حماسية أبكت العموم، وأثارت فيهم نيران الحميّة، فعلت الأصوات، وكثر الضجيج.

وعند الحادية عشرة عربية (قبل ساعة من أذان المغرب) وصل السيد اليزدي بين التهليل والتكبير، وارتقى منبراً عالياً فضج الناس بالبكاء والعويل فرحاً في ساعة زوال الاختلاف، وتوجّعاً لما أصاب المسلمين، وبعد برهة هدأ الجميع، وألقى خطبة [أوضح فيها ما تمر به الأمة الإسلامية، ومؤامرات المستعمرين، ودعاء للمدافعين عن بلاد الإسلام] ثم أعقبه الشيخ جواد الجواهري فرقى المنبر وشرح بعض مقاطع الخطبة وما حوته من المغازي»[1].

وكان نصّ فتوى علماء النجف الأشرف:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من علماء النجف الأشرف إلى كافة المسلمين الموحدين ومن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار بمحمد (ص) سيد المرسلين..

السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة

---

(1) النجف في ربع قرن ١٤٨ ـ ١٤٩. وفيه يذكر السيد محمد علي كمال الدين: أن الخطبة لم تكن بالمستوى الذي كان يأمله القائممقام وبعض المتظاهرين، وذهبت أتعاب القائممقام عبد العزيز أدراج الرياح، ويئس الجميع من إمكان توحيد رأي السيد مع اراء بقية العلماء يأساً تاماً، وقد تمخضت هذه المظاهرة عن أمرين:

أولهما: عدول بعض مقلدي السيد اليزدي عنه لشدّة انفعالهم من الوضع الذي شاهدوه واستغربوا أمره.

وثانيهما: تصلب بقية العلماء في آرائهم، وإعلانهم الفتوى بوجوب الدفاع وجوباً عينياً على كل مسلم ومسلمة، وطبعت صور الفتاوى بآلة التصوير، وبعثوا بها إلى عموم الأقطار الإسلامية.

الإسلام، لا يخفى عليكم أن الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الإسلام وثغوره مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه.

قال الله سبحانه: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾.

هذه جنود إيطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها وخربوا عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونسائها وأطفالها، ما لكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون ؟ وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون، أتنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت الله الحرام وحرم النبي(ص) والأئمة عليهما السلام، ويمحو الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ، فالله الله في التوحيد، الله الله في الرسالة، الله الله في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين، فبادروا إلى ما افترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، وأجمعوا كلمتكم، وابذلوا أموالكم، وخذوا حذركم ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

خادم الشريعة المطهرة (محمد كاظم) الخراساني.

الجاني (عبد الله) المازندراني.

الجاني شيخ الشريعة الأصفهاني.

الأقل علي رفيش.

الجاني مصطفى الحسيني الكاشاني.

خادم الشريعة محمد حسين القمشي.

أقل خدام الشريعة حسن بن المرحوم صاحب جواهر الكلام.

الراجي عفو ربه الغفور محمد جواد الشيخ مشكور.

الراجي عفو ربه محمد نجل المرحوم صاحب الجواهر.

الجاني علي التبريزي.

محمد سعيد الحبوبي.

الأحقر جعفر نجل المرحوم الشيخ عبد الحسن.

وقد نشرت هذه الفتوى في مجلة العلم النجفية بعددها السادس من المجلد الثاني في ١ ذي الحجة ١٣٢٩هـ/ ٢٣ تشرين الثاني ١٩١١م ص٢٤٦ ـ ٢٤٧: وقد عقّب صاحب المجلة على هذه الفتوى بقوله:

«ليت شعري لم نر في أسماء علماء النجف اسم واحد من مشاهيرهم فما أخره عن الفوز بهذا الثواب العظيم والقيام بهذا الفرض الجسيم، فإن موقفنا اليوم موقف هجم فيه الكفر كله على الإسلام كله ولا يقف تجاه تيار الهجوم الغربي إلاّ اتحاد المسلمين والحث على إعانة العثمانيين، لأنهم إذا انكسرت رايتهم (والعياذ بالله) في طرابلس فلا ترجى لهم قائمة بعد ذلك (لا قدر الله ذاك) ونحن من صميم القلب نبتهل إلى الله أن يمن علينا باتفاق المسلمين من الرؤساء والمرؤوسين، إذ ليس تأخرنا اليوم إلا من تقاعدنا أمس، ونرجوا أن تؤثر في القاعدين منا اليوم حركة العالم الإسلامي من تونسي وسنوسي ويماني ومصري وهندي وتركي وعربي وعجمي وسني وشيعي ومسيحي وإسرائيلي ووثني عسى أن نسترجع سالف عزنا ولا تتطاير أوطاننا الإسلامية أكثر من هذا.. فإلى متى لا نتفق؟».

وفي آخر العدد نفسه ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ نشرت المجلة خبراً بعنوان:

«بشارة عظمى»

(موافقة حضرة السيد كاظم اليزدي مد ظله مع العلماء)

في الحكم وجوب السعي وبذل النفس والنفيس في سبيل دفاع ايتاليا عن طرابلس واستخلاص إيران من مخالب الروس والإنكليز وهذه صورة فتواه مترجمة عن الفارسية حرفياً قال دام ظله العالي:

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في مثل هذا اليوم الذي حملت الدول الأوربية على الممالك الإسلامية كإيطاليا على طرابلس الغرب من جهة، والروس من جهة أخرى أشغل شمال إيران بعساكره والإنكليز أنزل عساكره في جنوب إيران وأحدق بالإسلام خطر اضمحلاله.

فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يستعدوا لدفاع الكفار عن ممالك الإسلام ولا يتقاعدوا بكل صورة عن بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل إخراج

عساكر إيطاليا من طرابلس الغرب وإخراج عساكر الروس والإنكليز من إيران فإن ذلك أهم الفرايض الإسلامية لكي يحفظ بعون الله المملكتان الإسلاميتان العثمانية والإيرانية من مهاجمة الصليبيين.

حرره الأحقر محمد كاظم الطباطبائي

وقد علّقت مجلة (العلم):

قد سبق منا في صدر هذا العدد إبداء الآسف من تخلف حضرة المومى إليه عن بقية علماء النجف في إمضاء صورة منشورهم الخطير في وجوب اتحاد المسلمين ودفاعهم عن طرابلس الغرب.

ولكنه دام ظله بعد ما أبلغه حضرة الحر المقدام عزيز بك قايمقام النجف تعديات إيطاليا على طرابلس وتجاوزات الروس والإنكليز على الحدود الإيرانية أعلن موافقته لحجج الإسلام في وجوب توحيد كلمة أهل الوحيد لدفاع هاتيك الدول الثلاث ونشر هذه الفتوى التي قدمنا صورتها الجليلة لأنظار قرائنا الكرام فليصدقوا ما قررناه في أعدادنا الماضية وهو أن أعدائنا كلما زادونا اضطهاداً ازددنا اتحاداً وما كان اتحاد الإمامين يحيى والإدريسي والسيد والسنوسي وبقية أمراء العرب معنا إلا نتيجة اضطهاداتهم وتجاوزاتهم على أوطاننا فهذه الدول الأوروبية في هجماتها الظالمة على بلادنا أشبه بالباحث عن حتفه بظلفه ويخدموننا من حيث لا يشعرون.

وكم قدمنا المذكرات لهذه الدول المعتدية على المسلمين ونصحناهم (لو كان ثمة أذان صاغية وقلوب واعية) وذكرنا أن معاداتهم للمسلمين يوجب تنبيه الشعور العام في العالم الإسلامي وهو خلاف ما يبتغون ولا يعود خسران ظلمهم علينا إلا إليهم ويندموا حيث لا ينفعهم الندم وعما قريب ليصبحن نادمين ولا يفلح الظالمون.

وفي كربلاء عقد الأهالي اجتماعاً عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام أُلقيت فيه الخطب الحماسية، ثم جرى جمع التبرعات.

وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م/ ١٨ شوال ١٣٢٩هـ تظاهر ما يقرب من الألفين من أهالي المدينة[1] وشهدت مدينتا النجف الأشرف وسامراء تظاهرات جماهيرية أُلقيت

(١) تاريخ العراق السياسي المعاصر ٢/ ١١١.

فيها الخطب الحماسية، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود[1].

كما أرسل الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني وشيخ الشريعة الأصفهاني برقية إلى الصحف التركية في اسطنبول يحتجّون فيها على انتهاكات المستعمرين للبلاد الإسلامية.

وفي ١٧ ذي الحجة ١٣٢٩هـ أرسلوا برقية أخرى إلى السلطان العثماني محمود باشا تدعوه إلى التصدي لمواجهة المشاريع الاستعمارية والتخلي عن سياسة المهادنة معها.

وفي هذا السياق أصدر الشيخ حسن علي البدر القطيفي كراساً بعنوان «دعوة الموحدين إلى حماية الدين» ط في النجف عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م تحدث فيه عن النشاط الاستعماري المكثف الذي تتعرض له البلاد الإسلامية في ليبيا وإيران.

كما أصدر شيخ الشريعة الأصفهاني كراساً باللغة الفارسية دعا فيه المسلمين إلى نبذ الخلاف والنفاق وتوحيد الصفوف لحفظ استقلال البلاد الإسلامية، والتصدي للنشاط الاستعماري التي استهدف طرابلس الغرب وإيران وغيرها من بلاد المسلمين.

وفي صفر ١٣٣٠هـ/ شباط ١٩١٢م أصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني بياناً حول الموضوع نفسه، يستنكرون فيه هذا الاعتداء ويحذرون من الحملات المسعورة التي يقوم بها الاستعمار ضد البلاد الإسلامية. نصّه:

«نلفت أنظار جميع أهل التوحيد وكافة المسلمين بأن الإسلام والمسلمين لم يصلوا في أية فترة من الفترات، مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من الزمن، إن المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تعتبر من أشد المصائب.. وإن الضربات التي يتلقاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشد الضربات.. وإن أساس الدين المبين في خطر، وآثار شريعة الرسول (ص) مهددة بالزوال، ولم تبقَ في هذه الفترة سوى دولتين إسلاميتين

---

(١) د. وميض جمال عمر نظمي/ شيعة العراق وقضية القومية العربية، مج المستقبل العربي آب ـ تشرين الأول ١٩٨٢.

مستقلتين، هما الدولتين العليّتين العثمانية والإيرانية اللتين تحملان اللواء المحمدي وتحميان حوزة الإسلام والحرمين الشريفين والمشاهد المقدّسة.

إنّ بقاء حرمة القرآن الكريم وإعلاء كلمتي الشهادة وإقامة دعائم الدين المبين، يتوقف على بقاء هاتين الدولتين الإسلاميتين... وإذا ما اضحملّت هاتان الدولتان - لا سمح الله - فلن يبقَ هناك للإسلام جامعة أو حوزة، وستلحق بالإسلام والمسلمين وصمة عار أبدية وخذلان دائم، لا أرانا الله ذلك اليوم أبداً.

واليوم يقوم بعض الأجانب بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين اللتين باتتا تعانيان كافة أشكال المضايقات والابتلاءات. فمن جهة امتدت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرّض النساء والأطفال إلى القتل. ومن جهة أُخرى تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء والعجزة في تبريز وتقوم بإعدام كبار الشخصيات هناك، وفي قزوين ورشت تدخل أجنبي ظالم...

واستناداً إلى ذلك وبالنظر إلى هجوم الكفار، فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامراء، وحسب مسؤوليتنا الشرعية التجمع في الكاظمية عسى أن نجد حلاً لإنقاذ المسلمين من ظلم الأجانب وعدوانهم، وإذا لم يتمكن المسلمون في أقطار العالم الذين يعيشون في ظل حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوتهم فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق إبداء التضامن معهم...»[1].

وفيما كان العلماء يمارسون نشاطاتهم المكثفة في تعبئة الرأي العام ضد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية، كانت الدولة العثمانية تواجه أزمة جديدة. فقد بدأت الدول البلقانية تتفق سراً لإعلان حرب جديدة ضد العثمانيين.

مما اضطر الحكومة العثمانية إلى عقد صلح مع إيطاليا تنازلت فيه عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا، على أن يحتفظ السلطان العثماني بحق تعيين الموظفين الدينيين

(١) هجوم روس بايران وإقدامات رؤساء دين در حفظ إيران، ص٢٢١.

وبعض الصلاحيات الدينية البسيطة الأُخرى[١].

لكن هذا الإجراء لم ينفع الدولة العثمانية. ففي يوم ١٧ تشرين الأول ١٩١٢م/ ٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ ـ أي قبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع إيطاليا ـ شرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الأسود في ١٧ تشرين الأول ١٩١٢/ ٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ بالهجوم على العثمانيين، وبذا بدأت حرب ضروس تعد من أبشع الحروب في ضراوتها وفي المآسي التي نتجت عنها[٢].



(١) البلاد العربية والدولة العثمانية، ص١٩١ـ١٩٢.
(٢) لمحات اجتماعية ٣/ ١٥١.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الغزو الروسي لإيران

١٢٢١ - ١٢٢٢هـ / ١٩١١م




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الغزو الروسي على إيران

١٣٣١ - ١٣٣٢هـ/١٩١٢م

بعد أن خلع محمد علي شاه في تموز ١٩٠٩، وعادت الحياة الدستورية إلى إيران، وجدت روسيا أن نفوذها لم يعد كما كان أيام حكم محمد علي شاه ولم تر في الحكم الجديد أي مصلحة لها، ولذلك قررت أن تقلق الوضع في إيران بأي وسيلة كانت، ولجأت إلى تقديم دعمها في مساعدة الشاه المخلوع إلى عرشه بعد أن فشل وهرب وقتل كبير أعوانه - عن طريق استغلال الأوضاع الداخلية الإيرانية.

ففي عام ١٩١١ أصدر مسؤول الخزينة المركزية الإيرانية وهو رجل أمريكي يدعى «مورغان شوستر» قراراً بمصادرة أموال أحد أفراد عائلة الشاه المخلوع، وقد استغلت روسيا هذا الحادث، فأعلنت أن قرار المصادرة يجب أن يلغى، بدعوى أن الأمير يتمتع بالحماية الروسية، وتشددت روسيا في موقفها، فقدمت إنذاراً إلى الحكومة الإيرانية بأنها ستتدخل عسكرياً في إيران إذا لم يُقال المستر شوستر من منصبه ويبعد من خارج إيران، وفعلاً فقد تم تهديدها، وزحفت القوات الروسية نحو مدينة تبريز فاحتلها، ثم عمدت إلى شنق بعض رجال الدين فيها من أجل إرهاب غيرهم، فأدى ذلك إلى الهياج العام في إيران فأعلن رجال الدين الجهاد وأمروا الناس بالتدريب على السلاح. ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن سكان كرمان، وهي بلدة تقع في الجنوب من إيران، تحمسوا للجهاد أكثر من غيرهم وأخذوا يتدربون على السلاح تحت إشراف رجال الدين وهم عازمون عزماً أكيداً على غزو روسيا وعزل القيصر. ولم يمر على ذلك سوى مدة قصيرة حتى ظهرت بالقرب من البلدة عصابة من اللصوص وأخذت تقطع الطرق وتنهب القوافل حتى وصل مجال فسادها إلى أبواب البلدة. فاستنجد المسؤولون في البلدة بالقنصل البريطاني وطلبوا منه قوة لمحاربة العصابة، وقد اعتذر القنصل لهم ثم سألهم متعجباً: لماذا لا يستطيع المجاهدون أن يحاربوا عصابة صغيرة من اللصوص بينما هم يستعدون لمحاربة روسيا كلها. فكان جواب المسؤولين: إن المجاهدين إنما

يستعدون لمحاربة روسيا، لأنها بعيدة عنهم، ولكن اللصوص قريبون[1].

وكان قد وصل إلى النجف الأشرف خبراً مفاده أن الروس قد اتفقوا مع الإنكليز سرّاً مرة أخرى مما جعل علمائها يتأثرون من مواقف العداء السافر للبلد المسلم إيران، وقد تبعهم الناس عامة في تأثرهم، واتصل العلماء بالدولة العثمانية «وأصبحت الحالة فوضى وأي فوضى، إذ أن روسيا عدوة للمسلمين اللدود ما زالت تتربص بإيران الدوائر فلم يرق لديها أن تراها سائرة في طريق النجاح فأقامت في وجهها العراقيل يساعدها على ذلك سوء الإدارة وإنشاء الفوضى»[2].

وقام العلماء بشبكة من الاتصالات المستعملة بالدولة العثمانية وروسيا وإنكلترا وكاتبوا رؤساء الجهات، واتصلوا بعامة الناس واتصلوا بالشاه المخلوع نفسه وعقدوا عدة اجتماعات في مدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي. كان ذلك بعد خلع الشاه محمد علي القاجار وبعد نصب المجلس النيابي، وأوشكت حكومة إيران وأهاليها أن تصلح دوائرها وتتخلص من لعب اليد الأجنبية واستبداد الملوك من آل قاجار حتى لطمتها الحكومة الروسية الغاشمة وتطاولت على استقلالها بدسائسها الفتاكة، وألعابها المستمرة المخربة، وذلك بتحريكها المفسدين من الإيرانيين وذوي الأغراض والجهال من المشعوذين أن يطلبوا السلطان المخلوع ليعود إلى ملكه وتاجه. لذلك فقد تحرك من روسيا منفاه (أدسا) بعنوان السفر إلى أوربا، ولكنه عرج على أستراباد في شمال إيران بعد تبديل قيافته وزيه.

وحيث أن الأهالي حتى ذلك اليوم لم يكونوا قد عرفوا معنى المشروطية (الحكومة الدستورية) مضافاً إلى أن موظفي الحكومة الجديدة لم يكونوا قد مارسوا الحكم الدستوري تماماً لقرب العهد به، كان سكان البلدان النائية عن العاصمة كـ «استراباد، وتركمان، ومازندران» ورؤسائهم لم يألفوا الحكم ولم يستسيغوا الحكومة الجديدة، لذلك عدوا دخول الملك المخلوع إليهم فوزاً عظيماً، فساندوه على محاربة الحكومة الحاضرة، وبالفعل أعد الملك جيشاً كبيراً للمحاربة، ولكن الحكومة بعثت جيوشاً

---

(١) لمحات اجتماعية ٣/ ١٢٣، Ibid. p82-93.

(٢) مجلة العرفان مج٣ ج١٨ ص٧٥٠.

أرغمتهم على التفرق وكسره شر كسرة، وأوشك الفساد أن يعم البلاد لو لا أن الحكومة الحاضرة أرادت بحكم القانون أن تستولي على مثيري الفتنة وتصادر أموالهم وأملاكهم، ومن جملتهم (شعاع السلطنة) أخو السلطان المخلوع، ولما قدم (مستر شوستر) الأمريكي مستشار وزارة المالية على ضبط أملاكه قابله السفير الروسي ومنعه باعتبار أن شعاع السلطنة هو من أتباع الحكومة الروسية، وهذا الادعاء من السفير الروسي وإن كان لا أمل له ولكنه أرسل حمله من القوازق الروس الذين كانوا في (ساخلو) لممانعة مستر شوستر القانوني العام المتمدن، ولما كان المستر شوستر يظن أن الروس لا تعمل خلاف القوانين الدولية المتمدنة فقد خرج من الدار ليكونوا هم المحافظين ولكن الأمر كان خلاف ذلك، فقد كان هذا الجيش مقدمة لجيوش روسية كثيرة أخرى دخلت إلى قزوين لاحتلالها. وفي يوم الثلاثاء ١٣ ذي الحجة ١٣٢٩ أبرق رئيس مجلس النواب خبر دخول جيوش الروس وهجومه على قزوين إلى كربلاء إلى حجة الإسلام السيد إسماعيل صدر الدين، وإلى النجف الأشرف وإلى جميع حجج الإسلام هناك. كما أن (الممثل) العثماني أيضاً أخبر بذلك، فهاج المسلمون في العراق وأظلمت الدنيا بأعينهم، فكتب الحجة الصدر رسالة إلى المدرس الطهراني الشيخ محمود النجفي مشيراً عليه بأن يري هذه الرسالة إلى الآيتين الشيخ ملا كاظم الخراساني، والسيد كاظم اليزدي ثم يدعوهما إلى الاتفاق والاتحاد لاستخلاص البلاد الإيرانية من مخالب الروس، فجاء الشيخ محمود إلى مجلس فاتحة عظيمة كانت مقامة لأحد الأفاضل فقرأ الرسالة على الشيخ الخراساني علناً، فكان جواب الشيخ الخراساني: إني حاضر فاذهب إلى السيد اليزدي واقرأها عليه وكلما يأمرنا نحن مطيعون متفقون على الأمر، فأسرع بعض الحاضرين وأخبر السيد اليزدي بالمجلس وعندما ذهب الشيخ إلى دار السيد لم يفتح له واعتذر إليه أنه منحرف الصحة لا يتمكن مواجهته، ثم كرر المجيء إلى دار السيد اليزدي فلم يحظ بالمواجهة.

وأخيراً اتفق أن وافقت زيارة عيد الغدير في النجف الأشرف، وجاء الحاج أقا حسين القمي إلى الزيارة وأطلع على عدم وصول الكتاب إلى السيد اليزدي فتعهد هو بإيصال الكتاب إلى السيد اليزدي، وعندما ذهب السيد القمي لم يحصل أيضاً على جواب، ولعجزه دخل إلى مدرسة السيد المذكور المجاورة لداره وصادف نجل السيد

اليزدي في المدرسة ولما سأله عن سبب مجيئه أخبره بأنه يود مواجهة السيد، فأخذه نجل السيد معه ليدخله على أبيه، ولما وصل إلى الباب وطرقاه فتح الخادم الباب ولم يؤذن في الدخول إلا لابن السيد، أما القمي فبقي وراء الباب، وبعد دقائق أشرف ابن السيد اليزدي على السيد القمي من الشباك وقال له لا يمكن الآن مواجهة السيد الوالد فاذهب وحاول في وقت آخر، فقال السيد القمي، إذاً فهذا كتاب من كربلاء ادفعوه إلى السيد ليقرأه فقط وأرجعوه إلينا، فقال ابن السيد وهذا أيضاً غير ممكن. واتفق أيضاً في ذلك اليوم ورود السيد الصدر وشيخ العراقين إلى النجف للزيارة ولمواجهة الشيخ الخراساني والسيد اليزدي وكليهما أمل في تحصيل الاتفاق بين العلماء على إصدار الفتيا بالجهاد ضد الروس؛ ولكن لما اطلعا على الوضع أسفا كثيراً غير أن الشيخ محمود أخبر الصدر بأن السيد محمد نجل اليزدي وعد بأن يواجه السيد الصدر في الصحن عند الغروب، وحيث أن العلماء بأجمعهم من عرب وعجم كانوا قد منعوا البحث والصلاة نظراً لسوء الحالة، وإظهاراً لحربهم على هجوم الكفر على الإسلام ولم يعتقد السيد الصدر أن السيد اليزدي سيخرج للصلاة لاسيما وهو يشكو المرض، ولكنه سمع ضجة الصلاة للسيد إذ بقي وحده للجماعة والزوار كثيرون وكلهم جاؤوا للزيارة لذلك تعجب وبقي منتظراً لمواجهة السيد محمد حسب موعده. وكان اليزدي مخالفاً للجميع إذ كان مصراً على الخروج إلى صلاة الجماعة وحده نظراً لكثرة الزائرين لذلك عند الغروب، وفي حين أن السيد الصدر كان منتظراً لمجيء السيد محمد نجل اليزدي حسب موعده في الصحن مأيوساً من خروج نفس السيد اليزدي لسماعه بأنه مريض لا يمكن أن يواجهه أحد من الناس ولم تفتح باب داره، في ذلك الحال وإذا بالضجة والصلوات قد تعالت من الأطراف، وإذا بالسيد اليزدي تحوطه الجماعات من الأعوان والزوّار، وهو جالس على السجادة، وإذا بصوت الأذان والإقامة من اليمين والشمال قد تعالى في الصحن إلى السماء وإذا بالازدحام العظيم وقوف للصلاة خلفه لانحصار الجماعة به ولكثرة الزوار والمصلين، وإذا به داخل في صلاة المغرب.

فلما رأى المسلمون الذين كانوا يتحرقون لقضية هجوم الروس على إيران هاجوا وماجوا وتوجهوا إلى دار الشيخ الخراساني بالصياح والعويل يصرخون بطلب الاتفاق على الفتيا بالجهاد ضد الكفر، وكان في وسط هذا الجمع رجل إيراني يدعى (أبا

السادات) بلباس رسمي ويدعى أنه من مأموري إيران، وقد جاء زائراً وطالباً لاتفاق العلماء على النهوض ضد الروس، وكان هذا أكثرهم حماساً وأشدهم بكاءاً ونخوة، يخاطب الخراساني بقوله: سيدي يجب أن تبذلوا جل هممكم في استخلاص المسلمين من مخالب الروس الكافر والعنود وأن تعملوا كل وسيلة لدفع هذه الغمة عن هذه الأمة، وليس هناك بدّ من اتفاقكم ولا علاج لهذا الداء سوى اتحادكم وإذا لم تتفقوا فسوف تمحى حتى آثار الإسلام من إيران، الله الله أيها المسلمون، الله الله أيها العلماء، إذ ليس من ملجأ سواكم، ولا أمل لنا بغيركم، فإن الروس إذا ما سيطروا على إيران فسوف لا تبقي ديناً ولا ترحم أحداً. فقابله الشيخ الخراساني بالأسف والتحسر وقال له وللجميع: إني حاضر بكل ما أملك من نفس ونفيس في سبيل حفظ حوزة الإسلام والمسلمين، فشكره أبو السادات ثم توجهوا إلى الصحن الشريف ليواجهوا سائر العلماء الآخرين. وعندما وردوا إلى الصحن كان السيد اليزدي قد أكمل صلاة المغرب، فتوجه الجميع مع أبي السادات إليه مستغيثين به صارخين: الله الله بالإسلام، أيها الحجة إذا لم تتداركوا أنتم العلماء هذا العدوان الروسي ولم تتفقوا معاً على دفعه فستذهب هذه الصلاة وهذه الجماعة بل سيذهب الإسلام، فكروا في الإسلام؛ فأنتم المأوى والمرجع ولا علاج إلا باتفاقكم واتحادكم على الكفر، وإذا لم تنهضوا اليوم فستندموا غداً حيث لا ينفع الندم.

أما السيد اليزدي فقد كان عندما تكلم أبو السادات مبهوتاً متأملاً في حركات أبي السادات وسكناته، ولكنه عندما سمع كلمة اتحاد واتفاق تحرك قليلاً فكرر أبو السادات تقبيله ليد السيد ورجليه، متضرعاً عنده في أن لا يخالف أصحابه من العلماء محذراً إياه من نتائج المخالفة على الإسلام، وأهله.

ولم يشعر أبو السادات إلا والسيد اليزدي رفع يده بسرعة وقد تغيّر حاله وقال له: ابتعد عني فكل هذا كذب وخداع، إني لا أتدخل ولن أتداخل، ثم جذب نفسه من السجادة وصاح صائح القوم من ورائه: أيها الناس تداركوا السيد فإنهم يريدون أن يقتلوه، فتوحش الناس من هذا النداء وهجموا نحو السيد، وهناك وجد المغرضون المجال واسعاً والوقت مناسباً فهجموا على كل من كان حوالي السيد من متفرجين وطلاب وزادوا بالضرب والشتم حتى فرقوا الجمع، وقد طاحت عمائم وسلبت عباءات

وسرقت جيوب؛ أما السيد اليزدي فقد دخل في وسط هذه المعامع إلى حجرة من حجرات الصحن وردت عليه الباب واختفى فيها حيث لم يره أحد، أما المطلعون والذين جاؤوا مستغيثين بالسيد طالبين منه الاتفاق والعلاج فقد كانوا يصرخون به متعجبين، أنه لم يطلب أذية السيد ولم يقصد به سوءاً، تورعوا إليها الناس، تأملوا أيها الجهال والغافلون، ولكن لم يفد كل ذلك حتى أخبرت الحكومة المحلية فجاءت الشرطة وفرقت الجمع بالبنادق والعصي والضرب المبرح، ثم أخذوا السيد والشرطة أمامه وخلفه والناس حوله تعلو أصواتهم بالصلوات حتى أوصلوه إلى داره، واشتهر هذا الخبر المجهول بأن المشروطة تريد قتل السيد؛ ولكن المطلعون وأهل الدين أخذوا يظهرون للناس حقيقة المطلب وأن حيلة يراد بها أمراً دبر بليل، ولذلك فإن هذه الشائعة لم تدم سوى ساعتين فقط. وصادف في تلك الليلة ورود آية الله الشيرازي إلى النجف، ولما سمع بهذه القضية تأثر تأثراً كثيراً وعجب من حصول أشياء لا مبرر من وقوعها. وفي تلك الليلة أيضاً واجه الصدر نجل السيد اليزدي وطلب منه مواجهة أبيه وأخبره: إني إنما تشرفت في النجف لغاية الاجتماع بوالدك وأخباره بأمور يجب أن يطلع عليها، فأجابه السيد محمد نجل اليزدي: أن ذلك غير ممكن ولن يمكن.

فقال الصدر أن أمر إخراج الروس من إيران وتخليص المسلمين من تصرفاته المشينة بالإسلام متوقف على هذه المواجهة.

فقال: وذلك لا يكون ولن تواجهوه، وبعد رد وسؤال لم يحصل السيد الصدر على نتيجة حتى غلب الناس عليه وعلى شيخ العراقين الذين جاءا لتحصيل الاتفاق بين العلماء.

وفي يوم السبت عقد مجلس حافل بالعلماء والأكابر من رجال الدين في دار الشيخ الخراساني وتذاكروا في الأمر وقرروا عدم الانشغال بإقناع السيد اليزدي وعدم مراجعته لأنه ممتنع وانتظار اتفاقهم معه موجب لتعطيلهم عن مهمتهم.

ثم خطب الخطباء على الجمع المحتفل وجماعات المحتفلين المتظاهرين معهم خطباً بليغة أبكت الجميع، ثم وعدوا الناس بالعمل لإصلاح الحالة، ثم قر القرار بالاجتماع مرة أخرى في دار السيد الصدر عصراً، ولما اجتمعوا هناك أجمع رأيهم على السفر إلى الكاظمية والغرض من ذلك أمور:

أولاً: لتكذيب اختلاف العلماء فيما بينهم، وسفر أكثر العلماء معاً متفقين متحدين.

ثانياً: صدور الأمر الواحد من الجميع إلى عشاير إيران وأهل المدن بالاتحاد مع الحكومة في رد عادية الروس بواسطة البرقيات والرسائل والرسل إليهم.

ثالثاً: إبلاغ جميع الأقطار الإسلامية كالهند والقفقاز وأمرهم بالهيجان وإظهار الاستياء وغلق الحوانيث والمحلات وتعطيل الأعمال احتجاجاً في يوم معين على الروس ودخولها إلى إيران، كما أنهم يأمرون جميع عشائر إيران بالنهضة والدفاع عن بيضة الإسلام موافقة لحكوماتهم في مقابل الظلم والعدوان.

رابعاً: اطلاع جميع دول الأجانب بواسطة قناصلهم وسفرائهم على التعدي الروسي بعد تصديق القنصل الإيراني في بغداد رسمياً.

ومقدمة لهذا السفر أبرقوا برقية مناسبة بإمضاء جميع العلماء إلى السلطان العثماني محمد رشاد وهذا مضمونها:

إلى أعتاب السدة السلطانية وحامي الخلافة الإسلامية:

بسم الله الرحمن الرحيم

بسبب الهجوم على الإسلام من كل جانب أصبح العالم الإسلامي في هيجان، نحن بصفتنا رؤساء المذهب على ثمانين مليون من المسلمين الجعفريين القاطنين في إيران والهند وسائر النقاط الإسلامية، متفقاً حكمنا بوجوب الجهاد والدفاع عن الدين والنفوس، وعلى جميع المسلمين فرض عين أن يضربوا على أيدي المسببين لإراقة دماء المسلمين صيانة لدين محمد (ص).

لذلك فإنا نعرض أعتاب حامل الأمانة المقدسة وخادم الحرمين الشريفين، وخليفة الإسلام، ونعلمه مترحمين أن لا يحرموا المسلمين إعطاء (لواء محمد النبوي) إلى المسلمين المجتمعين من أقطار العالم للدفاع والجهاد، زمان السياسة اللادينية قد زال ومضى.

فالرجاء الأمر بذلك بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة الإسلامية.

محمد كاظم الخراساني

محمد حسين الحائري

سيد إسماعيل الصدر العاملي
عبد الله المازندراني
شيخ الشريعة الأصفهاني

وقد أصدر الشيخ الخراساني بعد ذلك فتوى بالجهاد جاء فيها :

«استنهضوا فيها الإسلام للدفاع عن الشريعة المحمدية والذب والمحاماة عن الجامعة الإسلامية، وفق الله المسلمين إلى الانتفاع باستماعها والأخذ بحظهم من العمل بمضمونها، ونعوذ بالله أن نكون نحن الذين يعنيهم سيد المرسلين بقوله (ص) يوشك أن تداعى عليكم الأمم إلى الأكلة إلى قصعتها، قال قائل : من قلة ذلك يارسول الله ؟ قال لا : لكم غثاء كغثاء السيل، ولينزع الله عن قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبهم الوهن، قال : وما الوهن : قال : حب الدنيا وكراهة الموت . وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»[1]، كما أنهم أبرقوا معلنين بحركتهم لهذه الغاية إلى جرائد استنبول ليعلموا العالم الإسلامي بأنهم حاضرون لإراقة آخر قطرة من دمائهم في سبيل حفظ الإسلام والوطن الإسلامي . ثم احتفلوا في يوم الأحد احتفالاً آخر قرروا فيه كيفية حركتهم ويوم الحركة وأن اجتماعهم كلهم في كربلاء ومن هناك يتوجهون إلى بغداد .

وبعد أن قضي الاجتماع نادى المنادي في البلد بأن العلماء أجمعهم سيسافرون يوم الثلاثاء ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩هـ إلى كربلاء، ومن هناك إلى الكاظمية فمن شاء الاشتراك فليبادر والله مع الجميع[2] .

وانتشرت أنباء حركة الجهاد، وقد أوعز الملا محمد كاظم الخراساني بنصب الخيام في ظاهر النجف، وتعبئة المجاهدين فيها استعداداً على السفر إلى إيران، لدفاع الروس عنها، وقد نصبت الخيام فعلاً على جبل السلام، خارج المدينة، والمراسلات

---

(١) مجلة النجف ع ٨/ ٩ نيسان ١٩٦٧ ص١٣١ .

(٢) المصلح المجاهد ١٠٠ ـ ١٠٨ . ينقل الشيخ محمد شريف آل كاشف الغطاء عن والده الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، عند نيّة سفر الآخوند الخراساني، اقترحنا على السيد اليزدي الذهاب لتوديعه، وقلنا له عند عدم ذهابك سوف يتأذى طلابك ومقلديك، وكررنا عليه القول، وضع يده على الأرض وقال : «من خدا دارم، من خدا دارم» أي : أنا عندي الله .
وفي الصباح علمنا بوفاة الشيخ الخراساني .

جارية على أشدّها بين كبار العلماء في النجف وكربلاء والكاظمية لإعداد عدّة السفر إلى إيران وكان المقرر أن السفر سيتم تحت رئاسة الشيخ ملا كاظم الخراساني يصحبه من المجتهدين الشيخ عبد الله المازندراني، وشيخ الشريعة، والسيد مصطفى الكاشي، والشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي، والشيخ حسن علي القطيفي، وكان السيد صالح الحلي قد سبقهم بجماعته إلى الكاظمية ينتظر اجتماع العلماء هناك[1] وتهيأ الناس للسفر، وامتلأ الجو بأهازيج العشائر والخطب الرنانة[2].

هذا مع توارد رؤساء العشائر وكبار البلد على الملا الخراساني مقدمين له معونتهم مظهرين لحضورهم عند أمره بالمال والنفس والنفيس، فشكرهم المصلح الخراساني وغيرتهم، ثم قال لهم: الآن فلا حاجة لنا بكم وبالطبع إذا ما حدث موجب لدعوتكم والاستعانة بكم فإني لأبدأ بكم للمشاركة والمساعدة، وفقكم الله لكل خير فاذهبوا الآن إلى منازلكم وانتظروا إشعارنا، فقبلوا يديه وذهبوا، وكلهم عزم وحزم وحرارة.

ثم تقدم عليهم بالسفر إلى كربلاء السيد الصدر ليهيىء لهم المحل وليستقبلهم هناك، وفي يوم الاثنين قبل السفر بيوم وردت برقية من قنصل بغداد إلى الصدر أنه وردت برقية من طهران تشعر بعدم لزوم حركة العلماء، ولكن الشيخ الخراساني قال: نحن لا عن عزم الحركة غير أنا نذهب إلى كربلاء وهناك نرى رأينا وننتظر الخبر الأخير. ولما جن الليل وأذن مؤذن المغرب من ليلة الثلاثاء صلى الخراساني صلاة المغرب والعشاء في داره. ثم أمر الجماعة بأني سوف أصلي الصبح في الحرم العلوي وبعد زيارة الوداع أسافر إلى كربلاء صبحاً قبل أن يكثر الناس، ومن شاء فليلتحق بي بعد ذلك، ثم ودع الحاضرين ودخل إلى داخل الدار ليستريح ويستعد للحركة صبحاً.

ولكن أهل الدار والعائلة، كانوا في قلق وتشويش من هذا السفر ولم يعلموا السبب في ذلك، وعلى هذا فقد عرضوا على الشيخ الخراساني تشوشهم وأظهروا له قلقهم من حركته ولكنه طيّب خاطرهم وطمأنهم قائلاً: لا فرق بين هذه السفرة وسائر سفراتي، وقد أودعتكم الله السميع العليم.

---

(١) النجف في ربع قرن ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) لمحات اجتماعية ٢/ ١٢٤، النجف في ربع قرن ١٤٩.

ثم طلب منهم الاستراحة والخلو بنفسه، وأمرهم بأن يذهب كل إلى مضجعه ويستريح، لأن أمامهم أعمال كثيرة وأتعاب في الصباح، فامتثلوا وفارقوه إلى محالهم. مضى الشيخ إلى العائلة ليستريح وينام قليلاً، وبقي من خواصه والمقربين لديه: العلامتان الشيخ علي الشاهرودي، والشيخ أحمد الدشتي في غرفة الاستقبال ليناما هناك حتى إذا أصبح الصباح مشيا بخدمته إلى الحرم المطهر ثم إلى كربلاء[1].

وفي ليلة ١٢ كانون الأول من عام ١٩١١ بينما كان الخراساني على أهبة السفر شعر بتوعك مفاجىء في صحته، فاصفّر وجهه وانتابه العرق الغزير، وقبل أن تشرق شمس الصباح التالي أدركته الوفاة. فاستدعي إليه طبيب الحكومة، وقد قرر هذا بعد فحصه أنه مات بالسكتة القلبية. ولكن الناس لم يصدقوا ذلك وأخذت الإشاعات تروج بينهم في أنه مات مسموماً بأيدي الجواسيس، وانتشرت بينهم قصة مفادها أن رجلاً كان قد أهدى إليه قبيل وفاته تفاحة صفراء وهي التي جرت عليه البلاء[2].

تفرق المجاهدون على أثر موت الخراساني، وطويت الخيام، وانشغل الناس بالنوح على الفقيد وإقامة مجالس الفاتحة وإلقاء القصائد الشعرية في تأبينه.

يذكر د. علي الوردي قائلاً: حدثني أحد المسنين من أهل الكاظمية: أنه كان عند وفاة الخراساني صبياً وكان يسمع بأذنه سب الخراساني وتكفيره شائعاً على ألسنة الكبار المحيطين به، وصادف أن ذهب إلى النجف مع أهله للزيارة في تلك الأيام فوجد المآتم والفواتح تقام للخراساني في كل مكان، فكان عجبه شديداً وأخذ يسأل أهله، كيف يجوز للناس أن يقيموا المآتم للكافر أي للخراساني؟! ولم يستطع أهله أن يقدموا له جواباً مقنعاً[3].

كانت وفاة الشيخ الخراساني صدمة عنيفة لحركة الجهاد، مما جعل تحرّك العلماء والمجاهدين يتأخر لبعض الوقت، إلاّ أن الاهتمام بالتحدي الاستعماري ظل يستوعب نشاط الوسط الشيعي، فخلال مراسيم التأبين والفاتحة التي أُقيمت للشيخ الخراساني، كانت الخطب والقصائد الشعرية تتركز حول الأخطار التي يتعرض لها العالم الإسلامي

(١) المصلح المجاهد ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٢) مجلة العلم النجفية ـ العدد السابع ـ السنة الثانية.
(٣) لمحات اجتماعية ٣/ ١٢٤.

من قبل الدوائر الاستعمارية، وتؤكد على ضرورة التصدّي للهجمة الاستعمارية على بلاد المسلمين[١].

وفي خلال شهر محرم ١٣٣٠هـ/ كانون الثاني ١٩١٢م اجتمع لفيف من المجتهدين في الكاظمية كان فيهم: السيد مهدي الحيدري، والشيخ مهدي الخالصي، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد الله المازندراني، والشيخ فتح الله الأصفهاني، والشيخ محمد حسين القمشئي، والسيد علي الداماد، والسيد مصطفى الكاشاني، وقرروا إعلان الجهاد على روسيا على منوال ما فعل الخراساني الراحل[٢].

امتنع مجتهدان كبيران عن الحضور إلى مؤتمر الكاظمية وعن الانضمام إلى حركة الجهاد وهما: الميرزا محمد تقي الشيرازي في سامراء، والسيد كاظم اليزدي في النجف. فقرر الشيخ مهدي الخالصي أن يسافر بنفسه إليهما بغية إقناعهما بالانضمام إلى الحركة، ولم يجد الخالصي صعوبة في إقناع الشيرازي عندما ذهب إليه في سامراء، غير أنه عند ذهابه إلى النجف لم يتمكن من الاجتماع باليزدي لمحادثته في الموضوع إذ كان هذا يمتنع من لقياه المرة بعد المرة[٣]، لكنه في الأخير قرر الذهاب الى الكاظمية وحضور هذا الاجتماع ، وقد بعث ببرقية الى السيد محمد كاظم اليزدي يعلمه بذلك (٤) .

وتم تشكيل لجنة من ثلاثة عشر عالماً لإدارة التحرك ضد الاحتلال الروسي لإيران .

---

(١) دور علماء الشيعة ٦٧.

(٢) لمحات اجتماعية ٣/ ١٢٤.

(٣) يذكر د. الوردي في لمحاته أنه: «وفي أحد الأيام بينما كان الخالصي في النجف يواصل مساعيه للاجتماع باليزدي وقع عليه اعتداء من قبل بعض العامة، وقد أسرع الخالصي إلى مغادرة النجف والعودة إلى الكاظمية درءاً للفتنة. وحين سمع أهل الكاظمية بالحادث تحفزوا لأخذ الثأر إذ لم يهن عليهم أن يعتدي أهل النجف على عالمهم دون أن ينتقموا له. وقد بذل الخالصي جهده لتهدئتهم.

كان والي بغداد يومذاك جمال بك، وكان على صلة وثيقة بالخالصي، فلما سمع بحادث الاعتداء عليه أمر بإلقاء القبض على المعتدين وبسوقهم مكبلين إلى بغداد. وانبرى الخالصي يتشفع لهم عند الوالي حتى جعله يأمر بإطلاق سراحهم. وفي زحمة هذه الأحداث نسي الناس جهاد الروس وانشغلوا بجهاد بعضهم بعضاً».

(٤) أنظر : هجوم روس ص ١١١ - ١١٢ ، وملحق الوثائق في آخر البحث

الشخصيات والهيئات الرسمية والدينية والعشائرية ويستنهضون فيها مقاومة الغزاة، ومواجهة التحدي الاستعماري، ورصّ الصفوف ونبذ الخلافات، منها:

البيان الذي وجهه بعض العلماء في صفر ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، إلى الكثير من الشخصيات والهيئات الإسلامية يستنهضون فيه المسلمين لمواجهة التحدي الاستعماري، وتدعوهم إلى العمل المكثف من أجل حفظ البلاد الإسلامية:

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

نلفت أنظار جميع أهل التوحيد وكافة المسلمين بأن الإسلام والمسلمين لم يصلوا في أية فترة من الفترات مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من الزمن. إن المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تعتبر من أشد المصائب وأصعبها، وإن الضربات التي يتلقاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشد الضربات.. وإن أساس الدين المبين في خطر، وآثار شريعة الرسول (ص) مهددة بالانهيار والزوال، ولم تبقَ في هذه الفترة سوى دولتين إسلاميتين مستقلتين، هما الدولتين العليتين العثمانية والإيرانية اللتين تحملان

اللواء المحمدي وتحميان حوزة الإسلام والحرمين الشريفين والمشاهد المقدسة.

إن بقاء حرمة القرآن الكريم وإعلاء كلمتي لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وإقامة دعائم الدين المبين، يتوقف على بقاء هاتين الدولتين الإسلاميتين.. وإذا ما اضمحلت هاتان الدولتان ـ لا سمح الله ـ فلن يبقَ هناك للإسلام جامعة أو حوزة أو ملاذ آمن يأوون إليه، وستلحق بالإسلام والمسلمين وصمة عار أبدية وخذلان دائم، لا أرانا الله ذلك اليوم أبداً.

واليوم تحاول بعض القوى الأجنبية بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين وتعريضهما إلى كافة أشكال المضايقات والابتلاءات.

فمن جهة امتدت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرض النساء والأطفال إلى الهتك وأموالهم للسلب والنهب والقتل.

ومن جهة أخرى تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء والعجزة في تبريز وتقوم بإعدام كبار الشخصيات هناك، وفي قزوين ورَشْت تدّخل أجنبي ظالم، واحتلال مدينة مشهد المقدسة، وتدنيس مرقد الإمام الرضا (ع) بأقدامهم، وتعريض الإيرانيين إلى المضايقات التي تؤدي إلى زعزعة استقرار بلدهم ومحو الإسلام.

واستناداً إلى هذه الأحداث المؤسفة التي تمر بها الدولتين، وهذه الهجمات الشرسة التي تتعرض لها ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾.

فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الأعلام من النجف وسامراء، وحسب مسؤوليتنا الشرعية المجتمعون في الكاظمية لدراسة هذه الأمور التي تتعرض لها الدولة، عسى أن نجد حلاً لإنقاذ المسلمين من ظلم الأجانب وعدوانهم، وإذا لم يتمكن المسلمون في أقطار العالم الذي يعيشون في ظل حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوتهم فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق إبداء التضامن معهم لإعلاء كلمة الحق والشريعة المحمدية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله المازندراني.

شيخ الشريعة الأصفهاني.

محمد حسين الحائري المازندراني.

السيد إسماعيل صدر الدين العاملي.

محمد تقي الحائري الشيرازي

واستمرت المراسلات والمكاتبات بين العلماء في الكاظمية وعلماء إيران ورجال الحكومة الإيرانية. حول مواجهة هذه الحالة بحزم والتعامل مع المواطنين بحكمة وروية، ودعوة المواطنين إلى ضبط النفس والتهيؤ لأي طارىء ونبذ الخلافات ليكونوا صفاً واحداً أمام عددهم.

فبينما كانت لجنة العلماء تواصل اجتماعاتها في مدينة الكاظمية، أقدمت القوات الروسية على اجتياح مدينة تبريز وقامت بمجازر بشعة كان من ضمنها إعدام مجموعة من العلماء. وقد أثار هذا الحدث مشاعر علماء الدين في العراق، فأعلن السيد محمد

كاظم اليزدي أنه سيتوجه إلى الكاظمية للمشاركة في تجمع العلماء[1].

أثار عزم علماء الدين على التحرك إلى إيران على رأس كتائب المجاهدين، اهتمام الحكومة الإيرانية، فأرسلت البرقية التالية في ٩ كانون الثاني ١٩١٢م (١٩ محرم ١٣٣٠هـ) تطلب فيها من العلماء عدم التوجه إلى إيران:

«بغداد ـ من طهران ـ الجنرال القنصل الإيراني ـ ليد سماحة نجل الشيخ الخراساني وإلى حضرات المراجع أدام ظلالهم.

يبدو مما وصل القنصل في الكاظمية من أنباء، فإنّ خطواتكم المباركة رغم ما ينتج عنها من سعادة وبركة، إلا أنّ الدولة تمرّ حالياً بمرحلة سياسية معقدة جداً، ومن المحتمل أن تترتب على تحرككم آثار سيئة قد يعتبرها الأجانب خطوة عدائية، الأمر الذي قد تنتج عنه عواقب غير محمودة للدولة التي تتبع حالياً سياسة أهون الشرين، وتتجنب كلّ خطوة تتعارض مع حفظ بيضة الإسلام. وتدعو الحكومة الإيرانية وبكل إصرار إلغاء موضوع المسير، آملين بدعائكم ووجودكم وتوجيهاتكم المباركة أن تدفع الشدائد ويتم التوصل إلى الهدف المنشود.

مجلس الوزراء ـ وثوق الدولة»[2]

وفي أواخر آذار ١٩١٢م وصل إلى العراق خبر مفاده أن الجيوش الروسية قصفت بالمدافع مشهد الإمام الرضا في خراسان فانهدم جزء من القبة والسقف وأدى ذلك إلى قتل وجرح عدد من الزوار الذين كانوا يتهجدون فيه ,وحملت الأنباء انتهاب الروس لقسم من مكتبة الإمام الرضا وإرسالها إلى بطرسبوغ عاصمة الامبراطورية حينذاك، وزيد تجاوز الجيش على الحرم واستخدامه اصطبلاً.. إلى غير ذلك من الأعمال المنكرة، ولم تؤخذ بعض هذه الأنباء بنظر عامة النجف موقع التصديق إلاّ في شهر محرم، حيث عودة الزوّار من خراسان، فكان لأنباء الزوّار أكبر وقع على النجفيين، وأعظم حادث أهاج الأفكار، فكان هذا الحادث أبلغ سلاح استخدمه القائمقام عبد العزيز في إثارة العامة أثناء العشرة الأولى من شهر محرم، موسم المآتم والاجتماعات

---

(١) هجوم روس ١٢٩.

(٢) هجوم روس، ص٣٦ ـ ١٣٧١، دور علماء الشيعة ٦٨.

والتظاهرات الدينية، يلج المآتم الكبيرة ويطلب من القرّاء أن ترثي البلاد الإسلامية، من طرابلس الغرب وخراسان وأن يوضحوا للناس صور الحروب الدموية في تلك البلاد وما آلت إليه حال أهليها وعلمائها ومساجدها إزاء اعتداء إيطاليا والروس فتتألم الناس وتصخب، ويقف أحياناً يخطب في الناس وفي جنبه السيد مسلم زوين، وكان إذا خطب تحسس وبكى فأبكى الناس، يعضده السيد مسلم، الطويل الباع في إثارة العامة وإلهاب الغيرة والحفيظة، وعندئذ قامت قيامة النجف، فاختلطت التظاهرات في مصيبتين عظيمتين عثمانية - إيرانية[1].

وأخيراً سحبت الحكومة الروسية جيشها من إيران طبقاً للسياسة الروسية البريطانية التي بدأت تتوحد حذراً من السياسة الجرمنية الزاحفة، وأيضاً لقاء معاهدة عقدت بين إيران وروسيا، وكانت في صالح الروس[2]. وعند هذا ساد الهياج في مختلف أنحاء إيران والعراق، ووجد المجتهدون في العراق أن من الضروري استئناف حركة الجهاد من جديد.



(١) النجف في ربع قرن ١٤٧ ـ ١٤٨.
(٢) ن.م ص١٥٣.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حركة الجهاد

١٢٢٧ – ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حركة الجهاد عام ١٣٣٢ ـ ١٣٣٣هـ/١٩١٤م

تمهيـد:

في أوائل آب ١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ رفعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وقد سارعت تركيا إلى إعلان حيادها، غير أن هذا الموقف خضع لضغوط عديدة من أجل زجّها في الحرب، لاسيما وأن الدوافع الحقيقية كانت تتطلب فرض الحرب عليها لتنفيذ المشروع الاستعماري في تقاسم أقاليمها، وقد التقت تلك الدوافع مع الرغبة الجامحة للزعماء الاتحاديين في دخول الحرب إلى جانب ألمانيا، حيث كانوا يتصورون أن انتصار ألمانيا في الحرب مسألة حتمية، وأن الضمان الوحيد لسلامة تركيا من الأطماع الروسية هو تحالفهم مع ألمانيا[١]، وتصورت حكومة الاتحاديين أن هذا لو تم ودخلت تركيا الحرب فإنها ستعيد أمجادها وستخرج من الحرب منتصرة قوية[٢].

أما ألمانيا فإنها لم ترغب في البداية بإشراك الدولة العثمانية معها في الحرب، لأنها كانت ترى أن نهاية الحرب لصالحها، فلا مبرر لأن يشاركها العثمانيون في مكاسب النصر[٣].

في أواخر تشرين الأول ١٩١٤ أعلنت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب على

---

(١) العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ٤٩٨.

(٢) مقدرات العراق السياسية ١/ ٦٨.

(٣) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ٨٠.

يقول السفير الألماني فون ونغنهايم: «إن ألمانيا كانت ترمي إلى إثارة العالم الإسلامي على المسيحيين، أي إنها كانت تنوي تسعير حرب دينية للقضاء على سلطة إنكلترا وفرنسا في مستعمراتها الإسلامية كالهند ومصر والجزائر وغيرها. إن تركيا بحد ذاتها ليست شيئاً مهماً، جيشها ضعيف، ولا ننتظر منه أعمالاً مجيدة في ساحات القتال، ولكننا نحن لا نرى في تركيا إلا العالم الإسلامي، فإذا تمكنا من إثارة الرأي الإسلامي ضد إنكلترا وفرنسا وروسيا، نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب».

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤/ ٢٠.

الدولة العثمانية[١] وبذلك بدأت مرحلة الحسم الاستعماري في السيطرة على البلاد الإسلامية.

قبل إعلان الحرب كانت بريطانيا قد استكملت إجراءاتها في ترتيب مقدمات غزوها لمنطقة الخليج من خلال عقد عدّة اتفاقيات مع الشيخ مبارك والشيخ خزعل وعبد العزيز بن سعود[٢]، لكن المشكلة التي واجهتها هي موقف علماء الشيعة من احتلال العراق، حيث كانت بريطانيا تدرك أن علماء الشيعة لا يمكن أن يتقبلوا الاحتلال البريطاني، وذلك من خلال المواقف التي تبنوها إزاء الاحتلال الاستعماري للأقاليم الإسلامية، وتصدّيهم لأي محاولة استعمارية تستهدف كيان المسلمين السياسي[٣].

لكن هذا المسعى لم يؤثر على الموقف الشيعي شيئاً، فقد أسرع علماء الدين الشيعة إلى إعلان الجهاد فور تعرض العراق لهجوم القوات البريطانية.

وقبل أن تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية، صدرت الأوامر إلى القوات البريطانية في بومباي بالتحرك نحو المياه الخليجية بمعية القوات المرابطة في البحرين، وبعد إعلان الحرب تقدمت القوات البريطانية نحو العراق في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٤م/ ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ، فاحتلت الفاو[٤].

البداية:

بدأت حركة الجهاد في العراق في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ لمداهمة الجيوش الإنكليزية الغازية من جهة البصرة، والتي تعلن بخطر الغزو الإنكليزية للسيطرة على ثرواته وخيراته، والاستيلاء على شؤونه ومقدراته، وبعد أن أحسّ العراقيون بالخطر

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ٨/ ٢٥٤.

(٢) انظر: حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي.
رياض نجيب الريس: جواسيس العرب.
ستيفن لونكريك: العراق الحديث.

(٣) جاء في رسالة السفير البريطاني في اسطنبول المؤرخ في ٢٥ أيلول ١٩١٤م إلى وزير الخارجية البريطاني: «إن على نائب القنصل البريطاني في المدن الشيعية المقدسة أن يؤثر عليهم ـ المجتهدين ـ بشكل كي يجلبهم إلى جانبنا».
د. غسان العطية: العراق ـ نشأة الدولة ١١٦.

(٤) مذكرات الفريق طونزند ٥١.

المحدق، وشعروا بما سيحيق بهم من الكوارث إذا تمكّن عدوّهم من السيطرة والاستيلاء، وما سيجره ذلك عليهم من المحن والفتن، فاستغاثوا برجال الدين قبل أن تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية، صدرت الأوامر إلى القوات البريطانية في بومباي بالتحرك نحو المياه الخليجية بمعية القوات المرابطة في البحرين، «ولم يكن نزول القوات العسكرية البريطانية في الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ لغرض احتلال العراق أو أجزائه الجنوبية على أقل تقدير أمراً مستغرباً أو غير متوقع في حسابات المصالح السياسية والاقتصادية للدول الكبرى وصراعاتها ومناطق نفوذها في العالم لاسيما منذ العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. فبريطانيا كان لها وجود، كما هو معلوم، في منطقة الخليج العربي منذ أمد بعيد. وكانت لها مصالح اقتصادية، وعلاقات سياسية بهذه المنطقة وامتداداتها في الأراضي العراقية وأراضي إقليم عربستان وبلاد فارس. وكانت حقول نفط عبادان تمثل لها أهمية اقتصادية كبرى ينبغي المحافظة عليها من الخطر الألماني الذي امتد إليها مع مشروع سكة حديد برلين ـ بغداد، وتنامي التغلغل الألماني في البلاد العثمانية منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر، والذي توج بدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط.

كذلك لم يكن اشتراك الدولة العثمانية في بداية تشرين الثاني من عام ١٩١٤ في الحرب العالمية الأولى حليفة لألمانيا أمراً مفاجئاً لبريطانيا، ذلك أن الدلائل كانت تشير بمجملها إلى حدوثه. ومن ثم فإن بريطانيا استعدت لحماية مصالحها في الخليج العربي بشكل جدي منذ الأيام الأولى لنشوب الحرب[١]. بيد أن الدولة العثمانية، في المقابل، لم تهيىء نفسها لمواجهة حسابات بريطانيا المتعلقة بحماية مصالحها في هذه المنطقة عند قيام الحرب، وأطماعها فيها، ونفوذها التاريخي المتغلغل في جوانب متعددة من تكوينها السياسي والاجتماعي والاقتصادي. فقد أهمل العثمانيون أمر

(١) ينظر عن هذه الاستعدادات: البصرة في عهد الاحتلال البريطاني، ص٩٨ وما بعدها. وجدير بالذكر أن نزول القوات البريطانية في الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ جاء بعد يوم واحد من إعلان الدولة العثمانية الحرب على دول الوفاق الودي، الذي حدث يوم ٥ تشرين الثاني ١٩١٤. ينظر: Mansfield, peter, The Ottoman Empire and its Successors, St. Martin s press, first published, New York 1973, p.34.

الدفاع عن العراق، أو التخطيط لحالات محتملة تتطلب ذلك لاسيما بعد نشوب الحرب بين الأطراف الأوربية أوائل آب ١٩١٤. فأرسلوا وحدات الجيش (الفيلق العثماني السادس) الذي يتخذ من مركز ولاية بغداد مقراً له، وهي تتألف في أغلبها من الجنود العراقيين، إلى ولاية (وان) وجهات متعددة من بلاد القفقاس[١]. واعتمد صانع القرار العثماني فيما يبدو على قيام أبناء العشائر العراقية والمتطوعين العراقيين الآخرين بالدفاع عن أنفسهم وبلادهم، وهو أمر عسير في التطبيق على أرض الواقع لأسباب شتى منها أن الدولة العثمانية نفسها لم تهيىء، على مدى حقب متطاولة من سيطرتها على هذه البلاد، وسائل وأساليب بلوغ الهدف على الرغم من أن مخاطر الأطماع الأوربية في العراق كانت واضحة لكل ذي بصيرة منذ أكثر من قرن مضى من الزمان. وقد أناطت السلطات العثمانية في إطار تلك الاستراتيجية، أو في إطار الاستراتيجية المفقودة بالأحرى، بالفرقة الثامنة والثلاثين من الجيش العثماني فحسب وبوحدات الدرك والحدود، مهمة الدفاع عن العراق كنواة تلتف حولها القوة غير النظامية للمتطوعين العراقيين من أبناء المدن والعشائر متجاهلة الخطر الذي يهدد العراق أو غير مقدرة لحجمه الحقيقي، فلم تضع أية خطة عسكرية مدروسة للدفاع عنه، ولم تشرع ببناء أية تحصينات دفاعية، أو تقوم بمناورات عسكرية أو حتى بتزويد المجاهدين العراقيين الذين اعتمدت عليهم بالأسلحة والإعاشة اللازمة، بل كانت السلطات العثمانية تفتقر إلى وجود خرائط جغرافية خاصة بالعراق[٢].

ومن ثم وجد العراقيون أنفسهم، نتيجة ذلك الإهمال العثماني، وجهاً لوجه مع المحتل البريطاني وهو على مقربة من مدينة البصرة والتي تمثل بحجمها واحدة من أكبر مدن العراق، وأكثرها أهمية لأمنه واقتصاده وثرواته الطبيعية والبشرية، وتمثل بماضيها حاضرة عربية إسلامية شهيرة ذات تأثير فاعل في خلق الكيان الحضاري للعرب

(١) ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين. ٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٧. ويذكر العزاوي في هاتين الصفحتين أن هؤلاء الجنود لاقوا عناءً كبيراً ولحقهم ضرر بالغ من جراء سوقهم إلى تلك المناطق النائية، ولم يرجع منهم إلى العراق سوى عدد قليل.

(٢) ينظر: محمود شكري نديم، حرب العراق ط٧/ ١٨١٤ ـ ١٩١٨، ص١٥ ـ ١٦.

المسلمين. فأبرق وجهاء مدينة البصرة إلى علماء الدين»[1] في العتبات المقدسة (النجف، كربلاء، الكاظمية) ومختلف البلدان العراقية، ببرقيات يطلبون فيها منهم أن ينهضوا بالأمر ويعلنوا الجهاد المقدس والنفير العام، ورد في بعضها ما نصّه:

«ثغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع»[2].

وقد تليت هذه البرقية وأمثالها علناً في المساجد، ونادى المنادي بها في الأسواق، وأخذ الوعاظ والخطباء يلهبون مشاعر الناس بخطبهم الحماسية ويؤكدون فيها أن الإنكليز إذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة، ويحرقون القرآن، وينتهكون حرمات النساء، ويذبحون الأطفال والشيوخ[3]، فهاجوا وماجوا، وأغلقوا أسواقهم، وعطلوا أعمالهم واجتمعوا في الساحات والميادين وصحون العتبات ينتظرون أوامر علمائهم، فأصدر العلماء بوجوب الدفاع عن كل مسلم، وأبرقوا بهذا المضمون إلى العشائر المحيطة بالبصرة، ثم توالت الاجتماعات وألقيت الخطب المثيرة.

وأفتى العلماء الأعلام في عموم العراق بالجهاد ومقاومة المحتلين

وفي الكاظمية، رقى المنبر السيد مهدي الحيدري، فوعظ وحرّض، وأعلن خروجه بنفسه إلى ميدان الحرب[4].

أما النجف فقد وصلها وفد من بغداد مؤلف من بعض الشخصيات المحترمة كمحمد فاضل باشا الداغستاني، وشوكت باشا، والشيخ حميد الكليدار وغيرهم لمحادثة المجتهدين الكبار في هذا الأمر[5].

---

(١) السيد كاظم العوادي، ص٦٦.

(٢) الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري ص٢٩.

(٣) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤/ ١٢٧.

(٤) مقابر قريش أو الكاظمية/ مجلة الأقلام البغدادية، س١، ع٣/ ١٩٦٤.

(٥) يذكر الدكتور علي الوردي في لمحاته، ٤/ ١٢٧: إن أهم ما كان يخالج ذهن الحكومة ـ يقصد العثمانية ـ يومذاك، هو كيف يمكن تحريض الشيعة للانضمام إلى حركة الجهاد، وكان أول ما فكرت فيه الحكومة في هذا الشأن هو إرسال وفد إلى النجف، ومما يجدر ذكره أن الشيعة لا يجيزون الجهاد إلا إذا كان بأمر أو موافقة من الإمام المعصوم، غير أنهم يجيزون الجهاد في حالة تعرض البلاد الإسلامية لخطر مهاجمة الكفار لها، وهم عند ذلك يطلقون عليه اسم (الدفاع).

ولدى وصولهم استقبلوا بحفاوة بالغة، تم عقد اجتماع حافل في جامع الهندي حضره الكثير من العلماء والوجهاء ورؤساء العشائر، وخطب فيه السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجواهري، حيث ذكروا وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الإسلام(١)، ثم قام مبدر آل فرعون رئيس آل فتلة فألقى كلمة قال فيها: «إن الأتراك إخواننا في الدين، وواجب علينا مساعدتهم في طرد الأعداء من بلادنا»(٢).

بعد ذلك ذهب الشيخ حميد الكليدار إلى الكوفة لمقابلة المرجع الديني الأعلى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي وعرض أمر الجهاد عليه، فوافق السيد اليزدي على إرسال ولده السيد محمد لينوب عنه في استنهاض العشائر للجهاد.

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٣٢هـ/ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٤م، اجتمع مشايخ الهندية والشامية والمشخاب في مدينة الكوفة للمذاكرة في أمر الجهاد، وقد حضر معهم فاضل باشا الداغستاني من بغداد ممثلاً عن الحكومة العثمانية، وعزم على التوجه إلى الجعارة ـ ناحية الحيرة ـ ثم إلى الديوانية ـ وقد حضر من سادات القبائل كل من: السيد نور السيد عزيز الياسري، والسيد هادي مكوطر وغيرهما.

ومن المشايخ: علوان الحاج سعدون، رئيس عموم عشائر بني حسن، ووداي بن عطية آل حرز شيخ آل علي، ولفتة آل شمخي شيخ الجراح وآل دهيم، ومرزوق العواد شيخ العوابد في الشامية، والحاج جاسم آل چياد شيخ الحميدات في الشامية، وعبادي آل حسين العلي شيخ آل فتلة في المهناوية، وجبار شيخ المچاتيم من بني حسن، وناصر شيخ البودحيدح في الشامية.

وقد حضر الاجتماع من مشايخ آل فتلة في المشخاب: مبدر الفرعون، وعبد الواحد الحاج سكر، وعبد الكاظم الحاج سكر، وحسن الحاج سكر، ومزهر الفرعون(٣).

وفي ٢٧ محرم ١٣٣٣هـ/ كانون الأول ١٩١٤م صعد السيد اليزدي المنبر في

---

(١) الجهاد ضد الإنكليز والنفير العام ١٩١٤ ـ خ ـ.
(٢) البطولة في ثورة العشرين، ص٦٨ ـ ٦٩.
(٣) ورقتان من مذكرات الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ص٤٠٢.

الصحن الحيدري وخطب في الناس خطبة حثهم فيها على الدفاع عن البلاد الإسلامية، وأوجب على الغني العاجز بدناً، أن يجهز من ماله الفقير القوي. فكان لكلامه صدى رددته الأطراف[1].

«وقد تعززت توجهات العراقيين للدفاع عن بلادهم بقيام السلطات العثمانية بحملة دعائية في أرجاء العراق كافة تحث على مساندة الدولة العثمانية في حربها مع (الغزاة الكفرة). وضمن هذا التوجه استدعى والي بغداد جاويد باشا (١٩ كانون الثاني ١٩١٤/ أواخر ١٩١٤) شيوخ العشائر العراقية إلى مركز الولاية، وحينما مثلوا بين يديه طلب منهم، ضمن كلمة طويلة ألقاها عليهم، أن يبادروا بمساعدة الدولة العثمانية في تصديها للعدوان البريطاني. وقد عمل معظم هؤلاء الشيوخ باتجاه تحقيق هذه الغاية بعد أن رجعوا إلى مواطنهم فبادروا بتهيئة أبناء عشائرهم للقتال[2]. لاسيما أن هذا التحرك جاء متزامناً مع نداءات علماء الدين بوجوب الدفاع عن البلاد. وكانت السلطات العثمانية قد أرسلت من مركزها في بغداد وفوداً إلى المدن العراقية المهمة وفي مقدمتها النجف الأشرف لتحث علماء الدين على إصدار فتاوى بالجهاد. ولعل من أهم تلك الوفود الوفد الذي كان قد أرسل إلى النجف، وتألف من شخصيات اجتماعية ودينية ورسمية. وقد قابل هذا الوفد عدداً من علماء الدين، وترتب على ذلك انعقاد اجتماع حاشد في جامع الهندي حضره عدد من العلماء ومشايخ الدين وشيوخ العشائر الذين اجتمعت كلمتهم على «وجوب الدفاع عن البلاد الإسلامية»[3].

ويلاحظ أنه على الرغم من أن العلاقات بين العراقيين لاسيما من أبناء العشائر وبعض المدن وبين سلطات الحكم العثماني كانت تتصف، كما هو معروف منذ أمد بعيد، بالتوتر وفقدان الثقة بين الطرفين، فإن أبناء العراق هؤلاء قد هبوا للدفاع عن

---

(١) مذكرات الشبيبي ص١٨٢.

يذكر الدكتور الوردي في لمحاته، ٤/١٢٨: أن علاقة السيد محمد كاظم اليزدي لم تكن مع الاتحاديين حسنة، حيث كان من دعاة (الاستبداد)، بينما هم كانوا من دعاة (المشروطية)، وقد سبق للاتحاديين أن هددوه بالنفي وأثاروا سخطه، ولكن الشيخ حميد الكليدار استطاع أن يقنعه بوجوب نسيان عدائه للاتحاديين باعتبار أن البلاد الإسلامية مهددة بخطر غزو الكفار لها، فوافق اليزدي.

(٢) مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، ص٥١.

(٣) البطولة في ثورة العشرين، ص٦٩. لمحات اجتماعية ٤/١٢٨.

بلادهم وناصروا العثمانيين في حربهم للبريطانيين لأسباب متعددة لا تقتصر فيما يبدو على السبب الديني المتمثل بالاستجابة لدعوات علماء الدين وفتاواهم بالدفاع والوقوف بوجه المحتلين كما يرى بعض المؤرخين والكتّاب[1]، بل تتجاوزها فيما يبدو إلى دوافع وطنية وسياسية أخرى حدت بهؤلاء إلى مؤازرة العثمانيين. بيد أن العثمانيين الأتراك، لاسيما أولئك المتعصبين لقوميتهم التركية، كانوا يلصقون بالمقابل تهمة الخيانة بأبناء العشائر العربية الذين اشتركوا معهم في قتال البريطانيين، ربما لأن بعض هؤلاء انشغل بسلب القوات العثمانية النظامية بعد هزيمة الشعيبة كما يرى الدكتور علي الوردي[2]. لكن من المؤكد أن انعدام الثقة بين الطرفين كان سابقاً للوقت الذي حدده الوردي لإطلاق تهمة الخيانة على العرب من قبل الأتراك، ذلك أن الأتراك كانوا يرون منذ حقب سالفة وجود هذه الصفة لدى العرب لاسيما عرب العراق واليمن وطرابلس الغرب وأي عرب آخرين لم يهادنوا حكمهم ويستسلموا له ويركنوا إلى الهدوء في ظله. وبعد هزيمة القوات العثمانية في الشعيبة خاطب الضابط التركي أحمد بك أوراق العرب الذين كانوا يقاتلون إلى جانب العثمانيين بقوله: «إننا لو فتحنا الشعيبة والبصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولاً وعشائر شط دجلة ثانياً لأنهم خونة»[3]. حدث ذلك والحرب لم تنته بعد، ولم يغادر العرب العراقيون جبهات القتال، وكانت لهزيمة الشعيبة تلك أسباب متعددة ليس من بينها خيانة هؤلاء. والجدير بالذكر أن بدر الرميض شيخ بني مالك ردّ على كلام الضابط العثماني بقوله: «أنتم الخونة للإسلام، وتحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي، وأنتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب. ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها»[4]. وقد تفاقم الأمر بين العرب والأتراك بعد إعلان الشريف حسين لثورته أواسط عام ١٩١٦، وأصبح العربي يوصم من قبل التركي آنذاك، وربما لحد الآن بتهمة الخيانة (عرب خيانت).

---

(١) ينظر منهم: فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، ص٣٦.

(٢) لمحات اجتماعية ٤/ ٢١٣.

(٣) الحقائق الناصعة: ص٤٠.

(٤) ن.م. ص٤٠.

كذلك لم يثن العراقيين عن الوقوف إلى جانب قوات الدولة العثمانية في معاركها ضد القوات البريطانية الغازية للعراق قيام السلطات العثمانية بسوق عدد كبير منهم، ـ كما أشرنا ـ، إلى مناطق في الجبهات الأوربية النائية عن بلادهم. ولم تثبط عزائمهم أيضاً دعوات بعض العراقيين الذين كانوا لا يؤمنون بقضية الجهاد أو الدفاع عن البلاد ضد الاحتلال البريطاني، وهم غالباً، فيما نقدر، من أبناء الحواضر الكبرى لاسيما تلك التي لا تميزها اعتبارات دينية كبغداد والبصرة. وكانت تلك الدعوات تحث على ترك القتال إلى جانب القوات العثمانية، وتعد الأتراك والبريطانيين بمنزلة واحدة من السوء على البلاد. وتدعو إلى قتل الضباط الأتراك، ومغادرة العراقيين ساحات القتال إلى حيث مدنهم وأريافهم وبيوتهم. ينقل بهذا الصدد والي بغداد جاويد باشا في كتابه (عراق سفري) أي حرب العراق ما نصه: «وفي البيانات التي عثر عليها في العراق: إن اتباعنا للترك والإنكليز واحد، كلها أسر، وإن الترك باعوا بلادنا، وأخذوا أولادنا إلى أرضروم، وكذا دوابنا، وأطعمتنا وبقيت نساؤنا أرامل، وساقوا أبناءنا إلى جهة مجهولة فأهلكوهم في الحروب، اقتلوا ضباط الأتراك وعودوا إلى أوطانكم»[1].

فتاوى الدفاع... تحركات ومشاركات:

ومن ثم نجد أن معظم العراقيين قد نبذوا خلافات الماضي مع حكامهم العثمانيين، ووقفوا بمختلف فئاتهم إلى جانب هؤلاء واشتركوا معهم في قتال البريطانيين. وكانت مساهمة علماء الدين ورؤساء العشائر وبعض وجوه المدن ذات أثر فاعل في المعارك.

التوجه للجهاد (خط الفرات):

توجه من النجف إلى ساحة الحرب عن طريق الفرات عدد من المجتهدين مع أتباعهم، وصاروا ينزلون في المدن والعشائر الواقعة في طريقهم بغية تحريضهم على الجهاد فكانت أول مجموعة من المجاهدين برئاسة السيد محمد سعيد الحبوبي، وكان أشد المجاهدين حماساً للجهاد، فقد خرج مع جماعة من أصحابه من النجف عصر يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤م/ ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ في موكب رهيب، وقد تقلد سيفه

---

(١) مطبعة مدافعه، استانبول ١٣٣٤ رومية، ص١٣. نقل النص عنه: العزاوي، في العراق بين احتلالين ٨/ ٢٦٥.

والطبول تقرع أمامه، وقد التحق به يوم ٢١ محرم ١٣٣٣هـ/ ٩ كانون الأول ١٩١٤م وهو في الطريق بمنطقة الأبيض، السيد هادي مكوطر الذي ذهب هو الآخر في دعوة العشائر للجهاد وعند وصوله إلى السماوة أقام فيه حتى يوم ٢٢ محرم داعياً ومحرضاً أهلها وعشائرها للمشاركة في حرب الجهاد، وقد طلبوا منه عدة مطاليب، فاتفقوا مرة واختلفوا أخرى، وكانت الخلاصة أن رافقه منهم خمسمائة مجاهد[١].

وفي يوم ٢٣ محرم غادر الحبوبي متوجهاً إلى الناصرية، وبعد نزوله في كثير من المدن والعشائر وصلها في منتصف كانون الثاني ١٩١٥، وفيها كانت عشائر المجرّة والغراف وعجمي باشا السعدون بانتظاره، وكان فيها أثناء مكوثه دائب الحركة، حيث يتجول بين العشائر المجاورة ويرسل أعوانه من شبان الطلبة كالشيخ باقر الشبيبي وعلي الشرقي إلى العشائر البعيدة لحثهم على الانضمام إلى حركة الجهاد. وقد وضعت الحكومة تحت تصرفه أموالاً طائلة لينفقها في تجهيز العشائر[٢]، فاجتمع إليه منهم

---

(١) مذكرات الشبيبي ص١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) يذكر د. الوردي في لمحاته، ٤/ ١٣٤ بأن المصادر الإنكليزية أشاعت بأن علماء الدين الذين رفعوا راية الجهاد في العراق ضد الاحتلال البريطاني، لم يقدموا على هذا الفعل إلا تحت تأثير المبالغ الضخمة التي أعطيت لهم من قبل الألمان والأتراك. وينقل موبرلي عن مذكرة للدكتور زغماير ـ وهو مبعوث ألماني أسره الإنكليز في إيران واستحوذوا على مذكراته ـ يذكر فيها أن مجتهداً كربلائياً قبض من الألمان مبلغ ألفي باون وسافر إلى كرمنشاه لغرض الدعوة إلى الجهاد هنالك Mpberly - The campaing in Mesopotamia- london 1927. vol. i.p 345.

ثم يوضح الوردي: نحن لا ننكر أن الحكومة العثمانية قد وضعت تحت تصرف علماء الدين مبالغ ضخمة أثناء حركة الجهاد، ولكننا مع ذلك يجب أن لا ننسى أنهم أنفقوا تلك المبالغ كلها على تجهيز المجاهدين بالأسلحة والأغذية، أو على تشجيعهم وترغيبهم، ولم يأخذوا لأنفسهم شيئاً، والمعروف عن كبار المجتهدين الذين قادوا حركة الجهاد كالسيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد مهدي الحيدري، والشيخ مهدي الخالصي، أنهما لم يكتفوا بإنفاق المبالغ التي وضعت تحت تصرفهم على حركة الجهاد، بل زادوا على ذلك فأنفقوا من أموالهم الخاصة أو من الحقوق الشرعية التي كانت تقدم لهم، وقيل عن الحبوبي بوجه خاص أنه كان غنياً، له أملاك خاصة فرهنها لكي ينفق منها على المجاهدين.

ويضيف الوردي قائلاً: ولكن هذا لا يمنع أن يكون في حاشية العلماء وصغار المعممين من أخذ المال لنفسه على صورة من الصور. وهذا أمر طبيعي لا بد من وقوعه في مثل تلك الظروف. حدثني رجل أثق به أنه كان أثناء حركة الجهاد وسيطاً بين القنصل الألماني ببغداد وأحد المعممين، حيث قبض المعمم من القنصل مبلغاً لا يستهان به من الليرات الذهبية، والمظنون أنه وزع جزءاً من المبلغ على المجاهدين ووضع الباقي في جيبه.

خلق كثير، فقد غادرت عشائر الغراف إلى الناصرية في ١١ صفر ١٣٣٣هـ، وفي ١٩ شباط ١٩١٥م/ ٤ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ، غادر الحبوبي سوق الشيوخ متوجهاً نحو الشعيبة، وتابعتهم العشائر تحملهم مئات السفن الشراعية وهي تمخر مياه بحيرة الحمار[١]، ويقدر عددهم بأكثر من ثلاثين ألف راجل وعشرة آلاف فارس، وقد التحق معهم حوالي خمسة عشرة ألف جندي، فتكوّن من الطرفين، الجناح الأيمن التركي في هذه الحرب[٢].

وفي يوم ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٢هـ، خرج من النجف ركب آخر من المجاهدين برئاسة السيد عبد الرزاق الحلو[٣] وتسعة من أتباعه، ولدى وصوله إلى السماوة في طريقه لساحة الحرب نصب خيامه على الشاطىء الشرقي من الفرات وبعد يومين من وصوله وردت برقية من الوالي جاويد باشا الذي كان في البصرة، يقول فيها ما نصه: «أتوسل إليك برسول الله وآل البيت وفاطمة الزهراء أن تسرعوا في المجيء إليّ حيث إن البصرة مهددة ونحن في ضيق شديد» فلما قرأ السيد الحلو البرقية هتف قائلاً: «الله أكبر! الله أكبر! سمعنا وأطعنا!» ونادى أصحابه فأمر بتقويض الخيام ووضعها في السفن حالاً، رغم نصيحة عبد العزيز القصاب قائمقام قضاء السماوة آنذاك له بالتريث في الرحيل لشدة الريح، غير أن السيد أصرّ على الرحيل، وقال: «يا ولدي لقد وجبت عليّ الحركة بناءً على الخطاب الوارد لي، وإن تأخرت يعدّ عصياناً» ثم توجه نحو أصحابه قائلاً: «أسرعوا يا أولادي»...

وبعد مغادرة السيد الحلو للسماوة أخذت تتوافد إلى السماوة قوافل المجاهدين من الشامية وأبي صخير والنجف[٤].

ففي ٦ صفر ١٣٣٣هـ تحرك إلى الجبهة السيد نور السيد عزيز الياسري وأتباعه، وأعقبه مبدر الفرعون، ومزهر الفرعون، وعبد الكاظم الفرعون، وجماعتهم من آل فتلة، والسيد علوان الياسري ومعه آل إبراهيم.

---

(١) مذكرات الشبيبي ص١٨٦.
(٢) ثورة النجف للأسدي، ص٩١.
(٣) ن. م. وص.
(٤) من ذكرياتي، ص١٠٨ ـ ١١٢.

وأعقبهم السيد محسن أبو طبيخ ومن معه من آل زياد، وكان معهم من العلماء النجفيين كل من: السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني، والشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي الشيخ راضي[1].

كما وصلت إليها قوافل من المجاهدين الأكراد برئاسة الشيخ محمود الحفيد ويقدّر عددهم بحوالي ستمائة فارس، بعد أن قاموا بزيارة الإمام علي عليه السلام، وغادروا النجف في ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ غب مكوثهم فيها ثلاثة أيام، سالكين طريق الشنافية ـ السماوة[2].

ثم وصل السيد هادي المكوطر ومعه عدد غير قليل من المجاهدين، وقد شكل أهل السماوة الغربيون سرية من المجاهدين برئاسة الشيخ بربوتي السلمان[3]، وبهذا قال مهوال أهل الشنافية، جرود الكريطي:

ثلثيـــن الجنـــــة الهـــــادينـــــه وثلـث الكـــاكـــا أحمـــد وأكـــراده[4]

فقال مهوال أهل النجف:

ثلـث الضـل لعطيـه انـريـده[5]

وقال مهوال أهل السماوة:

واشـويـه شـويـه البـربـوتـي

وقال مهوال أهل الرميثة:

مصطـــاح الجنـــة الـــوفينـــه

عند ذاك قال السيد فنر السيد كاطع المكوطر:

چـاويـن أ گعـد يـا رب هـادي[6]

---

(١) مذكرات الشبيبي ص١٨٤، ثورة النجف للأسدي ص٩١.

(٢) مذكرات الشبيبي ص١٨٦.

(٣) من ذكرياتي، ص١٩٠ ـ ١٩٢. أورد ذكر الشطرين الأولين والرابع.

(٤) كاكا أحمد: المقصود به الشيخ محمود الحفيد، وللاستقامة الشعرية ورد: أحمد.

(٥) عطيه أبوكلل.

(٦) أورد هذه الأهزوجة كاملة السيد ضاحي السيد موسى الحسيني في كتابه المخطوط (الشنافية في التاريخ)، ص٢٥، نسخة منه مصورة في المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف. يحتفظ الجبوري بنسخة منها.

صدى الجهاد في بغداد:

أما في بغداد فقد كان الشيخ مهدي الخالصي أشد حماساً للجهاد في الكاظمية، وقد كتب في ذلك رسالة بعنوان «الحسام البتار في جهاد الكفار» نشرتها جريدة «صدى الإسلام» بعدئذ على حلقات متتابعة. ولم يكتف الخالصي بهذا، بل أصدر حكماً أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، ومن امتنع عن بذل ماله وجب أخذه منه كرهاً[1].

دعا الخالصي علماء الكاظمية للاجتماع في غرفة الكليدار بالصحن الكاظمي للمداولة في أمر الجهاد وإصدار الحكم فيه، وقد اجتمع العلماء هناك واختلفوا، فمنهم من قال إن محاربة الإنكليز بمثابة إلقاء النفس في التهلكة وذلك لما عندهم من استعداد وأسلحة قوية ليس عند المسلمين ما يقابلها، وكان على رأس القائلين بهذا الرأي السيد حسن الصدر، والشيخ عبد الحسين الأسدي. والظاهر أن أكثر الحاضرين كانوا على رأي آخر حيث حكموا بوجوب الجهاد للدفاع عن البلاد الإسلامية، وكان على رأسهم السيد مهدي الحيدري الذي كان يعد في ذلك الحين كبير علماء الكاظمية، وقد أشاع الخصوم عنه قائلين: «إن السيد مهدي برّ تقي، لكن الخالصي أغواه، فهما يسعيان في إراقة دمائنا ونهب أموالنا»[2].

كما نصبت الخيام في ظاهر الكاظمية استعداداً للسفر، وأمست الساحة القريبة من

وقد ورد في كتاب (الشنافية) ص٢٤: أنه قد جرى بين العشائر تفاخر وهجاء في (الهوسات) لدى (المهاويل) على غرار ما جرى بين عشيرة آل فتلة عند مجيئهم إلى الناصرية وملاحظتهم أنهم ما يزالون في مخيمهم، فقال مهوال آل فتلة موجهاً الكلام إلى أهل الشنافية:

(يا الزاإرع تال اشها النومه)

فأجابه مهوال الشنافية جرود الكريطي:

(يدوب أنتم عطلوتنا)

وعند سفرهم من الشنافية في السفن الشراعية يوم ٥ محرم ١٣٣٣هـ إلى الشعبية كانت امرأة على ضفة النهر تبكي على ولدها وهو محمد بن رعد آل فليفل فخاطبها قائلاً:

إبنج موش ابنج عين أمج ربيتيه واخرمتي منه

(١) لمحات اجتماعية ٤/ ١٣٠، ويذكر فيها: أن خصوم الخالصي اتخذوا من هذا الحكم ذريعة للتهجم عليه حيث اعتبروا فتواه تأييداً لما كان الأتراك يفعلونه من مصادرة لأموال الناس باسم (التكاليف الحربية).

(٢) بطل الإسلام ـ مخطوط ـ نقل عنه الدكتور الوردي في لمحاته ٤/ ١٣١.

خان الكابولي زاخرة بالناس، وكان الفرسان يتطاردون فيها وقد شهروا السيوف بأيديهم على طريقة الحروب القديمة، وكان للشيخ تقي الخالصي - وهو ابن أخ الشيخ مهدي - دور مهم في ذلك حيث كان يمتطي فرسه في تلك الساحة وهو يصول ويجول رافعاً صوته بالحداء البدوي وبالدعوة إلى الجهاد.

وفي يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩١٤م/ ١ محرم ١٣٣٣هـ تجمع جمهور من شبان الكاظمية يقدر عددهم بنحو مائتين، فساروا إلى بغداد في مظاهرة مشياً على الأقدام تتقدمهم الطبول وهم يهوسون ويهزجون، وعند وصولهم إلى بغداد انضموا إلى الجماهير الغفيرة المحتشدة في باب القلعة بباب المعظم، وصعد بعض الخطباء يخطبون في الجماهير ويثيرون حماسهم للجهاد، كان منهم عبد الرحمن الگيلاني وجميل صدقي الزهاوي[١] ومعروف الرصافي ومحمد الخالصي ومحمد علي قسام النجفي، ثم أطلقت المدافع وارتفعت الهتافات بحياة السلطان رشاد وسقوط الإنكليز. كما أبرق السيد مهدي الحيدري إلى علماء النجف وكربلاء وسامراء يخبرهم بأنه عازم على محاربة العدو الكافر مهما كلف الأمر، ثم أوعز بعقد اجتماع عام في الصحن الكاظمي، ولما اجتمع الناس صعد السيد مهدي على منبر أُعد له وأخذ يخطب فيهم يحثهم على الخروج للجهاد، ويقال إنه ارتج عليه أثناء الخطابة لكبر سنه، فصعد الشيخ حميد الكليدار على المنبر إلى جانبه واعتذر عنه، ثم أخذ يخطب بالنيابة عنه باللغات الثلاث: العربية والتركية والفارسية[٢].

وذلك بعد أن أصدر فتواه في الجهاد والنفير، في وجُوب الدفاع عن بلاد الإسلام، والذب عن حياض المسلمين. ومحاربة الغزاة المعتدين[٣].

وفي خلال العشرة الأولى من المحرم عام ١٣٣٣هـ كانت معظم أهازيج المواكب والمآتم الحسينية تدعو للجهاد وتحفز لنصرة الدولة العثمانية المسلمة منها:

---

(١) استطاع جميل صدقي الزهاوي أن يكسب الحظوة لدى الأتراك، ووقف معهم جنباً إلى جنب في قضيتهم ضد الاحتلال البريطاني، إلا أنه فيما بعد أصبح الصديق المخلص للسير برسي كوكس وضباط الجيش المحتل، وله في الطرفين قصائد مدح وثناء.

(٢) لمحات اجتماعية ٤/ ١٣١ - ١٣٢.

(٣) الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، ص٣٠.

يا طارش الانكلترا وفرانسا ولروسها   إن ما تطيع الحكمنا بالسيف نگطع روسها

ولم تختلف بغداد عن الكاظمية تحمساً للجهاد فقد بذل الحاج داود أبو التمن أموالاً كثيرة في تصرف المجاهدين، إذ كان يجلس في مسجده بمحلة «صبابيغ الآل ويضع المجيديات على هيئة أكوام، وهو يوزّع على المتطوعين للجهاد ما يكفي لعوائلهم»[1].

وفد النجف (خط دجلة):

وفي يوم ٧ محرم ١٣٣٣هـ/ ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٤م توجّه الوفد النجفي من النجف إلى بغداد ومنها إلى جبهة الحرب عن طريق دجلة.

ويضم كل من: الشيخ فتح الله شيخ الشريعة، والسيد علي الداماد التبريزي، والسيد مصطفى الكاشاني، وموفدو السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي وهم ولده السيد محمد والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والسيد إسماعيل اليزدي وبعض طلبة العلوم الدينية. وقد وصل بغداد يوم ١٠ محرم ١٣٣٣هـ/ ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٤م[2].

وقد أغلق كثير من أهل بغداد دكاكينهم بغية استقبال الوفد والاحتفاء به، وعند وصول الوفد إلى جانب الكرخ كان النهر فائضاً إلى الحد الأقصى، والجسر غارقاً، والمطر ينهمر بشدة، فجيء بزورق بخاري لنقل الوفد إلى جانب الرصافة، وقد نزل الوفد في ضيافة الحاج داود أبو التمن[3].

وفي الكاظمية أمر السيد مهدي الحيدري باستقبالهم فاستقبلوا بغاية الحفاوة والتعظيم، وجرت بينهم وبينه مفاوضات كثيرة حول الخطط والتصاميم المقررة[4].

وخلال وجوده في بغداد بعث السيد محمد اليزدي برسالة إلى أحد رؤساء قبائل العمارة بيد معتمد له ومعها رسائل يبدو أنها مرسلة إلى أشخاص آخرين ووصايا شفوية، كانت تدور كلها - فيما يبدو - حول اتخاذ التدابير الكفيلة بمواجهة الإنكليز أو

(١) الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ص٥٠ - ٥١.
(٢) مذكرات الشبيبي ص١٧٩، ثورة النجف للأسدي ص٩١.
(٣) مذكرات الشبيبي، ن.م.
(٤) الإمام الثائر ص٣١.

التفاوض معهم لإنهاء احتلالهم للبلاد[1]، وهو اتجاه في العمل الوطني تعامل السيد اليزدي بموجبه مع قيادات عشائرية ووطنية متعددة أخرى.

كما بعث من بغداد إلى والده في النجف ببرقية يخبره فيها بعزمه على التوجه إلى جبهات القتال، ويطلب منه فيها تحريك الناس ودفعهم للالتحاق به، وتسلّم منه برقية جوابية تحثه على المضي قدماً فيما عزم عليه وترغبه فيه، إذ تضمنت قوله: «وأوصيك... بالجد والجهد في إرشاد الناس... واستنهاض القبائل... وإتمام الحجة على من في طريقك من الطوائف وسكان البلاد والقرى، بحيث لا تترك مكاناً إلا وقد أديت ما عليك من البلاغ... وأما ما طلبت منا من تحريك فنحن ومن الله التوفيق ساهرون له مجدون فيه بكل طريق...»[2]. على أن السيد محمد كاظم اليزدي كان قد وضع لولده السيد محمد منهجاً لخط سيره إلى الجبهة عين له بموجبه المناطق التي ينزل فيها للوعظ واستنهاض أهاليها من أبناء العشائر للالتحاق بجبهات القتال. وكان السيد محمد اليزدي قد أخذ على عاتقه حتى قبل أن يغادر النجف القيام بهذه المهمة، فبعث بعد احتلال الفاو بثلاثة أيام ببرقية إلى الشيخ خزعل يطلب منه أن يهيىء نفسه للتصدي للقوات البريطانية الغازية والدفاع عن مدينة البصرة. وقد استغرقت مهمة التعبئة هذه وقتاً طويلاً يبدو أن السيد محمد والوفد المرافق له قد مكث خلالها في بعض المدن كالعمارة مدة من الزمن كان يتبادل فيها الرسائل باستمرار مع والده الذي كان يحثه على لم شمل العشائر وتوحيد كلمتها وتهيئتها لقتال المحتل[3].

يبدو أن توجّه زعماء القبائل للقتال في جبهات المواجهة مع قوات الاحتلال البريطاني كان ضمن الاستجابة لفتاوى الدفاع التي أصدرها علماء الدين، ذلك أن الدور الذي أداه علماء الدين ومراجعة آنذاك وعلى رأسهم المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي في التصدي للاحتلال البريطاني كان من بين أهم الأسباب التي دفعت برؤساء العشائر وشيوخها وساداتها للتوجه نحو جبهات القتال. ففضلاً عن حثه على التحرك الميداني الدفاعي السريع متمثلاً في وفده إلى جبهات القتال وعلى رأسه ابنه

---

(١) ينظر: النجف الأشرف وحركة الجهاد عام ١٣٣٢ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، ص٨١.
(٢) ن.م. ص٩٩.
(٣) ينظر: ن.م، ص٤٣، ص٨٧ ـ ٨٨، ٩٣، ٩٧.

السيد محمد، فقد قام السيد محمد كاظم اليزدي بالتأكد على حرصه على مشاركة العراقيين جميعاً في الدفاع عن بلادهم ضد الغزاة البريطانيين من خلال عشرات الرسائل والبرقيات التي بعث بها إلى الشيوخ والتجار والوجهاء، وإلى وكلائه في المدن العراقية. ومن خلال المناشير التي خاطب بها أهالي المدن وأبناء العشائر[١]. وكذلك الفتوى التي أوجب فيها (الدفاع عن بيضة الإسلام)[٢]. ولم يمنعه كبر سنّه الذي تجاوز الثمانين عاماً آنذاك، من أن يرقى المنبر، حيث «خطب الناس، وألزمهم بالدفاع، وأوجب على الغني العاجز بدناً أن يجهز من ماله الفقير القوي، فكان لكلامه صدى رددته الأطراف»[٣]، «لما كان له في نفوس المسلمين من النفوذ والطاعة والإكبار والتقديس»[٤].

وفي ذلك كله كان السيد محمد كاظم اليزدي على اتصال بالإدارة العثمانية في بغداد يعلمها بتحركاته وينسق معها بشأن تفعيل التصدي للمحتل البريطاني. فقد بعث آنذاك بكتاب مطول إلى والي بغداد يخبره فيه بإصدار فتواه بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام، وإرسال ولده السيد محمد إلى ساحة الحرب[٥]. وطلب في كتاب آخر، من ولده السيد محمد، وهو في بغداد في ذلك الوقت لم يبارحها إلى الجبهات بعد، الاتصال بوالي بغداد للتخفيف عن العشائر بعد أن ضايقتها السلطات العثمانية وشددت عليها في تحصيل الرسوم والضرائب كي يكون هذا حافزاً لها على الالتحاق بجبهات القتال[٦].

مجاهدو الكاظمية:

وفي عصر اليوم التالي ـ الثلاثاء ١٢ محرم الحرام ١٣٣٣هـ/ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٤م خرج من الكاظمية السيد مهدي الحيدري يتقدم موكباً كبيراً ومعه الشيخ مهدي الخالصي وثلة من العلماء وعشرة من أسرته وهم أولاده: السيد أسد الله والسيد أحمد

---

(١) انظر: النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص٥٩ ـ ١٣٤.
(٢) نفسه، ص٦٠.
(٣) مذكرات الشبيبي، ص١٨٢.
(٤) ن.م.
(٥) النجف الأشرف، ص٩٩، ١٠١.
(٦) ن.م.

والسيد راضي، وأبناء أخيه: السيد عبد الكريم والسيد محسن والسيد صادق، وابني عمه: السيد عبد الحسين الذي استشهد في الحرب، والسيد جعفر، وابن ابن أخيه السيد عبد الأمير، والشيخ عبد الحميد الكليدار، وجموع غفيرة من أبناء بغداد والكاظمية. وقد شيّعته الكاظمية وضواحيها بأسرها، حتى كانت جماهير المودّعين تمتد على مد البصر[1].

وقد ارتفعت الأهازيج والهوسات إلى عنان السماء، فمرة تردد:

سيد مهدي ركن الدين	نمشي للجهاد اوياه
نمشي بقوتك يا دين	وندوس العده بحذاه

وأخرى تنشد:

حيدر يا عزنه وسور النه	بحلگ الفاو يحق طوب النه

وأخرى تهتف:

حجة الإسلام طالع للجهاد	محصّن بموسى بن جعفر والجواد[2]

وصادف أن كان جانب الرصافة يومذاك قد أصيب بالفيضان المدمّر ـ كما ذكرنا آنفاً ـ فسار موكب المجاهدين نحو الكرخ، وكان عددهم زهاء ثلاثمائة، وكانت تنتظرهم هناك باخرة اسمها «حميدية» فحملتهم كما حملت معهم مائتين من الفرسان العثمانيين، وكثيراً من الذخائر. وسارت الباخرة بهم باتجاه القرنة، وقد وصلت إلى مقربة منها بعد مسيرة استغرقت ستة أيام[3].

وكان الموكب كلما يصل إلى إحدى المدن والقبائل العربية النازلة على ضفاف النهر يأمر السيد الحيدري بالوقوف وينزل هو وأصحابه، ويجمع الناس، ويحثهم على الجهاد، ويأمرهم بالنفير العام، وكان خطيبهم في هذه المواقف ولده أحمد الحيدري[4].

وفي عصر يوم ٢١ محرم ١٣٣٣هـ/ ٩ كانون الأول ١٩١٤م كانت ضفاف دجلة

---

(١) الإمام الثائر ص٣٣، مقابر قريش أو الكاظمية، السيد كاطع العوادي ص٧٠ ـ ٧١.
(٢) الإمام الثائر ص٣٣، لمحات اجتماعية ٤، ١٣٣ ـ ١٣٤.
(٣) ن.م ص١٣٣.
(٤) ن.م ص٣٣ ـ ٣٤. لمحات اجتماعية ١٣٣/٤ ـ ١٣٤.

على الجانبين قد امتلأت بالجماهير، وكانت هناك باخرة اسمها «الموصل» راسية في جانب الرصافة، فركبها مجاهدو بغداد وعلى رأسهم الحاج داود أبو التمن والسيد صادق العطار الحسني البغدادي والسيد عبد الكريم الحيدري، وفي مقدمتهم العلماء الأعلام: السيد علي الداماد التبريزي، وشيخ الشريعة، والسيد مصطفى الكاشاني، والميرزا مهدي الخراساني، والميرزا محمد رضا الشيرازي، والشيخ حسن علي القطيفي، ثم سارت الباخرة نحو القرنة بين تكبير الجماهير وتهليلهم[1].

وفود أخرى:

وبعد ذلك تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف وكربلاء، وكانت البلدة تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب والتكريم، وتودّعه بمثل ذلك، ونذكر فيما يلي أسماء جماعة من هؤلاء الأعلام[2]:

الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ حسين الحلي، والشيخ حسين الواسطي، والشيخ منصور المحتصر، وكثير من رجال الدين وطلبة العلم وكانوا قد خرجوا من النجف يوم ٤ صفر ١٣٣٣هـ.

وفي يوم ١١ صفر وصلوا بغداد، ثم غادروها بعد ستة أيام في باخرة إلى العمارة ومنها إلى الأهواز، صحبهم توفيق بك مبعوث بغداد ـ الذي تقرر أن يكون قائداً للجناح الأيسر ـ ومعه مجموعة من الجنود والآليات.

ولما وصل موكب السيد الحيدري إلى العمارة أمر بعقد اجتماع عام في مسجدها الجامع الكبير، وألقيت الخطب الحماسية من قبل بعض المجاهدين، ثم قام السيد بنفسه ورقى المنبر وحث الناس على الجهاد، وحرّضهم على التضحية والثبات، وأمرهم برصّ الصفوف، وتوحيد الجهود أمام العدو المتربص، ورغبهم في الشهادة والسعادة، وحذرهم مغبة الفرقة والتخاذل، وشوّقهم إلى ثواب الله ورضاه، فضجّ الناس بالبكاء، واستجابوا للنداء، والتحق به خلق كثير.

ثم سار السيد مع جموع المجاهدين إلى منطقة «العزير» واجتمع هناك بالقائد

---

(١) لمحات اجتماعية ٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤، مذكرات الشبيبي ص١٨٢.
(٢) محمد حسن آل ياسين: مقابر قريش ص٦٩.

العسكري «جاويد باشا» وتفاوض معه حول بعض القضايا الهامة التي تتعلق بخطط الحرب وشؤون القتال.

وكانت الحروب في ذلك الوقت في «القرنة» وهي القلب، فقصد السيد بمن معه ساحة الحرب، وفي أثناء الطريق صادف اندحار الجيش العثماني وانسحابه من منطقة القتال، ورجوع بعض القبائل التي كانت تحارب معه، وسقوط القرنة بيد العدو، فأشار بعضهم على السيد بالرجوع إلى العمارة، فلما وصل إليها بلغه أن القائد العسكري يريد إخلاء العمارة والانسحاب منها أيضاً، فأبى السيد ذلك، وأصر على البقاء، وقال: «أما أنا فلا أتحرك من هذا المكان، وأحاربهم هنا حتى أُقتل أو أنتصر» فلما بلغت هذه الكلمة مسامع القائد بعثت فيه روح القوة والعزم، وألهبت فيه النخوة والحماس، وعدل عن رأيه في الانسحاب، وصمم على الثبات مهما كلف الأمر[1].

فمعركة القرنة من المعارك الأولى التي دارت بين قوات الاحتلال البريطاني وبين المتطوعين العراقيين والقوات العثمانية التي ركزت دفاعاتها الجديدة في هذه المدينة بعد انسحابها السريع من البصرة[2]. وقد حدثت في منطقة القرنة عدة معارك بين الطرفين خلال شهر محرم سنة ١٣٣٣/ تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٩١٤م، وكانت الحرب سجالاً بينهما، واتصفت بعض تلك المعارك بالعنف[3]، وشارك فيها أبناء العشائر العراقية لاسيما عشائر منطقة العمارة[4]. وقد انتصرت القوات البريطانية في معارك القرنة بعد استسلام القوات العثمانية لها في ٩ كانون الأول ١٩١٤[5]. ويبدو أن هزيمة العثمانيين في القرنة كانت قاسية عليهم إلى الحد الذي جعلهم يقلبون وقائع الحرب في جبهات القتال رأساً على عقب حينما يبلغون بغداد بها، إذ ينقل الشيخ محمد رضا الشبيبي في مذكراته، وهو يتحدث عن اليوم الذي استسلم فيه العثمانيون في القرنة، وهو يومذاك في بغداد، فيقول «وردت برقية بمظفرية العثمانيين»[6] في

---

(١) مذكرات الشبيبي ص١٨٣.
(٢) النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص٢٨.
(٣) مذكرات الشبيبي، ص١٨٢.
(٤) ن.م. ص٢٠٤.
(٥) ن.م. ص٢٥.
(٦) مذكرات الشبيبي، ص١٨٢.

القرنة.

ويمكن القول إن انتصار البريطانيين في معارك القرنة قد أكسب عملية احتلالهم للعراق قاعدة متقدمة أخرى ساعدتهم على مواصلة نجاحاتهم في هذه العملية، إذ أصبحوا يسيطرون على ملتقى نهري دجلة والفرات مما يمكنهم من ترسيخ سيطرتهم على البصرة من جهة، وتهيئة خط تمويني متقدم متصل مع قواعدهم البحرية في الخليج العربي من جهة أخرى. لذلك لم يغادر البريطانيون القرنة لمواصلة تقدمهم في الأراضي العراقية إلا بعد أن تركوا في القرنة حامية قوية تقديراً منهم للأهمية الاستراتيجية لها لمشروع احتلال العراق برمته[1].

وبالمقابل فإن الموقع الدفاعي العثماني قد تراجع بعد سقوط القرنة إلى مدينة العمارة التي أصبحت معسكراً عاماً للجند العثماني يفد عليه الجنود العثمانيون والمجاهدون العراقيون، ويساقون منه إلى الجبهات[2] الجنوبية الشرقية أو ما يسمى أحياناً بالجناح الأيسر للجبهة[3].

وبقي الحيدري في العمارة يكاتب القبائل، ويحرّض العشائر، ويجند الكتائب، ويبعث الرسل والدعاة إلى سائر الأطراف يأمرون الناس بالخروج ويحضونهم على النفير، فكان الناس يفدون على العمارة زرافات ووحداناً ملبين نداء الواجب، وعازمين على لقاء العدو، ثم يتوجهون إلى الميدان[4].

وبعد أن سقطت البصرة والقرنة بيد السلطات الإنكليزية وصلت الأوامر من اسطنبول بعزل جاويد باشا من منصبه، ويبدو أن القيادة التركية العليا اعتبرته المسؤول الأول عن الهزائم التي حلّت بالقوات التركية في منطقة البصرة، أو لعلها أرادت أن تجعل منه كبش الفداء إذ هي نسيت أخطاءها ووضعت اللوم كله على عاتق جاويد باشا. ومما يجدر ذكره أن جاويد باشا لم يشأ أن يسكت عن هذه الإهانة عن وصوله إلى اسطنبول، فقد أصدر في عام ١٩١٦ كتاباً عنوانه «حرب العراق» أظهر فيه الأخطاء

(١) التميمي ص٢١٢.
(٢) مذكرات الشبيبي، ص١٨٧.
(٣) السيد كاظم العوادي، ص٧٣.
(٤) الإمام الثائر ص٣٥.

الفظيعة التي اقترفتها القيادة التركية العليا في العراق، وأسهب في ذكر معايبها وطيش المسؤولين الكبار فيها[١].

كان جاويد باشا يجمع في يده زمام الأمور العسكرية والإدارية معاً ـ أي إنه كان والياً وقائداً للجيش في آن واحد ـ وقد ارتأت الحكومة بعد عزله أن تفصل بين الولاية والقيادة وتجعل لكل منهما رجلاً خاصاً بها على نحو ما كانت تفعل سابقاً، فعينت سليمان نظيف بك والياً، وسليمان عسكري بك قائداً، فوصل الأول منهما إلى بغداد في ٥ كانون الثاني ١٩١٥، وكان الثاني قد وصل قبل ذلك.

أما سليمان عسكري بك فقد كان عند إعلان الحرب في اسطنبول كانت القيادة العليا تستشيره في أمور العراق لأنه كان قد خدم ضابطاً في العراق قبل الحرب، وقد ظنت القيادة أنه سيستعيد للعراق ما فقده القائد السابق، وربما زاد عليه فتحاً جديداً، وقد وصفه الضابط الركن محمد أمين زكي بقوله: إن ذهنه كان مشبعاً بفكرة قذف الإنكليز في البحر وغزو الهند، فهو كان يفكر بالهجوم أكثر من تفكيره بالدفاع، وكانت القيادة العليا متأثرة بآرائه[٢].

ولدى وصول سليمان عسكري بك إلى بغداد خطب أمام جمع من الموظفين والأهالي قائلاً إنه سوف يدحر الجيش الإنكليزي ويرميه في البحر خلال مدة وجيزة، وأنه سيسترجع القرنة والبصرة ويحتل سواحل الخليج[٣].

وكان أول عمل قام به في بغداد أنه أوعز بقتل القاضي الذي كان وكيلاً لوالي البصرة قبل سقوطها إذ اتهمه بأنه سبب تسليمها للإنكليز. وفي صباح أحد الأيام وجد القاضي مقتولاً في فندق عبد الأحد ببغداد، وكانت إلى جانب جثته ورقة مكتوب عليها: «هذا جزاء من يسلم البلاد إلى العدو»[٤].

أما المجاهدون بعد أن تكاملت جموعهم في العمارة، وعبئت القبائل تعبئة كاملة، تحرك السيد مهدي الحيدري ـ مرة ثانية ـ إلى ساحة الحرب ـ وكانت قريبة من القرنة ـ

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، ٨/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.
(٢) لمحات اجتماعية، ٤/ ١٣٦ عن: Moberly (o.p. Cit) vol1, p345.
(٣) مقدرات العراق السياسية ١/ ١٠٢.
(٤) لمحات اجتماعية ٤/ ١٢٥ ـ ١٣٦.

قبل بقية العلماء، ونزل في مقر القيادة العسكرية. وبعد نزول السيد جاء القائد نفسه لزيارته والسلام عليه، ثم عرض عليه أنه يريد أن يقدم للمجاهدين ما يحتاجون إليه من المؤن والأموال، فرفض السيد ذلك رفضاً باتاً، وقال: «إننا مستغنون عن مساعدتكم، ولو تمكنا نحن على مدّكم بالمال والطعام لفعلنا». فشكر القائد له هذا الشمم العربي والإباء الكريم، ثم استأذنه، وقبّل يديه، وخرج. ولما استقر به المقام ومهّد المكان، وهيّأ الأمور، وعبّأ الصفوف، أبرق إلى العلماء العظام الذي تركهم في العمارة، وطلب منهم اللحوق به في المقر الذي هو فيه، وبيّن لهم أن الجو ملائم، والمكان أمين، فلما بلغهم ذلك عزموا على الرحيل وكتبوا إلى السيد بعزمهم هذا، فطلب من القائد أن يهيىء لهم باخرة تقلّهم، فهيأ لهم ذلك، وركبوا فيها حتى نزلوا بالقرب من مقر السيد.

ولم تزل جموع المجاهدين، وكتائب القبائل تتوارد وتتوافد على ذلك المكان، وتنزل على حافتي النهر، حتى ملأوا الأرض ما يقارب الفرسخ والنصف لكثرتهم[1].

جبهة القرنة:

وزع سليمان عسكري بك قواته النظامية وقوات المجاهدين معها إلى ثلاث جبهات هي: الشعيبة والقرنة والحويزة (عربستان) فهو كان يخطط أن يوجه الهجوم على الإنكليز من هذه الجبهات الثلاث في وقت واحد لتلتقي في المحمرة بعد الانتصار عليهم، ولكن أمله هذا كان أقرب إلى الخيال.

فالقوة الرئيسية وهي (القلب) كانت قد تحشدت في الجبهة الوسطى تجاه القرنة، وقد اتخذت مواقعها حول «الروطة» وهي قناة تقع في الجانب الشرقي من دجلة على بعد خمسة عشر كيلومتراً من شمال القرنة، وكان يقودها عسكرياً سليمان عسكري بك بنفسه، ومن المجاهدين السيد مهدي الحيدري وأولاده السيد عبد الحسين، وحجج الإسلام الشيخ فتح الله شيخ الشريعة والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد ويقابلهم من الجهة الثانية من النهر بنفس المنطقة السيد عبد الرزاق الحلو[2].

وفي ١٨ كانون الثاني ١٩١٥ قدم القائد الإنكليزي (باريت) من مقر قيادته في

---

(١) الإمام الثائر ص٣٦.

(٢) لمحات اجتماعية ٤/١٣٦ ـ الإمام الثائر ص٣٧. عن معارف الرجال، وأعيان الشيعة، وديوان أبي المحاسن لليعقوبي.

البصرة إلى القرنة لدراسة الموقف، وقد شعر أن الوضع لا يدعو إلى طمأنينة، وأن الأتراك عازمون على أمر ما، فأوعز بإعداد قوة لمهاجمة موقع الروطة بغية تلقين الأتراك درساً، وفي فجر اليوم العشرين من الشهر نفسه تحركت القوة الإنكليزية من المزيرعة متوجهة نحو الروطة، وكانت المراكب الحربية تساندها من النهر، وعند شروق الشمس بدأ قصف المدافع ينهال على القوات العثمانية من النهر والبر معاً، وقد أبدى الجنود الأتراك والمجاهدون صموداً في مواجهة القصف الإنكليزي الرهيب، وكان سليمان عسكري بك قد حضر المعركة بنفسه وأدارها بحماسته المعهودة ـ كما ذكرنا ـ ولم يكترث للخطر المحيط به، فأُصيب بشظية قنبلة في ساقه، نقل على إثرها إلى بغداد للمعالجة.

وقد استمرت المعركة أربعة ساعات، أدرك فيها القائد الإنكليزي أن ليس هناك أي أمل في احتلال (الروطة) بالقوة التي كانت معه، فأصدر أمره بالانسحاب تحت حماية المدافع من المراكب النهرية[1]. وفي الساعة الثانية بعد الظهر كانت القوة الإنكليزية قد عادت إلى قواعدها في المزيرعة. ورغم قصر هذه المعركة إلا أنها كانت ذات أهمية تاريخية كبيرة، لكونها أصبحت موضع خلاف في التقييم بين الإنكليز والأتراك ـ كما ذكر ذلك د. الوردي ـ فقد أشارت المصادر الإنكليزية إلى القصد من إرسال القوة إلى الروطة بأنها لم يكن من أجل احتلالها، وأن الانسحاب منها كان مقرراً منذ البداية، وأن القوة نجحت في مقصدها حيث كانت خسائر الأتراك أضعاف خسائر الإنكليز[2]. أما الأتراك فقد اعتبروا المعركة انتصاراً عظيماً لهم وهزيمة للإنكليز، وشاع بينهم أن الجنرال باريت قد عزل من منصبه من جراء فشله في تلك المعركة[3].

أما وجهة نظر المجاهدين تجاه هذه المعركة فقد وصفها مفصلاً السيد احمد الحسيني قائلاً: إن المجاهدين عندما سمعوا دوي المدافع وأزيز الرصاص سارعوا إلى نجدة الجيش وإسناده، وربما وصلوا بعد فوات الأوان، فرأى السيد مهدي الحيدري أن بقاء المجاهدين في هذا المكان مخالف للمصلحة، ولم يكن له من النفع والجدوى كما

---

(١) لمحات اجتماعية ٤/ ١٣٧ عن Barker (The Neglected War). london, 1967, p65.

(٢) Moberty (op. cit). vol1. p162.

(٣) الثورة العربية الكبرى للعسكري ١/ ٥٩.

لو تقدموا إلى الميدان، فعزم السيد أن يتقدم بنفسه وأصحابه إلى ساحة الحرب، ليكونوا أبلغ في نصرة الجيش الإسلامي، وتعزيز مركزه، وتدعيم قواه، فحضر عنده تلك الليلة وجوه العلماء، وأقطاب المجاهدين، وزعماء القبائل، وألحوا عليه بالعدول عن رأيه، ورجحوا له البقاء في محله، باعتباره قائداً روحياً يجب أن يبتعد عن ميدان الحرب ليشرف على التعبئة والتهيئة والتنظيم، ولكنه أجابهم بإصرار قائلاً: «إن هذه الجموع الغفيرة إنما جاءت للحرب والدفاع، ولا تتقدم بنفسها إلى القتال ما لم نتقدم بأنفسنا أمامهم، ونكون معهم في السراء والضراء» ثم حسم الأمر باستخارة الله كانت نتيجتها ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغني عن العالمين﴾[1] فكبّر الناس فرحاً، عندئذ سلم الجميع لرأيه، وقرروا الزحف معه إلى الميدان.

وفي الصباح ركب السيد وأصحابه في السفينة الكبيرة المعدّة لهم، وسارت معه بعض القبائل العربية كربيعة وبني لام بسفنهم، وتخلفت عنه بعض القبائل الأخرى ريثما تتهيأ للسفر، وتتعبأ للحرب، ثم تلتحق به في اليوم الآخر.

ولما أدرك المجاهدين الليل، أمر السيد ربان السفينة بأن يرسو على الساحل وأمر أصحابه بالنزول، وكانت تلك الأرض تسمى «حريبة» وهي من الأراضي الوعرة، فنزلوا فيها، وضربوا خيامهم على حافة النهر من جانب القرنة، وباتوا تلك الليلة وهم لا يعلمون موقعهم من الجيش العثماني، هل إنهم متأخرون عنه أم متقدمون عليه، وأما قبيلتا «ربيعة وبني لام» فإنهم قد حطّوا رحالهم قبل أرض «حريبة» ثم أدركهم الليل هناك.

ولما أسفر الصبح صلى السيد بأصحابه صلاة الفجر، ثم خرج ولداه السيد أسد الله والسيد أحمد ليستكشفا حقيقة المكان، فبينما هما كذلك إذ لاحت لهما طلائع العدو، وظهرت لهما بواخره النهرية ومدافعه ومعداته الحربية، وقد بدأ ـ بقوة هائلة ـ بهجوم عنيف مفاجىء على المعسكر الإسلامي في ذلك الصباح الباكر، بشكل رهيب لم يستطع الجيش العثماني لصدّه أو ردّه، لأنهم أقل عدة من العدو، فلم يكن عندهم من المدافع سوى ثمانية، اثنان منهما ضخمان كانا في الجانب الذي حط فيه السيد

---

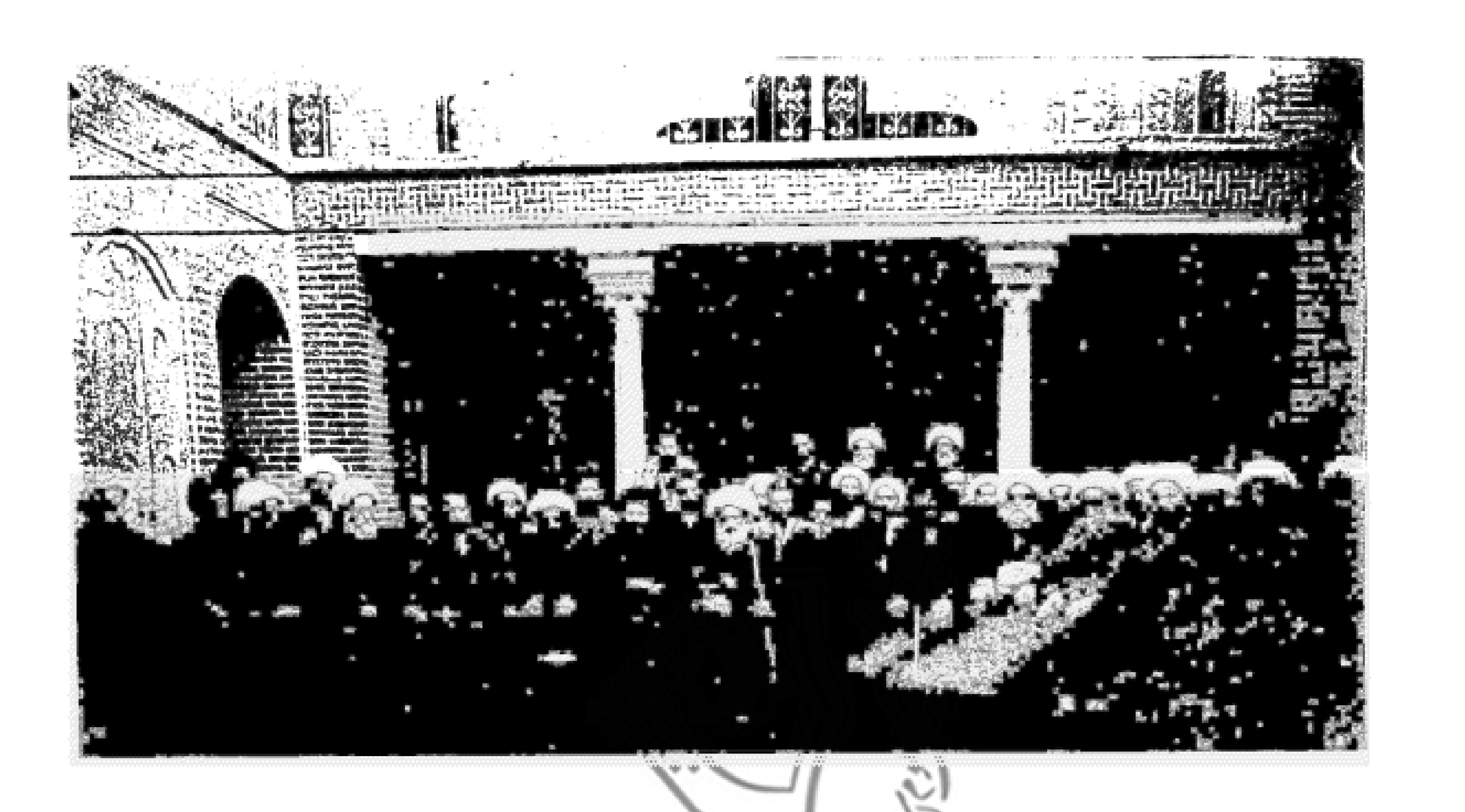
(1) سورة العنكبوت: الآية ٦.

وجماعته، وستة في الجانب الآخر من النهر الذي يرابط فيه الجيش.

وأما بقية القبائل والمجاهدين الذين قد تأخروا عن اللحوق بالسيد وأصحابه فإنهم لما علموا بهجوم العدو نشروا أعلامهم وانتشروا في البيداء وتأهبوا للّحوق بالركب المتقدم، فحالت قذائف العدو بينهم وبين الوصول إلى إخوانهم المتقدمين، واشتبك الجيشان، وتلاقى الجمعان، واحتدم القتال في ذلك اليوم من قبل طلوع الشمس إلى ما بعد زوالها. وقد رست بواخر العدو بإزاء سدّ كان قد صنعه القائد السابق «جاويد باشا» وقطع به نهر دجلة.

وكانت خيام السيد الحيدري وأصحابه متقدمة على الجيش التركي بنصف فرسخ بحيث كانت قريبة من العدو، وبمرأى منه ومشهد، فوجه إليه مدافعه، وجعلها هدفاً لقنابله وقذائفه، فعرض بعض أصحابه عليه أن يأذن بتقويض الخيام لأنها صارت غرضاً للرمي، فلم يأذن لهم بذلك وقال: «إن معنويات الجيش كله ستنكسر إذا قوّضتم خيامنا وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم، وتنهار قوتهم، بل يجب أن تبقى هذه الخيام قوة للجيش، وراية للإسلام، وهيبة للمسلمين، ورهبة للكافرين».

ثم قام الحيدري وكان شيخاً كبيراً قد تجاوز عمره الثمانين عاماً، وحرّضهم على القتال، وأمرهم بالصمود، ودعا لهم بالنصر على الأعداء وقال لهم: «لا تخافوا ولا تحزنوا فالله معكم، وهو ينصركم على القوم الكافرين، فذودوا عن حرمات الدين، وذبوا عن مقدسات الإسلام فإني أرجو أن تكون هذه القذائف والنيران التي يوجهها العدو إليكم برداً وسلاماً عليكم إن شاء الله». وصمد كالطود الأشم، وصار يشجع الرجال، ويثبت الأقدام من جهة، ويصلي لله، ويتضرع إليه، ويطلب منه العون والنصر، ونهض أولاده الثلاثة ومعهم الشيخ عبد الحميد الكليدار فندبوا المجاهدين للقتال، وحرّضوهم على النزال، وتقدموا بهم إلى نهر كان يشبه الأخاديد العسكرية، ليكون لهم جنّة عن قذائف العدو، ولم تمض على القتال إلا ساعات حتى اندحر الغزاة اندحاراً فظيعاً بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة في الأرواح والسلاح والمعدات، وتحطمت لهم باخرة حربية، وقيل غرق لهم مركب آخر، وقتل من جنودهم ما يناهز الألف أو الألفين على اختلاف الروايات، وجرح منهم أكثر من ذلك، وأما قتلى الجيش الإسلامي فلم يتجاوز عددهم الأربعة عشر، وأما الجرحى فما زادوا على الخمسين!!



علماء النجف الذين حضروا إلى الكاظمية للتوجه الى ساحة الجهاد بجبهة كوت العمارة و هم من اليسار الى اليمين :

الشيخ عبد الرسول الناصري و قيل الشيخ اسحاق الكيلاني الرشتي ، السيد هبة الدين الشهرستاني ، و خلفه السيد ؟ الشيخ جواد الشبيبي ، الشيخ محمد جواد صاحب الجواهر ، و خلفه الشيخ محمد جواد الجزائري ، السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي و خلفه السيد جعفر بحر العلوم ، الشيخ ؟ و خلفه الشيخ ؟ السيد مصطفى الكاشاني ، و خلفه ولده السيد ابو القاسم الكاشاني ، السيد محمد علي بحر العلوم ، و خلفه السيد ؟ ، شيخ الشريعة الأصفهاني ، و خلفه السيد ؟ السيد علي الداماد ، الشيخ ..؟ الشيخ ..؟ السيد عبد الرزاق الحلو ، و قيل السيد محمد سعيد الحبوبي ، وقيل السيد محمد شبر والد السيد علي شبر ، الشيخ عبد الكريم الجزائري . الشيخ عبد اللطيف الجزائري .

(التقطت هذه الصورة في دار السيد جعفر عطيفة فيما بعد في شهر محرم ١٣٣٣ هـ / تشرين الثاني ١٩١٤ م)

أما السيد وأصحابه فلم يصب أحد منهم بضرر رغم أنهم كانوا في قلب المعركة، غير أن سفينتهم التي كانت تحمل أمتعتهم وأسلحتهم ثقبت بإحدى قذائف العدو، وأطفأ الماء النار التي شبت فيها من جراء تلك القذيفة.

وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة يوم الأربعاء، لأنها صادفت يوم الأربعاء ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ، وعرفت أيضاً بمعركة الروطة نسبة إلى نهر الروطة[1].

وقد أصيب في هذه الواقعة قائد الجيش العثماني «سليمان عسكري بك»[2]، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً.

وقد شاع نبأ هذه الواقعة الكبرى بين صفوف المجاهدين في المناطق المتأخرة عن منطقة القتال، فعمّهم الخوف والقلق على السيد الحيدري، وكان ظنهم بأن السيد قد استشهد في المعركة، وبلغ هذا النبأ إيران والعراق، فضجّ الناس حزناً على الإمام الأكبر والبطل الثائر، حتى إن بعض المدن أقامت له مجالس الفاتحة، ومحافل التأبين، ثم تبيّن لهم سلامته فانقلبت مجالس الحزن إلى نوادي فرح وسرور.

أما العلماء الذين رابطوا في المقر الأول ولم يتقدموا مع السيد إلى الميدان بسبب اشتداد المعركة، فقد كتبوا إليه بعد انتهاء الواقعة وفرار العدو: «إننا لم نزل في قلق وتشويش عليكم، فلم يهدأ لنا بال، ولم يقر لنا قرار، وإننا منذ أن شبّت نار الحرب بينكم وبين عدوكم مشغولون بالدعاء والبكاء والتضرع إلى الله تعالىٰ أن يكتب لكم النصر والسلامة، والآن نرجو ونأمل من سماحتكم الرجوع إلينا لكي تطمئن نفوسنا بلقياكم، وتقر عيوننا برؤياكم» فأجابهم السيد بكتاب بعث به إليهم: «إنا تقدمنا إلى هذه الأرض وقت لم تكن آمنة ولا مطمئنة، والآن قد اندحر العدو وتقهقر، فنرجو منكم الالتحاق بنا، ونضرع إلى الله تعالىٰ أن يكتب لنا النصر للتقدم إلى أمام».

أما سليمان عسكري بك فإنه على إثر إصابته ـ كما ذكرنا ـ نقل إلى بغداد للمعالجة، وبينما هو راقد في المستشفى إذ دخل عليه أحد العلماء ـ من موظفي الدولة ـ عائداً له، فلما وقع نظر القائد عليه قال له وهو يهز يديه مستنكراً من قعوده عن الجهاد: «أنت ها

---

(١) الحرب العراقية لطونزند، ص٢٤٨ ـ ترجمة عبد المسيح وزير. الإمام الثائر ص٣٩ ـ ٤٢ ـ لمحات اجتماعية ١٣٩.

(٢) الإمام الثائر ص٤٣ ـ ٤٤.

هنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم مع أنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدولة طيلة عمرك، وإن الإمام السيد مهدي السيد حيدر يحارب بنفسه الإنكليز ـ على شيخوخته وعظمته ـ وهو الآن في الصفوف الأولى إنه لم يقبل من أموال الدولة قليلاً ولا كثيراً طيلة عمره»[1].

جبهة الشعيبة:

والجبهة الأخرى هي الشعيبة وتدعى بالجناح الأيمن، وتقع الشعيبة على بعد تسعة أميال من الجنوب الشرقي للبصرة وكانت في ذلك الحين تحتوي على قلعة قديمة وبضع دور واسعة ابتناها بعض أغنياء البصرة لتكون مصائف لهم، وقد أدرك الجنرال باريت أهمية هذا الموقع لحماية البصرة فاهتم بتحصينه بالخنادق والأسلاك الشائكة وأكياس الرمل.

وكان الأتراك من جانبهم قد عزموا على مهاجمة البصرة في هذه الجهة، فحشدوا في أدغال البرجسية الواقعة على بعد ستة أميال من الجنوب الشرقي للشعيبة جيشاً كبيراً مؤلفاً من قوات نظامية يبلغ عددها زهاء ستة آلاف جندي. أما المجاهدين ومعظمهم من العشائر فقد قدر عددهم حسب المصادر التركية بعشرين ألفاً، وقدره آخرون بخمسين ألفاً[2] تحت قيادة السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر والسيد محسن الحكيم[3].

وصلهم القائد التركي سليمان عسكري بك إلى الموقع في ٩ آذار ١٩١٥ وكان محمولاً على نقال صحية لكونه ما زال يشكو من ساقه وفتش قواته، ووضع خطة أوجب فيها على القوات النظامية الهجوم من القلب ـ ويتولى المجاهدون الهجوم من الجناحين الأيسر والأيمن. وكان رأي بعض قادة المجاهدين في الحروب كعجمي السعدون وغيره، أن الهجوم المباشر على موقع الشعيبة المحصن غير مجد، بل يجب الاكتفاء بمحاصرته وشن الغارات عليه وقطع خطوط مواصلاته[4]. ويقال إن الضباط الألمان

---

(١) الإمام الثائر ص٤٣ ـ ٤٤.

(٢) حرب العراق لنديم، ص٣٠.

(٣) فصول من تاريخ النجف لعبد الرحيم محمد علي ـ مخطوط.

(٤) حرب العراق، لنديم ص٣٠.

أشاروا على سليمان بمثل هذا الرأي أيضاً إلى أن عناده وغروره منعاه من الاستماع إلى نصائحهم[١].

وفي ربيع تلك السنة كان الفيضان شديداً، وقد حدث انكسار في بعض السدود فغمرت المياه الأرض الواقعة بين البصرة والشعيبة مما اضطر القيادة الإنكليزية إلى استخدام الزوارق المحلية في التنقل، وقد اتضح للإنكليز أخيراً أن أصحاب الزوارق لا يعتمد عليهم عند اشتداد المعارك إذ هم يطلقون سيقانهم للريح حالما ينطلق هدير المدافع، وقد اضطر الإنكليز إلى استخدام جنودهم لتجديف الزوارق بدلاً منهم[٢].

وفي الصباح الباكر من يوم ١٢ نيسان ١٩١٥ بدأ الهجوم التركي على الموقع الإنكليزي، وقد أبدى الجنود الأتراك في القتال بسالة نادرة، وكذلك أبدى بعض المجاهدين، فهلك من الفئتين عدد كبير، غير أنهم لم يستطيعوا زحزحة العدو من خنادقه.

وكان الشيخ عجمي السعدون من أعظم المقاتلين أثراً في تلك المعركة. فكان من أبرز قادتهم، وغدا اسمه مضرب الأمثال في الشجاعة والشهامة وحيكت حول أعماله أساطير كثيرة لا تزال تتناقل جيلاً بعد جيل، فقد كان يهاجم المفارز البريطانية ولاسيما الخيالة منها، فينقض عليها على رأس فرسانه المتفكيين المنتشرين بمسافات متباعدة لتجنب تأثير نار المدافع البريطانية، وكان هؤلاء الفرسان يجتمعون في لحظة الهجوم بإشارة من عجمي، فيهجمون بسرعة البرق الخاطف فيوقعون بالبريطانيين خسائر فادحة ثم يقودهم عجمي بسرعة مذهلة إلى حيث تبتلعهم الصحراء[٣].

واستمرت المعركة يومين دون أن تبدو أية بادرة للغلبة من أحد الفريقين على الآخر. وفي اليوم الثالث وصل إلى الشعيبة الجنرال (مليس)، وكان قد قدم تواً من مصر، فتولى قيادة القوات الإنكليزية، والمعروف عن هذا القائد أنه شجاع إلى حد الطيش، فأصدر أوامره إلى الجنود بالخروج من الخنادق والشروع بالهجوم على

---

(١) مقدرات العراق السياسية ١/١٠٦. لمحات اجتماعية ٤/٤٦ عن: Russell Bardon: The sicg-. london 1969. p25

(٢) لمحات اجتماعية ٤/١٤٦ عن: Moberly (op.cit) vol.1.p205

(٣) حرب العراق، لنديم ص٣١.

القوات التركية ونشب عند ذلك قتال ضار بالسلاح الأبيض كانت فيه الحراب تلمع وهي ملطخة بالدماء من خلال غبار كثيف خانق[١].

ويروي برادون Braddon أن الهنود المسلمين الذين كانوا يقاتلون في صفوف القوات الإنكليزية لم يطيعوا أوامر قائدهم بالهجوم، ذلك لأن دعوة الجهاد كانت قد أثرت فيهم بحيث جعلتهم يعتقدون أن أرض العراق مقدسة لا يجوز تدنيسها بالهجوم، واضطر الضباط الإنكليز أن ينخروا أولئك الجنود بسيوفهم ليدفعوهم نحو الخروج من الخنادق والمشاركة في القتال مع الآخرين[٢].

بقي القتال مستمراً طوال ذاك اليوم، وكان النصر فيه معلقاً على شعرة ليناله من يبدي قدراً أكبر من الصمود، وكاد الجنرال مليس يصدر أمره إلى جنوده بالانسحاب، غير أنه أجّل ذلك ريثما يتم نقل جرحاه إلى المؤخرة، وهنا تدخل القدر حيث أدى انسحاب الأتراك من المعركة بدلاً من الإنكليز. إذ إن الجنرال مليس أمر أن تكون عملية نقل الجرحى في غاية السرعة، فجاءت سرية النقل بكل ما لديها من عجلات وبغال وقد أثارت غباراً كثيفاً، فظن الأتراك أن هذا الغبار، تكوّن من جراء قدوم نجدة كبيرة وصلت الإنكليز من البصرة، فكان ذلك بالنسبة للأتراك بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فانهارت عزيمتهم وخارت قواهم، وحلّت بهم الهزيمة[٣]. وكانت أولى بوادرها ظهرت في صفوف العشائر، ثم تلاها الجنود النظاميون إذ أخذوا ينسحبون بلا نظام نحو أدغال البرجسية، ولم يصمد في ساحة القتال سوى ثلة من الفدائيين الأتراك، وكان عددهم سبعة وأربعين رجلاً، فقد ربطوا ركبهم بالحبال، وقرروا أما النصر أو الموت على أرض المعركة، وقد قتلوا جميعاً فلم ينج منهم أحد[٤].

وقد وصف السيد محسن الحكيم الهزيمة التي حلّت بالمجاهدين في الشعيبة، وكان يومئذ أميناً للسر لدى السيد محمد سعيد الحبوبي وكلاهما قد حضرا معركة الشعيبة، فقال: إنه لم يعرف الخوف في حياته إلاّ مرة واحدة، هي في ذلك اليوم حين

---

(١) لمحات اجتماعية ٤/١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) Russell Barddon: The sieg- london 1969, p25.

(٣) Ibid, p25-26.

(٤) ذكرياتي. ن. م ص١١٨.

كانت القنابل تنفجر بين الخيام، وهرب المجاهدون إذ أُشيع بينهم أن القائد سليمان العسكري قتل هو وضباطه جميعاً، فانتشرت الفوضى بين العشائر واختل النظام، وقد ثبت السيد الحبوبي مع ثلة من صحبه فلم يهربوا مع الهاربين، ثم استقر رأيهم أخيراً أن يرسلوا السيد محسن الحكيم إلى خيمة القائد ليستوضح حقيقة الخبر، وحاول السيد محسن الحصول على فرس ليمتطيها فلم يتمكن من ذلك، لأن كل واحد من المجاهدين كان محتاجاً إلى فرسه للنجاة بنفسه من هول المعركة، واستطاع أخيراً أن يحصل على فرس، وحين ذهب إلى خيمة القائد وجده منكباً على أوراقه، واتضح أن الإشاعة كانت غلطة أو خديعة أدّت إلى الهزيمة[1].

ثم إن سليمان عسكري بك شعر بالعار الذي لحق به، فلم يتحمله، إذ قام بجمع الضباط حوله وهو لا يزال في نقالته وأعلن لهم: إن الهزيمة كلها كانت من جراء خيانة العشائر، وأنه لن يستطيع أن يحارب مرة أخرى، ثم أطلق نار مسدسه على نفسه، وبذلك كانت نهاية مفجعة لرجل شجاع[2]. ولدى وصول طلائع الإنكليز إلى خيمة القائد المنتحر عقب انتحاره مباشرة، أدى الجنود الإنكليز لجثمانه التحية العسكرية، وأبلغوا قائدهم بذلك، فجاء القائد وحيّاه ثم أمر بدفنه في احتفال عسكري مهيب[3].

جبهة الحويزة:

أما الجبهة الثالثة هي الحويزة (عربستان) والتي أطلق الإيرانيون عليها أخيراً اسم (خوزستان) ولهذه المنطقة أهمية كبيرة لدى الإنكليز إذ كانت المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط من حيث احتوائها على آبار ومصافي النفط، وهذا هو الذي دفع الإنكليز في إرسال حملتهم العسكرية الأولى نحو شط العرب بقيادة الجنرال ديلامين، فلقد كان الغرض الأصلي من إرسال تلك الحملة هو لحماية مرافق النفط في عربستان وليس لاحتلال البصرة[4].

وقد دعيت هذه الجبهة بـ(الجناح الأيسر) وقد رابط فيها الشيخ مهدي الخالصي،

---

(١) الإمام الحكيم السيد محسن الطباطبائي للحسيني، ص٧٦ ـ ٧٧.
(٢) Barker (Op.Cit) p. 75.
(٣) لمحات اجتماعية ٤/١٤٨، عن مجلة الأسرار البيروتية، عدد ٣ أيار ١٩٣٨.
(٤) لمحات اجتماعية ٤/١٤٠.

ووالده محمد، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد محمد الطباطبائي اليزدي، والسيد عيسى كمال الدين كبير علماء الحويزة ومعهم عدد غفير من المجاهدين والعشائر الثائرة[1].

وقد اشترك المجاهدون العراقيون إلى جانب القوات العسكرية النظامية في جبهات القتال لهذه المحاور بأجمعها، حيث اتفق رؤساء العشائر وشيوخها ووجهاء المدن مع المرجعيات الدينية والقيادات العسكرية العثمانية على أن يقسم المقاتلون العراقيون من أبناء العشائر وأهالي المدن إلى ثلاثة أقسام تتوزع على جبهات القتال في محاور المواجهة الثلاثة، وهي:

القسم الأول: يتجه نحو المحور الأيمن من الجبهة أو الجناح الأيمن منها في الشعيبة، ويسير إليها عن طريق السماوة والناصرية. وأهم العشائر التي سارت نحو هذا المحور آل فتلة (أهل المشخاب) وآل إبراهيم وآل شبل والخزاعل، وعشائر السماوة والناصرية، وأهالي كربلاء والنجف.

القسم الثاني: يتجه نحو المحور المركزي من الجبهة عن طريق دجلة، ويضم عشائر قبيلة زبيد، وهي: الجحيش والبوسلطان والسعيد، فضلاً عن عشائر آل مسعود وآل فتلة (أهل الهندية) وبني حسن والجبور وعشائر بغداد والدليم وديالى وبعض عشائر المنطقة الشمالية. وأهالي مدينتي بغداد والحلة.

القسم الثالث: يتجه نجو المحور الأيسر من الجبهة أو الجناح الأيسر منها عن طريق دجلة باتجاه العمارة ثم الأراضي الإيرانية، فنهر كارون في الأحواز. ويتألف من آل فتلة (الشامية) المعروفين بالبوهدلة والبدير وجليحة والبراجع[2].

وكانت مشاركة المجاهدين العراقيين في جبهات القتال في الأشهر الأولى من الاحتلال البريطاني مشاركة فعّالة اعتمد عليها القائد العام للقوات العسكرية العثمانية في العراق سليمان عسكري اعتماداً كبيراً إلى الحد الذي عدّ هذا الأمر من أخطائه[3].

---

(١) كتاب «شيخ الشريعة» ص٤٦.

(٢) مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، ص٥٢.

(٣) ينظر: حرب العراق، لندبم ص٢٦. وجدير بالذكر أن هذا الاعتماد على المجاهدين العراقيين، وغالبيتهم العظمى من أبناء العشائر العراقية، لم تكن له قاعدة من العلاقات بين الطرفين يمكن الاستناد=

وتمثلت تلك المشاركة المؤثرة في الأعداد الكبيرة التي اشتركت منهم في القتال، فيقدر، على سبيل المثال، عدد المقاتلين العراقيين الذين رافقوا السيد محمد سعيد الحبوبي في مسيره نحو الجناح الأيمن من الجبهة في الشعيبة بأكثر من ثلاثين ألف راجل وعشرة آلاف فارس، في حين لم يزد عدد الجنود العثمانيين النظاميين المشاركين في القتال في هذه الجبهة عن خمسة عشر ألف جندي[1]. وجدير بالذكر أن علماء الدين كانوا يرأسون جموع المجاهدين في جبهات القتال، فكان على رأس المجاهدين في جبهة الجناح الأيمن في الشعيبة السيد محمد سعيد الحبوبي وجماعته، وفي الجبهة المركزية شيخ الشريعة والسيد أبو القاسم الكاشاني والسيد مهدي السيد حيدر. أما في جبهة الجناح الأيسر في الأحواز فكان يترأس المجاهدين السيد محمد اليزدي والشيخ جعفر الشيخ راضي[2].

وهي إحدى جبهات الحرب الرئيسة كما ذكرنا. وكان انخرط للدفاع عن البلاد في هذه الجبهة كثير من رؤساء العشائر وشيوخها، وعدد من علماء الدين كان على رأسهم السيد محمد اليزدي موفداً من قبل أبيه المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي، فضلاً عن أبناء العشائر التي مرّ ذكرها، والعشائر التي التحقت بها من منطقة عربستان وأهمها عشيرة بني طرف وعشيرة بني لام بقيادة الشيخ غضبان البنية، وبعض العشائر التي تمردت على موقف الشيخ خزعل وتأثرت بدعوات الجهاد كعشيرتي الباوية وكعب[3].

ويبدو أن المجاهدين الذاهبين إلى جبهة الأحواز قد اتخذوا من مدينة العمارة قاعدة لانطلاقهم إلى هذه الجبهة، فقد تبادل السيد محمد اليزدي من العمارة البرقيات والرسائل مع أخيه السيد محمود في النجف، حيث أخبره السيد محمود في رسالة له

إليها. ذلك أن العثمانيين كانوا يعدون العراق، بولاياته الثلاث، من أصعب ولايات الدولة على الحكم بسبب مشاكلهم وصداماتهم العسكرية المستمرة مع عشائره. ينظر: Davison, Roderic H, Reform in the Ottoman Empire 1856-1876, princeton University press, New Jersey 1963, p.160.

(١) ثورة النجف للأسدي، ص٩١.

(٢) نفسه، ص٩١ ـ ٩٢.

(٣) نفسه، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

بعثها جواباً على برقيتين مرسلتين من العمارة من أخيه في ٢٠ و٢٣ كانون الثاني ١٩١٥ بتأكيد والده السيد محمد كاظم اليزدي على أن يقوم السيد محمد ببذل أقصى جهوده في توحيد كلمة العشائر والدفاع عن المسلمين وبلاد الإسلام، والوقوف يداً واحدة بوجه «الكافرين»[١].

أما رئاسة جموع المجاهدين في جبهة الأحواز فكانت، كما ذكرنا، للسيد محمد اليزدي لمقدرته وكفاءته في أداء هذه المهمة من جهة، ولكونه ممثل المرجع الأعلى والده السيد محمد كاظم اليزدي ورئيس وفده إلى جبهات القتال من جهة أخرى، مما ترتب عليه أن تكون له كلمة مسموعة لدى القادة العسكريين العثمانيين[٢].

وقبل اندلاع معركة الأحواز واستسلام العثمانيين فيها في ١٢ آذار ١٩١٥، بمدة من الزمن رابط السيد محمد اليزدي ومعه عدد من العلماء وطلبة العلوم الدينية وزعماء العشائر في جبهة الأحواز. وأخذ المجاهدون، لاسيما من كان منهم من عشائر عربستان، يتوافدون على هذه الجبهة خلال شهري كانون الثاني وشباط سنة ١٩١٥[٣]. ولعل وجود السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي معاً في هذه الجبهة لمدة طويلة أتاح للسيد كاطع فرصة التعرف على السيد اليزدي، ومن ثم الاتفاق معه، فيما بعد، على العمل سوية من أجل التخلص عن طريق التفاوض من البريطانيين والعثمانيين معاً. وقد افترقا عن بعضهما لبعض الوقت، السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي، عقب خسارة القوات العثمانية والمجاهدين العراقيين في جبهة الأحواز، وانسحاب هؤلاء إلى العمارة. وبعد مضي شهر تقريباً على هذه الخسارة مني العثمانيون والمجاهدون بخسارة كبيرة أخرى في الشعيبة في ١٥ نيسان ١٩١٥، وبدأت القوات البريطانية في الصعود في الأراضي العراقية على محورين محاذيين لنهري دجلة

---

(١) ينظر، نص الرسالة في النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص١٠٦، انظر أيضاً: الفصل الخامس الخاص بالوثائق السياسية في هذا الكتاب.

(٢) تنظر رسالة الشيخ أحمد كاشف الغطاء إلى السيد محمد اليزدي في: النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص١٠٥. وقد طلب منه كاشف الغطاء في هذه الرسالة التوسط لدى القومندان العثماني المسؤول عن (طابور الحدود) بشأن نقل أحد الجنود العراقيين من البلوك السادس في الطابور (التنجي بلوك) المتجه من العمارة إلى جهة الأحواز ليكون بمعية السيد اليزدي. انظر أيضاً: الفصل الخامس في هذا الكتاب.

(٣) النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص٤٢، ٤٤.

والفرات. فانفض بعد تلكما الخسارتين الكبيرتين كثير من العراقيين الذين كانوا يقاتلون إلى جانب القوات العثمانية من سوح المعارك قافلين إلى مواطنهم مما بلور، فيما يبدو، فكرة التفاوض السلمي مع البريطانيين لدى كل من السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي لإنهاء الوجودين البريطاني والعثماني في العراق وتأسيس حكم وطني في هذه البلاد، بعد أن أدركا عدم إمكان التوصل إلى هذه الغاية عن طريق القتال[1].

وكان يومذاك الشيخ خزعل هو الحاكم المطلق لتلك المنطقة وإن كان من الناحية الشكلية تابعاً للدولة الإيرانية، وفي ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ حيث كانت البصرة مهددة بالغزو الإنكليزي أرسل بعض علماء النجف إلى الشيخ خزعل برقية نصّها:

«باسم الشريعة المحمدية، يجب عليك النهوض والقيام واتفاقكم مع المسلمين في مدافعة الكفار عن ثغر البصرة بالمال والنفس وبكل ما تقدرون عليه. وهذا حكم ديني لا يفرق بين الإيراني والعثماني. جاهدوا بأموالكم وأنفسكم ينصركم الله بحوله وقوته. بلّغ هذا الحكم لجميع العشائر، عرفونا سريعاً إقداماتكم».

وقد وقّع هذه البرقية الشيخ فتح الله الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والميرزا مهدي الخراساني، والسيد علي التبريزي، والشيخ محمد حسين المهدي. وفي اليوم نفسه، أرسل السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي برقية مماثلة إلى الشيخ خزعل[2] فلم يهتم الشيخ خزعل بهاتين البرقيتين، وكان رأيه أن المجتهدين الذين أرسلوهما إنما فعلوا ذلك تحت ضغط من الحكومة التركية، وإنه بصفته من رعايا الدولة الإيرانية يجب أن يقف على الحياد[3].

وكان للشيخ خزعل علاقة وثيقة جداً بالشيخ عبد الكريم الجزائري أحد علماء النجف، وكان يعدّ من مقلّديه ومن أشد الناس إخلاصاً له وطاعة لأمره، ولهذا كتب الجزائري إليه يأمره بالاشتراك في الحرب إلى جانب الدولة العثمانية وبتجهيز حملة من العشائر لمساعدتها، فأجابه الشيخ خزعل يعتذر عن القيام بذلك ويشرح له موقفه من

---

(١) السيد كاطع العوادي ص٧٣ ـ ٧٦.
(٢) التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٣) فصول من تاريخ العراق القريب ص٧.

الإنكليز حيث يستحيل عليه القيام في وجههم[1]، وقد تألم الجزائري من هذا الجواب وسخط على الشيخ خزعل وقطع علاقته معه، ويقال إن الشيخ خزعل حاول بعد الحرب إعادة علاقته القديمة مع الجزائري ولكن الجزائري ردّ عليه قائلاً: «فرّق بيني وبينك الإسلام!».

ولكن العشائر العربية تحسست تحسساً قوياً بحركة الجهاد في العراق، ويعلل الدكتور علي الوردي ذلك في لمحاته[2] ويرجعه لسببين:

١ ـ إن العشائر العربية كانت تبغض الشيخ خزعل لشدته في جباية الضرائب، ولهذا فهي انتهزت فرصة الجهاد للانتقام منه، فقد كانت حركة الجهاد في نظر تلك العشائر كأنها ثورة عليه.

٢ ـ كان السيد عيسى كمال الدين كبير علماء عربستان في ذلك الحين، وهو نجفي من أسرة آل كمال الدين المعروفة، وقد استجاب لدعوة الجهاد بحماس على منوال ما استجاب له زملاؤه علماء النجف، وصار يتجوّل من مدن عربستان وبين عشائرها يحضهم على الانضمام إلى الدعوة، فأحدث فيهم تأثيراً غير قليل[3].

وفي أواخر كانون الثاني ١٩١٥ وصلت من العمارة قوة تركية بقيادة توفيق بك الخالدي، فعسكرت على ضفاف نهر الكرخة على بعد عشرين ميلاً من بلد الأحواز غرباً، ثم جاء على أثرها مجاهدون كثيرون من العشائر العراقية كبني لام برئاسة غضبان البنية، وبني طرف برئاسة عوفي بن مهاوي وعاصي بن شرهان، وربيعة برئاسة عناية بن ماجد، والزرقان برئاسة قاسم بن علي وجمع كبير من عشائر أخرى، وقد تزعم هذه العشائر العلماء الأعلام المذكورين سابقاً ومعهم الشيخ عبد الكريم الجزائري.

وكان لمجيء هؤلاء المجاهدين أثره في عشائر عربستان، ففي ٥ شباط أعلنت عشيرة الباوية التي تسكن إلى الشرق من الأحواز انضمامها إلى حركة الجهاد، وقطعت أنابيب النفط وأشعلت النار فيها كما نهبت مخازن الشركة، وفي ٢٥ شباط ثارت عشيرة

---

(١) هكذا عرفتهم. ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٢) لمحات اجتماعية ٤/ ١٤١.

(٣) تاريخ الكويت السياسي، ٤/ ٣٢.

بني كعب على الشيخ خزعل واتهمته بأنه حليف لبريطانيا ضد الدولة العثمانية المسلمة، وقد سيطرت هذه العشيرة على بلدة الفلاحية، ونصبت عليها حاكماً من العلويين اسمه جابر السيد مشعل[١].

تحرّج الوضع في المنطقة بالنسبة للإنكليز، واعترف الشيخ خزعل أنه فقد سيطرته على العشائر[٢]، وقد استطاع الشيخ خزعل أخيراً من جمع قواته، فأرسل قسماً منها بقيادة حنظل ابن أخيه نحو عشيرة الباوية فدحرها، كما أرسل القسم الآخر بقيادة ابنه الأكبر چاسب نحو عشيرة بني كعب فأنزل بها هزيمة منكرة[٣].

وكان الجنرال باريت قد أرسل إلى بلدة الأهواز قوة بقيادة الجنرال روبنصون، وقد وصلت هذه القوة إليها في ١٥ شباط. وفي ظهر ١٢ آذار تحرك روبنصون على رأس جنوده قاصداً ضرب القوة التركية التي كانت معسكرة في موضع يقال له (الغدير) تحت قيادة توفيق بك الخالدي. وقبل أن تشرق الشمس في اليوم التالي كان روبنصون قد وصل على بعد أربعة أميال من معسكر الأتراك، وأمر بإطلاق مدافعه عليهم، ولكنه فوجىء بجموع من العشائر تنهال عليه من الجانبين. إنه كان ينوي مباغتة القوة التركية، ولكن العشائر هي التي باغتته. ونشب من جراء ذلك قتال عنيف تكبد فيه الفريقان خسائر فادحة، وشاع الارتباك في القوة الإنكليزية، ولم تتمكن من الانسحاب إلا بصعوبة. وقد غنمت العشائر منها غنائم كثيرة كان من جملتها مدفعان أحدهما صحراوي والآخر جبلي[٤]، وقد اقترف الأتراك أثناء المعركة غلطة ساعدت القوة الإنكليزية على النجاة، فقد أخذ الأتراك لشدّ حماسهم يقذفون قنابلهم على العشائر التي كانت تقاتل معهم[٥]. ومهما يكن الحال فإن أفراد العشائر أبدوا في تلك المعركة شجاعة أذهلت الإنكليز. يقول موبرلي في وصفهم: إن لهم مقدرة فائقة على السرعة في التنقل والحركة، ففرسانهم يسبقون فرساننا دائماً، أما المشاة فإن رشاقة أقدامهم

---

(١) ن. م ص٢٥٨.

(٢) Moberly (Op. Cit) Vol. 1. p167.

(٣) لمحات اجتماعية ٤/١٤٢.

(٤) حرب العراق للهاشمي ١/١١٨ ـ ١١٩.

(٥) لمحات اجتماعية ٤/١٤٣ عن: Moberly (Op. Cit) vol. 1.. p185.

تمكنهم من مصاولة أفراسنا، وقد شهد ذلك ضابط هندي كان يمتطي مهراً من أمهار البولو، إذ وجد أن أفراد العشائر في جريهم على أقدامهم كانوا أسرع منه، ولولا تدخل مدفعيتنا لما استطاع الهرب منهم[١].

وعلى أثر انتهاء المعركة أعلن غضبان البنية رئيس بني لام جائزة بمبلغ من الليرات الذهب يدفعها لكل من يأتي له برأس رجل بريطاني أو هندي. وقد أدّى هذا الإعلان بأفراد العشائر إلى حزّ رأس كل جريح يقع في أيديهم طمعاً بالجائزة[٢].

ويروي ويلسن حادثة طريفة نقلها الدكتور الوردي في لمحاته ملخصها: أن جريحاً بريطانياً أحاط به بعض أفراد العشائر وأفهموه عن طريقة الإشارة أنه يجب أن يستعد لقطع رقبته، فطلب منهم مهلة ليخلع حذاءه، وظنوا أنه يريد أن يصلي، ولكنه غافلهم وقذف حذاءه في وجوههم، فأطبقوا عليه وقتلوه[٣].

وقبيل عودة المجاهدين إلى مناطقهم التقى السيدكاطع العوادي وهو من زعماء القبائل المرموقين بالسيد محمد اليزدي وتفاهم معه على العمل والسعي من أجل تكوين حكومة عراقية وذلك عن طريق مراجعة الإنكليز والتفاهم معهم على عقد هدنة يتركوا هم والعثمانيون بعدها العراق ويسلموه إلى أهله. وقد وافقه السيد محمد اليزدي على هذا المشروع. يذكر السيدكاطع العوادي أنه قد شرّع بالعمل في هذا الاتجاه بيد أنه قد توقف عن الإفصاح به ـ كاملاً فيما يبدو ـ لزعماء العشائر، ولكنه حقق بعض النجاح المتوخى للمشروع متمثلاً في نجاحه في جعل هؤلاء الزعماء يتذمرون من الحرب والنتائج السيئة التي ستترتب عليها[٤] ـ مع استمرار الهزائم العثمانية ـ كمرحلة أولى للاستمرار فيه.

ويبدو أن السيدكاطع العوادي كان يعوّل على اتصالاته مع السيد محمد اليزدي لإيجاد مخرج للأزمة الخانقة التي حلت بالعراق بدخول قوات الاحتلال البريطاني،

---

(١) لمحات اجتماعية ٤/ ١٤٣ عن: Moberly (Op. Cit) vol. 1.. p185.

(٢) ن. م. وص.

(٣) ن. م وص عن: Arnold Wilson (layaties- Mesapotamia)- london, 1936, vol1. p29.

(٤) تنظر: مذكرات السيد كاطع العوادي، ص١١.

ففاقمت الخطب وأضافت إلى مشاكل الحكم العثماني للعراق مشكلة الاحتلال البريطاني له. وقد أشرنا إلى اتصالاته مع السيد اليزدي كانت تدور حول التفاوض مع البريطانيين لتحقيق استقلال العراق بعد إخراج القوات العثمانية وانسحاب القوات البريطانية. بيد أن هذا الأمر لم يكن ممكناً في خضم الأحداث السياسية والحربية التي كانت تتطور آنذاك بشكل سريع لاسيما وأن الجيش البريطاني كان يحقق انتصارات متواصلة على العثمانيين ومن معهم من المجاهدين العراقيين مقابل تراجع مستمر تقريباً من الجانب العثماني. ولما لم تثمر تلك المساعي الهادفة إلى إيجاد حل لإنهاء الوجود العثماني والبريطاني معاً في العراق بطرق سلمية، ولم تتوج، من جانب آخر، العمليات الجهادية التي اشترك فيها بانتصار يدفع الغائلة الكبرى المتمثلة بالاحتلال البريطاني، بل أصبح الاحتلال هذا أمراً واقعاً شمل العراق بأسره في نهاية عام ١٩١٨.

ولكن فكرة التفاوض مع الإنكليز لتأسيس دولة مستقلة خارج تلك الأوساط كانت تراود أذهان بعض الضباط العراقيين الذين كانوا يخدمون في صفوف الجيش العثماني في العراق، إذ قرر مجموعة من هؤلاء في اجتماع سري لهم في الناصرية في ١٤ تموز ١٩١٥، «أن الوقت حان لإعلان الثورة العراقية والدخول في مفاوضات سرية مع الإنكليز للحصول على مساعدتهم في نيل استقلال العراق»[١]، ذلك أن الدولة العثمانية كانت تعاني آنذاك، كما يرون، «سكرات الموت بعد الهزائم المنكرة التي حلّت بها، ويجب على العرب أن يغتنموا هذه الفرصة للاتصال بالإنكليز والتعاون معهم في سبيل تأسيس دولة عربية مستقلة»[٢].

عودة المجاهدين:

بعد أن فرغت قوات الاحتلال البريطاني من محاربة الجناحين جمعت جيوشها ورصت صفوفها وأخذت تتقدم نحو بغداد، والجيوش التركية النظامية والمجاهدون تنسحب أمامها رغم المقاومات والمناوشات المتبادلة، أما المجاهدون والعشائر التي بصحبتهم فقد عادوا إلى مناطقهم على طريقين، قسم على دجلة، وآخر على

---

(١) لمحات اجتماعية ٤/٢٠٦. وقد أورد الوردي أسماء هؤلاء الضباط.
(٢) نفسه، ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

الفرات . . .

وبذلك تغيّرت نتائج المعركة تماماً، فبدلاً أن تلحق الهزيمة بالإنكليز، فإنهم تحوّلوا إلى منتصرين لسوء تقدير قيادة الجيش العثماني.

ورغم إخلاص المجاهدين ومواقفهم البطولية، فإن القادة الأتراك لم يحسنوا التعامل معهم في معظم الحالات. فمثلاً قال أحمد بك أوراق أحد قادة الأتراك أمام المجاهدين: «إننا لو فتحنا الشعيبة والبصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولاً وعشائر شط دجلة ثانياً لأنهم خونة» فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك: «أنتم الخونة للإسلام وتحزبكم ضد العرب كاف لمصادق قولي، وأنتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب، ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها»[1].

لقد كان لنتائج معركة الشعيبة أثرها العميق في نفوس المجاهدين. وقد تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي كمداً لما شاهده من هزيمة في الوقت الذي كان فيه بالإمكان تحقيق النصر على الإنكليز لولا سوء تقدير وإدارة القيادة العثمانية للعمليات الحربية.

لم تكن معاملة الأتراك لقوات المجاهدين ولجهود علماء الدين الشيعة تتمتع باللياقة المطلوبة في ظروف صعبة مثل ظروف الحرب. ورغم ذلك فقد كان اندفاع العلماء قوياً لمواجهة الاستعمار البريطاني باعتباره تحدياً عسكرياً يستهدف بلاد المسلمين.

ليس هنا شك في تفاعل العشائر العراقية وبقية أبناء الشيعة مع علماء الدين في حركة الجهاد والتصدي للغزو البريطاني بدافع إسلامي واعٍ، غير أنّ القيادة العثمانيبة لم تستطع أن توظف الإمكانات الجماهيرية والإخلاص الشيعي في المعركة بالشكل المطلوب، فكانت سوء إدارتها عاملاً كبيراً في تغيّر موازين الحرب.

فمثلاً بعد معركة الشعيبة التي قدّم فيها العلماء والمجاهدون أقصى جهودهم، تعرّضت المدن الشيعية لإجراءات تعسّفية من قبل الحكومة العثمانية خلال بحثها عن

---

(١) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠، ١/ ٤٠.

الفارين من الخدمة العسكرية، وكان الجنود الأتراك يلجأون إلى ممارسات استفزازية أثارت الأهالي عليهم، مما تسبب في اندلاع عدة ثورات محلية في المدن الشيعية. وقد لجأ الأتراك إلى العنف واستخدام القوة العسكرية[1].

وبعد عودة السيد اليزدي إلى النجف في وقت متزامن، بعد احتلال العمارة في ٣ حزيران ١٩١٥، تابع السيد محمد اليزدي فيما يبدو مشروع العمل السلمي السياسي الذي كان قد فاتحه به السيدكاطع العوادي من قبل لتحقيق استقلال العراق، وتأسيس حكومة وطنية فيه، فدعا السيد محمد اليزدي، كما يذكر السيد كاطع العوادي في مذكراته، «زعماء الشامية والمشخاب إلى النجف واجتمعوا لدى محسن شلاش وبحثوا في المسألة، ولكنها اتصلت بالأتراك فأسرعوا وطلبوا السيد محمد السيد كاظم إلى الجهاد فذهب إلى الكاظمية. وقد شاع هذا الأمر في النجف شياعاً [كذا] تاماً»[2]. ومن الواضح أن توتر العلاقة بين السلطة العثمانية والسيد محمد اليزدي بسبب هذا الأمر حدث قبيل تحرك السيد محمد اليزدي من النجف في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٥ للمشاركة فيما عرف بـ(حركة الجهاد الثانية).

وخلال تلك المدة التي سبقت حركة الجهاد الثانية وشهدت تحركات العمل السياسي السلمي للسيد محمد اليزدي، كان القتال بين القوات العثمانية والقوات البريطانية مستمراً. وقد تمكنت هذه الأخيرة من احتلال الكوت في ٢٨ أيلول ١٩١٥، وتقدمت نحو بغداد حيث اصطدمت في معركة (سلمان بك) مع القوات العثمانية التي أجبرتها هذه المرة على التقهقر والانسحاب من ساحة المعركة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٥ نحو الكوت والتحصن بها. وواصلت القوات العثمانية ملاحقتها للقوات البريطانية التي التجأت إلى الكوت وفرضت عليها حصاراً بدأ في ٧ كانون الأول ١٩١٥ واستمر إلى استسلام هذه القوات للجيش العثماني في ٢٩ نيسان ١٩١٦[3].

وقد اشترك إلى جانب القوات العثمانية في المعارك التي أعقبت بداية الحصار بين

---

(١) النجف الأشرف وحركة الجهاد ص٤٨.
(٢) ن. م ص١٢.
(٣) اعتمدنا في تحديد تواريخ الأحداث الواردة في هذه الفقرة على: حرب العراق لنديم، ص٥٤، ٦٩، ٧٥.

العثمانيين والجيش البريطاني الذي حاول فك الحصار عن وحداته المحاصرة في الكوت متطوعون من أبناء العشائر ورؤسائهم الذين استمر معظمهم في مناصرته للعثمانيين والاشتراك في المعارك التي يخوضونها حتى استسلام الجيش البريطاني المحاصر في الكوت[١]. بيد أن عشائر أخرى قد «رجعت إلى أهلها ومواطنها بسبب طول مدة الجهاد»[٢]. وكانت مساهمة العشائر تلك على شكل مجاميع يقود كل مجموعة منها رئيس من رؤساء العشائر وشيوخها وسادتها[٣]. أما القيادة العامة للمجاهدين في جبهة الكوت، فكان يضطلع بمهامها أحياناً محمد فاضل باشا الداغستاني[٤]. ويبدو أن مشاركة العشائر العراقية في هذه الجبهة وقتالها إلى جانب القوات العثمانية كان له أثر مساعد واضح في استسلام الجيش البريطاني المحاصر في الكوت بقيادة الجنرال تشارلز طاونزند[٥].

حركة الجهاد الثانية:

لكن موقف علماء النجف لم يتغير، فقد واصلوا نهجهم في الدفاع عن بلاد المسلمين ضد الغزو الاستعماري البريطاني، وكرروا دعوتهم للجهاد ثانية في تشرين الثاني ١٩١٥م، محرم ١٣٣٤هـ، وذلك استجابة لطلب الدولة العثمانية، وقد جعلت الحكومة العثمانية هذه الدعوة ذات طابع شيعي بعد ما اكتشفت قوة التفاعل الشيعي في النشاط الجهادي المسلح ضد الغزو البريطاني، فجعلت شعارها (العلم الحيدري الشريف) وأخذت تبث أخبارها في المدن الشيعية[٦].

وقد كان الاندفاع الشيعي هذه المرة قوياً أيضاً، حيث خرج العلماء من مناطقهم على رأس المجاهدين نحو مواقع القتال.

ففي يوم الجمعة ١١ محرم ١٣٣٤هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٥م، أذيع في النجف

---

(١) تنظر، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، ص٦٢.
(٢) نفسه، ص٦١.
(٣) للتفاصيل عن أولئك المشاركين يراجع: نفسه، ص٥٨ - ٦٢.
(٤) تنظر، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، ص٦١ - ٦٢.
(٥) تنظر، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، ص٦١ - ٦٢، السيد كاظم العرادي ص٧٩ - ٨٠.
(٦) لمحات اجتماعية ٤/ ٢٣٣.

عزم العلماء وطلبة العلوم الدينية على التوجّه إلى الجهاد مرة أخرى. وما إن شاع هذا النبأ حتى بدأ الناس يتحشدون في الصحن العلوي منذ الصباح الباكر، وقد جلس باستقبالهم متصرف كربلاء محمد حمزة بك وتوارد العلماء والأعيان وأبنائهم والطلاب وسائر الناس مدججين بالسلاح وهم ينشدون ويهزجون.

ثم تقدم العلماء والطلاب بسكينة ووقار إلى داخل المشهد حيث الضريح المقدّس ومعهم المستخدمون، فكان اللواء العلوي الخاص منشوراً على الضريح، وقد تناوله خازن المشهد (السيد محمّد حسن الرفيعي الكليدار) وحفّ به العلماء وأبناء المجتهدين في شكل دائرة قريبة مما يلي الرأس، وفي جانبي اللواء قام السيد عباس نجل خازن المشهد، والسيد داود نائب الخازن يحملان مصحفين غشيا بالقصب.

ثم ألقى مفتي النجف دعاء مفصلاً أمّن عليه الحاضرون، ثم فعل مثل ذلك السيد أحمد ولد الخازن، ثم أخرجوا اللواء حافين به، مهللين مكبرين، وتأخروا في حرم المشهد ريثما أخذت صورة ذلك المشهد، وقد احتشد هناك خلق كثيف. ثم مرّوا بالعلم، يحمله الخازن حافة به السدنة، من سوق الكبير إلى الخارج بين تهليل المهللين وناشيد النجفيين، ودوي للرصاص وصفيره في الفضاء، وقد أعدت شركة الخط الحديدي للقوم عدة مركبات فركبوا إلى الكوفة، وهم من العلماء:

السيد علي التبريزي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مصطفى القاشاني، الشيخ الباقر القمي، الشيخ محمد حسين القمشي، السيد عبد الرزاق الحلو، ومن الإعلام وأولاد المجتهدين: الشيخ جواد آل صاحب الجواهر، السيد محمد علي الطباطبائي، الميرزا مهدي نجل الآخوند الخراساني، الشيخ إسحاق نجل الميرزا حبيب الله الجيلاني، الشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر، الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي، السيد محمد علي الشهرستاني، الشيخ عبد الكريم الجزائري، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، السيد عليّ نجل السيد محمد سعيد حبوبي وغير هؤلاء من المعدودين في أفاضل الطلاب الفرس والعرب.. قُدِّر عدد الجميع بمائة وخمسون.

ولما صارت المركبات قرب مسجد الكوفة استقبلهم محمد فاضل باشا مع طائفة من الفرسان، ثم استقبلهم جمع من أبناء الكوفة ومرّوا بالعلم إلى مشهد (النبي يونس) على الفرات في بلدة الكوفة، فخطب الجمع (نعمان الأعظمي) ثم تكلم خازن المشهد



علماء النجف عند خروجهم إلى جبهة العمارة لمدافعة الاحتلال البريطاني عن ثغور الإسلام في الحرب العامة عام ١٣٣٤هـ.
الجالسون من اليمين إلى اليسار: الشيخ مهدي بن الملا كاظم الآخوند الخراساني، الشيخ محمد جواد الجواهري، السيد محمد سعيد الحبوبي، السيد مصطفى الكاشاني وخلفه نجله السيد أبو القاسم الكاشاني، السيد علي الداماد، السيد محمد بن السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، السيد محمد علي بحر العلوم وخلفه...؟، الشيخ إسحاق الرشتي.

العلوي في شأن العلم، وتكلم كذلك السيد أحمد ثم المتصرف محمد حمزة. ثم أعطي العلم إلى السيد محمد علي وجماعة أولاد المجتهدين وقد باتوا في الكوفة ليلة السبت.

وفي ضحى يوم السبت ١٢ محرم سنة ١٣٣٤هـ، قدم الكوفة مجاهدو شقّ العمارة من أهل النجف، قائدهم سلمان أبو غنيم ومحمد أبوگلل أخو عطية، وورد أيضاً كثير من فرسان بني حسن المجاهدين.

وفي عصر هذا اليوم شخص العلماء وأبناء المجتهدين ومحمد فاضل باشا والمتصرف وبقية المستخدمين وكثير من حملة السلاح المجاهدين من أهل النجف والكوفة بالعلمين العلويين الأول والثاني إلى مسجد الكوفة، استقبل بهما محراب الأمير المشهور فيه، وتلى ثم دعاء الثغور المأثور عن زين العابدين (ع)، وتكلّم آخرون، وعطعط جمع من المجاهدين وقد أخذت صورة الجميع منشورة بينهم الإعلام مرتين. وقد أكثر الطلاب والعلماء من أعمال مسجد الكوفة المندوبة المناسبة لمقتضى الحال، وورد هذا اليوم أيضاً السيد محمد بن السيّد كاظم اليزدي وجماعته لهذا الوجه الذي توجه إليه العلماء.

وفي يوم الاثنين ١٣ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، تحمّل القوم في الحرّاقات (المراكب) وأصعدوا في الفرات. ومما يستوقف الأنظار ويسترعي الأفكار أن الروحانيين والمجاهدين الذين نهضوا في العام الماضي من النجف وديار الفرات زايلوا ديارهم منحدرين إلى عراق البصرة في مثل هذه الأيام على هذه الهيئات، أما اليوم فقد فعلوا ذلك لكنهم مصعدين لا منحدرين في الفرات إلى بغداد وأعالي العراق، فسبحان مقلّب الأحوال، على أن هناك فوارق كثيرة بين النهضتين.

وقد بلغ عدد الحرّاقات التي تحملوا فيها زهاء ٣٠ حرّاقة باتت تلك الليلة أمام (الكفل)، وقد لحقت بها في منتصف الليل حرّاقات باقي النجفيين وهم من شق المشراق، قائداهم الشيخ مطلق وشباده، ومن البراق قائدهم السيد هادي الرفيعي، ومن الحويش قائدهم حسين الشافعي، وكانت للقوم خيل وبغال نشاهدها أحياناً بشاطىء الفرات وهي قليلة، ومنهم أيضاً الرماحية، عقيدهم عباس العليّ، وهم أعد النجفيين نفوساً.

وفي صباح يوم الاثنين ١٤ محرّم أقلعت الحراقات من الكفل، وكانت الريح

مساعدة، فوردوا طويريج الساعة ١١ من ذلك اليوم، وأنزل العلم، معه جماعة من الطلاب وأبناء المجتهدين والمتصرفون والمستخدمون، وعطعط أمامهم النجفيون، ثم ساروا به توا وقد تجمهر الناس إلى رحبة دار الحكومة وتكلم الأعظمي، وقد وصل بعد القوم إلى طويريج محمّد فاضل باشا عن طريق البرية ومعه ٢٥٠ فارساً من مجاهدي بني حسن المجهزين، على أن يلتحق بهم بقية الفرسان منهم.

وفي يوم الثلاثاء ١٥ محرّم سنة ١٣٣٤هـ، اجتمع الناس في رحبة دار الحكومة في طويريج، وحضر العلماء وأبناء المجتهدين والطلاب ومحمد باشا بالعلم العلوي وتكلّم في تقصير الناس وانقطاع أعذارهم، شيخ الشريعة الأصفهاني ووعظ عظة حسنة.

ثم رقى المنبر السيد محمد بن السيد اليزدي وخطب القوم وبلّغ عن تأكيد وجوب الدفاع واستخص الحاضرين، قائلاً:

أدعوكم فنادوني (لبيك) فنودي (لبيك لبيك من أطراف نجد)، وكان لخطبته تأثير بليغ.

وفي عصر هذا اليوم ورد طويريج عن طريق البرية سعد الحاج راضي النجفي وأولاده الثلاثة وجماعة من الشمرت.

وفي يوم الأربعاء ١٦ أقلعت حرّاقات القوم من طويريج ناشرة القلاع، ولمّا صرنا بحيث لا نسمع وغر المدينة سمعنا صدى المدافع متنقلاً من ضفاف دجلة إلى ضفاف الفرات.

وفي الساعة ١٠ من هذا اليوم في السدة، وافترق القوم نازلين على عدوتي الفرات، وشاهدوا السدة وبديع ما صنعت الهندسة العلمية الحديثة، ووقفوا باهتين معترفين بالجهل أمام أعظم آثار العلم والمعرفة التي ظهرت في العراق إلى الآن، وألقى في روعهم العجز عن مماتنة الأيدي التي قامت بهذا الأعمال.

ووصلت إلينا ونحن في السدة الأخبار الكثيرة تعرب عن انتصار العثمانيين وظهورهم على الإنكليز ظهوراً عظيماً في حروب سلمان باك، والجزيرة التي بدأت في

يوم ١١ محرم سنة ١٣٣٤هـ[١].

وما زال ركب المجاهدين مستمراً في مسيرته لحقت بهم في الأيام التالية جماعات أخرى من أهالي المدينة. وقد استقبل الجميع بحفاوة بالغة من قبل إدارة الولاية في بغداد التي انتدبت لاستقبالهم لجنة من علماء بغداد ورجال الدين فيها وعدداً من ضباط الجيش العثماني. وحضرت حفل استقبالهم ثلة من الدرك والشرطة. ثم استقبل العلماء منهم في مقر إدارة الولاية معاون والي بغداد الذي قبّل العلم الحيدري وأشاد ببركاته ويمنه[٢].

وقد مكث السيد محمد اليزدي والعلماء وأهالي النجف في الكاظمية بانتظار أن تقوم السلطة العثمانية بإعداد وسائل سفرهم إلى الجبهة التي كانت آنذاك في الكوت حيث حوصر فيها الجيش البريطاني. ولكن مكوثهم طال حتى منتصف شهر شباط من عام ١٩١٦. وكانوا خلال تلك المدة يتوقعون المسير إلى الجبهة بين يوم وآخر. فعقب الوصول إلى بغداد مباشرة زار السيد محمد اليزدي في الأول من كانون الأول ١٩١٥ مستشفيات الهلال الأحمر في بغداد، وقدم الهدايا للمرضى الراقدين فيها[٣]. وبعث إلى أخيه السيد محمود في النجف رسالة مؤرخة في ٢٩ محرم ١٣٣٤/ ٧ كانون الأول ١٩١٥م، يخبره فيها بأنهم بانتظار السفينة التي ستقلهم «غداً أو بعد غد إن شاء الله»[٤] إلى الجبهة.

ولكنه يبدو أن السلطات العثمانية كانت قد تراجعت عن المضي قدماً في الحملة التي دعيت بحركة الجهاد الثانية بعد الشروع بها مباشرة لعدم حاجتها إلى المقاتلين بعد الانتصارات التي أحرزتها على القوات البريطانية آنذاك، والإمدادات النظامية التي كانت تردها من الأناضول. فبعد أربعة أيام من تحرك جموع العلماء والمقاتلين من النجف انسحبت القوات البريطانية جنوباً باتجاه الكوت بعد معارك حامية الوطيس

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٢٥١.
(٢) السيد كاظم العوادي ص٨٥ ـ ٨٦. مذكرات الشبيبي ص٢٣٦ ـ ٢٥٤.
(٣) نفسه، ص٢٦٠.
(٤) النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص٨٧.

خاضتها مع القوات العثمانية في منطقة (سلمان باك) جنوبي بغداد[1]. وكانت ترد على تلك الجموع الأخبار، وهي في طريقها إلى بغداد، بانتصارات كبيرة كان يحرزها الجيش العثماني في ملاحقته للبريطانيين المنسحبين من سلمان باك[2]. ومن ثم فقد أهملت السلطات العثمانية أمر العلماء والمقاتلين الذين وصلوا بغداد بعد أن أحتفت بمقدمهم بصحبة العلم الحيدري احتفاءً كبيراً، ولم تقم بتسفيرهم أوانية إلى الجبهة. وعدّت، كما يبدو، حركة الجهاد الثانية، التي ميزتها مصاحبة العلم هذا لها، دعماً معنوياً لها فحسب.

ونتيجة لذلك بدأ المقاتلون النجفيون ـ دون العلماء ـ بالتسرب شيئاً فشيئاً من الكاظمية والرجوع إلى مدينتهم[3]. وكان بعضهم، بعد هروبه من الكاظمية، يسلك طرقاً غير مألوفة ابتعاداً عن أعين السلطة، مما عرضه للمتاعب والمشاق. إذ ينقل الشيخ محمد رضا الشبيبي في مذكراته أنه «في يوم ٦ صفر فرّ من الكاظمية نحو ثلاثين من مجاهدي النجفيين وأثخنوا في طريق غير ناهجة إلى الفرات فعدا عليهم فريق من زوبع وجرحوا جماعة منهم، ثم جردوهم السلاح»[4]. وقد حاولت السلطة العثمانية أن تجد مخرجاً لموضوع العلم والسائرين به إلى جبهات القتال بعد أن انتفت آنياً حاجتها إليه وإليهم، فبعثت لهم في الكاظمية متصرف كربلاء حمزة بك ليفاوضهم في الذهاب إلى إيران لتحشيد الإيرانيين وحثهم على قتال الروس الذين كانوا يطلبون من الإيرانيين الاشتراك معهم في الحرب. ولكن هؤلاء لم يستجيبوا لطلب الروس وكتبوا إلى علماء العراق يستغيثون بهم من ضغوط الروس[5]. ولم يحسم العثمانيون موضوع العلم وحملته إلا حسماً (بروتوكولياً) شكلياً بعد تعيين خليل بك والياً على بغداد وقائداً عاماً

---

(١) تحرك العلماء والمقاتلون من النجف بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٩١٥، وانسحبت القوات البريطانية من موقع معركة (سلمان باك) في ٢٥/ ١١/ ١٩١٥.

(٢) تنظر: مذكرات الشبيبي، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٣) مذكرات الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ١٩١٤ ـ ١٩١٥م، ص٣٧٧. مذكرات الشبيبي، ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٤) مذكرات الشبيبي ص٢٧٩.

(٥) تنظر: مذكرات الشبيبي، ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

للقوات العثمانية في العراق في ١٢/ ١/ ١٩١٦م[١].

فقد وردت برقية منه وهو في جبهة الكوت إلى معاون والي بغداد في أواخر ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ الموافق لأوائل شهر شباط سنة ١٩١٦م، يطلب فيها أن يفد العلماء عليه ومعهم العلم الحيدري لأيام معدودة. ولما كانت نوايا العثمانيين قد اختلفت بشأن حركة هؤلاء العلماء كما تبين لنا، وكان وضعهم العسكري جيداً لا يتطلب الاستعانة بهم، إذ نجح العثمانيون آنذاك لأكثر من شهرين في التضييق على عدوهم المحاصر في الكوت، فإن العلماء قد ارتابوا فيما يبدو من دوافع طلب خليل بك وأهدافه، «وبعد المراجعات واستطلاع أفكاره الموفقة أبلغ بأن القصد من هذه الحركة المباركة ملاحظات ثلاثة:

الأولى: أن يتعرف إلى العلماء ويعرفهم بأشخاصهم، كي يجتمع شرف السماع والعيان لديه.

الثانية: أن يستمد النصر من الله سبحانه للجنود الإسلامية ببركات روحانية العلم الشريف، وأنفاس أعلام الشريعة المقدسة.

والثالثة: أن يتذاكر شفاهاً مع تلك الذوات فيما يعود إلى المسألة الإسلامية»[٢].

وبعد الاطمئنان إلى هذا الجواب أقلت العلماء من بغداد، ومنهم السيد محمد اليزدي، إلى جبهة الكوت باخرة خاصة تدعى (برهانية) في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٤هـ/ ١٦ شباط ١٩١٦م حاملين معهم العلم الحيدري. وكان السيد محمد اليزدي عند سفره من الكاظمية مريضاً[٣]، فأبرق إلى والده في النجف حين وصول الباخرة بعد يومين من السفر إلى جبهة الكوت يطمئنه ويخبره عن حسن استقبال القائد خليل بك للعلماء، ويصف له قوة الجيش العثماني وانتظامه مما يبعث الثقة بالنصر المؤزر[٤].

وبعد إجراءات تظهر احترام العلماء والعلم الحيدري الذي تشرف بقدومه الجيش

---

(١) بخصوص تاريخ تعيين خليل بك (باشا فيما بعد) ينظر كتاب: الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ص٤٢٤.

(٢) مذكرات الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، ص٣٧٧.

(٣) مذكرات السيد كاطع العوادي، ص١٢.

(٤) يراجع نص البرقية: مذكرات الشبيبي، ص٣١٣.

العثماني فأطلقت مدفعيته عدة قذائف بهذه المناسبة على مواقع العدو، وبعد شرح قام به القائد خليل بك لسير المعارك من خلال الخرائط والرسومات وتوضيح موقف القوات العثمانية، وزيارات ميدانية لبعض القطاعات ومواقع المعارك، والاطلاع على غنائم الجيش العثماني، وشهود بعض المعارك حية بين العثمانيين والبريطانيين[1]. وقد استغرق ذلك كله اثني عشر يوماً أذن بعدها خليل بك للعلماء بالانصراف، فانحدر بعضهم إلى الجنوب وعاد الآخرون، ومنهم السيد محمد اليزدي، في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٣٤هـ/ ٢٨ شباط ١٩١٦ إلى الكاظمية فوصلوها على ظهر الباخرة (حميدية) في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٤هـ/ ١ آذار ١٩١٦م[2].

وفي الكاظمية تعرّض السيد محمد اليزدي إلى حمّى عالية ووجعاً شديداً تحت أضلاعه اليمنى، وأُحضرت الأطباء، فقيل ذات الجنب، وقيل ذات الرئة، وقيل غير ذلك، ولم يزل يشتد مرضه إلى ليلة الثلاثاء ٢٨ رجب ١٣٣٧هـ، وقبل الفجر لبّى نداء ربه وانتقل إلى رحمة الله[3].

نفقات المجاهدين:

كان علماء الدين والمجاهدون يعتمدون على إمكاناتهم الخاصة في تغطية نفقات الجهاد، وفي ذلك شاهد كبير على مدى تفاعلهم مع حركة الجهاد وإيمانهم العميق بضرورة التصدّي للاستعمار البريطاني. فمثلاً قدمت القيادة العثمانية للسيد الحبوبي ألف ليرة وقيل خمسة آلاف[4] لصرفها على شؤونه وشؤون المجاهدين، فرفض ذلك بإصرار قائلاً: «إني مكلف بالتضحية في مالي ونفسي، فإذا نفد المال بقيت نوبة النفس، اعتبروني جندياً من الجند آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون، وجهاد النفس أفضل، لا، لا أقبل درهماً واحداً وقائد الجيش أعرف بمواقع الصرف، ولا أسمح لكل أحد أن يفاتحني في هذا الشأن»[5].

---

(١) للتفاصيل تراجع: مذكرات الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، ص٣٨٠ ـ ٣٨٤.

(٢) تنظر: مذكرات الشبيبي، ص٣١١، ٣١٣، ٣١٨.

(٣) مذكرات الإمام كاشف الغطاء، ملحق كتاب: النجف الأشرف وحركة الجهاد، ص٣٨٤.

(٤) شعراء الغري، ٩/ ١٥٠.

(٥) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ونتائجها ١/ ٣٩.

والمعروف أن السيد مهدي الحيدري أيضاً لم يأخذ من العثمانيين مساعدات مالية، وهو الذي كان يتزعم المجاهدين في الخطوط الأمامية[1]، ويصرف من ماله الخاص.

إن حضور المجاهدين العراقيين من أبناء العشائر وغيرهم في ساحات القتال تحت قيادة علماء الدين، يكشف عن الوعي العام في تشخيص الخطر الذي يتعرض له العالم الإسلامي من القوى الاستعمارية، وهو في الموقف الذي سبقته مواقف مماثلة عام ١٩١١م وعام ١٩١٢م عندما احتلت روسيا شمال إيران واحتلت إيطاليا ليبيا. فلقد كان علماء الدين يتعاملون مع الحدث من بعده الإسلامي دون سواه[2].

إن موقف النجف الأشرف خلال الحرب العالمية الأولى يمثل تجربة غنية في التاريخ الإسلامي المعاصر، ويكشف عن دور العامل العقائدي في تحديد الموقف العام الثابت إزاء الأحداث السياسية، وهذه صفة اتسم بها التأريخ الإسلامي على امتداد مراحله المختلفة[3].

وللشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مذكرات سجّل فيها

دقائق الرحلة ومجرياتها، أسماها «رحلة الجهاد» أوردناها ملحقاً في آخر كتابنا (النجف الأشرف وحركة الجهاد).

(١) الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، ص٤٤.
(٢) انظر: دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص١٠٣.
(٣) انظر: ن.م١٠٨.

حادثة حمزة بك في كربلاء

١٢٢٢هـ - ١٢٢٤هـ





حادثة حمزة بك في كربلاء ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤هـ

عندما خضعت الحكومة العثمانية في أواخر أيامها، حتى أُطلق عليها اسم ـ الرجل المريض ـ وصارت تتبع سياسة التتريك لسائر القوميات التي تحكمها، فأبى العرب أن يخضعوا لها، وزاد هذا السبب على سبب آخر هو دخول هذه الدولة المنهارة الحرب بجانب ألمانيا ضد الحلفاء عام ١٩١٤، مما أجبرها على إعلان النفير العام وتجنيد كافة الشباب في الجيش استعداداً لخوض الحرب، ولكن أبناء كربلاء أخذوا يفرّون من الجيش ويختفون في البساتين عن أعين (الجندرمة)(١)، ويقوم هؤلاء بمهاجمة مخافر الجندرمة وإطلاق الرصاص عليها، وأصبحوا مصدر قلق يقض مضاجع الحكومة، وعقدوا اجتماعات عديدة انتهت بإعلان العصيان على الحكومة وطردها من البلد بمساعدة أهالي النجف(٢)، وكان لهم ما أرادوا، ففي ليلة النصف من شعبان ١٣٣٣هـ وبينما كانت كربلاء تغص بآلاف الزائرين الواردين إليها من الأطراف ـ كعادتهم سنوياً ـ هاجمت جماهير غفيرة من أبناء كربلاء والنجف(٣) والعشائر والفارّين من الجيش، دور الحكومة والمستشفى الحسيني، وثكنة الجند، وثكنة الخيالة الجندرمة، وأحرقوا بلدية كربلاء، وهمّوا على السجن وأخرجوا المسجونين، وانتهبوا دوائر الحكومة(٤) وبيوت الموظفين، ففرّ المأمورون والموظفون أجمع فجاء المتصرف (حمزة بك) وهو كردي الأصل، شديد الحزم، كثير الدهاء، تم تعيينه متصرفاً لكربلاء في ذي القعدة

---

(١) بغية النبلاء في تأريخ كربلاء: للسيد عبد الحسين الكليدار ٤٨.

(٢) يذكر الشبيبي في مذكراته ص٣٣٣: «... وقد ذهبت من النجفيين إمداد كثيرة إلى أهل كربلاء، جهّزهم محمد علي كمونة زعيم الكربلائيين الذي حضر إلى النجف في منتصف جمادى الثانية سنة ١٣٣٤هـ، بعد إيكاله تدبير الفتنة إلى أخيه فخري كمونة، وقد نشبت ثلاثة أيام متوالية».

(٣) حوادث وحركات كربلاء أبان الحكم التركي: السيد محمد رضا أحمد آل طعمة ـ خ ـ.

(٤) يذكر الشبيبي في مذكراته ص٣٣٤: «... وفي يوم ١٢ رجب سنة ١٣٣٤هـ، ويوم الجمعة ١٦ رجب سنة ١٣٣٤هـ ورد المشاهدة ومعهم أحمالهم من المنهوبات التي نهبت من أهالي كربلاء، لاسيما من الفرس والسدنة، لأن السدنة من حزب العثمانيين».

١٣٣٣هـ/ ١ تشرين الأول ١٩١٦م مع قوّة ودخل البلدة من جانبها الشرقي، وتحصّنوا في بعض الخانات والبيوت الحصينة، وصار الطرف الغربي بيد الأهالي، ولم تزل الحرب قائمة بين الطرفين عدّة أيام، وقتل من الجانبين خلق كثير، وانتهت المعركة بعد قتل ذريع، وخراب أكثر البيوت والمنازل، وهزيمة العسكر، وانتهاب الأهالي أسلحتهم وذخائرهم، وتم طرد الحكومة واستيلاء الثوار على البلدة[1].

وفي سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م توسط العلماء والأشراف بإرجاع الحكومة، وكان الحاج عبد المهدي الحافظ وسيطاً بين الأهلين والحكومة، فعادت الحكومة مشلولة الساعد.

وعلى أثر حادثة كربلاء، وانسحاب الجند والمستخدمين منها، ورد إلى العراق ناظر الحربية (أنور باشا) يوم ١٨ رجب سنة ١٣٣٤هـ، فأبرق السيد محمد كاظم اليزدي إليه من النجف يسترعي نظره إلى الحادثة، ويتشفع عنده لأهل كربلاء والنجف.

وفي يوم السبت ٢٤ رجب ١٣٣٤هـ وردت برقية جوابية من أنور باشا نصّها:

«مخرجي قوناغ، إدارة تلغراف الحلّة ترسله إلى سيّد محمّد كاظم الطباطبائي.

نجيبكم عن تلغرافكم المرسل إلينا بأن أهالي النجف وكربلاء خرجوا على الحكومة وأنه عاملين مخالفة لرضاء الله ورسوله، ونظراً لحرصنا على الحالة الإسلامية وحقن الدماء واحترامنا للمجاهدين وعلماء الدين، ورأفة الحكومة بفقراء المحلّين، وشفقتنا عليهم صدر أمرنا لدولة والي الولاية وقائد جيشها بتمام الرفق عند التعقيب وترتيب المجازاة.

١٢ مايس

صهر السلطنة ووكيل الخليفة الأعظم

في قيادة الجيوش الإسلامية ناظر الحربية

أنــور

وفي ٢٥ رجب سنة ١٣٣٤هـ، وردت كربلاء اللّجنة التي أنفذت من قبل الولاية لمفاوضة الكربلائيين، وأكثرها من علماء الشيعة وفيهم السيّد مهدي السيّد حيدر،

---

(١) تراث كربلاء ٣٩٠.

والشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد تقي الشيرازي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وفيهم الشيخ عبد الحميد خازن مشهد الكاظمين، وحلمي بك معتمد القائد خليل باشا، وحاجب من حجّاب خليل باشا، وقد ائتمروا غير مرّة، فأظهر أهل كربلاء الطاعة التامة وأنهم ينتظرون عودة حكومتهم غير مشترطين شرطاً، وأبدوا أن سبب الفتنة المتصرف حمزة بك، والقائد عليّ أفندي، ونعمان أفندي الأعظمي، وقالوا: نخشى من أن يسمم هؤلاء أفكار الحكومة، فأجابهم حلمي بك بأني قد اطلعت على أشياء كدرت وجداني في المسألة، فلا يجدي ما يقول هؤلاء أبداً، وستبقى اللّجنة إلى ورود الجند والمستخدمين الجدد إلى كربلاء[1].



(١) مذكرات الشبيبي ص٣٣٥.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فترة الاحتلال البريطاني للعراق

١٩١٥ - ١٩١٩ م




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فترة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٥ - ١٩١٩م

الثورة على الأتراك ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م:

عندما أفتى العلماء بوجوب الجهاد ضد الاستعمار البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، استجاب رؤساء النجف لدعوة الجهاد وتحمّسوا لأداء واجبهم الإسلامي، غير أنّ الانتكاسة العسكرية في معركة الشعيبة في ١٤ نيسان ١٩١٥م وسوء معاملة الأتراك للمجاهدين، مثّل بداية تحول في موقف رؤساء النجف. لقد تصاعدت في تلك الفترة درجة التذمر من الحكم العثماني، ولجأ الكثير من الفارّين من الخدمة العسكرية إلى مدينة النجف الأشرف.

يبدو أنّ هذا الوضع الجديد ساهم في تكوين اتجاه يدعو إلى الثورة على الأتراك، وظهرت في المدينة منشورات تنادي بأن محاربة الحكومة العثمانية أولى من محاربة المشركين. وعلى أثر ذلك أرسل الوالي إلى النجف قوة عسكرية كبيرة قوامها ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت بك) للقبض على الفارين من الجندية (البلط)، وقبيل منتصف ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م نفذ إلى البلدة من السور، وقد انضم إليهم طائفة من أبناء النجف، وأعطى قائد القوة إنذاراً للأهالي أمده، ثلاثة أيام لكي يسلّم الفارّون أنفسهم. ولما انتهت المدة أخذ رجال الشرطة يتعقبون الفارّين، ويداهمون البيوت ليلاً ونهاراً، ويتحسسون أجساد النساء مخافة أن يكون أحد الفارّين قد تنكّر بزي امرأة[1].

كان من شأن هذه الإجراءات أن تستفز الرأي العام، وتولّد ردود فعل عنيفة، لاسيما مسألة التعرّض للنساء في مجتمع محافظ كمجتمع النجف. وكان من الطبيعي أن تتحول ردة الفعل إلى اتجاه اجتماعي وسياسي عام في المدينة، وأن يتصدّى رؤساء النجف للإجراء الحكومي، باعتبار أنّ التجاوز على البيوت أمر يرتبط مباشرة بموقعهم

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤/ ١٨٨.

الاجتماعي واعتباراتهم الشعبية، خصوصاً وأنّ الناس في مثل هذه الحالات يلجأون إلى زعاماتهم المحلية.

في ليلة ٨ رجب ١٣٣٣هـ/ ٢٢ مايس ١٩١٥م اندلعت في النجف ثورة ضد الإدارة التركية، ودارت معارك عنيفة بين الثوار وبين القوات العثمانية دامت إلى عصر يوم الاثنين ١٠ رجب ١٣٣٣هـ/ ٢٤ مايس ١٩١٥م حيث اضطرت الحامية إلى الاستسلام، وجرّدت من السلاح بعد فقدانها جماعة منها فيهم بعض الضباط، وطلب القائد والقائممقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان، وجرت مفاوضات توسّط بها خازن المشهد وبعض رؤساء النجف، تمخضت عن انسحاب القوة وبعض موظفي الحكومة، وبقاء وجود رمزي لها. وتسلّم النجفيون منذ ذلك اليوم أزمّة الحكم في البلدة واستمروا سنتين كاملتين، انتهت بتمكّن حكومة الاحتلال من محاولة بسط نفوذها على النجف واحتلالها سنة ١٩١٨.

لم يواجه رؤساء النجف مشكلة داخلية في مشروعهم الإداري، بمعنى أنّهم لم يتعرّضوا لردود فعل من أبناء المدينة أو من علماء الدين. ويبدو أنّ موقف السيد اليزدي كان يمكن أن يفهمه رؤساء النجف على أنّه في صالح الثورة. فخلال المعارك أُصيبت مآذن الصحن العلوي الشريف بقذائف الأتراك، مما جعل السيد اليزدي يشجب هذا الاعتداء ببرقية أرسلها إلى اسطنبول[1].

كان موقف السيد اليزدي دقيقاً في حركة الأحداث آنذاك. فالأتراك يخوضون حرباً دفاعية ضد الاستعمار البريطاني، ورغم مؤازرة علماء الشيعة وأبناء العشائر والمدن الشيعية لهم، إلا أنّهم لم يثمّنوا هذه المواقف الكبيرة للشيعة، الذين تناسوا الخزين التأريخي ووقفوا إلى جانب الأتراك بدافعٍ إسلامي واعٍ.

في مقابل ذلك، فإنّ توسيع نطاق الثورة واعتمادها كخط سياسي في التعامل مع الحكومة العثمانية، سيشكّل بدون ريب إضعافاً لوجودهم العسكري، وفي ذلك تقوية لأعدائهم البريطانيين.

إذن فالسيد اليزدي ومعه علماء الشيعة كانوا يقفون إزاء معادلة سياسية حساسة

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف ١/ ٢٥١.

وخطيرة، وقد تعاملوا مع الظرف بطريقة واعية دقيقة، وذلك باعتماد منهجين أساسيّين في صياغة الموقف:

الأول: الإبقاء على موقفهم السابق في مواجهة الاحتلال البريطاني والتصدّي لجيوشه الاستعمارية، كخط شرعي ثابت.

والثاني: الحفاظ على المكسب الاستقلالي الذي حققه رؤساء النجف، وإنهاء حالة المواجهة والثورة المسلحة ضد الأتراك، مع تنظيم صيغة رمزية للعلاقة مع الحكومة المركزية تحفظ هيبتها وصورتها الرسمية أمام الرأي العام.

ورغم دقة هذه المنهجية السياسية على المستوى التطبيقي، إلا أنّه أمكن تنفيذها بنجاح، بحيث إنّ العلاقة مع الدولة العثمانية لم تشهد تصعيداً جديداً، كما أنّ علاقة السيد اليزدي الوثيقة برؤساء النجف ساهمت في إدارة الشؤون العامّة للمدينة بشكل جيد، فكانت توصياته تنفّذ من قبل الرؤساء، وكان ختم السيد اليزدي يُعتمد في الشؤون الإدارية كالأملاك والعقارات وغير ذلك من المعاملات التي تتصل بحياة الناس وشؤونهم العامّة[1].

اهتمّ رؤساء النجف الأشرف بإدارة المدينة، وأوّل عمل قاموا به، إصدار أوامرهم بالمحافظة على الأسعار، وهي مسألة ضرورية في تلك الأيام. كما أصدروا أوامرهم بإعادة تنوير المدينة بالفوانيس وتنظيف الشوارع، وعيّنوا موظفين لجباية الرسوم والضرائب بعد أن خفّضوها إلى النصف. وقد شهدت النجف في تلك الفترة من الإدارة الاستقلالية حركة تجارية نشطة، بحيث صارت مركزاً تجارياً هامّاً تستقطب تجار بغداد وغيرهم[2]. فعاشت المدينة فترة ازدهار اقتصادي لم تشهدها تحت الإدارة العثمانية.

لم تكن تجربة النجف الاستقلالية تسير بطريقة منتظمة، فالوضع العام كان جديداً عليها، لذلك كانت تحدث مظاهر خلل نتيجة التحول الإداري في المدينة. كما أنّ سلطة الرؤساء الأربعة التي تقوم على الأعوان والأتباع، كانت تفرز مظاهر سلبية غير قانونية من قبل الأشخاص الذين يستفيدون عادة من مثل هذه الأجواء، وهي ظاهرة

---

(١) دور علماء الشيعة عن مقابلة مع السيد عبد العزيز الطباطبائي في ٢١ رمضان ١٤١٤هـ/ ٤ آذار ١٩٩٤م.
(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤/ ١٩٠.

مألوفة تشهدها المجتمعات في حالات كهذه. يضاف إلى ذلك أنّ الفراغ الأمني الذي خلّفه الأتراك، لم يكن من السهولة أن تملأه الإدارة الجديدة، فكانت تقع اشتباكات مسلّحة بين النجف وبعض العشائر المحيطة بها.

النجفيون وبنو حسن:

إنّ السلطة المستقلة لرؤساء النجف دفعتهم إلى توسيع دائرة سلطتهم الجغرافية، وهذا ما خلق لهم أزمات وصلت إلى درجة الاشتباك المسلح. وقد تمثلت هذه التجربة في رغبة الرؤساء في ضم الكوفة إلى دائرة حكمهم، وهو ما تعارض مع رغبة عشيرة بني حسن المجاورة للكوفة. فتأزم الموقف بين الطرفين ووصل إلى معركة دامية بدأت في أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ حتى صبيحة يوم ١١ منه حيث تم الصلح بين الطرفين.

بعد محاولات أجراها السيد اليزدي لإطفاء هذه الغائلة وإجراء صلح بين الطرفين، حيث ذهب إلى الكوفة عصر يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى ١٣٣٤هـ ومعه السيد نور الياسري وجماعة من زعماء النجف.

ومكث حتى يوم الثلاثاء ٩ جمادى الأولى دون أن يعقد صلحاً بين الطرفين.

وأخيراً جرت مفاوضات بين زعماء الطرفين انتهت بالصلح بين الطرفين واستوثق كل فريق من الآخر[1]، لكن هذا لم يدم طويلاً، إذ عاد بنو حسن واحتلوا الكوفة من النجفيين[2].

إنّ مثل هذه الممارسات تقلل من قيمة التجربة الاستقلالية إذا نظرنا إليها من منظار أكبر من الاهتمامات المحلية المحدودة. إنها تستفرغ المحتوى السياسي للاستقلال بمفهومه الحقيقي، كما أنها تخدش صورة أول تجربة استقلالية في تاريخ العراق المعاصر.

وقعت معظم هذه الحوادث في الأشهر الأُولى لحكم رؤساء النجف، ولا ريب أنّ ضخامة التحوّل السياسي كان له الأثر الكبير في معظم ما حدث.

* * *

---

(١) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي، ملحق كتاب النجف الأشرف وحركة الجهاد ص٣٢٢.

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

خلال تلك الفترة كانت الجيوش العثمانية تعاني من تدهور خطير في معاركها مع القوات البريطانية التي كانت تتقدم باتجاه بغداد. وقد بعث الإنكليز بجواسيسهم إلى النجف يرغّبون رؤساءها بالاتصال بالإنكليز[1]. لكن النزعة الاستقلالية كانت قوية عند بعض الرؤساء، لاسيّما عطية أبوكلل الذي بعث رسالة إلى الإنكليز يحذرهم فيها من التدخل بشؤون النجف، ويستفسر عن نوايا الإنكليز بشأن المنطقة، جاء ذلك في تقرير بريطاني مؤرخ في ١٩ آب ١٩١٥م/ ٨ شوال ١٣٣٣هـ: «فيما يلي مقتبس من رسالة وصلتنا أمس من الشيخ عطية أبوكلل ويسأل فيها عن نوايانا بشأن النجف ومنطقتها، كما يطلب تأكيداً بعدم تدخل أحد بين الأهالي في منطقة أمير المؤمنين والمنطقة العربية. ويضيف أنّه إذا كانت نيتنا هي التوجه إلى ناحيتهم فوراً وبدون قيد أو شرط، فستحدث اضطرابات كبيرة، وتنشأ لهم صعوبات. ويطلب إخبارهم سراً عن نوايانا لكي يخبروا رجال القبائل الرئيسيين ويكونوا وسطاء. ويقول كذلك إنّا إذا لم نوافق فستتعقد الأمور وسيضطر أهالي النجف وجميع العشائر للقتال دفاعاً عن دينهم.

حامل الرسالة يفيد أنّ السيد كاظم اليزدي يؤيد الشيخ عطية في هذا الأمر»[2].

الرسالة تعكس الاتجاه السياسي عند عطية أبوكلل وحذره من الإنكليز، فهو يحدد لهم بشكل قاطع رفضه لأية محاولة بريطانية للتدخل في شؤون النجف الأشرف وغيرها، ويحذرهم من مغبة ذلك. ويطلب التعرف على نوايا الإنكليز بطريقة سرية من أجل أن يتدارس الموقف مع العشائر، وهو في ذلك يريد حصر المفاوضات به لتأكيد رفضه لتدخل الإنكليز في شؤون المنطقة ورجالها. ورغم أنّ التقرير يبيّن أنّه يريد التفاوض مع الإنكليز في خصوص نواياهم المستقبلية، إلا أنّه يعود ويختتم رسالته بتهديد صريح للجانب البريطاني، بأنهم في حالة عدم الإفصاح عن نواياهم، فإنّ عليهم أن يواجهوا أهالي النجف وجميع العشائر الذين سيقاتلونهم دفاعاً عن دينهم.

كانت مبادرة عطية أبوكلل تتّسم بالحسم والقوة مع أنّ الموقف العسكري كان في صالح الإنكليز، وكان الاعتقاد السائد أنّ القوات البريطانية ستُخرج الأتراك من

---

(١) ن.م ص١٩٢.

(٢) العراق. نشأة الدولة ص١١٨.

العراق؛ لكنّه أراد أن يضمن استقلال النجف من موقع قوة، قبل أن تتحقق الهزيمة التركية، ويصل الإنكليز إلى النجف.

والمعروف عن عطية أبو گلل أنّه ظل يحتفظ بمشاعر العداء للإنكليز. ورغم محاولاتهم للتقرب منه بعد احتلال بغداد ومنحه صلاحيات واسعة لكسبه إلى جانبهم، إلا أنّه ظل على موقفه العدائي. وقد تسبب لهم في خلق مضايقات كثيرة قبل أن يترك النجف ليلتحق بعشيرة عجمي السعدون حليف الأتراك.

أدرك الإنكليز حقيقة التوجه العام في النجف الأشرف، والذي عبرت عنه الرسالة السابقة؛ لذلك جاء ردّهم حذراً يحاول تهدئة الطرف الآخر، جاء في الجواب:

«... إنّ البريطانيين يكنّون أخلص المشاعر نحو رجال الدين وأهالي الأماكن المقدّسة وقد انتهزوا كلّ فرصة للتعبير عنها. وإننا سوف نواصل ذلك ونحن على ثقة بأن السيد محمد كاظم اليزدي والشيخ عطية سيكنّان لنا نفس المشاعر. ونرجو أن يتأكّدا أنّه ليس في نيتنا التدخل بأيّ شكل من الأشكال في الشؤون الدينية للعتبات»[1].

إنّ التأكيدات البريطانية ومحاولات التهدئة التي جاءت في الجواب الرسمي لم تؤثّر على موقف السيد اليزدي ورؤساء النجف، إذ أعلن السيد اليزدي وبقية علماء الدين دعوتهم الثانية للجهاد دفاعاً عن الدولة العثمانية ضد الاحتلال البريطاني وذلك في تشرين الثاني محرم ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.

خلال فترة الدعوة الثانية للجهاد كانت الأزمة النفسية لا تزال موجودة بين الحكومة العثمانية ورؤساء النجف؛ لذلك لم يتحمّس الرؤساء في البداية لدعوة الجهاد، لكنّهم استجابوا نزولاً عند طلب علماء الدين، وتفاعلوا مع مراسيم إخراج العلم الحيدري من المرقد العلوي الشريف يوم ١١ محرم ١٣٣٤هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٥م، وأُقيم احتفال كبير في الصحن الشريف حضره علماء الشيعة وأعضاء الوفد العثماني، وجاء حملة السلاح من محلات النجف يهتفون بالنصر للدين والدولة[2].

عندما وصل المجاهدون إلى الكاظمية، لم يظهر الارتياح على مقاتلي النجف،

---

(١) العراق.. نشأة الدولة، ص١١٨ ـ ١١٩.

(٢) لمحات اجتماعية ٤/ ٢٣٦.

ولعل المسؤولين الأتراك لم يحسنوا التعامل معهم، فعاد قسم منهم إلى مدينة النجف، وقد أعقب ذلك عودة التوتر بين رؤساء النجف والموظفين الأتراك في المدينة. ففي ١٦ كانون الثاني ١٩١٦م شاع خبر في النجف مفاده أنّ حكومة بغداد أرسلت قوة كبيرة للانتقام من النجف. وإثر ذلك وقع اشتباك بين حملة السلاح ورجال الشرطة الأتراك. وفي شباط ١٩١٦م أخذ رؤساء النجف يشتدون في فرض الضرائب على البضائع التجارية.

في ٢٨ جمادى الأُولى ١٣٣٤هـ/ ٥ آذار ١٩١٦م استدعى السيد اليزدي رؤساء النجف إلى مدرسته للاجتماع بهم، وعرض عليهم برقية القائد العثماني العام في العراق التي وصلته قبل يومين من الاجتماع، وفيها يشكر علماء الشيعة على مواقفهم. ثم طلب منهم السيد اليزدي أن ينهوا الأزمة ويعودوا إلى طاعتها ووعدهم باستحصال العفو عنهم[1].

استطاع السيد اليزدي أن ينهي الأزمة بين الطرفين، حيث تنازل زعماء النجف عن جباية الضرائب فيما بعد، وقد ظلت سلطتهم الإدارية قائمة على المدينة إلى جانب الوجود الرمزي للحكومة.

إنّ هذه المواقف الكبيرة لعلماء الشيعة، والتي تنطلق من إخلاصهم، وفهمهم لمتطلبات الظرف، وضرورة مساندة الدولة ضد الغزو الاستعماري، لم يقابلها الأتراك بما تستحق من تقدير حقيقي، إنما ظلت سياستهم المعادية للشيعة تسير على نمطها القديم. فقد أراد الأتراك الانتقام من مدينة الحلة على ثورتها التي اندلعت عام ١٩١٥م ضمن ثورات مناطق الفرات الأوسط في تلك الفترة. وقد فكر الأتراك أنّ الانتقام من الحلة سيكون درساً قاسياً لغيرها من المدن فلا تفكّر في الخروج على طاعة الحكومة العثمانية كما حدث في النجف.

في تشرين الثاني ١٩١٦م أرسلت الحكومة قوة عسكرية بقيادة «عاكف بك» فدخل الحلة وأخذت قواته بحرق وهدم البيوت وقتل الأهالي، ثم نفّذ حكم الإعدام شنقاً بحق

---

(١) ن.م. ٤/ ٢٤٤.

مئة وستة وعشرين رجلاً[1]. وبلغ عدد القتلى ألف وخمسمئة، وتم نفي أعداد من الأهالي بينهم نساء وأطفال، مات قسم منهم خلال الطريق إلى الأناضول[2].

كان لهذه الفاجعة صداها المؤثّر على المناطق الشيعية حيث ظنت أنّ الانتقام التركي سيصلها أيضاً. وكان من الطبيعي أن يكون هذا الهاجس قوياً في مدينة النجف الأشرف بعد الذي حصل بينها وبين الحكومة، فعقد رؤساء العشائر القريبة من النجف اجتماعاً في المدينة ألقى فيه رئيس آل فتلة الشيخ مبدر الفرعون خطاباً حماسياً دعا فيه الحاضرين إلى عدم طاعة العثمانيين لظلمهم[3].

وفي عام ١٩١٦ استطاع أحد الضباط الأتراك بمساعدة السيد هادي مكوطر، أن يقنع مبدر الفرعون بالسماح بمرور جيوش تركية إلى عجمي باشا السعدون في البادية، عند ذلك ذهب عبد نور آل فرعون ـ ابن أخ مبدر ـ إلى السيد كاظم اليزدي في النجف وأقنعه على الذهاب إلى الجعارة لعقد صلح بين آل فتلة والخزاعل، على أساس أن يمتنع الطرفان عن مساعدة أي جيش من الجيوش المتحاربة، وإذا هاجم الأتراك الخزاعل فمن الضروري أن يهبَّ آل فتلة لمساعدتهم، وكان شيوخ الخزاعل على اتصال مستمر مع الإنكليز خلال الأشهر الثمانية عشر التي سبقت احتلال بغداد[4].

وصلت أنباء هذه التطورات إلى المجاهدين من أبناء الشيعة في مناطق القتال ضد الإنكليز، وكان تأثيرها سيئاً عليهم. هذا ما تبيّنه الوثيقة التالية المؤرخة في ١٥ صفر ١٣٣٥هـ/ ١١ كانون الأول ١٩١٦م والمرسلة إلى السيد اليزدي:

«السلام عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

إلى حضرة مولانا وملاذنا حجة الإسلام وأبو الأيتام ومرجع الخاص والعام جناب السيد سيد كاظم دام بقاه. . .

بعد تقبيل أياديكم الشريفة نخبر جنابكم الشريف خَرَجنا من النجف الأشرف بأمركم قاصدين نصرة الدين والإسلام حتى إذا وصلنا لواء المنتفك شوّقْنا. وهيّجنا عشايرنا

---

(١) تاريخ الحلة ١/ ١٦٩.

(٢) لمحات اجتماعية ٤/ ٣٠٩.

(٣) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١/ ٤٥.

(٤) العشائر والسياسة، تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية ص١١٣.

وبذلنا نفسنا ونفيسنا مواظبين على هذا العمل حتى وردتنا أخبار واقعة الحلة وحركة النجف شوشتنا وكدرتنا بل أوجبت الشكّ في الدوام على عملنا وصرنا في ريب ووقفنا عن العمل بانتظار أمركم وعشايرنا على الدوام تستفتينا فنقف عن الجواب تارة ونجمل عليهم أخرى ونحن وقوف عن العمل والتبس علينا الأمر بانتظار أمركم وفتواكم والسلام عليكم وعلى الأخ مولانا الشيخ أحمد وعموم السادة أبنائكم الكرام ورحمة الله وبركاته .

١٥ صفر ١٣٣٥ من خادمكم عبد الحسين مطر)[1]

قرر زعماء العشائر في اجتماعهم بالنجف الأشرف القيام بتحرك عسكري ضد العثمانيين في الحلة قبل أن يبادروا بإرسال قواتهم إلى النجف. وكان الوضع القتالي يزداد سوءاً على جبهات القتال حيث استعد الإنكليز شنّ هجومهم الكاسح على القوات العثمانية في جبهة الكوت، وهو الهجوم الذي استمر في نجاحه حتى سقوط بغداد.

وجد علماء الدين الشيعة أنّ حركة النجف ضد الأتراك لا تخدم الموقف العسكري في التصدّي للزحف البريطاني، وأنّ الظرف يستدعي تجاوز إساءات الأتراك والتمتع بالوعي السياسي المطلوب؛ لذلك مارسوا دورهم في حل الأزمة سلمياً مع السلطات العثمانية، وهذا ما توضحه الوثيقة التاريخية التالية، وهي رسالة بعثها الميرزا محمد تقي الشيرازي في ١٦ كانون الأول ١٩١٦م إلى السيد كاظم اليزدي، ننقلها بنصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك وجاريك ورحمة الله وبركاته .

حضرة ملاذ الأنام وحجة الإسلام السيد الأجل دام ظله

أمّا بعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أدام الله ظلكم على المسلمين وتوفيقهم لرشدهم في طاعتك وهداهم في امتثال أوامركم ونواهيكم، ونفعهم ببركات موعظتكم وجركم وحباهم ببركة ذلك خير الدارين وسلامة الدين والدنيا. فغير خفي عليكم سوء أثر التشاويش في النجف من بعض الجهال وقبح نتيجتها ووخامة عاقبتها ومنافاتها لمراعاة حرمة المشهد المعظّم واقتضائها لسوء الجوار لأمير المؤمنين عليه السلام وأنتم أبصر

---

(١) دور علماء الشيعة ص١٣٤ .

بذلك وأعرف له، وإني مطمئن بدوام اهتمامكم بهذا الأمر من كلّ وجه ومواظبتكم على النصح والوعظ والزجر، ولكني أحببت مذاكرتكم بذلك لأشارككم في الأجر والفوز في إصلاح أُمور المسلمين. وقد كاتبنا حضرة القائد العام ومعاون الولاية بطلب العفو والمراعاة سائلين من الله صلاح أمر الإسلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ٢٠ شهر صفر الخير ١٣٣٥ الأحقر

محمد تقي الشيرازي

الختم»[1]

استطاع علماء الشيعة السيطرة على الأزمة، وهم في ذلك قدّموا الدليل الكبير على حرصهم وإخلاصهم لبلاد المسلمين ضد الغزو الاستعماري البريطاني. وأثبتوا تفهمهم لظروف الدولة الحرجة أكثر من الأتراك أنفسهم، رغم سوء معاملة هؤلاء للشيعة واستخدام القوة وسياسة الانتقام بحقهم.

لم تتخذ السلطات العثمانية الإجراءات المطلوبة في مواجهة الاستعدادات البريطانية، فأخذت قواتهم تتقدم نحو الشمال.

وفي ١٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ١١ آذار ١٩١٧م سقطت بغداد بيد القوات البريطانية[2].

وفي الأيام القلائل الأولى من أيام الاحتلال ازدحم مكتب رئيس الحكّام السياسيين في بغداد بالزوّار من جميع الطبقات بدون أن يستثني منهم حتى أبناء الأسر المسلمة البارزة. وفي أثر وجهاء بغداد جاء شيوخ القبائل الصغيرة المجاورة لزيارته متعجبين من انهيار العهد القديم المفاجىء ومستبعدين دوام العهد الجديد. وكان من بين الأوائل الذين قدموا من الأماكن البعيدة (محمد علي كمونة) من كربلاء والحاج (عطية أبوگلل) من النجف، وأعقبهما بعد ذلك بقليل شيوخ بلدة النجف الآخرون. فعينت لهم المخصصات، ورجعوا إلى أهلهم مخوّلين بالمحافظة على الأمن حتى يكون بإمكان السلطة المحتلة معالجة شؤون المدينتين المقدستين بصورة مباشرة.

---

(١) دور علماء الشيعة ص١٣٥.

(٢) تاريخ العراق بين إحتلالين ٨/ ٣٠٢.

زيارة السر رونالد ستورز للنجف[1]؟

وبينما كان الوضع الحكومي في النجف على مثل هذا زار بغداد رجل من رجال الإنكليز الذين كان يتألف منهم «المكتب العربي» في القاهرة، المشرف على شؤون الاستخبارات البريطانية الخاصة بالبلاد العربية جمعاء، وهو (السر رونالد ستورز) الذي تعين فيما بعد حاكماً في القدس بمعيّة (هربرت صموئيل) المندوب السامي الصهيوني في فلسطين بعد احتلال الإنكليز لها. وأصبح بعد ذلك حاكماً عاماً في قبرص حينما نفي إليها الملك حسين على إثر إبعاده عن الحجاز، وفي روديسيا الشمالية كذلك. وكان الجنرال ستورز، وهو ملم بالعربية تمام الإلمام، قد زار النجف في ١٩ مايس ١٩١٧ قادماً من كربلاء فاتصل ببعض وجوهها وعلمائها، ودوّن في كتابه[2] المعروف أشياء مهمة عنها في هذا الدور.

فهو يبدأ بوصف الطريق ما بين كربلاء والنجف ويقول إنه كان طريقاً سهلاً، وبعد أن تجاوز منتصفه مع صحبه بانت له من بعيد القبة المذهبة وهي تتوهج بلمعانها في نور الشمس. وحينما وصل إليها بعد الظهر خرج الألوف لاستقباله على ما يزعم، لاسيما وقد كانت الأسواق مغلقة بمناسبة حلول يوم المبعث[3]. وقد مر بعد ذلك في السوق المؤدية إلى العتبة المقدسة، ومن هناك توجه إلى دار السيد عباس الكليدار. ويأتي على وصف البيت فيخص بالذكر منه السرداب الكبير الذي تنخفض الحرارة فيه بمقدار عشر درجات عن الخارج. وحينما صعد وقت الغروب إلى سطح الدار القريبة من الحضرة المطهرة شاهد منه القبة والمآذن وبرج الساعة في الصحن عن قرب، وصوّر مناظر عدة من هناك على ضوء الشمس الغاربة، ثم استراح حتى دقت الساعة مشيرة إلى الثانية عشرة غروبية. وقد تذكر حينذاك ساعة كيمبرج أو «بيك بين» المشهورة. وبعد أن ملّ من مقابلة أعضاء المجلس البلدي وكبار الشيوخ على حد تعبيره ذهب إلى الفراش في التاسعة والنصف.

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم النجف ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٨، لمحات اجتماعية ٤/ ٣٦٥ ـ ٣٧٠.

(٢) Sir Ronald Storrs - Orientations, london, 1945.

(٣) أغلب الظن أن يوم وروده كان يوم ذكرى وفاة النبي أو أحد الأئمة وإلا فلم تجر العادة في إغلاق الدكاكين في الأعياد.

وقد استدعى إليه في صباح اليوم الثاني (٢٠ أيار) تجار الحرير والسجاد، ثم حضر فتّاح الفال الذي نفحه بعشر روبيات برغم عدم براعته في مهنته. وتحدث مدة من الزمن مع الشيخ هادي[١] أحد شيوخ الجعارة فأنبّه على ما كان يسمع عنه من تهريبه الطعام والأرزاق بواسطة عشائره إلى ابن رشيد حليف الأتراك في نجد، وهو يقول أنه فاتح شيوخ العشائر الآخرين بالموضوع نفسه وهددهم. وقد توجه إلى الكوفة على أثر هذا فقصد مع جماعته دار علوان الحاج سعدون شيخ بني حسن الذي يسيطر على الطريق الممتد من النجف إلى المسيب على حد تعبيره. وقد حرضه خلال حديثه معه هناك على مهاجمة ابن رشيد ونهب العشرة آلاف جمل التي يملكها فتعهد هو ومن كان معه من الشيوخ الآخرين على تنفيذ ذلك..

وبعد تناول الغداء مروا بجامع الكوفة وشاهدوا ما فيه من آثار ومواقع مهمة، وفي معيتهم السيد عباس الكليدار، ثم عادوا إلى النجف ليرتاحوا في السرداب البارد. وفي الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم توجّه السر (رونالد ستورز) مع رفيقه المستر (غاريوت)، لزيارة العلامة الأكبر السيد كاظم اليزدي الذي يمتد نفوذه من العراق إلى أصفهان. ويذكر ستورز في هذا الشأن أن الإنكليز لم يكونوا مطمئنين من موقف السيد تجاههم، وأنه كان قد رفض مبلغ المئتي باون الذي قدم إليه على سبيل الهدية من قبل. وكان المستر غاريوت الذي رافقه في السفرة من بغداد قد طلب إليه في هذه المرة أيضاً أن يتحايل على السيد اليزدي فيقدم له رزمة بألف باون هدية من الحكومة. فاستثقل هذه المهمة الصعبة، وكلف السر (رونالد ستورز) نفسه بأن يتولى المهمة عنه، فقبل بتحفظ. ودس الرزمة في جيبه ثم توجها إلى دار السيد، وهناك انتظر برهة من الزمن في خارج حجرته ريثما يخبر بحضورهما. فخرج لهما، وإذا به رجلاً متقدماً في السن يلبس «زبوناً» أبيض ويعتمر بعمة سوداء، وقد تخضبت لحيته وأظافره بحنة حمراء لماعة. فحياهما من بعيد وأجلسهما على الحصيرة بجنبه خارج الحجرة. ويقول (ستورز) بعد أن تبحر في وجه السيد أنه أدرك في الحال السر في شهرته ونفوذه. فهناك قوة في سيمائه الواضحة وعينيه الرماديتين المتعبتين، وسلطان في وجوده وحديثه الخافت مما لم يجد

---

(١) المقصود به السيد هادي زوين.

له مثيلاً في أي مكان آخر من بلاد المسلمين.

ويذكر كذلك أنه بعد أن أثنى عليه وعلى مواقفه المشرفة، أخذ يسأله عما إذا كان هناك أي شيء يريد أن يفعله الإنكليز له فبادره بقوله «حافظوا على العتبات الشريفة، حافظوا على العتبات الشريفة». فاعتبر (ستورز) أنه يقصد بذلك المحافظة على العتبات ومن فيها من جماعة العلماء والمجتهدين بوجه عام. ثم عاجله السيد بجملة أخرى طلب إليه فيها أن لا يعينوا في المدن الشيعية إلا الموظفين من أبناء الشيعة، وأن يطلقوا سراح بعض الشيعة الذين كانوا معتقلين ومنهم الدكتور مظفر بك، وأن يعينوا الميرزا محمد (وهو المحامي محمد أحمد الموجود حالياً في البصرة) قائممقاماً في النجف[1]. وفي هذه المرحلة بدا السيد اليزدي للسر (رونالد) وكأنه قد نزل من عليائه بعض الشيء، لأنه أنعم عليه كما يقول بجملة ثناء أعقبها بكلمة فارسية خاطب بها عالماً آخر كان موجوداً في مجلسه، وقد علم بعد ذلك أنه قال له: إن الأتراك لو كانوا يسلكون مثل هذا السلوك لما أضاعوا تعلّق العرب بهم مطلقاً. فما كان من السر رونالد إلا أن يعده بنقل توجيهاته ومشورته هذه إلى السر بيرسي كوكس في بغداد. وبعد تردد وإحجام طلب إلى السيد أن يختلي به وحده لمدة ثلاث دقائق فقط، ثم ذكره بوجود عدد لا يحصى من الفقراء الذين كانوا ينظرون إليه في إعاشتهم على الدوام، واسترحم منه بأن يمد يد المساعدة للإنكليز في هذا الشأن. وحينما مدَّ (ستورز) يده لتقديم رزمة الباونات إلى السيد في هذه الأثناء دفع السيد الرزمة برفق مقرون بالعزم الأكيد وهو يعتذر عن قبولها. فلم يجد (ستورز) من اللياقة الإلحاح على تقديمها، وعمد إلى فتح موضوع الشريف معه. وهو يقول إن السيد كان من المعجبين (بالشريف) والمؤيدين له. وبعد ساعة انقضت على هذا المنوال عزم السر (رونالد) على توديع السيد والعودة إلى المنزل، غير أنه قبل أن يفعل ذلك حاول تقديم الألف باون مرة ثانية إليه، لكنه رفضها من جديد بكل مجاملة وأدب. وهو يعتقد أن الشيء المهم الذي كان يعبأ به السيد هو الأنفة والإباء لا المال، وأنه لا بد أن يخضع في الأخير بطريقة مناسبة حينما يكون الدافع لذلك شيئاً لا مطعن فيه. وهذا

(١) كان الميرزا محمد قد اشتغل مع الإنكليز قبل الحرب في منطقة الخليج، وجاء مع الحملة إلى العراق فعين معاوناً للحاكم السياسي في كربلاء.

موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر والحجاز في ظروف مماثلة على حد تعبيره.

وحينما عاد ستورز بعد ذلك إلى منزل مضيفه السيد عباس الكليدار طلب إليه أن يشاركه في تناول العشاء ويضحي بآداب المجاملة التي تدعوه إلى الوقوف في خدمة الضيف في أثناء تناول الطعام، وهو يذكر بإعجاب أن السيد عباس وقف بعد ذلك للعناية بتقديم العشاء للسواق أيضاً على المائدة نفسها. ثم آوى إلى فراشه بعد مدة وقضى ليلة خالية من النسيم تماماً فوق السطح، وقد تسنى له خلالها أن يعجب بالهدوء التام والصمت الغريب الذي كان يلف النجف ما بين الساعة الثانية والرابعة بعد منتصف الليل وقبيل الفجر كذلك.

وقد غادر السر (رونالد) النجف صباح اليوم الثاني (٢١ أيار ١٩١٧) بعد أن وزع حوالي مئة وخمسين روبية على الخدم فيها. فمر عند خروجه منها إلى طريق كربلاء بالمقابر التي يدفع فيها الناس ستين باوناً لقاء السماح لهم بدفن موتاهم وهو يقول إنه سرّ تمام السرور لأنه ابتعد عن ضيق البيوت التي كانت تحتشد بالخمسين ألف نسمة من سكانها المحصورين بين جدرانها الضيقة من دون أن تتهيأ الفرصة لأن يقع نظرهم على أي نبات أخضر أو تشم أنوفهم الهواء النقي.

لقد كان قدوم السر رونالد ستورز إلى النجف في وقت لم يكن قد تشكل فيها أي نوع من أنواع الحكومة الجديدة بعد احتلال بغداد سوى التخويل الذي خولت به سلطات الاحتلال شيوخ البلد من أمثال الحاج عطية أبي كلل وجماعته بالمحافظة على الأمن والسكينة.

مارس رؤساء النجف سلطاتهم الإدارية على المدينة حتى أواخر تموز ١٩١٧م، حين عينت سلطات الاحتلال البريطاني الكابتن «بلفور» حاكماً سياسياً لمنطقة الشامية والنجف. وقد كان الإنكليز حذرين في هذا الإجراء، إذ لم يجعلوا مقر الحاكم السياسي في النجف؛ لئلا يستفزوا المشاعر الإسلامية؛ وليمنعوا ردود الفعل المحتملة. إنما عيّنوا حميد خان وهو رجل شيعي بمنصب وكيل الحاكم، وقد رفض حميد خان المنصب؛ لكنّه استجاب لطلب السيد اليزدي وكذلك بعض أصدقائه كالشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري والميرزا مهدي ابن الآخوند الخراساني، حيث كانوا يرون في قبوله الوظيفة خدمة للأهالي.

وبالفعل كان لحميد خان دوره في قضاء حوائج الناس والدفاع عن العديد من الشخصيات التي كانت تعمل ضد الإنكليز، بل إنّه حذّر الشخصيات المعارضة في الحالات التي يحيط بها الإنكليز علماً بتحركاتها، وتعرّض نتيجة ذلك إلى إحراجات كثيرة بحكم وظيفته في الجهاز البريطاني[1].

إنّ هذا التحوّل الذي شهدته النجف لم يثر في بدايته زعماء المحلات، فلم يحدث ما يشير إلى استيائهم من الوضع الجديد. إلا أنّ حادثة وقعت أوآخر تشرين الأول ١٩١٧م أثرت على سير الأحداث، وجعلت الإنكليز يتعاملون مع الوضع الإداري للنجف بطريقة أكثر حسماً. حدث ذلك عندما قدم إلى النجف أحد شيوخ قبيلة عنزة ـ حليفة الإنكليز في بادية الشام ـ يحمل كتاباً من الكولونيل «ليچمان» إلى حميد خان يوصيه أن يزود القبيلة بكمية كبيرة من الحبوب، لكن الخبر ما كاد يشيع في البلدة حتى ارتفعت الأسعار ارتفاعاً كبيراً.

وفي اليوم التالي أرسل «فهد الهذال» رئيس مشايخ عنزة (١٢٠٠) بعير؛ ليبتاع أصحابها الحبوب من أسواق النجف برخص موقعة منه، فأحدث ذلك اضطراباً في المدينة[2]، وخرجت تظاهرة شارك فيها النساء. ثم هجم أتباع عطية أبوگلل على القافلة فأطلقوا عليها الرصاص وقتلوا عدداً من جمالها واستولوا على بعض البنادق والأمتعة.

حين علم «بلفور» بالخبر أسرع إلى النجف، فاجتمع برؤسائها واتفق معهم على إرجاع المنهوبات ودفع تعويض عن الخسائر، وحدد لهم مدة خمسة عشر يوماً للتنفيذ، لكن المدة انتهت دون أن ينفّذ الرؤساء شيئاً. وفي ذلك دلالة على اعتراضهم على الإجراء البريطاني، فلقد بدا واضحاً للرؤساء أنّ الإنكليز يفضلون قبيلة عنزة على مدينتهم[3]، وبصورة تعرّضها إلى أزمة اقتصادية شديدة؛ لذلك أظهروا سخطهم عن طريق الامتناع عن دفع التعويضات.

في ٣ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧م جاء بلفور إلى النجف بصحبة

---

(١) هكذا عرفتهم ١/ ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف ١/ ٢٥٩.

(٣) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ص٥٤.

حاكم الحلة الميجر «بولي»، فذهب إلى السراي واستدعى رؤساء البلدة، فحضر اثنان منهم، هما عطية أبو كـلل وكاظم صُبّي. وقد اصطحب عطية جماعة من رجاله المسلحين.

كان اللقاء متوتراً بين الطرفين، فقد طلب بلفور أن يدفع الرؤساء الأربعة مبلغاً قدره أربعة آلاف ليرة تعويضاً عن أضرار القافلة. ثم تطور النقاش بشدة إلى اشتباك بالأيدي، فقد صفع بلفور كاظم صُبّي على وجهه، فرد عليه كاظم بصفعة أطارت قبعته، واستدعى عطية رجاله فدخلوا السراي ونهبوا محتوياته وأشعلوا فيه النيران[١].

إنّ هذا الموقف يمثل تحدّياً جريئاً لسلطة الاحتلال البريطاني في فترة قوتها وانتصارها، خصوصاً وأنّ التحدّي سرعان ما اتسعت دائرته. ففي نفس اليوم امتدت الانتفاضات إلى الكوفة وأبي صخير حيث هاجم الناس مكاتب السلطات البريطانية. واضطر بلفور نتيجة ذلك أن يلجأ إلى السيد كاظم اليزدي[٢].

في هذه الأزمة لعب السيد اليزدي دوراً أساسياً في إنهائها ومنع تطوراتها، والتي لو تطورت لعرّضت النجف والمناطق الثائرة إلى انتقام الإنكليز، في وقت لم تكن فيه هذه المناطق مستعدة لمواجهة الإنكليز.

طلب السيد اليزدي من بلفور أن يغادر النجف، ويترك عطية أبو كـلل وكاظم صُبّي وشأنهما، وقد استجاب بلفور لهذا الطلب[٣]، وبذلك أنهى السيد اليزدي أزمة حادة كادت تتطور إلى مواجهة مسلحة غير متكافئة بين الإنكليز وزعماء النجف. بل إنّ السلطات البريطانية تراجعت عن موقفها. ففي ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٧م، أي بعد أقل من أسبوع على انتهاء الأزمة، اتخذت الإدارة البريطانية قراراً بتزويد النجف بالحبوب، ومنع نقلها من الفرات الأوسط إلى بغداد[٤].

إنّ حادثة القافلة وما أعقبها من هجوم على مكاتب الإنكليز جعل الحاكم العام في العراق السير «برسي كوكس» يقوم بجولة في مناطق الفرات الأوسط أوائل كانون الأول

---

(١) لمحات اجتماعية ٥/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٢) فصول من تاريخ العراق القريب ص١١٩.
(٣) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ص٦٦.
(٤) لمحات اجتماعية ٥/ ٢١١.

١٩١٧م، وقد كتب يقول عن جولته:

«ومع أنّ كربلاء لم تسبب لنا مشكلة خطيرة، فإنّ النجف التي كانت فريسة في أيدي شيوخ البلد المحليين، قد بقيت شوكة في جانبنا مدة من الزمن... ولذلك قمت بجولة في المنطقة خلال كانون الأول ١٩١٧م؛ لأكون في وضع يؤهلني لتقديم المشورة إلى القائد العام للقوات المحتلة بالنسبة لمختلف النقاط الإدارية التي تجعل من مرابطة مفرزات خاصّة من الجيش فيها شيئاً ناجحاً. وكان من غير المرغوب فيه بطبيعة الحال، ومما لا يأتلف مع بياناتنا السابقة، أن نبادر إلى وضع قطعات من الجيش في الأماكن المقدّسة نفسها، وهذا الوضع بالذات هو الذي جعل من الصعب علينا أن نسيطر سيطرة تامة على النجف»[١].

من الواضح أنّ الإنكليز كانوا يواجهون أزمة حقيقية في طريقة التعامل مع النجف، ناشئة من خوفهم عن ردود الفعل التي قد يقدم عليها علماء الدين فيما لو وضع الإنكليز قواتهم العسكرية في النجف وبقية الأماكن المقدّسة. إنّهم كانوا يرون ضرورة هذا الإجراء من الناحيتين الإدارية والعسكرية، لكنّ البعد السياسي للإجراء ينطوي على محتملات خطيرة لا يريد الإنكليز التورط فيها.

أدرك «كوكس» أنّه أمام واقع حساس؛ لذلك قام خلال جولته بزيارة السيد كاظم اليزدي في الكوفة، وشيخ الشريعة الأصفهاني في النجف الأشرف[٢]، وهو في ذلك يحاول امتصاص أية ردة فعل قد تنشأ من قبل علماء الدين فيما لو اتخذت السلطات البريطانية بعض الإجراءات الإدارية والعسكرية. ورغم أنّ جولة كوكس أسفرت عن اتخاذ سلطات الاحتلال إجراءات تقضي بتعزيز وجودها العسكري في تلك المناطق، إلا أنّ الحذر من ردة فعل علماء الشيعة، اضطرها إلى تنفيذ مشروعها بطريقة هادئة على غير ما تريده وتطمح إليه. وقد شرحت المس بيل تنفيذ المشروع بالقول: «وبإشارة منه - كوكس - وُضعت مفرزات صغيرة في مختلف النقاط الكائنة على النهر وليس في النجف نفسها، حيث إنّ هذه البلدة بنفوسها البالغة (٤٠,٠٠٠) نسمة كانت أحوالها

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف ١/ ٢٦٠.
(٢) لمحات اجتماعية ٥/٢/ ٢١١.

تستدعي وضع عدد كبير من الجنود فيها. وقد تكهّن من يعنيهم الأمر بأنّ وجود قوة مختلطة في الكوفة التي تبعد مسافة سبعة أميال عنها سيكون له التأثير التهديئي المطلوب بصورة غير مباشرة»[1].

تم تنفيذ هذه الإجراءات العسكرية أوائل عام ١٩١٨م (ربيع الأول ١٣٣٦هـ) حيث وُضعت الحاميات العسكرية في أنحاء الفرات الأوسط، وكانت حامية الكوفة تجري تمارينها اليومية في الصحراء الواقعة بين النجف والكوفة.

في صباح ١٢ كانون الثاني ١٩١٨م اقتربت مفرزة من الخيالة الهنود من محلة العمارة، ولما علم عطية أبو كلل، تصدّى رجاله لهم وأطلقوا عليهم النار، فقتلوا أحدهم وجرحوا آخر. وقد عادت المفرزة إلى معسكرها في الكوفة دون أن تردّ على النار بالمثل، وبعد ساعات قليلة ظهرت طائرة بريطانية في سماء النجف فأطلق عليها بعض المسلحين نار بنادقهم. وفي الوقت نفسه هجم مسلحون على مكاتب الحكومة، فهرب حميد خان مع موظفيه إلى الكوفة.

على إثر هذه الحادثة ذهب إلى الكوفة اثنان من رؤساء النجف هما مهدي السيد سلمان وسعد الحاج راضي، فقابلا بلفور وأبديا استعدادهما لدفع التعويض عن الخسائر. وفي اليوم التالي ذهب كاظم صُبّي لمقابلة بلفور الذي حدد غرامةً قدرها خمسين ألف روبية مع تسليم عطية أبو كلل وكريم بن سعد الحاج راضي المؤيد لعطية[2].

قام رؤساء النجف بدفع الغرامة، وأدرك عطية أبو كلل أنّه لا يستطيع البقاء في النجف، فالتحق بالشيخ عجمي السعدون الموالي للأتراك[3].

كانت مبادرة زعماء النجف هذه المرة قد منعت انفجار أزمة بين الإنكليز والمدينة، غير أنّ هذه الحادثة جعلت الإنكليز يفكّرون بطريقة أُخرى من أجل السيطرة على النجف. وقد قرروا في ضوء ذلك فرض إدارتهم العسكرية المباشرة على المدينة، وهو الإجراء الذي أحجموا عن تنفيذه خوفاً من ردود الفعل الشيعية، لكن خوفهم من تزايد

---

(١) فصول من تاريخ العراق القريب، ص١٢١.
(٢) لمحات اجتماعية ٥/ ٢/ ٢١٢.
(٣) فصول من تاريخ العراق القريب، ص١٢٢.

التحدّي دفعهم إلى خطوة مضادة.

فبعد هذه الحادثة قدّم حميد خان استقالته من منصبه، وقررت القيادة البريطانية تعيين حاكم بريطاني للنجف وتنظيم جهاز شرطة جديد بأفراد من الشيعة معظمهم من أكراد كرمنشاه[1]، وذلك من أجل عدم استفزاز الرأي العام في المدينة التي بدأت تخضع للإدارة البريطانية المباشرة.

إلى هنا ينتهي أحد المقاطع التأريخية في علاقة مدينة النجف الأشرف مع الإنكليز، والذي كان زعماء النجف المحليون يمثلون مصدر الفعل التاريخي في حركة الأحداث، وتُمثّل القيادة الدينية المتمثلة بالسيد اليزدي مصدر الردع للإجراءات البريطانية المضادة.

إنّ تجربة الإدارة المستقلة لزعماء النجف جعلت من الصعب عليهم أن يتقبلوا الحكم البريطاني، ومن جانب آخر كان التحوّل الإداري في المدينة له أهميته السياسية في مسار الحوادث. حيث وجد الزعماء المحليون أنفسهم أمام تجربة مباشرة في الحكم المحلي المستقل، وهي تجربة جديدة لم تتوفر من قبل، كما أنها لم تحدث في منطقة أُخرى من العراق.

ونستطيع أن نتصور حجم ذاك التحول الذي صنعه الرؤساء من خلال مقارنة حالة الاستقلال بالفترات السابقة التي كانت تعيشها المدينة في ظل التمييز الطائفي الذي اعتمده الأتراك على امتداد فترة حكمهم، حيث مثّل الاستقلال إنجازاً سياسياً له أهميته في منطقة حساسة من العراق. وتتضح أهميته أكثر إذا عرفنا أنّ الخطوة الاستقلالية كانت نابعة من محيطها الخاص دون أن تحظى بدعم من جهة أجنبية، إنما كانت حركة مستقلة معتمدة على إمكاناتها الذاتية وقراراتها الخاصّة.

إنّ هذا الاتجاه في فهم الاستقلال نراه يختلف في أُسسه عن اتجاه آخر كان يحاول أن يقوّي نفسه من خلال الاعتماد على الإنكليز، وهو الاتجاه القومي الذي مثّله القوميون العرب عن طريق التحالف مع الجانب البريطاني لتقويض الدولة العثمانية.

هذه الإشارة السريعة تكفي لبيان صورتين متعاكستين في اتجاهات السياسة

---

(١) لمحات اجتماعية ٥/ ٢/ ٢١٣.

العراقية، والتي بقيت كلّ منهما تحاول أن تعمّق وجودها في الحياة السياسية. ولا نشكّ أنّ هذه التجربة في تحديد المواقف قد جعلت الإنكليز يزدادون قناعة بضرورة إقصاء الشيعة عن مواقع الحكم عندما رسموا مستقبل العراق عام ١٩٢٠م. بل إنّ هذه القناعة كانت تتركّز في العقل البريطاني نتيجة المواقف الثابتة لأبناء الشيعة[١].



(١) دور علماء الشيعة ١٣٦ ـ ١٤٣.

ثورة النجف

١٣٣٦ هـ / ١٩١٨ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثورة النجف عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م

تمهيـد[1]:

بعد احتلال القوات البريطانية لبغداد، بدأت تتسرب إلى أسماع العراقيين أخبار مختلفة عن نوايا الإنكليز في كيفية حكم العراق ومستقبل الإدارة فيه، وكلما تسرّب إليهم خبر من هذه الأخبار، راحوا يتهامسون حول نوايا بريطانيا السيئة تجاه العراق والعراقيين. كما أنهم كانوا يستشفّون من بعض محاولات هذا الاستعمار الجديد مقدار اهتمام بريطانيا بتفرقة العراقيين، وإثارة العداوات بينهم، ومن ذلك كله كانوا يكتشفون الذهنية الإنكليزية في نظرتها إلى العراق.

وكان أهم ما تسرّب إلى العراقيين في هذه الفترة من الأخبار، بعض مضامين البرقية التي كانت قد أرسلتها وزارة الهند في بريطانيا إلى كل من سكرتير الشؤون الخارجية في سملا، وإلى بغداد، في ٢٩ آذار ١٩١٧، والتي تضمنت ما يلي:

١ ـ إن الأراضي المحتلة يجب أن تديرها حكومة صاحب الجلالة، وليس حكومة الهند.

٢ ـ أن تبقى البصرة والناصرية وشط الحي والكوت وبدرة بحدودها الشمالية والغربية خاضعة للإدارة البريطانية بصورة دائمية.

٣ ـ أن تكون بغداد دولة عربية يرأسها حاكم محلي، أو تديرها حكومة خاضعة للحماية البريطانية في كل شيء، عدا الاسم. وعلى هذا سوف لا تكون

---

(١) اعتمدنا في كتابة هذه البحث على المصادر التالية:

(أ) ـ ثورة النجف للأستاذ حسن مرزة الأسدي.

(ب) ثورة النجف للسيد عبد الرازق الحسني.

(جـ) ـ النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال: لكامل سلمان الجبوري.

(د) ـ وثائق الثورة العراقية الكبرى: لكامل سلمان الجبوري

(هـ) ـ مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي، ملحق كتاب النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال.

لهاعلاقات مع الدول الأجنبية. وستعهد المهام القنصلية التابعة لها إلى قناصل صاحب الجلالة.

٤ ـ أن تدار بغداد هذه كولاية غربية من وراء «واجهات» عربية، على قدر الأمكان، على أن تبقى فيها المؤسسات والقوانين الموجودة. أي:

أ ـ أن لا يستعمل القانون الذي وضع لإدارة المناطق المحتلة، وأن يبقى النظام العدلي السابق فيما يختص بالقوانين والأشخاص نافذاً، إلاّ في تبديل اسم «التركي» باسم «العربي» فقط.

ب ـ وينطبق هذا على الجهاز الإداري والتنفيذي أيضاً. فيحافظ على نظام الحكم العشائري ومجالس الألوية والبلدية وغير ذلك.

جـ ـ لا تمس طريقة جباية ضرائب الأراضي الحالية بشيء.

د ـ لا يشجع استخدام الهنود في جميع فروع الإدارة، لعدم اتفاقه مع المبادىء المشار إليها أعلاه. فلا يسمح باستخدام الآسيويين إلاّ إذا كانوا من أصل عربي أو إيراني أو متوطن. ويطبق الشيء نفسه في ولاية البصرة على قدر الإمكان.

٥ ـ وفي حالة عدم إلحاق البصرة بالهند، يجب أن يكون المندوب السامي المقيم في بغداد، على رأس إدارة جميع ما بين النهرين، وأن يحكم البصرة حاكم تابع إليه. وفي حالة إلحاق البصرة بالهند، يكون عنوان رئيس الحكومة «حاكم البصرة والمندوب السامي لبلاد ما بين النهرين» على أن يكون له مقر اسمي في البصرة، بالرغم من إقامته في بغداد. وينوب عنه عند غيابه «وكيل حاكم» في البصرة، و«وكيل مندوب سامي» في بغداد.

٦ ـ إن توحّد الخدمة المدنية البريطانية مع قرينتها في السودان، وإن أمكن مع تلك الموجودة في سواحل البحر الأبيض المتوسط؛ وأن تتبع في خدمة الجيش الأساليب نفسها، بحيث يمكن تبادل الأشخاص. وإذا احتاج الأمر لخدمة الضباط البريطانيين الذين يخدمون في الهند في بادىء الأمر، فتعار خدماتهم موقتاً بموجب قوانين الخدمة الخارجية. أما من يخدم منهم الآن في هذه الأماكن فيسمح له بالتطوع للإنتقال نهائياً.



النجف ـ صورة جوية من جهة الشرق عام ١٩١٧

٧ ـ أن تكون من العتبات الشيعية المقدسة وحدة منفصلة تكون تحت الإدارة البريطانية، على أن يعتنىٰ بعدم ضم أي منطقة زراعية مهمة إليها.

٨ ـ أن تدار الكويت وجميع سواحل الخليج العربية، من البصرة.

٩ ـ أن تودع أمور عدن وحضرموت إلى وزارة الخارجية.

١٠ ـ أن تكون إيران الجنوبية، بما فيها عربستان وفارس، منطقة نفوذ لحكومة الهند.

١١ ـ إنه من المهم جداً أن الترتيبات الإدارية التي ستتخذ في ولاية بغداد يجب أن تتفق تماماً مع المبادىء المدرجة أعلاه منذ البداية»[١].

عندما تسربت أنباء هذه البرقية وغيرها إلى أسماع العراقيين، طار لبّهم وتيقظوا من غفلتهم؛ فتعددت الاجتماعات في جميع المدن العراقية النابهة، لمدارسة مستقبل البلاد العراقية وما تنتظره على يد هؤلاء المستعمرين الجشعين، وكانت النجف مرجع جميع هذه التجمعات، وبعد أن تجلى للعراقيين بكل وضوح سوء نوايا الإنكليز في هذه البلاد، وضعت البدايات الجدية الأولى للعمل على الثورة ضد الإنكليز، وبذلك جعل السكان يشككون في كل حركات الفاتحين الجدد وسكناتهم، بحيث لا يطمئنون إليهم بأي شكل من الأشكال. وقد زاد في طين ذلك التشكيك بلّة، قيام الشيوعيين في نهاية عام ١٩١٧ وأوائل عام ١٩١٨، بعدما استولوا على الحكم في روسيا، بإذاعة المعاهدات السرية المعقودة بين الحلفاء، ومنها معاهدة سايكس ـ بيكو، بين الإنكليز والإفرنسيين لاقتسام البلاد العربية؛ مما جعل العرب ينقمون على الحلفاء في كل مكان وإذا أضفنا إلى ذلك النقمة الصارخة التي نقمها العرب على الإنكليز عند صدور وعد بلفور قبيل هذا، أدركنا السبب في تركيز النقمة على الإنكليز، في جميع البلاد العربية، وفي العراق بصورة خاصة. حيث تملك العرب، عند ذلك، رد فعل عنيف ضد الإنكليز، فراحوا يؤلبون عليهم ويعملون ضدهم في كل مكان.

وعلى هذا الأساس وغيره كانت النقمة على أشدّها في العراق ضد الإنكليز، وقد ساعد على اشتداد هذه النقمة الشعور الوطني العارم الذي انتشر في العراق بعد الحرب،

---

(١) العراق دراسة في تطوره السياسي، لآير لاند، ص٦٢ ـ ٦٣.

كغيره من البلاد الأخرى.

وكان نصيب النجف من هذا الشعور وافراً جداً، بسبب ما خلفه جهاد الحجة السيد الشيرازي والحجة الخراساني في نفوس النجفيين من مشاعر وأحاسيس ضد الاستعمار والمستعمرين، وقد تسرّبت هذه النقمة ضد الإنكليز إلى جميع الأوساط النجفية، اللّهم إلاّ نفراً ممن استمرأ طعم الخيانة من العناصر الأجنبية التي تعيش فيها، وقلة نادرة جداً من النجفيين. حيث أن الإنكليز عندما احتلوا العراق أقاموا جهازاً تجسسياً رهيباً، حشّدوا فيه أراذل خلق الله من هنود وإيرانيين وأتراك ومصريين وعراقيين، وحكّموهم في رقاب الناس، وكانت النجف تقاسي من هؤلاء ما تقاسيه المدن العراقية الأخرى.

وكان من أهم مظاهر نقمة النجف على الإنكليز، أنها حرّمت التوظف في حكومة الاحتلال، أو أية حكومة يصطنعها الاحتلال في العراق، وقد أشارت المس بيل إلى تلك النقمة عليهم بقولها: «وقبل أن تبدأ القلاقل العلنية في بغداد كان العنصر الديني الشيعي في المدن المقدسة منهمكاً في حبك الدسائس ضدنا»[1].

أما السير برسي كوكس فقد عبر عن تلك النقمة في تقرير له جاء فيه: «. . . . غير أن النجف، تلك المدينة التي كانت ادارتها في قبضة زمرة من شيوخها المحليين الذين لم يرضوا الانقياد لنظمنا، بقيت شوكة في جسم إدارتنا»[2].

وفي هذا وذاك وغيرهما من أقوال وتصريحات كثيرة، ما فيها من الدلالة على مبلغ أهمية الدور الذي كانت تلعبه النجف في إحباط مساعي الإنكليز.

وتحت تاثير هذه النقمة، وذلك الشعور الوطني الإسلامي العارم، تألفت في النجف عام ١٩١٧ **جمعية النهضة الإسلامية السرية**، تلك الجمعية التي استعجل بعض أعضائها بتقديم ساعة الصفر للثورة النجفية التي كان مقرراً أن تكون بعد نضج الفكرة بين رؤساء العشائر، واستكمال إستعداداتهم لها، ليقوم كل منهم - بعد إعلان الثورة النجفية - بطرد حكومة بلده، لإعلان الثورة العامة في البلاد، وربما كان ذلك الاستعجال بتحريض من الأتراك لاضعاف العدو وإشغاله[3].

---

(١) Review of the civil Administraion of Mesoptamia, p156.

(٢) تكوين العراق الحديث.

(٣) جاء في مذكرات كاشف الغطاء ص٣٨٨:

وكما أن النجفيين استمرأوا طعم الحرية وحكم أنفسهم بأنفسهم، منذ طردهم لحكومة الأتراك، كذلك كانت الحال مع رؤساء عشائر الفرات الذين تخلصوا من نفوذ الأتراك طيلة أيام الحرب، حيث إنهم أعلنوا العصيان على الحكومة التركية، كل في مكانه، منذ اللحظة التي ثارت فيها النجف على الاتراك وطردتهم.

لذلك فإن الإنكليز عندما أرادوا فرض سيطرتهم على الأماكن التي احتلوها من الأتراك عارضهم رؤساء العشائر؛ لأنهم لا يريدون تبديل إستعمار باستعمار. الأمر الذي اضطر معه الإنكليز إلى استعمال القوة القاسية مع الرؤساء المعاندين، وخلق رؤساء جدد يسندونهم ليؤمنوا مصالحهم في المنطقة، هذه العملية التي ما استطاعوا أن يحققوها في النجف، حتى بعد القضاء على ثورتها[1].

أسس هذه الجمعية بعض النجفيين «وفيها بعض المعممين، وجماعة من جهلاء (الفريقين) ولم يبرموا الأمر على ما يقتضيه الحزم والحصافة».

(١) كتب السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه «ثورة النجف» ص٣٠ ـ ٣٤، حول هذه الجمعية ما يلي:

«تألفت في النجف ـ قبيل احتلال بغداد ـ جمعية إسلامية باسم «جمعية النهضة الإسلامية» استهدفت تخليص العراق المسلم من براثن السيطرة الإنكليزية، وتأليب المسلمين على الأجانب الكافرين، ضماناً لاستقلال البلاد وتحريرها من ربقة الاستعمار، وكان من بين أعضاء هذه الجمعية العاملين: السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد علي الدمشقي، والسيد إبراهيم البهبهاني، والشيخ عباس الخليلي ـ وقد لقب بفتى الإسلام ـ وكان الخليلي من أشدّ الاعضاء حماسة، وأكثرهم حركة، كما كان الشيخ عبد الكريم الجزائري من مؤيديها، وقد انهمكت هذه الجمعية في نشر المنشورات، ولصق الإعلانات المندّدة بسياسة المحتلين على الجدران، وانتهاز كل مناسبة للتشهير بسوء إدارتهم، وعظيم غطرستهم، وكانت اجتماعات الأعضاء تعقد في محلات متفرقة، وأوبقات مختلفة حذراً من الجواسيس وضعاف الإيمان.

ولأجل أن تضمن «جمعية النهضة الإسلامية» تحقيق أهدافها، نشرت دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف، والكوفة، وأبي صخير، والشامية، وبين حملة السلاح من أهل النجف، وذلك بتكتم شديد وحذر كبير. فكان ممن انضم إليها من القبائل: الشيخ مرزوك العواد رئيس العوابد، والشيخ ودّاي رئيس آل علي، والشيخ سلمان الفاضل رئيس الحواتم، ومن حملة السلاح النجفيين: البعض من آل صبّي، وآل غنيم، وآل شبع، وآل كرماشه، وآل العكايشي، وآل الحاج راضي، وألبوكلل، وآل عدوه، وغيرهم ممن يتعذر علينا إحصاء أسمائهم، ولم يشترك فيها أحد من جماعة آل السيد سلمان، وهذا يعني أنه أصبح لـ«جمعية النهضة الإسلامية» حزب سياسي تسيّره الأدمغة المفكرة، وآخر حربي قوامه حملة السلاح، وكان بعض أعضاء الجمعية يقوم بدور الوساطة والاتصال بين الحزبين السياسي والحربي، بعد أن وحّدت رغبة الخلاص من ربقة الاستعمار والكفار صفوف الطرفين، وقرّبت بعضهم إلى بعض، على الرغم من اختلاف العقائد وتباين النزعات والمآرب.

وعلى كل حال فإن رؤساء العشائر الحقيقيين الأصليين ظلوا على اتصال دائم مع النجفيين، بل ازداد نشاطهم لمقاومة هذا البلاء الجديد.

ومن هنا بذرت البذرة الأولى لثورة عراقية عامّة ضد الإنكليز، وقد كانت النجف أصلح مكان لتدبير هذه الثورة وتحقيقها؛ وذلك لأنها المرجع الديني الوحيد من جهة، ومن جهة ثانية لأنها البلد المستقل الوحيد الذي لم يجرأ الإنكليز على احتلاله طيلة سني الحرب، فكان يحكم نفسه بنفسه ويستقبل الزعماء من كل الجهات بكل حرية وانطلاق.

وبدأت الاجتماعات السرية لهذا الغرض تعقد في كل مكان مرتبط بالنجف والنجفيين، وكانت التمهيدات والاستعدادات جارية في السر على قدم وساق، وكان المعنيون في كل منطقة يستغلون كل فرصة لإثارة الناس ضد الإنكليز وفضح نواياهم تجاه العراق.

وكانت تتولى هذه المهمة في النجف «جمعية النهضة الإسلامية» السرية التي تألفت خصيصاً لرفع لواء المعارضة ضد الإنكليز والثورة عليهم، هذه الجمعية التي استمات الأتراك في استمالة بعض أعضائها، بدافع الروح الإسلامية، لتقديم ساعة الصفر.

قلنا: إن الإنكليز لم يستفزوا النجف باحتلالها من قبل الجيوش الفاتحة، وإنما تدرّجوا في فرض سيطرتهم على البلد بمحاولات متعددة، انتهت بالثورة عليهم.

فهم قبل أن يدخلوا النجف مهّدوا لذلك باسترضاء زعمائها واستمالتهم، وبخاصة الحاج عطية أبوگلل؛ حيث عززوا مكانته وفوّضوا إليه كثيراً من الأمور. حتى أن البضائع ما كانت تصدر من البصرة إلى النجف إلاّ بترخيص من الحاج عطية المذكور.

ثم بدا للإنكليز ما يزعزع ثقتهم به، أو أنهم رأوا أن تعاظم نفوذه لا يسهل لهم تسلم السلطة، لذلك عيّنوا عبد الحميد خان، وهو من سكان النجف، وابن عمة أغا خان

وارتأت الجمعية أن تتصل بالجيش العثماني، الذي كان ما يزال يقاتل البريطانيين في أطراف الفرات الأعلى بلواء الرمادي وفقاً لشروط ومبادىء تتضمن استقلال العراق، إذ ما كتب النصر لهذه «النهضة» المباركة وهذه الثورة، فراسلت الحاكم العسكري «أحمد أوراق» كما اتصلت ببعض رؤساء كربلاء لضمان العون لها عند الضرورة، ولكن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن رؤساء كربلا لم يكتموا الأمر عن سلطات الاحتلال، فمكّنوها من حصر الحركة داخل النجف، وحالوا بذلك دون تسرّبها إلى الخارج، واشراك القبائل المجاورة فيها على الأقل».

زعيم الطائفة الإسماعيلية في الهند؛ عيّنوه كوكيل مفوّض عن الحكومة في النجف، فوصلها من بغداد في أوائل آب ١٩١٧، بدون قوة، ليتصرف في إدارة البلدة كما يرى، حيث كانت السلطة البريطانية تُمارس في النجف ومنطقة الشامية بصورة غير مباشرة وفي هذا الخصوص يقول موبرلي:

«منذ احتلال بغداد إلى تاريخ تعيين الوكلاء الحكوميين، كنا نمارس السلطة في النجف ومنطقة الشامية بصورة غير مباشرة، بواسطة جعالات مالية كنا ندفعها إلى الشخصيات البارزة في المنطقة. ففي الجهة الشرقية كانت هذه الشخصيات هي سلمان العبطان وسلمان الظاهر، وهما من الخزاعل. وفي أبي صخير والجعارة السيد هادي زوين. وفي المشخاب مبدر الفرعون، وكان مخلصاً. وفي الكوفة علوان الحاج سعدون شيخ بني حسن. . . .

أما في النجف فكانت السلطة بيد الشيوخ الأربعة، وهم السيد مهدي السيد سلمان والحاج عطية أبوكلل وكاظم صبي، وهم من الزكرت؛ والحاج سعد الحاج راضي من الشمرت.

ثم جرى تعيين وكلاء حكوميين مع شرطة وموظفين ماليين: حميد خان في النجف، وسركيس افندي في الكوفة، ومحمود الطبقچلي في أبي صخير. (وفي كانون الثاني ١٩١٨ عين الكابتن بروتيرو معاوناً للحاكم السياسي في أبي صخير). وكلهم عملوا بنجاح في وسط تلك الصعوبات. ولكن سيطرة الشيوخ في النجف كانت قوية جداً. وقد ظهر لنا جلياً أننا لا نستطيع فرض سلطتنا في النجف بدون معارضة سرية، وربما علنية في بعض الأحيان»[١].

عندما تعيّن حميد خان وكيلاً حكومياً، شعر النجفيون بنوع من التدخل في شؤونهم، فراحوا يتشاورون في الأمر، وقد جاءت حوادث عنزة واكتيالها من النجف، سبباً مباشراً لظهور النتائج التي ترتبت على مشاورات النجفيين، حول التدخل في شؤونهم.

هذه النتائج التي كانت حوادثها العنيفة سبباً في تعيين حاكم سياسي لمنطقة الشامية

---

(١) Moberly, F.J, The Campaign in Messoptamia, P.115

والنجف لفرض الحكم الإنكليزي المباشر في المنطقة، وتعيّن لهذا المنصب الكابتن بلفور في تشرين الأول ١٩١٧، وجعل مقره في الكوفة. وكانت باكورة أعماله أن أعطى الأوامر المشدّدة لإعادة ما سلب من عنزة، وتسليمها إليهم خلال خمسة عشر يوماً.

وفي عصر يوم الثلاثاء ٤ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧م ذهب الكابتن بلفور إلى السيد اليزدي وخلا به، وفي ٢٠ تشرين الثاني، عندما انتهى موعد التسليم ولم تعد الأموال، حضر الكابتن بلفور إلى النجف، وهنا ظهر رد الفعل الأول لتعيينه؛ حيث قوبل تلك المقابلة المزرية. يقول موبرلي في هذا الخصوص ما نصه: «..... اعطيت الأوامر إلى الشيوخ لإعادة ما سلب من عنزه ضمن خمسة عشر يوماً، وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧، عند انتهاء المدة المفروضة، أحدث الحاج عطية أبوگلل تشويشاً، بالإضافة إلى عدم تسليم حصته من المنهوبات، سبّب نهب أثاث الحكومة في النجف وأبي صخير، إن حالة الاضطرابات مرّت بسرعة دون أن تؤثر في العشائر، ما عدا ما حدث بين الشنافية والسماوة، حيث جعلوا يأخذون «التسيار» ـ ضريبة المرور العشائرية ـ من السفن المحملة بالبضائع.

وقد دلّ ذلك على أن سبب التشويشات المارة الذكر، كان مجرّد حجة؛ وأن المحاولات مستمرة لاضعاف سيطرة الحكومة»[1].

والحق أن موبرلي كان موفقاً في معرفة السرّ في كل هذه التشويشات؛ لأنها في الحقيقة كانت ردود فعل لمحاولة الإنكليز حكم العراق حكماً مباشراً من قبلهم، وتعيين الحكام الإنكليز لهذا الغرض.

وقد كانت المؤتمرات السرية والاجتماعات السياسية مستمرة في صدد الثورة على الإنكليز، ومقاومة حكمهم في كل مكان من العراق، لذلك قرر الإنكليز تعزيز حامياتهم في هذه المنطقة، وفي النجف بصورة خاصة.

وفي آخر محرم سنة ١٣٣٦هـ/ الأسبوع الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧م، وصل إلى النجف عامل الكاظمية الانكليزي مارشال، وذاع أنه موفد من قبل حكّام بغداد لإبلاغ اليزدي سلام الملك ـ جورج ـ وقد أبلغ الإنكليز فيما أبلغوه إلى اليزدي أنهم مأمورون

---

(١) Moberly, OP. Cit.

بإنفاذ أوامره ونواهيه وإنهم طوع إشارته إذا أشار.

ولما علم الناس ذلك تهافت الزعماء الذين نكبهم الإنكليز في العراق وحدودها، من العرب والعجم، وأعلنوا جلاءهم، يطلبون شفاعته، فكان اليزدي يشير على بعض أعوانه فيكتبون إلى ـ كوكس ـ الحاكم الملكي العام في العراق، وقد أجابهم غير مرّة إلى ما يطلبون، وإلى نتيجة وساطة بطانة اليزدي، فقد نادى المنادي ثاني يوم الثورة بأن الإنكليز عفوا عن النجفيين.

وكان الإنكليز قبضوا في ـ شفاثا ـ على جماعة من أهل النجف، في جملتهم ابن عطية أبي گلل، أطلقوهم بكتابة من اليزدي في ذلك[1].

وفي أواخر عام ١٩١٧، وفي كانون الأول بالذات، تجوّل السير برسي كوكس في منطقة الفرات الأوسط لتقرير ما يجب بخصوص تعيين المواقع التي يجب أن توضع فيها القوات العسكرية لتأمين حاجة الإدارة السياسية.

وصل السير برسي كوكس حاكم العراق إلى النجف، عصر الثلاثاء ١٩ صفر ١٣٣٦هـ/ ٤ كانون الأول ١٩١٧م، ومعه جماعة من ضباط الإنكليز عن طريق الفرات، وقد ظهرت قبيل وصوله في سماء النجف طيارة انكليزية وحامت على البلدة ذاهبة جائية، ثم عادت أدراجها، وذلك نحو الساعة ٨ عربية من ذلك اليوم، وقد قيل إنها جاءت لإرهاب أهل النجف أو لاستكشاف حالهم من العصيان أو الطاعة، وكانت منخفضة غير محلقة في الجو حتى رُئي ربانها وراصدها واضحين.

ومن الغريب أن عمال الإنكليز في النجف قربوا لكوكس القرابين وذبحوا الذبائح تحت أقدامه.

وقد ذهب توّاً إلى دار حميد خان وكيل الإنكليز في النجف، وعاد بعد الغروب إلى الجسر، وزار السيد اليزدي في الكوفة[2] قبل رواحه إلى النجف وبعده وخلا به، وزار

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٢٨٨.

(٢) جاء في مذكرات الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص٣٩٢:

«كان السير برسي كوكس الشهير، يكثر من زيارته ـ أي السيد اليزدي ـ في الجسر (الكوفة) وفي النجف، فيجلس معه على الحصير المتقطع المتلاشي، ويبقى بالانتظار مدة إلى أن يخرج السيد ثم يجلس معه قليلاً، ويقوم قبل زائره، ولا يكلمه إلا بضع كلمات».

شيخ الشريعة الأصبهاني المعروف بـ (شريعة) وكان مريضاً في داره بالنجف[١]. ثم عاد إلى الكوفة، بعد أن طلب إلى رؤساء النجف الحربيين أن يقابلوه فيها، وكان يحاول أن يلقي القبض على عطية أبوكلل هناك، كما اعتقد الحاج عطية نفسه وظنَّ الآخرون، فحضر جميع الرؤساء عدا عطية ـ الذي امتنع عن المقابلة بحجة إصابته بالديزانتري[٢] ـ وكاظم صبي، ففشلت خطة كوكس، وبالتالي فشلت مهمته في الفرات، لذلك جهز حملة عسكرية إلى النجف والفرات وصلت طلائعها إلى الكفل في أوائل ربيع الأول ١٣٣٦هـ، أي في الأسبوع الثالث من كانون الأول ١٩١٧ طلائع جيش إنكليزي كبير.

وفي عصر الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٣٣٦هـ/ ٢ كانون ثاني ١٩١٨م، وصلت الكوفة مقدمة جيوش إنكليزية كثيرة واتخذت من شريعة أم التبن على بعد سبعة أميال من مدينة النجف شرقاً؛ موقعاً لها، لأن السلطات كانت تتحاشىٰ وضع القوات المسلحة في المدن المقدسة لئلا يسبب وضعها ردود فعل في الهند وإيران[٣]. فلا بدَّ إذن من أن كوكس قد رأى ضرورة ملّحة لذلك.

وفي يوم الخميس ٢١ صفر ١٣٣٦هـ/ ٦ كانون الأول ١٩١٧م، ظهرت طائرة استكشاف إنكليزية في سماء النجف، وأخذت تحوم فوق مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وإذا بالمرجع الديني السيد علي الداماد ـ وقد فرغ من صلاته في الصحن ورفع رأسه ورأى الطائرة ـ يشهق شهقة كانت القاضية على حياته، مما حمل السواد الأعظم على الاعتقاد بأن وفاة المرجع الديني كانت نتيجة لظهور هذه الطائرة في سماء هذه المدينة المقدسة، فأسرّوها في نفوسهم[٤].

---

(١) مذكرات الشبيبي ٢٨٨، وفيها يقول:
«ويجب أن نذكر هنا أن الإنكليز منذ احتلوا بغداد أخذوا يبالغون في العناية باليزدي، وكلما زار أحد منهم النجف أظهر من أعظم مهماته لقاء السيد كاظم، فيزورونه في داره».

(٢) ثورة النجف للحسني ٢٠.

(٣) Wilson A.T.A Clash of Loyalties Vol.2.
وبهذا الصدد يقول السير برسي كوكس:
«إن قيامنا بوضع جيوش في الأماكن المقدسة نفسها كان مناقضاً لتصريحاتنا السابقة، وهذا ما زاد الصعوبات في إيجاد سيطرة تامة لنا في مدينة النجف».
The Letters of Gertrude Bell p.519.

(٤) ثورة النجف للحسني ص٢١.

وفي ٩ كانون الثاني ١٩١٨م زارت مدينة النجف المس بيل، واجتمعت بالحاج عطية في دار حميد خان، فنصحته بالذهاب إلى بغداد ومواجهة الحاكم الملكي العام فلم ينتصح، فهددته بسوء العاقبة إن هو أصرّ على عناده، فلم يفد التهديد معه».

وفي ضحى يوم السبت ٢٩ ربيع الأول ١٣٣٦هـ/ ١٢ كانون الثاني ١٩١٨م أُطلقت النار على دورية إنكليزية تبلغ زهاء ثلاثمائة من فرسان الإنكليز، كانت تتجول حول النجف من جهة محلة العمارة؛ «محلة الحاج عطية أبوكلل»، فقتل اثنان من أفرادها، وهوجمت دوائر الحكومة.

وظلّ النجفيون متظاهرين إلى يوم الاثنين غرة ربيع الثاني ١٣٣٦.

وفي ضحى هذا اليوم ظهرت في سماء النجف طيارة إنكليزية بطيران واطيء للتخويف والإرهاب وهوجمت فلم يتردد النجفيون في اصلائها ناراً حامية.

وفي هذا اليوم أيضاً ذهب إلى مقابلة الإنكليز في الكوفة جماعة من شيوخ المتغلبين في الحويش والمشراق والبراق، ومنهم: السيد مهدي السيد سلمان[1]، وسعد، والصبي، وانفرد عطية بالإصرار على عدم مقابلة الإنكليز، وضاق به الأمر فخرج من النجف ليلة ٤ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ/ ١٧ كانون الثاني ١٩١٨م بعد أن طلب منه النجفيون ذلك لتهدئة الحال، حيث إن بعض الرؤساء يخاصمونه تقليدياً، ويتصلون بالسلطة القائمة لمقاومته وحماية أنفسهم منه وخرج معه كريم بن سعد في جماعة من رفاقهما ونزلوا الرهيمة ـ ثم فارقها عطية بجماعته ظاعنا في بلاد العرب[2].

وقد وضعت حكومة الاحتلال يدها على جميع أملاك الحاج عطية، ومنها خانه خارج سور النجف من جهة الشرق، واتخذته داراً للحكومة.

وفي هذا الصدد أيضاً يقول السر أرنولد ولسن: «بعد تجول السير برسي كوكس وضعت بعض القواعد العسكرية الطفيفة في الكوفة في كانون الثاني ١٩١٨ . . . وقد اطلقت النار على دورية خيالة من السور، كما أطلقت النار بشدة على طيارة ظهرت في

---

(١) جاء في مذكرات الإمام كاشف الغطاء ص٣٨٩:
«. . أما السيد مهدي سلمان رئيس الزقرت، فكان قد اعتزلهم [أي رؤوس المقاومة]، ويتظاهر بالحياد، ويراود السلطة سراً. . ».

(٢) انظر: مذكرات الشبيبي، ص٢٩٢.

سماء النجف، كما هوجمت دور الحكومة وأُرغم حميد خان ومساعدوه، وكلهم عراقيون، على الهرب إلى الكوفة، وكانت العقوبة على ذلك غرامة قدرها خمسون ألف روبية. وخمسمائة بندقية، مع تسليم رئيس العصابة عطية أبوكلل، وكريم الحاج سعد، وقد جمع الشيوخ الغرامة، واستغلوا هذه الفرصة فجمعوا مبالغ أُخرى لأنفسهم من الناس الأبرياء. وسلّموا خمسمائة بندقية عاطلة غير مفيدة. في هذا الوقت وزّعت كتيبة من الجيش في الكوفة، مع مفرزة في ثكنة النجف خارج السور»[1].

أما موبرلي فإنه يقول في هذا الصدد: «عطية أبوكلل وكريم الحاج سعد كانا يحرضان الناس بصراحة على الاضطرابات.

وفي هذه الأثناء ظهرت في سماء النجف إحدى الطائرات فأطلقت النار عليها من جميع المحلات، وهجم النجفيون على الحكومة فاضطر الموظفون والضباط لإخلاء النجف والذهاب إلى الكوفة»[2].

لقد جرى تسليم الغرامة فعلاً، فقد زار بعض رؤساء النجف المسالمين الكابتن بلفور في مقرّه بالكوفة يوم ١٤ كانون الثاني ١٩١٨ وبعد التهديد والوعيد، فرض على النجف غرامة قدرها خمسون ألف ربية وخمسمائة بندقية، مع تسليم عطية ابوكلل وكريم الحاج سعد للسلطة، واعتذروا عمّا حدث، فطلب إليهم العودة إلى النجف، والمحافظة على الأمن والسكينة، كأن شيئاً لم يحدث[3]، بعد أن جمعها هؤلاء الرؤساء من الناس.

وبعدها بمدة قصيرة نادى منادي الحاكم الإنكليزي طالباً تجمّع النجفيين في الميدان لأمر هام، فتجمع النجفيون، ولشدّة ما هالهم الأمر عندما رأوا أن السلطة تعرّي شاباً نجفياً من ملابسه وتجلده جلداً مبرحاً، لمخالفة بسيطة ارتكبها، فضج النجفيون لوحشية هؤلاء المحتلين الجدد، وراحوا يتهامسون بمرارة عن قساوة الإنكليز وشراستهم، وربما بيّت بعضهم أمراً، حيث تضايقوا كثيراً من هذه الإجراءات وأمثالها، وتشاءموا من وجود جيوش الاحتلال في النجف وأطرافها. فساد النجف ذعر

---

(١) Wilson. Loyalties Vol. 2.

(٢) ثورة النجف للحسني ص٢٦.

(٣) انظر: ثورة النجف للأسدي ص٢٢٥.

مشوب بالنقمة، استغلته جمعية النهضة الإسلامية السرّية، كما استغلت الحوادث المماثلة الأُخرى، فازداد أعضاؤها وكثر المنتسبون إليها من جميع الطبقات، وبخاصة الطبقات المحاربة.

وقد أدرك الإنكليز هذه النقمة المتناهية، وتجلّى لهم غلطهم في معاملة العراقيين، والنجفيين بصورة خاصة، نفس المعاملة التي يعاملون بها البلاد الأخرى كالهند وغيرها، لذلك قرروا تدارك هذا الغلط، ولكن بعد فوات الأوان، فسحبوا جيوشهم من النجف وعيّنوا لها حاكماً خاصاً، هو الكابتن مارشال، أحد هواة الاستشراق، والمعروف بدماثة أخلاقه، أما صحراء النجف (البادية) فكانت تدار من قبل وكيل حكومي مقره مع موظفيه في الرمادي، تحت إمرة الحاكم السياسي هناك[1].

وفي اليوم الأول من شباط ١٩١٨، وصل الكابتن مارشال المذكور إلى النجف وسكن في خان عطية خارج السور.

وعن هذا الكابتن الجديد، يقول السير أرنولد ولسن:

«وفي أول شباط ١٩١٨، أرسل السير برسي كوكس، الكابتن دبليو. ام. مارشال Captain W.M. Marshall إلى النجف كمساعد للكابتن اف. سي. سي. بلفور، من قسم الخدمة المدنية في السودان، والذي كان قد عيّن في تشرين الأول ١٩١٧ إلى منطقة الشامية. إن الكابتن مارشال الذي كان يوصف في بعض الأماكن، بأنه أحسن وأعقل رجل؛ وكان أهلاً لواجبه الصعب، هو يتكلم الفارسية بطلاقة. وكان لمدة عشرة أشهر معاون حاكم سياسي في الكاظمية، حيث كان محترماً من الجميع. كان يأمل العودة إلى انكلترا في صيف ١٩١٨ ليتزوج. ولكن عندما عهد إليه بمنصب النجف ترك شؤونه الخاصة إلى وقت آخر، لأداء مثل هذه المسؤولية العظيمة. لقد كرّس نفسه لهذا الواجب بمهارة حببته إلى رجال الدين الذين أتى لهم بأحرّ التوصيات من إخوانهم في الكاظمية»[2].

أما موبرلي فإنه يقول عن تعيين الكابتن مارشال المذكور: «وفي شباط ١٩١٨ تعين

---

(١) بلاد ما بين النهرين ٢/٢٦٦.

(٢) Moberly op.cit.

الكابتن مارشال معاون حاكم سياسي للنجف، على أن يتصل رأساً في بغداد، فيما يتعلق بقضايا المدينة الهامة، أما القضايا الأخرى فيراجع حاكم الشامية»[1].

لقد أرسل الإنكليز هذا الحاكم الخلوق ـ كما يقولون ـ إلى النجف ليعامل أهلها بالحسنى، بعد أن ارتكبوا الشطط في بادىء الأمر. غير أن ذلك جاء بعد فوات الأوان. حيث أن جمعية النهضة الإسلامية السرية قد نشطت نشاطاً قوياً، بعد استغلالها لاغلاط الإدارة الإنكليزية الكثيرة والتي تراكمت النقمة بسببها في نفوس النجفيين، فأعربت عن نفسها في حادث تعرية الشاب وجلده، وقد انتهزت الجمعية انسحاب القوات الإنكليزية للتعجيل باشعال فتيل الثورة في النجف، لتستمر في جميع العراق، كما هو مقرر في السرّ من قبل علماء الدين وزعماء عشائر الفرات، ولكن المتحمسين لهذا الاستعجال جوبهوا بمعارضة قوية داخل الجمعية، حيث كان المنتسبون الجدد وأكثر المنتسبين السابقين، لا يحملون الفكرة الإسلامية التركية التي يحملها المؤسسون، لذلك عارضوا هذا الاستعجال أشد المعارضة؛ لأنهم يعلمون أن الثورة ضد الإنكليز في النجف لا يمكن أن تحدث قبل أن تنضج الفكرة في جميع العراق، وبخاصة الفرات، ويتم لها الاستعداد؛ كما هو مقرر في السرّ من قبل الجميع، وأن الاتصالات جارية بين العلماء وزعماء العشائر في هذا الشأن، ولكن المؤسسين الرئيسيين للجمعية، والذين يغلب على الظن أنهم متصلون بالأتراك؛ وربماكانوا يعدونهم بإرسال قوة من الجيش التركي لمساعدتهم، عندما يثورون ضد الإنكليز؛ إن هؤلاء المؤسسين لا يستطيعون التواني في إشعال نار الثورة في النجف، خشية أن يتم

ثورة النجف للحسني ٢٧ ـ ٢٨: «وكان أول عمل قام به «مارشال» أنه ألف قوة جديدة للشرطة المحلية اختير أفرادها من خارج النجف، ولا سيما من بغداد والكوت ـ وكان معظمهم من أكراد كرمنشاه ـ بعد أن حلّ الشرطة القديمة لموالاتها لشيوخ المدينة، وعدم الاطمئنان إلى سلوك أفرادها تجاهه، كما قطع المخصصات الحكومية التي كانت تمنح إلى رؤساء المدينة من قبل، كوكلاء لسلطات الاحتلال، وشرع في تنظيم أمور البلدية على أسس عصرية، كما شرع في صرف أوقاف إوده إلى مستحقيها، وكانت هذه المخصصات قد حبست عن هؤلاء بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى».

ويقول أ. تي. ولسن: أن ملك أوَدّه أقرض حكومة الهند في عام ١٨٢٥م، مبلغاً قدره عشرة ملايين ربية بفائدة قدرها ٥٪ توزع على فقراء النجف، وكربلاء، بصورة دائمة ومستمرة، وأن هذه الخيرات حبست عن مستحقيها في المدينتين المقدستين المذكورتين بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، فتقرر إعادة توزيعها الآن». ن. م ٢/ ٢٩٣.

إحتلال الإنكليز لجميع العراق، فلا يستطيع الأتراك المسلمون إرسال مساعداتهم المأمولة، بينما يرى النجفيون الآخرون، داخل الجمعية وخارجها، ويؤيدهم قادتهم من رجال الدين الأحرار وزعماء العشائر، يرون أن الاستعانة بالأتراك معناه الموافقة على بقاء الأتراك في البلاد، وهذا ما لا يريدون؛ ذلك لأنهم سئموا الأتراك وظلم الأتراك وتخلف الأتراك من جهة، ومن جهة ثانية لأنهم تذوقوا حلاوة الحرية وحكم أنفسهم بأنفسهم فلا يقبلون بعودة التسلط والاستعمار من أية جهة كانت، ومن أجل ذلك هم يعملون للثورة على الإنكليز الذين احتلوا البلاد، فكيف يوافقون على عودة الأتراك؟

وعندما نضجت هذه الفكرة نضجاً تاماً عند الرأي العام النجفي، تأثر بها أعضاء الجمعية، فلم يحصل الاتفاق على الاستعجال وتقديم ساعة الصفر، وإنما يجب العمل مع الآخرين لانضاج الفكرة في جميع أنحاء العراق، وبصورة خاصة مع عشائر الفرات الذين عليهم المعوّل في هذا الخصوص، لتمرّسهم في القتال وتوفّر السلاح لديهم بكثرة، بحكم منازلاتهم الأتراك على الدوام، واستمرار المعارك غير الحصيفة فيما بينهم لأقل الأسباب.

غير أن المتحمسين من الأعضاء المحاربين المتحمسين كثيراً لاسلاميتهم، كوّنوا جمعية سرية داخل الجمعية، لتتولى بنفسها استغلال التوتر في النجف وإشعال نار الثورة فيها.

وكانت هذه الجماعة، أو هذه الجمعية الفرعية، برئاسة الحاج نجم البقال، أكثر الأعضاء المؤسسين دهاءً وغرضاً، لأنه كان يتصل بالأتراك عن طريق ابنه عباس الذي كان قد هرب إلى «اللصف» في البادية ملتحقاً باعجمي السعدون[1]، عندما دخل

---

(١) ينقل د. علي الوردي في «لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث» ج٥/ ق٢/ ٢١٧، عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة، ما نصّه:

«جاء كتاب من عجمي باشا السعدون... إلى القيادة العامة يقول: إن رسولين جاءا من النجف الأشرف من العلماء والزعماء، فلما علمنا بذلك دعوناهما فجاءا، وكان اسم أحدهما الحاج عباس ابن الحاج نجم البقّال... وثانيهما يدعى أحمد وأبوه كان مدير إدارة البرق في النجف فوردا بكتب من علماء النجف ورؤسائها، وأخبرا بتشكيل جميعة في النجف من أهل النجف وغيرهم غرضها إنقاذ العراق من الإنكليز؛ لأن أهل العراق سأموا من ظلم الإنكليز واعتسافهم، وهم مستعدون لتنفيذ أي أمر=

الإنكليز أبو صخير وجعلوا يتعقبون من هاجم ماكنة الماء التي تضخ إلى القناة التي تجلب الماء إلى النجف، وكان عباس هذا من بين من هاجموا الماكنة ونهبوا النفط الذي فيها، ومنهم كريم غانم كرماشة، ومجيد غانم كرماشة، ولفيف من الناس الآخرين، ولم يكن في ابي صخير حكومة غير البلدية، لا أتراك ولا إنكليز.

وعندما هرب عباس المذكور جعل يراسل أباه الحاج نجم ويحضه على الثورة على الإنكليز ويشعره بأن الأتراك سيعودون قريباً إلى النجف.

وعباس هذا هو جندي متسرح من الجيش التركي برتبة «باشچاووش»، وكان صاحب مقهى في رأس السوق الكبير قرب الصحن، حيث كان في هذه المنطقة ثلاث مقاهٍ متقاربة يجلس فيها «المشاهدة» أي النجفيون المسلحون: إحداها لعباس الحاج نجم المذكور، والثانية للشخص المدعو «كل محمد»، والثالثة للشخص المدعو عبد الحسين فتة. وكانت هذه المقاهي الثلاثة موضع نشاط تلك الجمعية الفرعية من جمعية النهضة الإسلامية، تعمل سرّاً وبكل نشاط على إعداد العدّة لتنفيذ خطة الاستعجال في تقديم ساعة الصفر قبل أن تذهب الفرصة باندحار الأتراك نهائياً في العراق، فلا يستطيعون عندئذ تقديم المساعدات الحربية اللازمة، عندما تثور النجف ويثور العراق على الإنكليز.

ومن ذلك يتضح جلياً إن جميع النجفيين، بما فيهم أعضاء الجمعية، متفقون على ضرورة الثورة ضد الإنكليز الكفار المستعمرين، ولكن أقلية ضئيلة تقاومهم لكفرهم فقط وليس لأنهم مستعمرون؛ فيرون وجوب الاتفاق مع الأتراك لضرب الإنكليز، مندفعين بذهنية إسلامية؛ ولأن العراق لا يستطيع ردّ عادية هؤلاء الكفرة دون الاستعانة بالأتراك؛ ذلك لأن مفهوم تقرير المصير وما يترتب عليه من آثار واعتبارات لم يكن معروفاً ذلك اليوم. حيث أن مبادىء الرئيس ويلسن لم تعلن إلاّ في الثامن من كانون الثاني ١٩١٨. تلك المبادىء التي جاء في البند الثاني عشر منها ما نصه:

يصدر من القيادة العثمانية، نادمون أشد الندم على ما كان منهم؛ لأنهم لم يكونوا يظنون أن الإنكليز بهذه المثابة من الغرور والنخوة والقسوة والجفاء والظلم... فأخذت لهما من القيادة ما يلزم لإعاشتهما من القوت والمال، وخلعت عليهما القيادة خلعاً نفيسة وخصصت لهما داراً إلى جنب دارنا».

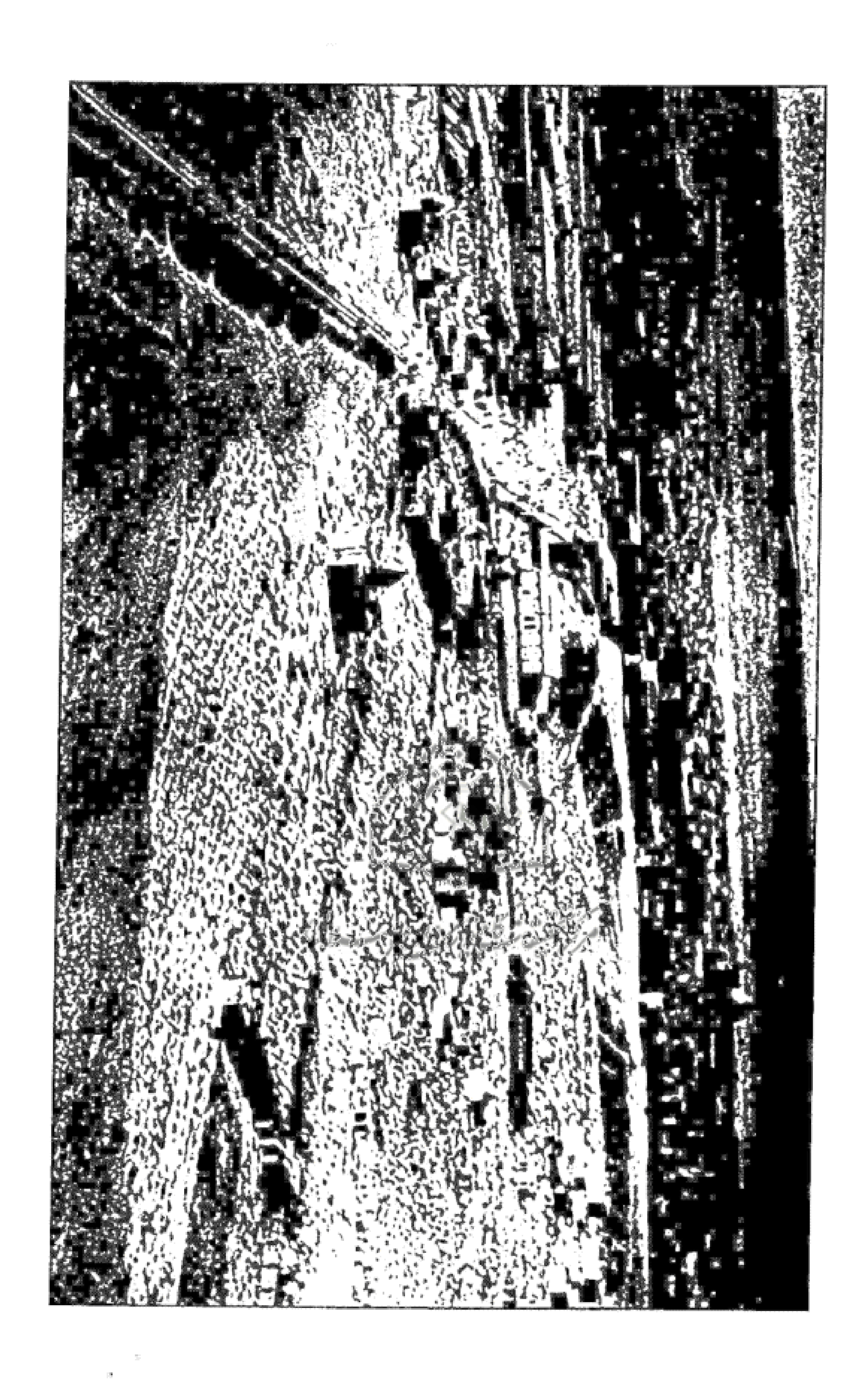
«البند ـ ١٢ ـ أن الأقسام التركية من الامبراطورية العثمانية الحالية، يجب أن تضمن لها سيادتها، لكن الأقوام الأخرى التي تخضع الآن للحكم التركي، يجب أن تضمن لها حياة آمنة لا تشوبها شائبة، وفرصة لا تمس قطعياً للحكم الذاتي، ويجب أن تفتح مضائق الدردنيل بصورة دائمة، وتجعل ممراً حراً لبواخر وتجارة جميع الأمم. ويؤمن ذلك بالتزامات دولية».

إن هذه المبادىء والمفاهيم الجديدة، لم تكن معلنة ولا مفهومة من قبل الأقطار المتخلفة، وبخاصة في العراق. فالعراقيون إذن لا يستطيعون معارضة القوة الإنكليزية إلاّ بقوة مثلها، لذلك يجب تقديم ساعة الصفر في رأي تلك الأقلية الضئيلة، قبل الاندحار النهائي للأتراك، بينما الأكثرية الساحقة من النجفيين لا يرون ضرورة الاستعجال قبل أن يتم التفاهم مع العشائر وتحضير الاستعدادات الكاملة؛ وإن ساعة الصفر لا يمكن أن يعينها النجفيون وحدهم، وإنما يعيّنها جميع الزعماء المعنيين في العراق. كما أنهم يشجبون الاستعانة بالأتراك شجباً تاماً؛ لأنهم يريدون انتهاز هذه الفرصة لتحقيق الاستقلال.

بينما كانت الحال تجري في النجف على هذه الوتيرة، كانت تجري في الفرات الأوسط على أطوار مختلفة، ففي بعض المناطق تنكَّر الزعماء الحقيقيون للإنكليز وتجنبوا طاعتهم، وربما أعلن بعضهم العصيان عليهم. وهناك زعماء اصطنعتهم سلطات الاحتلال لمقاومة الزعماء الأصليين، فكانوا يمالئون الإنكليز ويؤمنون مصالحهم ويحققون أغراضهم على حساب الشعب الذي كان يعرب عن نقمته على الإنكليز بمختلف الوسائل والأساليب. وقد قال لونكريك عن الطوز الأول في هذه الفترة: «. . . . أما الأحوال في منطقة السماوة وفي بني حچيم الأقوياء، ففي فوضى»[1].

أما عن الطور الثاني، فقد جاء في كتاب «العشائر والسياسة» ما نصه: «بينما كان بعض الرؤساء والشيوخ الموالون للاستعمار يتآمرون على الشعب والبلاد، ويقتسمون الأراضي، ويحصلون على الرشوات من الإنكليز، كان الشعب يعبّر بكل صراحة عن

(١) Longrigg, Iraq. 1900-1950, p.95.



النجف - سنة ١٩١٨ - منظر عام

نقمته وسخطه على الاستعمار وأذنابه. وخير دليل على هذا، التناقض في الشعور والمواقف: موقف الشيوخ والرؤساء من القوات البريطانية المختلفة، وموقف الشعب. فقد تمكن الإنكليز في نهاية عام ١٩١٧، من أن يؤسسوا قوات عسكرية قوامها أفراد العشائر سموها «شبانة»، بعد أن قدموا لبعض الرؤساء والشيوخ الأراضي والأموال. وكان الشعب يسمي الشبانة كفاراً، ويلعنهم في الشوارع، وكان الناس يعلنون عن نبذهم الاجتماعي للشبانة بطرق شتى. فكانوا لا يقدمون لهم الشاي والقهوة في المقاهي، وكانوا يكسرون الأواني والمواعين التي يأكلون بها. وكانت نساؤهم تصرخ وتستغيث بأزواجهن من الشعب الغاضب عليهن. وفي كثير من الحالات كان الشعب يعبّر عن سخطه ونقمته بأخذ زوجات الشبانة بالقوة وإرجاعهن إلى عشائرهن. وحتى كن في بعض الأحيان يقتلن. وقد نصب الإنكليز صكبان العلي رئيسا للشبانة في الناصرية سنة ١٩١٩»[1].

وخلاصة القول عن وضع النجف عند حدوث الثورة، هو أن الاتصالات كانت جارية في النجف بين زعماء العشائر للثورة على الإنكليز. وكان مقرراً عند نضج الفكرة واكتمال أسبابها، أن تبدأ النجف بالثورة لتتبعها المدن الأخرى. وأن الإنكليز كانوا - لجهلهم بحقيقة العراقيين - يرتكبون كل يوم في النجف وفي غير النجف ما يسبب الحقد والنقمة عليهم، وزوال الثقة بهم وبوعودهم التي قطعوها للعراقيين عند احتلال العراق: «جئنا محررين لا فاتحين». وقد ازداد توتر النفوس في النجف عندما انهالت قوافل عنزة للاكتيال من النجف، مما سبب ارتفاع الأسعار واختفاء الأطعمة أو نفادها فعلاً، كما تصوّر الناس، الأمر الذي أرعب النجفيين واذهلهم وجعلهم يضربون أخماساً بأسداس. هذا الأمر الذي سهل لجمعية النهضة الإسلامية السرية إلهاب شعور الناس ضد الإنكليز، وساعد هذا وغيره على انتساب كثير من الأعضاء المسلحين إليها. حيث أصبحت تعتقد بأن في إمكانها أن تقوم بالحركة بكل سهولة.

بالإضافة إلى ذلك سوء سلوك الاستعماري الفضّ الكابتن بلفور، مع كل من عطية أبو كلل الزعيم المتنفذ، وكاظم صبي الزعيم الشجاع الصلب، وكريم الحاج سعد

---

(١) العشائر والسياسة، تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية ص٢.

الشاب الشجاع المتهوّر. فإن مخاصمته لهؤلاء الثلاثة وحّدت الزكرت والشمرت ضد السلطة البريطانية في النجف، ومهّدت لجمعية النهضة سبيل الاتصال بهم وجلب عطفهم على حركتهم. وكذلك كان تجوال المفرزة الهندية، قبل ذلك، حول سور النجف يومياً، وبخاصة من جانب محلة العمارة، محلة الحاج عطية أبوكلل، كان هذا التجوال اليومي مبعث ريبة وقلق للنجفيين على مدينتهم التي يفتدونها بالأرواح. فهي مرقد أمامهم وسرّ دينهم؛ بل هي حصن مكين من حصون الإسلام. خاصة وأنهم أصبحوا يشعرون، بما حصلوا عليه في فترة الحرب من سلاح وافر وأموال طائلة، بأنهم يستطيعون صيانة مدينتهم من عبث هؤلاء الكفار. وقد جاء قرار الحكومة البريطانية بسحب جيوشها من النجف والاكتفاء بالشرطة المحلية، مشجعاً للنجفيين على تأكيد هذه العقيدة. لذلك أصبح من السهل، في حسبانهم، أو في الحقيقة في حسبان الفئة الخاصة التي سبقت الإشارة إليها، أن تنتفض ضد الحكومة البريطانية وتطردها من النجف. لتتبعها البلدان الأخرى.

وقد كانت هذه الأسباب والمقدمات كلها تتفاعل تفاعلاً إيجابياً، في ذهنية النجفيين، مع العامل الاقتصادي الذي كان الموجه الحقيقي الأصيل في أمثال هذه الأمور. فإن الإنكليز عندما احتلوا البصرة وتقدموا مصعدين مع دجلة نحو بغداد، وانشغال الجيش بالكرّ والفرّ على هذه الطريق. ثم قيام العشائر الفراتية المتمرسة بالقتال والمشبعة الذهن بفكرة الجهاد ضد الإنكليز، بعرقلة زحف جيوش الاحتلال على الفرات وإيقاع الخسائر الكثيرة فيها. إن هذين الحدثين نبّها كلاً من بريطانيا وتركيا إلى ضرورة استمالة الفراتيين بين البصرة وبغداد، وبخاصة المواقع الحساسة في هذه الطريقة. ولهذا السبب انهالت الأموال على هذه المواقع من قبل الجانبين المتحاربين، فكثر ما في أيدي الفراتيين من الأموال والسلاح، وتحسنت أحوالهم الاقتصادية إلى حد كبير عن طريق المتاجرة بالأموال والبضائع التي غمرت البصرة من الهند. وإذا ما علمنا بأن النجف أصبحت في هذه الفترة مركز العراق التجاري الوحيد، لانسداد طريق بصرة ـ بغداد، حيث أصبحت النجف تجهّز بغداد وغير بغداد بكل حاجاتها من الأموال المستوردة بوفرة من الهند عن طريق البصرة، والتي أصبح الفرات طريقها الوحيد إلى داخل العراق؛ إذا علمنا ذلك أدركنا مبلغ تحسن الحال الاقتصادي في

النجف. فقد ازدهر الاقتصاد النجفي ازدهاراً عظيماً، وتجمّعت في النجف ثروات طائلة ساعدتها على توفير كميات كبيرة من السلاح، استعداداً للطوارىء في مقابلة هذا الفاتح الجديد الذي دلَّ توافر الأخبار والتجربة على غطرسته وسوء سلوكه مع الناس. فقد كان لتردد التجّار النجفيين على البصرة، أثر كبير في تكوين الدعاية السيئة في النجف ضد الإنكليز. فالظلم والاستهتار والأحكام الكيفية التي كانوا يشاهدونها من سلطات الاحتلال في البصرة والناصرية وما كانوا يسمعونه عنهم في الهند، كانت عاملاً فعّالاً في النقمة على البريطانيين.

أضف إلى ذلك أن أسعار الحاصلات المحلية قد ارتفعت بسبب تزاحم وكلاء كل من الطرفين المتحاربين في شرائها لتموين الجيشين المتحاربين فقد سبب ذلك الارتفاع تحسن أحوال المزارعين وزيادة ما في أيديهم من السلاح كما أسلفنا. وكنموذج لمبلغ ارتفاع الأسعار نذكر بعض الأرقام فقد بلغ ثمن الطن الواحد من الحنطة ستين ليرة عثمانية ذهب (الليرة تساوي ثمانية عشر روبية)، وثمن طن الشلب ثلاثين ليرة، وطن الشعير ثلاثين ليرة، وطن التمر عشرين ليرة. وتبعا لذلك ارتفعت أسعار الأشياء الأخرى. فبلغ سعر البندقية خمسة وثلاثين ليرة، وثمن الفرس العربية أصبح ستين ليرة، وارتفع مهر البنت من معدل خمس عشرة ليرة ذهب إلى معدل مائتين وخمسين.

وقد ساهم السيد اليزدي في دعم الوضع الإداري للمدينة، وسعى إلى إزالة الصعوبات التي تشهدها. فعندما تفاقمت الأوضاع الاقتصادية نتيجة تطورات الحرب وسقوط بغداد بيد الإنكليز، كانت النجف ضمن المناطق التي أضرت بها الأزمة وعاشت تحت وطأتها الثقيلة، فقد بذل السيد اليزدي مساعيه من أجل تخفيف حدّة الأوضاع المعاشية، حيث كان يوعز إلى تجار الحبوب والمواد الغذائية في بعض مناطق العراق إلى التعاون مع أعيان النجف لبيعهم المواد الغذائية.

ففي ٢٤ محرم ١٣٣٦هـ/ ١٠ كانون الأول ١٩١٧م، بعث برسالة إلى أحد التجار، نصّها:

«الجناب الأعز الأكرم حميدي الداخل المحترم أدام الله عزّه وتوفيقه.

بعد السلام عليك والدعاء لك بمزيد البركة والتوفيق والخير والسعادة.

نبدي لك أعزك الله أنه قد بلغك هياج عامة هذه النواحي من حادثة هذا الغلاء

المريع، بل الخطب الفظيع، ولا سيما على فقراء المشاهد المقدسة وهم أكثر أهاليها فإنهم أصبحوا لا يملكون قوتاً ولا نقوداً، فأصبحت ضجة الأرامل واليتامى وأنينهم من الجوع والطوى يفتت الأكباد ويبلغ السبع الشداد. وقد انتدب جماعة من تجار النجف الأشرف وأعيانهم فجمعوا رأس مال كبير، وعزموا على شراء مقدار من الأطعمة وجلبها إلى النجف كي تباع وتبذل للفقراء والمساكين برأس مالها من دون ربح. وهذا العمل بتوفيق (الله) يوجب غاية التسهيل وتخفيف الوطأة الشديدة. وقد توجه بعض وكلاء تلك الجماعة وعمّالها إلى أطرافكم طلباً لشراء ما لعله يحصل في تلك الجهات.

فالأمل بمنّه تعالى وجميل ما نعهده فيكم أن تعاضدوهم وتؤازروهم وتشاركوهم في هذا الأجر الجزيل والمشروع الجليل. ومن الجميل أن تباشروا بفضلكم الشراء لهم من دون سعي، فإن أجر سعيكم على الله جلّ شأنه. وحسن الظن واليقين بكم يغنينا عن التأكيد عليكم. وبلّغوا سلامنا ودعانا لكافة إخواننا المؤمنين سيما الأمجد عبد الحسين سلّمه الله.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته»[1]

غير أن الإنكليز عندما انتهت الحرب واستتب لهم الأمر، اصطنعوا أزمة لتخفيض أسعار الحاصلات، فانخفضت مرة واحدة، ليشتروها بأسعار واطئة؛ ولتخفيض أجور العمال في العراق، استعداداً لتشغيلهم في مشاريع النفط المنتظرة. فقد أصبح سعر الحنطة ٢٤٠ روبية للطن الواحد، والشلب ١٥٦ روبية، والتمر ٨٠ روبية، والشعير ٩٠ روبية.

كانت النجف في هذه الفترة (١٩١٥ ـ ١٩١٧) تحكم نفسها بنفسها، وتتمتع بحريتها الكاملة في إدارة شؤونها. بينما كان الناس في المناطق المحتلة، ترهقهم تعسفات الإنكليز ومضايقاتهم والضرائب الفادحة التي يفرضونها عليهم. وقد كان النجفيون يربطون بين حريتهم هذه واستقلالهم في إدارة شؤونهم، وبين هذه الثروة الطائلة التي حصلوا عليها، لذلك أصبحوا يحرصون كل الحرص على هذا الاستقلال. فلما تصدّت سلطات الاحتلال لانتزاع هذه السلطة الاستقلالية من أيديهم، في بداية

---

(١) دور علماء الشيعة ص١٢٧.

١٩١٨، هالهم الأمر، وجعلت نفوسهم تضطرب بكثير من الأفكار والأحاسيس المناهضة لسلطات الاحتلال البريطاني.

أما وضع حكومة النجف فإن الكابتن مارشال بعد أن حلَّ في خان عطية، كانت معه ثلة من الشرطة من الأكراد الإيرانيين وفصيل من البنجابيين، وكان يسكن معه في هذا الخان ضابط العمل الذي لم نعثر على اسمه. وكانت حامية الخان مزودة بكثير من الأسلحة الخفيفة والثقيلة. وكان أهم موقع في الخان هو «المفتول» المشرف على جميع المنطقة التي حول الخان. ولهذا الخان بابان: باب رئيس كبير على الشارع العام المؤدي إلى الكوفة، وباب خلفي صغير مسدود على الدوام. وفي مدخل الخان من الباب الرئيس غرف على الجانبين متخذة للسكن والإدارة. وتقع خلف الخان المدابغ وخانات بيع الأغنام. ويقع الخان على يمين السكة الحديد للمتجه من النجف إلى الكوفة، ويبعد عن سور النجف بحوالي خمسمائة متر.

أما المفرزة فقد سحبت في أوائل آذار دون موافقة بلفور ومارشال.

وقد كانت النجف عند الثورة، تزخر بالزوّار في عيد الربيع «الدخول» حيث يعتبر يوم ٢١ آذار يوم زيارة للنجف. وتكاد هذه الزيارة أن تكون مقصورة على الفلاحين. لذلك كانت النجف زاخرة بهم عند الواقعة.

مقتل الكابتن مارشال وبدء الحصار

اليوم الأول

الثلاثاء ٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١٩ آذار ١٩١٨م

لقد تهيأ كل شيء أمام المتحمسين من مؤسسي جمعية النهضة الإسلامية السرّية:

١ ـ عزم أكيد على القيام بالثورة ومقاومة المحتلين، مهما كلّف الأمر، بعواطف إسلامية متحكمة في النفوس.

٢ ـ غليان الشارع النجفي الذي نقم على إهانة رجال النجف كالحاج عطية أبو كلل وغيره من الزعماء.

٣ ـ التنظيم الخيطي، فقد شكّلت الجمعية خلايا لا تعرف الواحدة بالأخرى، يتراوح عدد أفراد الخلية بين ١٠ ـ ١٦ مسلحاً.

٤ ـ أمل بالمراجع التركية التي وعدتهم بالمساعدات العسكرية عند القيام بالثورة.

وبقي شيء آخر سنذكره في نتائج الثورة.

وأصبحت الأمور جاهزة لتعيين ساعة الصفر.

كيف بدأ الهجوم ؟ أجاب السيد عودة الشكري على هذا السؤال قائلاً:

«كانت في سوق الحويش مقابل حمّام النسوان الصغير وبجنب دكان الخباز، توجد (چايخانة) مقهى لصاحبها السيد جواد الموسوي، في هذه المقهى تلتقي جماعة من الأصدقاء الشباب المعروفين بجرأتهم وشجاعتهم، وقبل الحادث بحوالي عشرة أيام أو أكثر، رأيت في هذه الچايخانة أربعة أشخاص هم: محسن أبو غنيم، وصادق الأديب، وجودي ناجي، وهادي الحسن الحداد، وهم يتشاورون ويتهامسون، فسألتهم عمّا عندهم، فأجابوني: «موشغلك».

ولما أظهرت لهم الزعل والاستغراب من جوابهم هذا، قالوا لي: إذا تريد تدخل معانه تحلف بالقرآن ونحكيلك، فإن وافقت فبها، وإلاّ كتمت السرّ.

عند ذلك حلفت لهم فقالوا: «يصير عطية أبو كلل يطلع من الولاية والكلاب يقعدون بمقاهي السكة ؟! هذا ما يصير، وقد حصل ذلك بمجيء الإنكليز الذين يحاولون القضاء على حكومة النجف بإبعادهم عطية عنها».

فأجبتهم بالموافقة على العمل معهم في هذا الشأن.

وفي اليوم التالي أخذوني إلى دكان الحاج نجم، فقال لنا: اليوم ليلاً تعالوا إلى دارنا.

فذهبنا ليلاً إلى داره قرب جبل المشراق، وهناك تقرر أن يقوم كل منّا بجمع الأصحاب وإدخالهم الحلف بعد القسم على العمل والكتمان.

وبعد ثمانية أيام اجتمعنا في الچايخانة المذكورة نحن الخمسة ومعنا حميد أبو السبزي، وقد أحضر معه حميد حبيبان، وحسين كنو ابن خالة حميد حبيبان ـ وهو الذي بقي مقتولاً في الخان ـ ومطرود الچعباوي، وكلّهم من محلة الحويش.

وبعد يومين دخل معنا من محلة العمارة: السيد جاسم بن السيد محمد علي طبار الهوا، وسعدون الحاج حمد العامري، وحبيب العامري، وعبد عويد العامري، وعبد محمد الحمامچي، وكريم بن علي الطيار النداف، وعبد حميمة النداف ـ وهو عبد بيت

زوين ـ.

ومن محلة المشراق: حضر السيد جبر بن أخت الحاج نجم، والسيد حمد حمال الجنايز، ومحمد الحاج حسين الصنم ـ وهو شبانه، موظف عند الإنكليز ـ، وكل واحد من هؤلاء كلّف بأن يفاتح جماعة من معارفه ويضمّهم إليه بعد القسم دون أن يعلموا بالآخرين.

وقد جرى ذلك بكل سرعة وكتمان لاستعجال الحاج نجم ولئلا تنكشف المؤامرة إذا طالت مدة التكتلات»[1].

والظاهر أن هذه التكتلات، إذا استثنينا بعض خوّاص الحاج نجم وموضع ثقته، فإنها قد تمت ضمن مدة لا تزيد عن الخمسة عشر يوماً. ومع ذلك لم يجر ذكر نوع العمل المطلوب إلاّ في الاجتماع المكرّس لهذا الغرض في اليوم السابق ليوم الحادث؛ لأن الحاج نجم هذا، كما يبدو من حركاته وسكناته معهم، من الدهاة العارفين بطبائع الناس وعادات المجتمع الذي يعيشون فيه.

وعن الحاج نجم هذا يقول المرحوم يوسف رجيب:

«إن الحاج نجم قد نيف على الستين، وقد أسرع إليه الهرم إسراعاً، ضعيف الجسم هزيله، متوسط القامة، أسمر الوجه، وخطه الشيب واشتعل به رأسه، وكان يخضب لحيته بالـ«وسمة»، ويرتدي العقال اللف على الكوفية المستعملة بين سواد الشعب، لباسه ساذج وعيشه جشب، ومظهره ومخبره كلّه ورع وتقوى، كريم الجبلة طيب الخيم، حلو الحديث، رقيق اللسان، يحب الخير ويحبه الناس لخلقه الرضي، وسلوكه الوقر، ورزانته في منطقه ومعاملته أظهر ما فيه، ولن يعرف عنه المتصلون به والمترددون على حانوته إلاّ كلّ جميل، من لسان عفيف، وتعامل سليم لا غش فيه، ولا تطفيف في ميزانه، وشأنه شأن الكثير من أمثاله الذين يدركون هذه السن، سنّ الكهولة، من إقبال على الأُخرى وعزوف عن هذه الدنيا وحطامها الفاني.

وكان الحاج نجم بقالاً قد اتخذ حانوتاً له في رأس السوق الكبيرة في النجف، وكان حانوته هذا مملحة يباع فيها الملح على عهد الحكومة العثمانية، وبعد ثورة النجف على

---

(١) انتهى حديث السيد عودة الشكري مع الأستاذ حسن الأسدي، انظر: ثورة النجف ٢٤٠ ـ ٢٤١.

الأتراك، وتقلص ظل هذه الحكومة، استولى الحاج نجم على هذه المملحة وجعلها مثابة رزقه، يبيع فيها الرطب واللبن وبعض الخضر، وظل على منواله هذا ردحاً من الزمن، منصرفاً إلى كسب قوته اليومي من ربح ضئيل يسدّ به رمق عائلته»[١].

وقد كان الحاج نجم هذا يزداد حماساً كلما اقتربت نهاية الأتراك في العراق، بالنظر للخسائر المتلاحقة التي كانوا يمنون بها في شمال العراق يوماً بعد يوم، وكان يريد الاستعجال بثورة النجف، ليثور الفرات الأوسط ويضرب الإنكليز من الوراء، فيقوّي الأتراك عليهم، ويصبح في إمكانهم إمداد النجف بالمساعدات العسكرية؛ ذلك لأنه يعرف من مذاكرات جمعية النهضة الإسلامية السرية، بأن النجف عندما تثور ستثور جميع عشائر الفرات الأوسط، حسب المقررات السرّية التي تسالم عليها زعماء بغداد والنجف وزعماء عشائر الفرات. غير أن هذه المقررات كانت تشترط أن ساعة الصفر في ثورة النجف يجب أن تقرر من قبل هذه الجهات الثلاث. فلا تثور النجف إلاّ بعد أن يجتمع رجال بغداد والنجف وزعماء العشائر ويقررون الوقت المناسب لذلك، بعد اكتمال جميع الاستعدادات.

ولكن الحاج نجم، على ما يظهر، قد اتفق مع الجهات التركية التي كان ابنه عباس وسيطاً بينها وبينه، وربما دون علم الجمعية، على تقديم ساعة الصفر لتخفيف الضغط على الأتراك في شمال العراق، ولكن العشائر سرعان ما أدرك زعماؤها جلية الأمر، فتجنبوا المشاركة في الثورة، لعدم استكمالهم الاستعدادات التي هي قيد التحضير والمفاوضات.

وعلى كل حال، فإن الحاج نجم وجد نفسه مضطراً لتقديم ساعة الصفر، مهما كلّف الأمر لمساعدة الأتراك المسلمين، لذلك نشط في الأيام الأخيرة نشاطاً غريباً في الاتصال ببعض الزعماء داخل النجف وخارجها، بنفسه أو بواسطة بعض المتحمسين الآخرين الذين لا صلة لهم بالأتراك، وبعد أن اعتقد بنضج دعوته، حسب تقديراته وتقديرات المتحمسين الآخرين، طلب إلى خلايا الجمعية الفرعية الاجتماع في مساء اليوم الثامن عشر من آذار ١٩١٨ في دار بابها من محلة العمارة وظهرها على الحويش،

---

(١) مجلة الاعتدال النجفية ـ السنة الخامسة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، العدد ٤ ص٢١١.

وهي دار كبيرة تعود للسادة آل زوين، وكانت تسكنها آنذاك إحدى نساء آل زوين «الحجية» ومعها وصيفتها العبدة السوداء المدعوة «حميمة» وابنها المدعو «عبد حميمة» وهو أحد أعضاء الجمعية السرية الفرعية داخل جمعية النهضة الإسلامية.

وفي هذه الدار كانت تعقد أكثر الاجتماعات، وقد لبّى الدعوة لهذا الاجتماع أكثر من مائة عضو وقيل بل كانوا حوالي المائتين من الأعضاء الشجعان المتحمسين ضد الإنكليز، وجلّهم من الشباب.

وبعد المداولات تقرر الهجوم فجر اليوم التالي على سراي الحكومة (خان عطية) والاستيلاء عليه، بعد قتل جميع من فيه، وبخاصة الحاكم الإنكليزي، ووثّقوا مقرراتهم هذه بالأيمان المغلّظة، وتقاسم الحاضرون الأعمال فيما بينهم، والظاهر أن الحاج نجم أراد بفعلته هذه حمل الإنكليز على ضرب النجف فيثور الفرات ويضرب الجيوش الإنكليزية من الخلف.

ويبدو أن هذا هو ما اتفق عليه مع الأتراك بواسطة ابنه عباس الذي سبق أن هرب والتحق بأعجمي السعدون بعد دخول الإنكليز إلى أبي صخير، حيث قد أرسل من قبل جمعية النهضة الإسلامية في ١٥ صفر ١٣٣٦ إلى البادية يحمل ثلاثة كتب:

أحدها: إلى القائد نور الدين.

والثاني: إلى محمد العصيمي، وكلاهما في عانة.

والثالث: إلى عجمي السعدون ليهيىء له السفر إلى عانة.

ولم تفصح الأحداث والمذكرات، هل أنه عاد بجواب منهم أم لا ؟ فالمتواتر أن عباس لم يعد من سفره هذا، وإنما بقي هناك وانسحب مع الأتراك إلى استانبول وبقي مقيماً فيها إلى أن توفي ودفن هناك.

«بدأ الاجتماع في دار «الحجية» المذكورة في الساعة الثالثة بعد الغروب، كحفلة من حفلات الأعراس، وفي الساعة الخامسة حضر الاجتماع شخصان لم نكن نعرف قبل ذلك أنهما من أعضاء الجمعية، ولم يقوما بأي عمل بعد ذلك، هما: ميرزا عباس الخليلي، والسيد جعفر الصايغ.

وكان الحاضرون يغنون ويرقصون ويدقّون على الطبول للتضليل، بينما كان الرؤوس يتذاكرون في الهجوم على الخان في فجر تلك الليلة، وبعد أن استقر

الشخصان قدّما للحاج نجم ظرفاً معنوناً بالإنكليزية إلى حاكم النجف السياسي الكابتن مارشال، وهو الكتاب الذي يجب أن ندخل بحجته إلى الخان.

وفي الساعة السادسة بعد الغروب خرجنا جميعاً من الدار، ولما وصلنا «رأس أربع عگـود» قرب بيت علي بيج بالعمارة، تفرقنا لنجتمع خارج السور في مقام المهدي (ع).

فذهب قسم منا إلى مقام زين العابدين فالثلمة، فخارج السور، إلى مقام المهدي.

والقسم الثاني ذهب إلى «القولة» التي فيها دار خطّار العبد ـ وهو من عبيد آل الشيخ راضي ـ في العمارة، ونزلوا منها إلى خارج السور، فمقام المهدي ـ وكان المتحدث عودة الشكري مع هؤلاء ـ.

وقد خرجنا من الدار ونحن حوالي المائتين، ووصلنا إلى مقام المهدي ونحن حوالي الخمسة والسبعين شخصاً، حيث لم يحضر غير المسلحين، وبعد استراحة قصيرة تفرقنا للاجتماع في مقبرة السيد علوي على السكة الحديد على رأس «الچري»، أي في الجهة المقابلة للخان، وعلى بعد حوالي الكليومتر منه إلى جهة الكوفة.

ولما اجتمعنا في هذه المقبرة كان عددنا سبعة وعشرين شخصاً كلّنا مسلحون بالبنادق. وهؤلاء هم:

١ ـ الحاج نجم البقال.
٢ ـ عودة الشكري.
٣ ـ عبد حميمة.
٤ ـ مجيد دعيبل.
٥ ـ جودي ناجي.
٦ ـ محسن أبو غنيم.
٧ ـ السيد جاسم طبار الهوه.
٨ ـ صادق الأديب.
٩ ـ حميد عيسى حبيبان.
١٠ ـ حسين گنو ـ ابن خالة حميد حبيبان.
١١ ـ مطرود الچعباوي.
١٢ ـ هادي الحسن الحداد.
١٣ ـ السيد جبر ـ ابن اخت الحاج نجم ـ.
١٤ ـ السيد حمد ـ ابن بنت الحاج نجم ـ.
١٥ ـ محمد الصنم.
١٦ ـ عبود صخيلة.
١٧ ـ حبيب العامري.
١٨ ـ سعدون العامري.
١٩ ـ عبد عويد العامري.
٢٠ ـ خطّار العبد.
٢١ ـ حميد أبو السبزي.
٢٢ ـ عبد الحمامي.

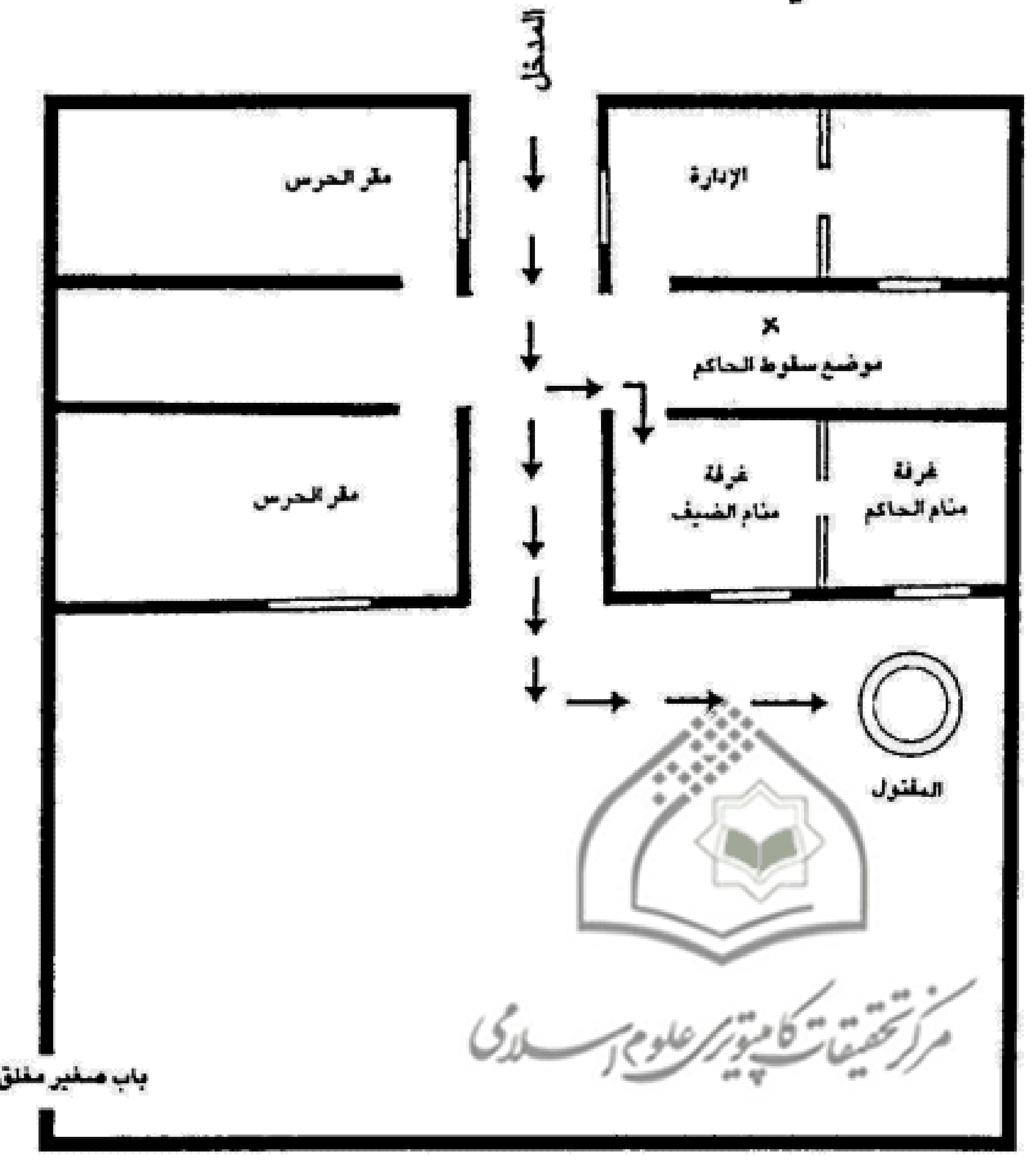
٢٣ ـ حبيب ـ صانع السيد منصور الرفيعي ـ.

٢٤ ـ كريم الطيار النداف.

٢٥ ـ حسين كور ـ الملقب بحسين الدب ـ.

٢٦ ـ مشكور بن بجاي العامري.

٢٧ ـ السيد مهدي السيد حمادي»[1].



خان عطية ـ مخطط توضيحي

الأسهم تشير إلى تقدم الثوار حيث مقتل الحاكم

---

(١) انتهى كلام السيد عودة الشكري، وهذا ما أورده الأستاذ حسن الأسدي في «ثورة النجف» ص٢٤٥، السيد محمد علي كمال الدين فقد أورد في كتابه «النجف في ربع قرن» ص٢٠٩ ـ ٢١٠، أن عا سبعة عشر وهم:

١ ـ الحاج نجم البقال.
٢ ـ محسن أبو غنيم.
٣ ـ مجيد بن الحاج مهدي دعيبل.
٤ ـ حميد عيسى حبيبان.
٥ ـ عبد حميمة.
٦ ـ علوان البودليهم الفتلاوي.
٧ ـ عبد الحمامحي.
٨ ـ سعد العامري.
٩ ـ صادق الأديب.
١٠ ـ شمران العامري

وهنا حدث شيء طفيف من الاختلاف، حيث أن المجتمعين بعد أن غادروا الدار تسلل المسلحون منهم إلى خارج السور واجتمعوا في مقام المهدي (ع)، وعند الاجتماع ظهر أن بعضهم قد تخلّف عن الحضور. كما خطرت في أذهان بعضهم خاطرة دفعت بهم إلى التردد وطلب تأجيل التنفيذ إلى أن يتم الاتفاق مع زعماء الفرات، كما هو مقرر من قبل العلماء. حيث لا فائدة من ثورة في النجف لم تصحبها ثورات متتابعة في كل مكان من العراق، أو في الفرات على أقل تقدير، أما أن تثور النجف وحدها ـ مهما بلغ نجاح ثورتها ـ فإنها تقمع في النهاية إذا بقيت منعزلة عن غيرها.

ولكن هذه الخاطرة لم تؤيدها سوى قلة استعملت عقلها في تلك الساعة، أما الأكثرية فقد تملّكها الحماس فاستنكرت التردد واستبعدت التأجيل، فتقرر تنفيذ المخطط الموضوع.

عند ذلك اختير أشجع المتحمسين ليهاجموا الخان، على رأسهم الحاج نجم المذكور، وقد كلّف هؤلاء بالتسلل إلى مقبرة السيد علوي قرب خان عطية ليباشروا الهجوم منها على الخان، أما الباقون فإنه كُلّفوا بالإنتشار حول الخان لإسناد الهجوم.

وقد تم الهجوم فعلاً في صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١٩ آذار ١٩١٨م، وقتل الكابتن مارشال وانسحب المهاجمون.

أما عن كيفية الهجوم وتفاصيله، فيقول السيد عودة، وهو أحد المشاركين في الهجوم:

«عندما اجتمعنا في مقبرة السيد علوي أرسلني الحاج نجم إلى «الجابية» التي هي

---

١١ ـ حميد أحمد ياسين أبو السبزي.
١٢ ـ السيد جعفر السيد حسن الصائغ.
١٣ ـ حسن من البوجوري.
١٤ ـ حبيب بن جاسم خضير.
١٥ ـ خطار بن سلطان البديري.
١٦ ـ جودي ناجي.
١٧ ـ جاسم السيد محمد علي طبار الهوا.
كما أضاف السيد عبد الرزاق الحسني عدداً واحداً هو: السيد مجيد طبار الهوا.
انظر: «ثورة النجف» ص٣٦.

بالقرب من الخان لاقف مصلياً صلاة الصبح هناك لكي أُراقب فتح باب الخان، فإذا فتحت أنهي صلاتي، وأنفض عباءتي، لنبدأ بتنفيذ مخطط الهجوم.

وقد فتح الباب مع شروق الشمس فأنهيت صلاتي، ونفضت عباءتي، فأدركوا أن الباب قد فتح، فتقدم الحاج نجم، ومجيد دعيبل نحو الباب، وبيد الحاج نجم الظرف المعنون بالإنكليزية إلى معاون الحاكم السياسي مارشال.

ولما اقتربا من الخان إالتحقت بهما، وعندما وصلنا إلى النوبچي (الحارس) قدّم له الكتاب، وكنّا بلباس الشبانة، ولما تسلم الحارس الكتاب أوعز لنا الحاج نجم بإسكاته، فأسكته مجيد دعيبل بطلقة من بندقيته في صدره، ودخلنا الخان، عندما دخلنا الخان تجمّعنا في المدخل وتقاسمنا الأعمال واتجهنا في اتجاهين رئيسين:

أحدهما نحو البرج للسيطرة عليه.

والثاني نحو الكريدور الأيسر الذي تقع فيه الغرفة التي ينام فيها الكابتن مارشال.

ففي مقدمة الكريدور من اليسار تقع غرفة لها باب على الكريدور وشباك على الشارع وآخر على المدخل، وهي الغرفة المتخذة للإدارة وفيها التلفون، وهذه الغرفة مقسومة إلى قسمين: قسم له وقسم للكتّاب.

وتقابل هذه الغرفة غرفة أُخرى لها باب على الكريدور، وشباك على المدخل، وآخر على باحة الخان.

وهذه الغرفة أيضاً مقسومة إلى قسمين: قسم لنومه وقسم للضيوف.

والذي سبَّب فشل الهجوم هو أن ضابط العمل أحسَّ بالمهاجمين قبل أن تصل الجماعة الأُخرى إلى البرج، أو أن الجماعة الأولى قد استعجلت في دخول غرفة ضابط العمل الذي أطلق عليها النار فانتبه الكابتن مارشال وخرج من غرفته متجهاً نحو غرفة التلفون فأطلقت عليه النار فخرَّ صريعاً على باب الغرفة، كما انتبه حراس البرج وأخذوا مواقعهم، ففشل «الهجوم» ومما يبدو أن المعركة لم تطل مدّتها أكثر من ربع الساعة، ولم تتجاوز ساحتها المدخل والكريدور الأيسر.

أما الأستاذ محمد علي كمال الدين فقد وصف بداية الهجوم بما ملخصه[1]: «لقد

---

(١) النجف في ربع قرن ص٢١٠.

طرق الحاج نجم باب السراي وهو مسدود، فسأله الحارس الهندي من وراء الباب: من أنت؟ فردّ عليه بأنه بريدي (بوسطچي) وسمىٰ نفسه حسن الگصراوي ـ وكان حسن هذا شرطياً محلياً من أهل الگصور في بادية النجف ومهمته نقل البريد ـ. وعندما فتح الهندي الباب عاجله محسن أبو غنيم بطعنة خنجر أردته قتيلاً».

عندما قتل الهندي تقدّم الجميع إلى الخان ودخلوه.

وفي المدخل نفَّذ الحاج نجم المخطط الموضوع للهجوم، فتوجه جماعة نحو برج الخان المسيطر على جميع المنطقة، إذ لابد من الاستيلاء عليه قبل كل شيء، ثم تقدم آخرون نحو منام الكابتن مارشال وضابط العمل الذي أحس بالخطر فتبادل النار مع الداخلين عليه، فاستيقظ الكابتن مارشال وخرج من غرفته واتجه نحو غرفة التلفون فأطلق المهاجمون النار عليه وخرَّ صريعاً على باب غرفة الدائرة التي فيها التلفون.

وقد تسبب تبادل إطلاق النار في فشل خطة الاستيلاء على البرج، حيث أحس حرّاس البرج وأخذوا مواقعهم التي أصلوا المهاجمين منها ناراً حامية اضطروا معها للهرب، بعد أن أُصيب أربعة منهم.

وقد استطاع المصابون أن يتخلصوا جميعاً، عدا حسين‌گنو الذي سقط ميتاً فتركوه بعد أخذ سلاحه.

وعن كيفية الانسحاب بعد فشل الهجوم، يقول السيد عودة الشكري المشارك معهم في الهجوم في وصف الانسحاب: «بعد سيطرة الحراس على البرج وسقوط عدد من المهاجمين بين قتيل وجريح، وفشل الهجوم اضطررنا للانسحاب».

أما عن المصابين فيقول: «هم:

حسين‌گنو وقد قتل وترك هناك بعد أخذ سلاحه.

وحميد حبيبان أُصيب في كعب رجله فانسحب واختفى إلى ما بعد فك الحصار وصدور العفو العام.

وأُصيب كذلك ـ حبيب صانع السيد منصور الرفيعي ـ فخرج واتجه نحو المدينة.

كما أصيب عبد الحمامي بصلية رشاش في كتفيه فكانت فيه حوالي إحدى عشرة طلقة غير مميتة، وقد شفى فعلاً بعد إخراج الرصاص وسفّر إلى سمرپور بعد محاكمته،

وهناك قتل قتلة شنيعة، ودفن قرب معتقله في الهند[١].

هؤلاء هم المصابون في الخان.

إلاّ أن المهاجمين عندما انسحبوا خارجين من المدخل الذي دخلوا منه واتجهوا نحو المدينة قابلهم الشبانة «محمد ثالثة» قادماً من بيته عند سماع الرصاص، وأطلق عليهم النار من بندقيته فجرح «صادق الأديب» وتوفي بعد ثلاثة أيام».

أما الذين نجوا من إلقاء القبض عليهم، عن طريق الاختفاء، فهم:

عودة الشكري.

والسيد مهدي السيد حمادي.

وحميد عيسى حبيبان[٢].

وكريم الطيّار النداف.

هذا ما ورد على ألسنة ومذكرات الثائرين.

أما السر أرنولد ولسن فإنه يصف الهجوم على الخان بقوله: «وفي الصباح الباكر ليوم ١٩ آذار ١٩١٨، تنكّر عدد من النجفيين بلباس الشبانة وتمكنوا من الدخول إلى خان عطية، بعد أن تخلّصوا من الحارس، وقتلوا المسكين مارشال، وجرحوا ضابط العمل الذي كان معه جرحاً بليغاً، وتمكن الحرس البنجابي من طرد الثائرين، وقد وصل الكابتن بلفور من الكوفة ودخل المدينة، وبالرغم من إطلاق النار الشديد، نجح في إخراج نصف قوة البوليس التي قتل منها اثنان والتجأ الباقون إلى دار السيد مهدي السيد سلمان»[٣].

كان الحاج نجم أثبت المهاجمين جناناً وأكثرهم رباطة جأش، سواء أثناء التخطيط أو وقت الهجوم أو بعد الإنسحاب عندما عاد بعد الهجوم وفتح دكانه وكأنه كان قائماً بعمل طبيعي مألوف. وعن هذا الخلق المتين يقول المرحوم يوسف رجيب:

«وإن أنس شيئاً فلست بناس ما رأيته عياناً من مظاهر هذا البطل، الحاج نجم، وهو

---

(١) انظر: ثورة النجف للأسدي ص٣٩٦.

(٢) اختفى حميد عيسىٰ حبيبان في دار صهرهم المدعو «كربول» البقال في الحويش ولم يسلّم نفسه إلى أن صدر العفو العام.

(٣) بلاد ما بين النهرين ٢/٢٦٧..

ساكن الظل ثابت الجأش، وهو مقدم على مصارعة الموت في غزوة لا تعرف مغبّتها، بقلب أصلب من الصخر، وإرادة تفل الحديد وتدكّ الحواجز، لتعبر على جسر الموت.

كنت في ذلك المساء ليلة ١٩ ـ واقفاً حيال دكان هذا الكهل الجبّار، وهو يغلق حانوته جرياً على عادته في كل أماسي أيامه، ثم أقبل علينا بوجهه الضاحك، آمن السرب، معتدّاً للأمر الجليل بالعزم الجليل، وبيده «صرّة» لا ندري ما بها، فعرض علينا أن نأخذ ممّا بها مقدار ما نحب، وكانت كميّة من «الكمأة» مهداة إليه في فصل ذلك الربيع، ولكننا شكرناه على تفضله، فودّعناه وانصرف سمت الحرم الحيدري المقدس، وكانت تلك هجيراه، فإنه في كل ليلة يذهب مبادراً إلى أداء فريضة الصلاة مغرباً وعشاءً، عند ضريح الإمام علي عليه السلام، ثم يتشرف بالزيارة ويقفل إلى بيته لاستراحته ونومه.

وما عسى أن يعلم الناس عن كهل متهدّم الجسم غير القيام على كسب القوت والعكوف في ليله في مخدعه، يستجم به قواه.

وللقارىء أن يتأمل وأن يتفرّس في قلب ذلك الرجل الحديدي وقلوب أصحابه، فإنهم بعد ذلك الاقتحام، بعد بذلهم مجهودات شاقة مضنية في ليلتهم تلك حتى صباحها، يعودون إلى منازلهم فيخلعون لباس الحرب ويخرجون إلى الأسواق لمزاولة أعمالهم من غير خشية ولا رهبة من حساب.

وناهيك ببسالة هذا البطل الحاج نجم ـ رحمه الله ـ فإنه يسرع إلى دكانه ثابت الجأش صلب العزم، فيفتحه كعادته، وابتسامته هي هي، لم تفارق محيّاه، كأن الأهوال صناعته، لا التمور والفاكهة حرفته!! وتلك غاية البسالة ومنتهى الرجولة ولله أبوه.. فإن في الناس من يُرتج عليه وتتخاذل مفاصله إذا وقف يلقي كلاماً على جمع من الأطفال، فكيف برجل يتسلّل من هيجاء معضلة، ويفلت من شرك الحمام بعد أن يقع على جبهة الموت، ثم يزاول بيع التمر بعد لحظات معدودات من إنسلاله من ذلك الهول العظيم..

وإن أنسه فلست بناسيه، في صبيحة ذلك الحادث، فقد رأيته مثله في مساء ليلته؛ ضاحك السنّ آمن الروع، وبيده جريدة نخل يذود بها الذباب المجتمع على تمره! وكان كأنه أحد الناس الغافلين، جاهلاً بما أهاج الناس وأفزعهم، سائلاً مثل غيره، عن

أسباب الطلقات النارية، ومن الفاعل ؟! هكذا كان يسأل الناس، وكان هو أبا عذرة ذلك الحادث وبطل تلك المغامرة، وهكذا فلتكن الرجال، طلاب المجد والانتقام»[1].

أما المرحوم الشبيبي فإنه يصف الحاج نجم هذا بقوله: «ما عدا الحاج نجم فإنه وحده في عشر الستين.. وهو أصلع الرأس، أزج الحاجبين، واسع العينين، حاد النظر، وقور، ساكن الطائر، قليل الدعوى، يخضب بالسواد، وكان تمّاراً أو بقالاً، فإن النجفيين يدعونه حاج نجم البقال»[2].

وعندما أخفق المهاجمون في الاستيلاء على البرج واضطروا للانسحاب، عاد كل منهم إلى عمله يزاوله كالعادة؛ وفتح الحاج نجم دكانه وجلس يطرد الذباب عن بضاعته بمذبته الطويلة، وهو يقول: «سوّوها آل براك! ؟». أي فعلها آل براك وكأنه لا يعلم عن الأمر شيئاً؛ كما لم يبد عليه أي نوع من الارتباك، وآل براك الذين حاول الحاج نجم أن يوجه أنظار الناس إليهم في هذا الحادث، هم جماعة رئيسهم دغيم آل براك، وهو ينتسب إلى الرواشد (من الخزاعل الذين يرأسهم محمد آل عبطان)، يسكنون جنوب الكوفة على الضفة اليمنى من النهر، يربون الأغنام والأبقار ويزرعون على ضفاف النهر، ويقال: إن الحاج نجم قد فاوضهم في الأمر، فيمن فاوض من العشائر القريبة، ولكنهم رفضوا طلبه وتنكروا له؛ فأراد أن ينتقم منهم بترويج هذه الإشاعة.

أما النجف، فقد استيقظت مذعورة من دوي المدافع وإطلاق الرصاص، وراح الناس يضربون أخماساً بأسداس، وهم في حالة من القلق الشديد، قلقون على أنفسهم، قلقون على مدينتهم المقدسة أن تُمس بأذى، قلقون على من يعج بهم البلد من الزائرين؛ خاصة وأن إطلاق النار مستمر على النجف من سراي الحكومة ومن الخان؛ الأمر الذي ذهب ضحيته كثير من الأبرياء، وقد دام إطلاق النار أكثر من ساعة، دون أن يرد عليها أحد، فالتبس الأمر على الناس وراجت مختلف الإشاعات، ولكنها أخيراً كادت أن تستقر على أن جماعة من العشائر القاطنة في أطراف النجف، من أمثال آل

---

(١) مجلة الاعتدال ـ المصدر السابق ص٢١٧ ـ ٢١٨.
(٢) مذكرات الشبيبي ص٣٢٢.

برّاك وغيرهم قد هاجموا سراي الحكومة، فهدأت الحال نسبياً وفتحت الحوانيت أبوابها وانصرف الناس إلى أعمالهم، ولكن وجلين مترقبين، كأنهم يتوقعون أمراً لا اطمئنان لهم فيه، فهنا جماعة، وهناك أُخرى، وهناك ثالثة، وهناك جماعات منتشرة في كل مكان، تتساءل وتتهامس، وتشكك في ما استقر عليه الرأي من أن جماعة من العشائر هاجمت سراي الحكومة، وكلّهم لا يزالون يبحثون عن الحقيقة ويفتشون عن السرّ وراء هذه الحركات، ولكن دون جدوى؛ لأن الخطة كانت من الإحكام والكتمان، بحيث لم يستطع أي أحدٍ أو جهة الاطلاع على أية شاردة منها، خاصة وأن تنفيذ المخطط قد بوشر به حالاً بعد اتخاذ القرار، يضاف إلى ذلك أن الخاصة من النجفيين المعنيين يعلمون حق العلم بأن الثورة المقررة على الإنكليز لم يؤن أوانها بعد، ولم يتخذ حتى الآن قرار بساعة الصفر.

ذلك لأن الاتصالات بزعماء العشائر ورجالات بغداد لا تزال في بداياتها، حتى أن كاظم صبي، وكريم الحاج سعد، هذين الزعيمين الفذّين إكتويا بنار هذه الثورة وأُعدما بسببها، لم يكونا واقفين على جلية الأمر، لأن كريماً في البادية، حيث التحق بالحاج عطية، أمّا كاظم صبي فما كان المتآمرون يجرأون على الاتصال به في هذا الشأن، غير أنه كان يحس بوجود حركة غير اعتيادية بين بعض المسلحين من الشبان المتحمسين.

ولكن بعد أن تورطت النجف والنجفيون فلابد من الاشتراك في الثورة مهما كلّف الأمر، وفعلاً كان كاظم في المقدّمة، وعاد كريم من البادية لخوض معاركها وغيرهم من الزعماء الآخرين، خاصة وأن النجف كلّها كانت ناقمة على الإنكليز، وعلى بلفور بصورة خاصة لتصرفاته الرعناء.

لقد مرّ على النجف، وهي في وجوم شامل، أكثر من ثلاث ساعات، عندما وصل إليها من الكوفة الحاكم السياسي بلفور على رأس قوة كبيرة من المدرعات والمدافع الرشاشة والجنود.

وعند وصول القوة إلى الباب الرئيسة من سور النجف: الباب الكبيرة النافذة إلى الميدان، انتشر قسم منها حول السور، ودخل الباقون ليجتمعوا في الميدان أمام السراي الذي دخل إليه بلفور، وأرسل على بعض الوجوه والزعماء.

وقد أظهر له هؤلاء استغرابهم من الحادث، ونفوا أن يكون المهاجمون من

النجفيين؛ وطلبوا إليه أن يتجول في النجف ليرى أنها على عادتها، وأن كل شيء فيها طبيعي واعتيادي.

عند ذلك جمع بلفور شرطته وطلب منهم أن يتجولوا في المحلات والأسواق، ثم ذهب هو يتجول أيضاً ومعه حرسه وجماعة من الوجوه والزعماء الذين جعلوا يقنعونه بأن النجف براء من هذا الحادث، وأن المهاجمين ليسوا من النجفيين قطعاً.

وقد اقتنع بلفور أو كاد، بأن الحركة ليست نجفية، وأن القائمين بها من غير النجفيين، ولكن سرعان ما تبددت هذه القناعة، وارتسمت على وجهه ووجوه النجفيين علامات الدهشة والاستغراب، وهو بعد لم ينه تجواله في المدينة، فإن أحمد، ومحسن ولدي الحاج سعد الحاج راضي، وكانا جالسين في مقهى «ما شاء الله» في سوق المشراق بسلاحيهما، ومرّت دورية من الشرطة وطلبت إليهما نزع سلاحيهما فرفضا، وبعد حوار وشجار، أطلق الأخوان النار على الدورية وقتلا اثنين منها.

وسمع بلفور وجماعته صوت الرصاص يلعلع قبل أن تأتيه أخباره، وبينما هو في دهشته مما يسمع ويتصفح وجوه الحاضرين، إذا بالمخبر يسرع إليه ليوقفه على جلية الأمر ويطلعه على حقيقة الحال، عند ذلك قفل بلفور راجعاً وتفرّق من كان حوله من النجفيين.

هذا ما شاع في وقته، أما المعروف بين النجفيين أن اللذين قتلا الشرطيين هما: راضي الحاج سعد، وسعيد العبد، ولكن نكاية بالحاج سعد، ثُبّت القتل رسمياً على محسن وأحمد؛ لأن والدهما كان يحبّهما كثيراً.

أما الحقيقة فهي كما يرويها القاتل الحقيقي الشيخ راضي الحاج سعد[1]، يقول:

«كان والدي قد أرسلني إلى البصرة، ومعي بشير عبد شبادة، للمتاجرة وجلب البضائع منها إلى النجف، وقبل قتل مارشال بيوم واحد وصلنا عائدين من البصرة ومعنا ثلاث سفن محملة بالبضائع، إلى أبي صخير، ولما كان الوقت موسم زيارة «الدخول» في النجف، تركت السفن في «چاير» مبدر وذهبت إلى النجف في فجر يوم الحادث.

وعندما وصلنا إلى منتصف الطريق التقينا بالزائرين الفارّين من النجف قبل إحكام

---

(١) رواها الشيخ راضي للأستاذ حسن الأسدي بتاريخ ٢٧ صفر ١٣٨٩هـ/ ١٥ مايس ١٩٦٩م في النجف.

الطوق عليها؛ ومنهم علمنا بالحادث، وأن الدخول إلى النجف لا يمكن إلاّ من جهة بحر النجف، لسيطرة الجيش على الأبواب الأُخرىٰ. وفعلاً أسرعنا ودخلنا النجف بعد شروق الشمس بحوالي الساعة.

ولما ذهبت إلى البيت لاستطلاع جلية الحال، إلتقيت بأخي محسن وطلب مني أن نذهب إلى شرطيين كانا جالسين في مقهى صغير في سوق المشراق مقابل «حمّام أبو جحرين» ونأخذ بندقيتيهما، فتلكأت في بادىء الأمر، فأصر محسن، فوافقت مكرهاً وذهبنا إليهما، وبعد أن طلب محسن منهما أن يعطياه بندقيتيهما رفضا وسحب أحدهما «قامة» كان متشحاً بها وكاد أن يقتله، فأوعز إليّ بضربهما، فأطلقت عليهما النار من بندقيتي فأرديتهما قتيلين.

عند ذلك ذهب الخبر إلى بلفور الذي كان يتجول في الأسواق، ومعه والدي الحاج سعد، وبقية الزعماء والوجوه.

فالتفت بلفور إلى والدي وأنّبه بكلمات قاسية فتألم والدي؛ لأنه لا يعلم عن الأمر شيئاً، وانسحب بعد أن أغلظ القول إلى بلفور، فلما علمنا بما حصل لوالدي تجمعنا حالاً وتعقّبنا بلفور إلى أن لحقنا به في الميدان فأطلقنا عليه «صلية» من بنادقنا فلم نصبه، ونجا بأعجوبة».

ومن هذا يتضح أن قاتل الشرطيين الذي سبب إنكشاف الأمر وحصار النجف، هو راضي الحاج سعد بتحريض من أخيه محسن.

أما أحمد الذي شنق فليس له أي دور ولا أية صلة في الموضوع.

وبذلك أُدين البوحاج راضي بالحادث كله، في حين أنهم لا يعلمون عن مقتل مارشال شيئاً.

ولكن بلفور اقتنع بمسؤوليتهم عن كل شيء، الأمر الذي اضطر معه الحاج سعد إلى تحريض النجفيين على مقاومة الحكومة مهما كلّف الأمر خاصة وأن ولده كريماً مطلوب من الإنكليز، وقد فرّ إلى خارج النجف والتحق بعطية في البادية.

لذلك فإن البوحاج راضي عندما عادوا من الميدان وتجمّع حولهم عدد من النجفيين، راحوا يتعقبون الشرطة ويجردونهم من سلاحهم دون إلحاق الأذى بهم، وكان معظمهم من الأكراد الإيرانيين ومن شرطة الكوت.

وقد تم احتجاز من أُلقي القبض عليهم من شرطة الكوت والموظفين العراقيين، في دار السيد مهدي السيد سلمان الذي آواهم حتى نهاية الثورة، أما الباقون فقد سمح لهم بالالتحاق بالمعسكر أو الهرب إلى حيث يشاؤون، بعد تجريدهم من السلاح.

وعندما وصلت أخبار الحادث إلى علم المرجع الديني الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي، أرسل في طلب السيد مهدي السيد سلمان، والحاج سعد الحاج راضي، والحاج محسن شلاش، وبعد مذاكرات ومشاورات، طلب السيد اليزدي من الحاج سعد تسليم ولديه أحمد ومحسن، وتعهّد بالمحافظة على حياتهما، غير أن الحاج سعد رفض الطلب وخرج ناقماً.

عند ذلك قرر مقاومة الإنكليز، فقام بجولة قابل بها الشخصيات المهمة من زعماء السلاح في النجف، وفي مقدمتهم كاظم صبي، والبوكلل، وعباس علي الرماحي، وغيرهم من زعماء النجف الحربيين، فنخاهم واستثار حماسهم ضد الإنكليز الذين يريدون إلقاء القبض على أعز أولاده لإعدامهم مقابل الشرطيين، فانتخوا له واشتركوا فعلاً في الثورة التي ليس للحاج سعد ولا لكاظم صبي ولا لأي زعيم من زعماء النجف، يد في أساسها.

ولم يتخلف عن مطاوعة الحاج سعد والانتخاء له من الزعماء النجفيين سوى السيد مهدي السيد سلمان، والحاج حسون شربة، وسماوي أبو شبع، وغيدان عدوة، والسيد علي جريو، والحاج عبد الله الشمرتي، ومن لفَّ لفَّهم.

أما أفراد العشائر الذين صادف وجودهم في النجف عند الثورة، بمناسبة زيارة «الدخول»، فقد اشترك أكثرهم مع النجفيين، وخرج الحاج سعد مع جمهرة من النجفيين في تظاهرة كبيرة صاخبة وهو يرتدي دشداشة وعليها «جبّة» من الشال الترمة، والسيف يتدلّى من على كتفه؛ والجميع يهوّسون ويردسون بحماس شديد، متجهين نحو دار كاظم صبي في محلة العمارة، ولما وصلوا الدار ودخلوها، جعلوا يهوسون في «البراني» ـ دار الضيوف ـ فخرج لهم كاظم صبي من «الدخلاني» ـ دار العائلة ـ ووقف على الطرمة الكبيرة وهو يهتز متجاوباً مع المهوّسين.

ثم رفع الحاج سعد يده فسكت الجميع، عند ذلك تقدم الحاج سعد نحو كاظم صبي وقال: «اليوم يومك أبو جواد، أذبهه؟» ـ وهي كلمة تقال عند الاستنجاد والنخوة ـ

فأجابه كاظم صبي: «عد وجهك أبو كريم». وبإشارة منه خرج من الدخلاني عدد كبير من المسلحين الزكرت واختلطوا مع الشمرت وراحوا يهوّسون، ثم خرجوا لأخذ مواقعهم الستراتيجية المعتادة في أمثال هذه الحوادث والأحوال.

كانت هذه البادرة ذات دلالة واضحة للآخرين على أن هؤلاء الزعماء، وهم الأكثرية، إما أن يكونوا المدبّرين لكل هذا الحادث، أو أنهم تبنوه لسبب من الأسباب.

فكان ذلك بمثابة الإعلان لجميع المسلحين النجفيين بضرورة الدفاع عن مدينتهم المقدسة، فتجمع حملة السلاح من جميع الأطراف من مدينة النجف، سوى قلّة من طرف الحويش وغيره، وأخذوا مواقعهم على عجل في تل الحويش المشرف على النجف من الجهة الجنوبية الغربية وفي جميع أبراج السور من جميع جهاته، وأغلقوا جميع أبوابه؛ وأقاموا حامياتهم على جميع الأبواب والكوى ـ الثلمات ـ الموجودة في السور، بلى قد اجتمعت كلمة مسلّحي النجف على ضرورة المقاومة والاشتراك بالحركة للدفاع عن مدينتهم المقدسة.

حيث وقف في ذلك اليوم كل من: السيد مهدي السيد سلمان، وسماوي أبو شبع، والحاج حسون شربة، وغيدان عدوة، ومنعوا أهل الحويش من الاشتراك في الثورة غير أن ألبو الحار، وفي مقدمتهم سعيد ومسلط ومهدي أولاد حبيب الحار، وحمود الحار، ومحمد أبو شبع، وابنه جاسم، وجماعة من أقاربهم، وعبد الرزاق عدوة، وتومان عدوة، تمردوا على أولئك الشيوخ واشتركوا مع النجفيين واستمروا معهم إلى النهاية.

عندما تنادى النجفيون للدفاع عن مدينتهم، بعد أن أحاطت بها جيوش الاحتلال وتوجسوا منها خيفة، اجتمع الرؤساء وفي مقدمتهم كاظم صبي، والحاج سعد الحاج راضي، وعباس علي الرماحي، وغيرهم، وشكلوا قيادة للثورة، وراحوا يسجّلون أسماء المحاربين ويعيّنون لهم قادتهم وعرفاءهم، ويوزعونهم في مواقعهم المقررة، ويزودونهم بالسلاح والعتاد.

وقد تشكلت لجنة لجمع كل ما تحتاج إليه الثورة من مال وسلاح، ولكن الظاهر أنهم لم يحتاجوا إلى شيء من ذلك؛ لأن اللجنة لم تجمع أي شيء من الناس طيلة أيام الثورة؛ ذلك لأن المحاربين من النجفيين يملك كل منهم سلاحه وعتاده، ولم تمض

الأيام الكافية من الثورة لنفاد العتاد، كما أن لدى الزعماء من السلاح والعتاد ما يكفي لتجهيز من لا يملكون السلاح من المحاربين.

أما المال فلم تحصل لهم حاجة إليه، سوى بعض النفقات التي كان يسددها الزعماء أنفسهم.

والمعروف أن الذين استجابوا لنداء الدفاع عن المدينة من النجفيين المسلحين بلغ حوالي الستمائة مسلّح تقاسموا العمل بوجبتين: وجبة نهارية ووجبة ليلية. وقد اندفعوا جميعاً، وبكل حماس، في أداء واجب الحراسة والدفاع، إندفاع المخلص الأمين المتفاني في سبيل دينه ودنياه؛ ولم يتطرق الوهن إلى نفس أي واحد منهم طيلة أيام الكفاح، وكانت نارهم حامية على الأعداء، ويقظتهم مذهلة ومخيفة.

كل ذلك وهم ليسوا من المشاركين في أصل الحركة ولا من الراضين عليها، ولكن الدفاع عن مدينتهم المقدسة يتطلّب ذلك وأكثر منه.

وكان القرار الثاني الذي اتخذه الزعماء، وجوب الاتصال حالاً برؤساء العشائر وطلب مساعدتها، وكانت الخطوة الأولى في تنفيذ هذا القرار أن أرسلت من اخترق نطاق الحصار وهو يحمل الكتب إلى الرؤساء.

إزاء هذا الاندفاع الساخن كان علماء الدين يرون أن المواجهة في هذه الظروف وعلى النحو الذي حصل، لا يحقق أهداف الثورة المطلوبة، وأن المشروع الثوري قد فرضته حوادث متسارعة طارئة. بينما كانوا هم يخططون لثورة ممنهجة يتفق على موعدها العلماء ورؤساء العشائر في منطقة الفرات الأوسط؛ لذلك حاول علماء الدين استيعاب الموقف والعمل على تهدئة الأوضاع من أجل منع التصادم المسلح مع الإنكليز لعدم تكافؤ المواجهة في وقت لم يحن موعده[1].

لقد اعتبر معظم الباحثين موقف السيد اليزدي خلال هذه الحوادث مؤشراً على

---

(١) أشار إلى ذلك السير أي. تي. ولسن في كتابه الثورة العراقية ص١٣٧ بما نصه:

«.. فلم يطع ولا رجل واحد منهم نصائح رجال الدين وتحذيراتهم، ولم تثنهم تنديدات أصدقائهم ومواطنيهم بهم في المقاهي، ولا توسلات نسائهم المؤثرة، عن الطريق المشرف (كذا) الذين آثروا أن يسلكوه، واحتفظ كبار المجتهدين في النجف، على رأسهم السيد محمد كاظم اليزدي الوقور، بالصمت المخيف، لكن الطبقات الدنيا من رجال العرب كانت تتنافس مع الزعماء الوطنيين في مناشدة الجماهير، على أسس دينية وطنية، وحضها على استئصال شأفة الاحتلال العسكري».

تعاطفه مع الإنكليز، وأنه الوحيد من بين مراجع وعلماء الدين الشيعة الذي وقف في الاتجاه المضاد للثورة. وذهب بعضهم إلى أنه خدم الإنكليز أيام الثورة. ولعل هذه التقييمات هي التي جعلت السيد اليزدي يحاط بشكوك مكثفة، تحاول أن تفسر ما فعله وما لم يفعله من خلال التهمة الرائجة بالتعاطف مع الإنكليز، ليس في حوادث الثورة فحسب، بل قبلها وبعدها أيضاً. حتى أصبحت هذه الصورة مسلّمة تاريخية، وقاعدة يقيس عليها عدد من الباحثين حوادث التاريخ.

إن موقف السيد اليزدي خلال حوادث ثورة النجف لا يختلف عن مواقف بقية علماء الدين الشيعة يومذاك، حيث كانوا يرون أنّ الثورة سبقت موعدها، وأن السيطرة عليها أمر مطلوب؛ لذلك لم تصدر أي فتوى بالجهاد لدعم الثورة من أي مرجع ديني آخر، بل إن مراجع وعلماء الشيعة الذين اشتهروا بمعارضة الإنكليز باتفاق المؤرخين والباحثين والمهتمين، مثل الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ مهدي الخالصي وغيرهم، لم يصدر عنهم موقف عملي يشير إلى رغبتهم في تصاعد الحوادث أو استمرار الثورة في النجف.

وعلى هذا فلا يختلف السيد اليزدي عن بقية مراجع وعلماء الشيعة في الموقف من الثورة، والذي يقوم على رؤية استوعبت الحادث وقدرت الظرف واستشرفت المستقبل.

إن السيد اليزدي كان الأكثر نشاطاً من بقية المراجع وعلماء الدين في محاولة الحفاظ على حياة الثوار، والحيلولة دون تعرضهم لانتقام الإنكليز، ومحاولة إقناع السلطات البريطانية بإصدار العفو العام عن كل الذين اشتركوا في الثورة بدءاً من مقتل الكابتن «مارشال» في ١٩ آذار ١٩١٨م وحتى أيام الثورة اللاحقة. وقد أدرك الثوار أنفسهم دور السيد اليزدي من خلال تحركاته، وتعاطفه معهم؛ لذلك بادروا إلى تزويد منزله بالمواد الغذائية ليتمكّن من مقاومة الحصار المضروب على النجف[١].

أما الإنكليز، فإنهم بعد مقتل الشرطيين وإطلاق النار على بلفور، قرروا إحاطة

---

(١) دور علماء النجف ص١٥٨ ـ ١٥٩ عن مقابلة مع السيد عبد العزيز الطباطبائي في ٢١ رمضان ١٤١٤هـ/ ٤ آذار ١٩٩٤م.

النجف مبدئياً بالقوى المتيسرة لديهم، وطلب المزيد منها من الحلة وبغداد، ومنع خروج أي إنسان من النجف، لذلك وضعوا حامياتهم على جميع أبواب السور، وراحت سياراتهم المسلحة تدور حول المدينة، منتظرين للأوامر التي ستصل إليهم من بغداد، لا يستطيعون أن يتصرفوا تجاه النجف بشيء إلاّ بعد الاتصال، حسب الأوامر المعطاة لهم مسبقاً.

وعلى هذا الأساس أبرقوا إلى بغداد بكل صغيرة وكبيرة ممّا حدث في اليوم الأول من الثورة، وطلبوا إرسال التعليمات، ثم استمروا يبرقون الأحداث ساعة بعد أخرى، وينتظرون الأوامر في ما يجب أن يُتخذ من إجراءات.

وقد شرع حكّام الحلة وبغداد يرسلون الإمدادات فور علمهم بالحادث، قبل أن تقرر بغداد ماذا يجب أن يكون، وفعلاً تجمّعت في النجف قوة كبيرة قبل أن تتخذ بغداد قرارها في اليوم الثاني والعشرين من مارت، وهو اليوم الرابع للحادث، بمحاصرة النجف وقطع كل شيء عنها حتى الماء.

وكان بلفور قد شرع بمفاوضات صورية مع النجفيين بواسطة السيد مهدي السيد سلمان، لغرض استكمال الاستعدادات البريطانية، حيث بدأت الجيوش التي وصلت النجف بالاستحكامات وحفر الخنادق لتطويق النجف من جميع جهاتها، إستعداداً لتنفيذ مقررات بغداد فور وصولها.

ذلك هو كل ما حدث في اليوم الأول للثورة «الثلاثاء ٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١٩ آذار ١٩١٨».

اليوم الثاني

الأربعاء ٧ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٠ آذار ١٩١٨م.

وفيه: استمر وصول الإمدادات ولم تصل التعليمات؛ لأن السلطات البريطانية في بغداد لم تستطع اتخاذ قرار سريع في هذا الشأن، بالنظر لردود الفعل العنيفة التي حصلت في الهند وإيران والدول الإسلامية الأخرى التي نقلت البرقيات العالمية أخبار الحادث إليها، فانهالت على بغداد برقيات التساؤل والاستفسار من كل الجهات، أضف إلى ذلك ردود الفعل التي حصلت في بعض قطعات الجيش التي أرسلت إلى النجف وعلمت الغرض من مجيئها، حيث سرت الولولة بين صفوفها، لذلك ترددت

بغداد كثيراً في اتخاذ أي قرار تجاه هذه المدينة المقدسة التي ارتج العالم الإسلامي واضطرب لما تناقلته البرقيات عنها، كما جاء ذلك في أقوال الإنكليز أنفسهم، ولكن بغداد في الوقت نفسه لم تتوان عن إرسال المزيد من القوات المسلحة على إختلاف صنوفها، وبكل سرعة ممكنة. وقد كانت هذه الجيوش التي وصلت قبل إعلان قرار الحصار، من الكثرة بحيث شغلت جميع شواطىء الكوفة ودورها وخاناتها؛ كما ضربت خيامها على طول طريق كوفة ـ نجف، وكان مقر قيادة هذه الجيوش عند مرقد «كميل بن زياد»[١] الذي يبعد عن النجف حوالي الثلاثة كيلومترات، وقد تحصن الجيش قرب النجف بالجانب الشرقي لـ «كري الشيخ»[٢].

بلى! إن السلطات البريطانية في بغداد لم تستطع إتخاذ أي قرار سريع، خوفاً من النتائج التي ستترتب عليه، فإن السير برسي كوكس، الحاكم الملكي العام، وكذلك قائد الجيش الجنرال مارشال، كانا يترددان كثيراً في اتخاذ أي قرار قبل أن يستطلعا رأي المراجع العليا في الموضوع. وقد عبّر لونكريك عن هذا التردد بقوله: «وقد بدا لكوكس ولقائد الجيش العام أن قدسية النجف يجب أن تحميها من العقاب العنيف، ولكن بدون ضعف»[٣] لذلك كانت القيادة العامة تصرّ على ضرورة الاستعجال في معرفة القاتلين لإنزال العقاب بهم دون إشراك النجف في الموضوع. فإن الجنرال مارشال كان يرى: «أن إحباط هذه المؤامرة وتعيين المباشرين لهذا القتل ضرورة لازمة ومستعجلة»[٤]. ولكن التردد مع ذلك كله، فرض نفسه وأخّر صدور القرار إلى اليوم الثاني والعشرين من مارت، أي إلى اليوم الرابع من وقوع الثورة.

---

(١) يقع مرقد كميل بين الكوفة والنجف.

(٢) كري الشيخ: جدول يتفرع من الجانب الغربي من نهر الكوفة مقابل علوة الفحل، ثم يمتد إلى موقع على بعد حوالي أربعة أميال شمال غرب النجف يدعى «الطبيل»، ماراً قرب سور النجف من الشمال، وقد تم حفر هذا الجدول بجهود العلامة صاحب الجواهر لجلب الماء إلى النجف. ولكن عندما جرى الماء فيه توقف عند الطبيل لارتفاع الأرض هناك، وكان المنفق على هذا المشروع السلطان ثريا جاه محمد أمجد علي شاه الهندي المتوفى في ٢١ صفر ١٢٦٣هـ، وغيره من رجال الخير. ولكن وفاة الحجة صاحب الجواهر تسببت في توقف العمل في المشروع. انظر: ماضي النجف ١/ ١٩٧.

(٣) Longrigg, Iraq. 1900-1950, p.96.

(٤) British Government Reports 1918.

أما الأحكام العرفية فقد مارستها السلطة المحلية في النجف منذ اليوم الأول للثورة، بالرغم من أنها لم تبلّغ إلاّ في اليوم الثاني، حيث جرى تبليغها سراً وعيّن المسؤولون المختصون لهذا الغرض، وفي هذا الصدد يقول موبرلي: «بعد مقتل الكابتن مارشال في التاسع عشر من آذار أعلن الحكم العسكري في النجف وحوصرت؛ وتعيّن الكابتن فيشر معاون حاكم سياسي في الكوفة، وأوكل إلى الكابتن بلفور أمر الإشراف على القوات العسكرية المحاصرة للنجف»[1].

ولم ينته اليوم العشرون من آذار حتى كانت النجف محاطة من كل جانب ومكان بالجيش البريطاني اللجب، وقد ذكرت ذلك جريدة العرب الصادرة في بغداد بتاريخ ٢٩ آذار ١٩١٨ ما نصّه: «وقامت الحكومة بالتدابير اللازمة فأحاطت بالنجف في اليوم العشرين».

وفعلاً كانت القوات البريطانية منذ وصولها قد بدأت بحفر الخنادق حول النجف وأحاطتها بالأسلاك الشائكة من جميع جوانبها.

أما النجفيون في هذا اليوم فإنهم، بعد أن احتلوا التل وجميع أبراج السور ووضعوا حامياتهم عليها، أخذوا يحفرون الخنادق على التل ويقيمون المتاريس.

اليوم الثالث

الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٠ آذار ١٩١٨م.

وفيه: أكمل النجفيون حفر الخنادق على التل وإقامة المتاريس، وانشغلوا بجمع الذخائر هناك؛ لأن المحافظة على التل ضرورة ستراتيجية رئيسة من ضرورات المحافظة على المدينة من أن يدخلها عدو.

وفي هذا اليوم تقدم جمع غفير من النجفيين المسلّحين للانخراط في سلك الدفاع عن المدينة، كما هي عادة النجفيين في أمثال هذه المواقف. وعندما استكمل النجفيون قواهم الدفاعية وأمّنوا لها مستلزماتها، قرروا مهاجمة الحامية في الخان لاحتلاله قبل وصول النجدات إليه، وفعلاً عبر السور جماعة منهم في مساء اليوم الواحد والعشرين من آذار وتسللوا نحو الخان وأحاطوا به من ثلاثة جوانب، عدا الجانب الشرقي الذي

---

(١) Moberly 135.

كانت تسيطر عليه نار البرج وهو جانب المهدران[1].

ولأجل اقتحام الخان، قرروا إحراق بابه والهجوم عليه، بعد إلهاء الحامية بالمناوشات النارية من الجوانب الأخرى، ولهذا الغرض أرسلوا خمسة من الفدائيين ومعهم النفط لإحراق الباب الصغيرة، ولم يَدُر في خلد النجفيين أن الجيش البريطاني قد وصل بأعداد كبيرة وبهذه السرعة، وتحصَّن في كري الشيخ. فلما باشر الفدائيون عملهم وظهر لهب النار، جنَّ جنون الحامية المحاصرة والجيش المرابط على بعد كيلو مترين إلى الشمال الشرقي منها، فأصلوا أطراف الخان بنار يستحيل معها اقتراب أية قوة من الخان، مما اضطر معه النجفيون إلى الانسحاب.

وقد نشرت جريدة العرب البغدادية حول هذه الحركة ما نصه: «. . . وفي الواحد والعشرين والثاني والعشرين ـ ربما يقصد مساء ٢١/ ٢٢ ـ، حاولت جماعات من النجف أن يهجموا على الجنود فردَّتهم على أعقابهم خاسرين، ومن ذلك الحين أصبحوا يترامون بالرصاص من وقت لآخر»[2].

وفي هذا الحادث، يقول الشبيبي: «في ليلة الجمعة ٩ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٢ آذار ١٩١٨ ـ ويقصد مساء الخميس ٢١/ ٣/ ١٩١٨ ـ، استمر تعاطي إطلاق النار على جاري العادة.

وفي فجر هذه الليلة خرج الثوار إلى المواقع الموازية للخان من المقابر والمدابغ

(١) المهدران: هو تلك البركة المحفورة تحت الأرض في مستوى قناة نهر الشاه عباس الأول وفي نهايتها، بالقرب من خان عطية من الجهة الشرقية، حيث أقامها الشاه المذكور في العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري بعد كري النهر الذي كان قد حفره الشاه إسماعيل في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري، لإيصال الماء إلى النجف من نهر الفرات قبل حفر نهر الهندية، وقام بردمه الأتراك العثمانيون عند محاصرة النجف في عهد السلطان سليم. لذلك جدد حفره الشاه عباس وكراه، فسمي بنهر «المكرية»، وبنى له قناة أخرى أكثر إتقاناً من الأولى، حيث إذا وصلت القناة إلى النجف صنع لها بركة تحت الأرض ينزل إليها بسلم عريض متين منتظم، ويقع مدخله قرب خان عطية الذي قتل فيه الكابتن مارشال. وعن مصير هذا المهدران يقول الشيخ جعفر محبوبة في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» ج١/ ١٩٣: «البركة، هو السرداب المسمى اليوم (بالمهدران)، موقعها خارج النجف عند المقابر على يمين الذاهب إلى الكوفة ـ التقمته العمارة الجديدة ودخل في بعض الدور. ولم تزل النجف تستقي من هذه القناة حتى أبلى الدهر جدتها فبقيت النجف في شدة وظمأ».

(٢) جريدة العرب البغدادية ع٧٥ من المجلد الثاني في الجمعة بتاريخ ٢٩ آذار ١٩١٨م/ ١٦ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ.

واشتد إطلاق النار بين الفريقين، وأضرم الثوار النار في باب الخان على ما قيل.

وبعد طلوع الشمس بساعة نشبت مقابلة شديدة بين فرسان الإنكليز والثوار من جهة الثلمة دامت نحو ساعة، أمضى قسم من الثوار بقيادة الحاج نجم ضحى يومهم هذا أزاء الخان»[1].

وفي نهاية اليوم الواحد والعشرين، انتهى الإنكليز من حفر خطين رئيسين من الخنادق، يمتد أحدهما من كري الشيخ شمال شرق النجف، إلى طارات وادي المسحب في جنوب غربيها؛ والثاني من النقطة المقابلة عبر طريق الكوفة إلى طارات البحر.

وبذلك جرى تطويق النجف من ثلاث جهات:

جهة الشرق تسيطر عليها الجيوش المعسكرة في طريق الكوفة.

وجهة الشمال تسيطر عليها استحكامات الخندق الشمالي.

وجهة الجنوب تسيطر عليها استحكامات الخندق الجنوبي.

أما الجهة الغربية، وهي منخفض بحر النجف الذي ينخفض عن أرض مدينة النجف حوالي الأربعين متراً، والذي يقع قبالة الباب الغربية للسور فتشرف عليها مقدمة تل الحويش الذي احتله الثوار وتمركزوا فيه.

وقد قام الإنكليز بنصب المدافع الرشاشة على جميع الطارات المشرفة على هذا المنخفض من الشمال والجنوب.

ومن هذا المنخفض تستقي النجف الماء الذي تنقله قناة تمتد إليه من الفرات قرب أبي صخير في جنوب النجف، لتسقي بعض أراضي البحر وتوفر ماء الشرب للنجفيين.

وهكذا عزلت النجف واستحال وصول أية مساعدة إليها من كربلاء أو من أبي صخير، وانقطع عنها الماء نهائياً، أي أن كل مساعدة للنجف مدنية كانت أو عشائرية، أصبحت في حكم المستحيل.

وكان ذلك هو السبب الرئيس لحشد كل هذه الجيوش الجرارة التي تكفي لمقاومة الفرات الأوسط كله، وفعلاً فإن تسويق هذه الجيوش العظيمة والقوى النارية الهائلة

---

(١) مذكرات الشبيبي ٢٩٨.

التي أحاطت بالنجف بأعداد كبيرة، لم يكن إلاّ لصدّ المساعدات المنتظرة، أو لمنع وقوع هذه الاحتمالات؛ لأنهم قرروا مبدئياً عدم ضرب النجف مهما كلف الأمر، والاكتفاء بمحاصرتها ومنع الاتصال بها، إلى أن تضطر للتسليم؛ لأن ضرب النجف معناه هيجان جميع العشائر الفراتية المسلحة ونشوب ثورة وخيمة العاقبة، خاصة وأن الجيوش التركية لازالت في العراق، لذلك فإن الحاكم الملكي العام بالرغم من تجمع كل هذه القوات حول النجف واستحكامها فيها، لم يهمل المحاولات السياسية لتحقيق أغراضه.

ففي هذا اليوم كتب إلى السيد اليزدي الكتاب التالي:

«إلى حضرة آية الله الحاج السيد محمد كاظم الطباطبائي دامت بركاته.

لقد أصدر صاحب الدولة قائد الجيش العام الأوامر اللازمة لإخماد الفتنة التي وقعت في النجف الأشرف وكدّرت خاطره كثيراً، وقد أصدر أيضاً الأوامر بإلقاء القبض على المفسدين الذين سببوا هذه الفتنة وبالمحافظة على سمعة البقعة المباركة الشريفة، وسمعة حضرات العلماء الأعلام دامت بركاتهم، والمجاورين لذلك البلد الطاهر.

ولا شك في أن الكابتن بلفور سيطلع حضرتكم على هذه الأوامر التي إن لم يطعها أهالي النجف الأشرف ويرضخوا لها، فلابد أن تحصل بواسطتهم المضايقة على حضرات العلماء الأعلام الساكنين في النجف الأشرف.

وأنا على يقين بأنكم ستساعدون السلطات البريطانية وتعاونونها بثاقب فكركم وعالي همتكم وحسن نيتكم، على تهدئة أحوال البلد الطاهر وإخماد الفتنة الحالية، إذ إنكم تعرفون حق المعرفة حسن نيّة الحكومة المعظمة ومساعيها الكثيرة التي تبذلها لإعلاء المبادىء التي يدين بها أهالي العراق وإنقاذ شعوبه من المظالم والمفاسد السابقة.

وإنا لمنتظرون نتيجة مساعيكم المشكورة، أدامكم المولى ملاذاً للإسلام والسلام.

في ٢١/٣/١٩١٨. الحاكم الملكي العام في العراق[1]

---

(١) جريدة العرب ع٨٤، بتاريخ ٩ نيسان ١٩١٨.

يصل هذا الكتاب إلى السادة العلماء، أو في الحقيقة إلى السيد اليزدي، مع شروط السلطة المحتلة، بواسطة الزعيم السيد مهدي السيد سلمان، مرسلاً من قبل الكابتن بلفور الذي كان يفاوض النجفيين عن طريق السيد مهدي المذكور.

ولكن العلماء في هذه الحال التي سيطر عليها النجفيون المسلحون من الشمرت والزكرت، أصبحوا لا حول لهم ولا طول في هذا الشأن؛ لأن الأمر خرج من أيديهم، خاصة وأن النجفيين جعلوا يشعرون بأن هذه المفاوضات إنما هي وسيلة من وسائل السياسة الإنكليزية لتثبيط عزائمهم وتوهين موقفهم وبث الفرقة بين صفوفهم. لذلك فإنهم لم يمكنوا أحداً من التفاوض باسمهم، أو قبول أي شرط من شروط السلطة البريطانية؛ لأنهم صمموا أن يدافعوا عن النجف حتى آخر قطرة من دمائهم، الأمر الذي اضطر معه الإنكليز إلى أن يعلنوا ما اتخذوا من قرارات.

وعن أحداث هذا اليوم، يقول المرحوم الشبيبي: «وفي صباح الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ ـ ٢١/ ٣/ ١٩١٨م عاد الفريقان إلى المناوشات وجرح اثنان منذ عصر الأربعاء إلى صباح الخميس.

وفي ضحى هذا اليوم عقد السيد كاظم اليزدي اجتماعاً كبيراً في مدرسته الكبرى ودعا إليه العلماء والأعيان والرؤساء والمتغلبين وحضر الجمهور، وكلّمهم في ضرورة تدارس الوضع العام في النجف، وإيجاد الحلّ المناسب لهذه الأزمة الآخذة بالخناق ساعة بعد أخرى، ولا سيما وأن البلدة مكتظة بالزوّار والأغراب الذين أمّوها من مختلف الأنحاء، بمناسبة عيد رأس السنة «عيد الدخول» وأن هؤلاء يتعرضون إلى أخطار الطلقات النارية التي تنصب عليهم وعلى عدد كبير من الأبرياء من جهات مختلفة، وفاوضوا أركان الثوار من سعد والصبي، لكن هؤلاء قد طلبوا من السيد أن يضمن لهم الأمان الحقيقي الدائم ولأتباعهم العفو العام، والأمان التام.

ثم انفرط عقد الاجتماع دون نتيجة وفي ظهر هذا اليوم ظهرت في برّ النجف كتائب من الفرسان الإنكليز وقاربت السور أو كادت، فخرج إليهم جمع من الثوار وطاردوها إلى أن بعدت.

وإلى ظهر هذا اليوم والنجفيون مختلفو الكلمة.

ولكن هذه الكتيبة من الفرسان ومشاهدتهم مدينتهم مطوقة من قبل الإنكليز،

تعاطفوا واجتمعت كلمتهم وانبسطت زوجة عطية للثوار وأشرعت بيتها لهم وبذلت لهم المؤونة»[١].

وفيه: أرسل بلفور إلى السيد اليزدي وعلماء النجف وأعيانها يطلب منهم التفاوض معه، فاجتمع عدد كبير منهم في دار الكليدار لتحديد مطالب الثوار. وقد تشدّد الثوار في مطاليبهم، حيث طالبوا بتخلي الإنكليز عن حكم البلدة، وأن يكتفوا بممثل لسلطتهم هو حميد خان، أي أنهم أرادوا العودة إلى الإدارة المستقلة.

تم تأليف الوفد من السيد عباس الكليدار والشيخ جواد الجواهري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ جعفر الشيخ راضي ومحمود أغا الهندي ومهدي السيد سلمان وغيرهم. اجتمع الوفد بالكابتن بلفور، فقال لهم: إن الحكومة البريطانية تحترم النجف وعلماءها وأهاليها كل الاحترام، وهي تريد كل الخير لهم، ولكن هناك جماعة من المفسدين هم الذين سببوا الفتنة، وأخلّوا بأمن البقعة المباركة الشريفة وسلامة العلماء الأعلام المجاورين لهذا البلد الطاهر، وليس لدى الحكومة سوى مطلب يسير، هو تسليم هؤلاء المفسدين إليها لينالوا جزاءهم، وأن الحكومة على يقين بأن السيد كاظم اليزدي وسائر العلماء بما لديهم من ثاقب الفكر وعلو الهمة وحسن النية سيساعدونها على ذلك، إذ انهم يعرفون حق المعرفة حسن نية الحكومة المعظمة ومساعيها الكثيرة لإعلاء المبادىء الدينية التي يتدين بها أهل العراق، وإنقاذ شعوبه من المظالم والمفاسد السابقة.

أجاب الشيخ الجواهري قائلاً: إن الوفد جاء لإصلاح ذات البين، وتذليل العقبات التي تقف حجر عثرة في سبيل الصلح بين الفريقين، أما هذا الطلب الذي قدمتموه، فهو لا يساعد على الصلح. فقال بلفور: إن هذه هي إرادة القائد العام وهي لا تُردّ. فلما طلبوا منه التساهل، أجابهم بأنه سيتصل بالقائد العام ويعطيهم الجواب في اليوم التالي[٢].

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٢٩٨.
(٢) دور علماء الشيعة ص١٦١ ـ ١٦٢.

اليوم الرابع

الجمعة ٩ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٢ آذار ١٩١٨م.

وفيه: ذهب الكليدار والسيد مهدي السيد سلمان لمقابلة بلفور فأبلغهم قرار السلطة البريطانية في بغداد عن الإجراءات التي ستتخذها الحكومة تجاه النجف والنجفيين، تلك الإجراءات أو الشروط التي كان قد بلّغها من قبل مع كتاب الحاكم الملكي العام ورفضها النجفيون، وقرروا مواصلة المقاومة حتى النفس الأخير، لأن الشروط كانت قاسية ومُذلّة. وهي:

«أولاً ـ تسليم القتلة ومن اشترك معهم بالفتنة تسليماً بلا شرط ولا قيد.

ثانياً ـ غرامة ألف تفكة وخمسين ألف ربية يجمعها الشيوخ المخلصون من محلات البلدة التي كانت لها يد في الفتنة.

ثالثاً ـ تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة إلى الحكومة البريطانية لسوقهم من النجف الأشرف بصفة أسرى حرب.

وقد تبلّغ أيضاً بأن البلدة ستبقى تحت الحصار الشديد إلى أن تسلّم بهذه الشروط وتنفذها»[1].

لقد رفض النجفيون هذه الشروط، وصمموا على المقاومة، أما العلماء، فالذي كان يعمل منهم في هذا المجال هو السيد اليزدي ـ رحمه الله ـ ويمثله أمام السلطة البريطانية الحاج محمود آغا هندي، والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر.

وأما النجفيون الموالون للسلطة، فهم قلّة من النجفيين وعلى رأسهم الزعيم المعروف السيد مهدي السيد سلمان، رئيس محلة الحويش، والذي كان الوسيط بين السلطات البريطانية والعلماء، مع العلم بأن السلطة عندما عرضت الشروط، كانت قد أكملت جميع استعداداتها في تطويق النجف وإقامة الاستحكامات حولها، حيث «أسرع الجنرال مارشال في العمل، وحوصرت المدينة حالاً بلواء من الجيش بقيادة الجنرال سندرز»[2] ولكن مبادرة الرفض كانت من الخطورة بحيث أقلقت الإنكليز كثيراً

---

(١) جريدة العرب ع٨٤، بتاريخ ٩ نيسان ١٩١٨.

(٢) Wilson, Loyalties vol.2, p.32.

وجعلتهم يضربون أخماساً بأسداس، وبخاصة بعد أن رفضها النجفيون بإصرار لا تراجع بعده. وقد عبّر السير أرنولد ويلسون عن هذا القلق أحسن تعبير عندما قال:

«كانت هذه أخطر لحظة في تاريخ الإدارة المدنية.

إن فرض هذه الشروط استفز جميع العناصر المتعصبة في العراق، إنه كان امتحاناً لحقنا، لواجبنا، ولتصميمنا على الحكم بلا لين ولا مراعاة لمتغطرسين نصبوا من أنفسهم حكّاماً على المدينة، والذين في أيديهم مقدرات رجال الدين الذين لم يكونوا ذوي حول في هذا الوقت، كان التوتر حاداً، وفي بعض مقرات الجيش حدثت ردود فعل مخيفة، وقد عقّد العنصر السنّي[1] في بغداد مشاكلنا باستبشارهم العلني في أننا قد مسكنا بالحشرة السامة، بينما رجال الدين الشيعة في جميع إيران والعراق اتصلوا بالمراجع الدينية معربين عن قلقهم واستياء الجماهير، وطلبوا الرأفة أو التحكيم، والحكومة الإيرانية نفسها اضطربت وأعربت للوزير البريطاني عن قلقها الشديد، خوفاً من اضطراب الشعور الديني الإيراني من هذه الأخبار التي عمل الرقيب العسكري جهده للحيلولة دون انتشارها، ولكن الجنرال مارشال عندما أذاعها، أحاط الفضوليون بدائرتي في بغداد يقترحون بعض الاقتراحات غير المقبولة، لحلٍ ودّي للقضية.

وصلتنا كتب مغفلة من التوقيع تهددنا بالقتل.

وصلتنا عدة برقيات من حكومة الهند وإدارة الهند تحذرنا من النتائج المحتملة لهذه الإجراءات القاسية.

وكان السير برسي كوكس الذي كنت أطلعه على كل شيء، قد لاذ بالصمت الحازم المشجع»[2].

كان هذا مبلغ قلق السلطة البريطانية من فرض تلك الشروط التي تورّطت بإعلانها، ولكن لا يمكن التراجع عنها.

لذلك صمم الإنكليز على المضي فيها، واتخاذ جميع الاحتياطات للمضاعفات المحتملة، وكان أول عمل قاموا به، بعد إرسال المزيد من القوات المسلحة إلى

---

(١) هكذا يدس الاستعمار السم بالعسل.

(٢) Wilson, Loyalties vol.2, p.32.

النجف وتطويقها من أربع جهاتها، إنهم عززوا حامياتهم في جميع مواقع الفرات الحساسة، واستعملوا سياسة الترغيب والترهيب، فقد جعلت الطائرات لا تفارق سماء الفرات الأوسط، كما راحت القوات المسلحة تستعرض عضلاتها هناك، وفي الوقت ذاته انهالت المساعدات المالية على زعماء العشائر الفراتية.

وكما كان القلق يسيطر على البريطانيين، كذلك كان يسيطر على بعض النجفيين الذين ما كانوا يريدون للنجف أن تقع في أمثال هذه المآزق، بحكم سيرتهم الهادئة ومسالمتهم للسلطة في كل عهد من العهود، لغرض سيطرتهم ودعم زعاماتهم. وكان ممكناً ملافاة القضية لولا تهوّر بلفور وتسرعه في الحكم وانهياله على الحاج سعد بالتقريع والتأنيب أمام زعماء النجف ووجهائها، وقبل هذا كان قد قام بمثل ذلك مع كاظم صبي، وكذلك الحال كان مع الحاج عطية أبو كلل الذي كانوا يطاردونه ويريدون إلقاء القبض عليه، مما اضطره للاختفاء ثم الخروج من النجف بنفسه، وهؤلاء الثلاثة هم زعماء النجف الأقوياء المتبوعون.

وقد استغل الإنكليز وموالوهم هذه الفرصة للتخلص من هؤلاء بالذات ليتمكنوا من فرض سلطانهم على النجف، فعقّدوا القضية وطلبوهم بالذات للتسليم إلى السلطة بدون قيد أو شرط، الأمر الذي أهاجهم فرفضوا جميع الشروط لذلك كان يوم ٢٢ آذار ١٩١٨ مشهوداً في هذه الثورة، حيث جرت محاولات متعددة لإقناع الثائرين على شروط أُخرى أخف من تلك الشروط، ولكنهم رفضوا كل شيء يسمى شرطاً، فكان التوتر حاداً بين النجفيين أنفسهم، ثم بينهم وبين الإنكليز ومواليهم، فالثائرون تسيطر عليهم حرمة المدينة ونخوة الحاج سعد التي انتخى لها؛ معظم المسلحين كانوا مصممين دون تراجع على المضي في الثورة؛ وبعض المعممين ومعهم الموالون يريدون إقناع الثائرين بشروطٍ أخف ليجنبوا النجف ما يمكن أن تتعرض له من أخطار، فكان الجو ملبداً بغيوم التوتر الحاد الذي انتهى بإصرار الثائرين الذين كانوا مسيطرين سيطرة تامة على الموقف، لانحياز الأكثرية المسلحة إلى جانبهم.

وهكذا انتهى اليوم الرابع للثورة، ولم يستطع بلفور ولا الموالون من إقناع الثائرين بأي شرط من الشروط مهما كان؛ لأنهم تأكدوا من سوء نية الإنكليز والموالين، لذلك كان الثائرون أنفسهم يقدّمون شروطاً لإلقاء السلاح. ولكننا لم نستطع الحصول على

أية وثيقة تثبت نصّ هذه الشروط، بالرغم من أنها كتبت على ورقة اعتيادية وسلمت يداً بيد للكابتن بلفور من قبل أحد المعممين الموالين.

وعن أحداث هذا اليوم يقول الشبيبي: «. . . ومن حوادث يوم الجمعة هذا أصابت نيران الرشاشات جماعة من الأبرياء والمارّة، منهم: شيخ سلمان البديري، وحسين بن عطا، وقتل ابن عباس أبوگصة.

وفي صباح هذا اليوم أرسل بلفور كتباً حملها من الخان المدعو هادي شربة ـ أحد النجفيين المستخدمين عند الإنكليز ـ وهي إلى السيد كاظم اليزدي وبعض العلماء وزعماء النجفيين والمتغلبين، ما عدا سعد والصبي، أي إلى السيد مهدي، ومطلك العلاوي، ـ لعله يقصد مطلك المعمار ـ وعبد الله الرويشدي، وحسون شربة، والسيد علي جريو، مضمونها أن يتذاكروا بينهم ويوفدوا من قبلهم جماعة حاملين علماً أبيض إلى الخان خارج البلدة للمداولة في الإصلاح أو حمل الثوار على الطاعة، فاجتمع القوم في دار السيد عباس الكليتدار، فحضر الرؤساء وزعماء الثورة، فطلب الثوار أن يتخلى الإنكليز عن حكومة النجف ويتركوها لهم يؤلفون شرطة محلية ويعيّنون موظفين من بينهم لإدارة النجف وأطرافها إلى أن تنتهي الحرب ويتم التفاهم على كيفية الحكم في العراق، ولا مانع من أن يقوم حميد خان بتمثيل حكومة الاحتلال في حكومة النجف، الأمر الذي يعلم الموالون للإنكليز أن الإنكليز لا يوافقون عليه.

ولكن السيد اليزدي بعد أن علم بهذا الطلب أوفد جماعة إلى بلفور، منهم: السيد عباس الكليتدار، والسيد هادي النقيب عم السيد عباس، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد مهدي السيد سلمان، والشيخ جواد الجواهري، ومعهم ميرزا محمود آغا، وهو من خوّاص السيد اليزدي.

وعند وصولهم إلى الخان قابلهم بلفور ورحب بهم وأعلمهم بأن القائد العام يطلب تسليم الجماعة الذين هاجموا الخان وقتلوا مارشال بدون قيد أو شرط، كما يطلب تسليم حوالي مئة شخص سيعدّون كشفاً بأسمائهم، هؤلاء ينفون إلى خارج العراق إلى أن تنتهي الحرب، مع تغريم النجفيين غرامة في السلاح والمال.

فأجابه الجواهري بأن ذلك غير ممكن بالمرّة، بالنظر لما نعرفه من آراء الثوار، ونحن لم نأت إلى هنا إلاّ للتوفيق وجلب العطف على المدينة المقدسة وإقرار مبدأ

التساهل، لئلا يتسع الخرق على الراقع.

غير أن بلفور كان يصرّ على مطاليب القائد العام وكأنها مطاليبه، وهي فعلاً مطاليبه.

فرد عليه الشيخ الجواهري بأنهم سوف يقابلون القائد العام بأنفسهم، لعلهم يستطيعون إقناعه، وأجابه بلفور، بعد أن اتصل هاتفياً بالكوفة، بأن ذلك لا يمكن قبل استئذانه، ويمكن الحضور غداً لمعرفة الجواب»[1].

اليوم الخامس

السبت ١٠ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٣ آذار ١٩١٨م.

وفيه: بعد فشل بلفور والموالين في تحقيق بعض الحلول الوسط التي تؤمّن أغراضهم وتجنبهم مغبّة الأمر المجهول، عدلوا عن جهودهم مع النجفيين وراحوا يبذلون مجهوداً جديداً مع القائد العام للجيوش البريطانية في العراق، فكتب العلماء له كتاباً وجعلوا ينتظرون الجواب بفارغ الصبر؛ لأن فيه خلاصاً من ورطة قد يتورطون فيها، أو هم تورطوا فيها فعلاً، بين السلطة والنجفيين.

وأما الثائرون، فإنهم عندما رفضوا وأصروا، اتجهوا لتحصين مواقعهم وتوفير الأسلحة والعتاد للمحاربين، وتنظيم الحراسة في الليل والنهار، وقد أمضوا في تحقيق ذلك اليومين الرابع والخامس للثورة، مع بعض المناوشات الطفيفة.

في هذا اليوم خرج السيد عباس الكليتدار، والسيد مهدي السيد سلمان إلى بلفور لمعرفة موعد مقابلة القائد العام كما مرّ آنفاً.

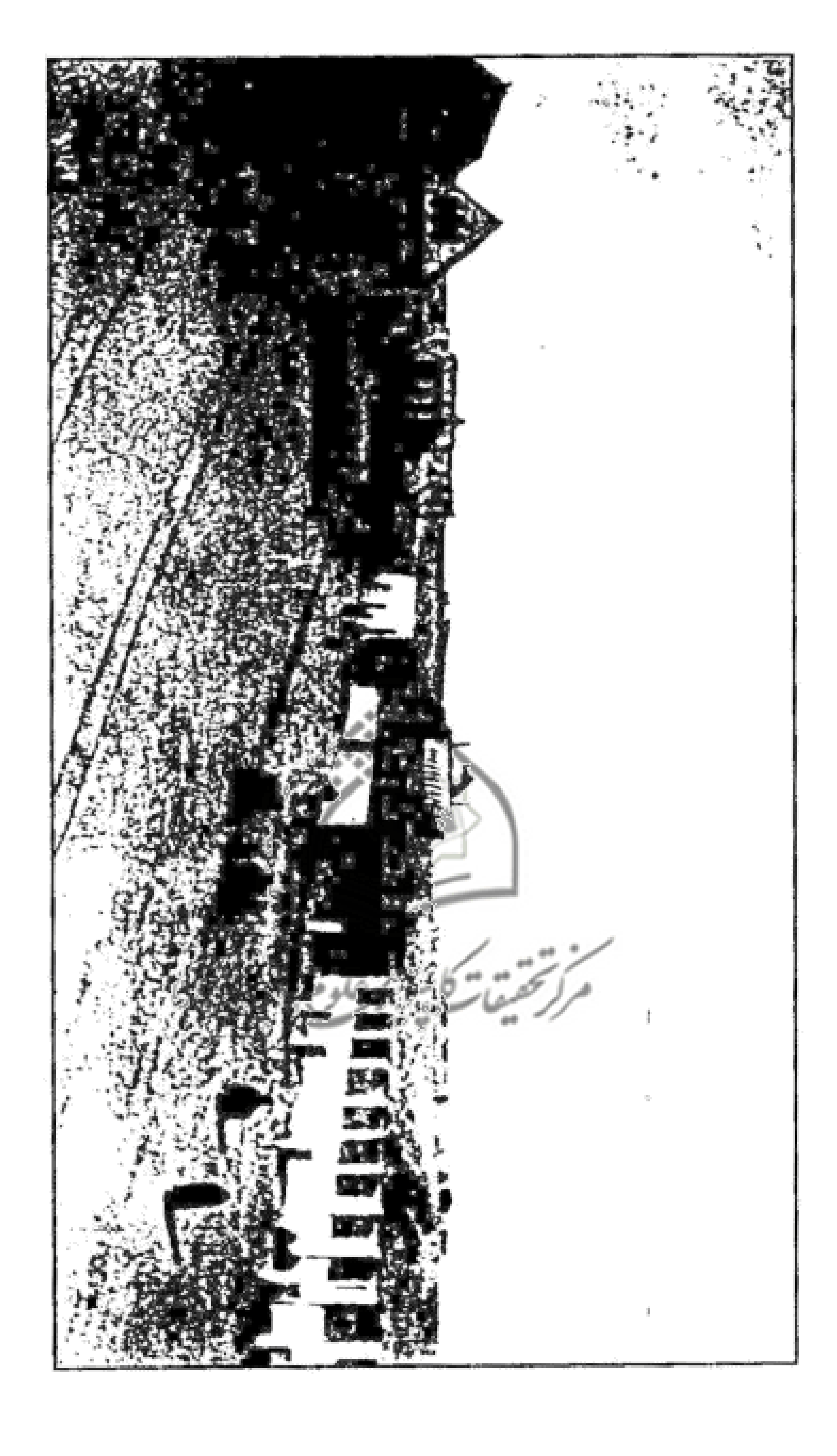
فأجابهما بلفور بتعذر ذلك، وأعلمهم بأن القائد العام قد فرض غرامة على النجفيين بمبلغ خمسين ألف ربية مع ألف بندقية حديثة، بالإضافة إلى تسليم الأشخاص.

وعن اليوم الخامس هذا يقول الشبيبي: «... وفي ليلة السبت ١٠ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٣ آذار ١٩١٨م كانت المناوشات خفيفة وكذلك يوم السبت هذا.

وفي صباحه هجم جماعة من الفقراء على دار اليزدي يستغيثون من الجوع.

---

(١) خلاصة ما جاء في مذكرات الشبيبي ص٢٩٩.



النجف سنة ١٩١٨ - منظر عام

وفي عصره خرج السيد مهدي السيد سلمان، والسيد عباس الخازن لمقابلة بلفور والوقوف على مطالب الإنكليز الأخيرة، فقال لهم: على النجفيين أن يُغرَّموا خمسين ألف ربيت ويُسلِّموا ألف بندقية من الطراز الحديث ويطلب أيضاً إمساك ١٢٤ من الرجال.

فكان لهذه المطالب وقع سيء في نفوس سكان النجف من المجاورين والأعيان وبقية الطبقات ومنهم الوسطاء في المفاوضات، إذ لا قِبَلَ لأحد من هؤلاء بحمل الثوار على قبول هذه المطالب كلها أو بعضها، والثوار هم المتحكمون المتغلبون في النجف وأهل النجف منذ سنين»[1].

اليوم السادس

الأحد ١١ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٤ آذار ١٩١٨م.

وفيه: قرر الثوار الاتصال بعشائر الفرات وطلب مساعدتهم في مثل هذا الظرف العصيب، ثم راحوا يفتشون عن الأشخاص الذين يمكن أن يحملوا كتبهم إلى زعماء هذه العشائر.

وفي مساء هذا اليوم غادر النجف من الباب الشمالي (باب الثلمة) رسولهم إلى الزعماء وكان من العوابد، يحمل عدداً من الكتب إلى زعماء الفرات، غير أنه عندما حاول عبور الأسلاك الشائكة، شعر به الحراس، فطاردوه وألقوا القبض عليه، وعندما مثل أمام قائد الحملة استجوب وأُعدم حالاً.

ولما وقف الإنكليز على ما معه من الرسائل، اتصلوا بالمراجع المختصة في بغداد وأوقفوها على جليّة الأمر، فتضاعفت الجهود في الاستمرار على سياسة الترهيب والترغيب مع زعماء الفرات، فأوقفوا حالاً جباية الضرائب، وبدأت الأعمال لاستصلاح الأراضي بحفر الترع وكري الجداول والأنهار، ثم قدّموا مقداراً كبيراً من السلف الزراعية لعدد كبير من الزعماء والمتزعمين.

أما الثوار فإنهم لم يكتفوا برسول واحد، خاصة وأنهم عند خروج رسولهم الأول سمعوا أصوات عيارات نارية من الجهة التي اتجه نحوها الرسول لعبور الأسلاك

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٠.

الشائكة، فراحوا يفتشون عن رسول آخر، وعن مخرج أمين؛ وجعلوا يسألون المتخصصين بمسالك النجف الخارجية.

وعن هذا اليوم يقول الشبيبي: «. . . وفي ليلة الأحد ١١ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٤ آذار ١٩١٨م، لم تحدث إلاّ مناوشات طفيفة.

وفي صباح الأحد تقلّد السلاح أحد العلويين وهو السيد عزيز الله الاستربادي من مشاهير زُهّاد المجاورين وعبّادهم، وممن شهد حروب القرنة، ونفر إلى محاربة الروس في مسألة مشهد طوس، وآحاد من الطلاب ساروا أمام الثوار يدعون إلى الدفاع.

وقد أعمل الإنكليز رشاشاتهم سحابة نهار الأحد تقريباً بشدّة غير معهودة وقتل وجرح جماعة من الأبرياء والنظارة، منهم: إبراهيم مصطفى فخر الدين.

وفيه فتح الصحن ظهراً وكان مقفلاً منذ يوم الثورة، وعجّت وتظاهرت فيه النسوة»[1].

اليوم السابع

الاثنين ١٢ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٥ آذار ١٩١٨م.

وفيه: كان الثوار مسيطرين على الموقف سيطرة تامة، وكانت معنوياتهم عالية جداً، حيث كان أملهم كبيراً بالمساعدات العشائرية، والتي كان غرضهم الرئيس منها الهجوم على أبي صخير لفتح الطريق بين النجف وعشائر الفرات، لذلك كانت نارهم حامية جداً على الخان الذي بقي معزولاً عن الجيوش البريطانية القريبة منه، بسبب هذه النار الحامية، الأمر الذي أدرك الإنكليز معه إستحالة إقتحام خطوط النجفيين، ولكنه بالرغم من ذلك كله كانوا يعدون العدة للاتصال بالخان وتقوية حاميته، وتجهيزه بالمؤن والمعدات، قبل أن يستطيع النجفيون مهاجمته مرة أخرى.

وفي مساء هذا اليوم السابع عاد إلى النجف من البادية كريم الحاج سعد، ومعه علي عيسى حبيبان، وعبد عيسى حبيبان، وحميد الصكر، وابنه سكر، وناصر حجي، ومهدي جاسم السعد، ومحمد العصمان، ودخلوها من بين الأسلاك الشائكة ليشتركوا

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٠.

بالثورة، كما وصلها أيضاً كردي بن عطية، حيث كان قد سافر بعد أبيه إلى البادية ولم يتصل به، فعاد عند سماعه بمقتل مارشال.

وفي هذا اليوم نشطت حركات السيارات المصفحة حول النجف طوال النهار، وهي ترمي المدينة من كل صوب للتخويف والتهويل، فجرح عدد من الأبرياء.

وعن هذا اليوم يقول الشبيبي: «وفي الساعة الثانية من ليلة الاثنين ١٢ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٥ آذار ١٩١٨م اخترق نطاق الحصار خلسة ودخل النجف كريم بن سعد، وكردي، وعجمي أبناء عطية أبي كلل، وعبدٌ له يسمى العصماني، وأفراد معهم، فكان لدخولهم رنّة ودوي في المدينة، وتظاهر الناس وظنَّ الناس أن عطية هو الداخل حتى أنشأت النساء في المظاهرات.

أبــو تــركــي كحــم بــالليــل بــازمــور التفــگ والخيــل»[1]

وفي هذه الليلة قتل وجرح جماعة خرجوا في طلب الماء من جهة الثلمة من جملتهم: عبد الله الجصاني وامرأته وابنه وثلاثة آخرون.

وفي يوم الاثنين نشطت حركات السيارات المجهزة بالرشاشات حول المدينة طول النهار وجرح الحاج هادي البغدادي وآخر من حملة السلاح وغيرهما من الأبرياء.

وفي هذا اليوم وقّع السيد كاظم اليزدي وبقية العلماء وأولاد المجتهدين والرؤساء على برقية إلى القائد الإنكليزي العام هذا نصها:

«بغداد لحضرة القائد العام لجيوش بريطانيا العظمى

نحن العلماء في النجف الأشرف، نرفع الشكوى عنا وعن عامة الفقراء والمساكين والمجاورين في هذه البلدة المقدسة، مستغيثين بمراحم هذه الدولة وعدالتها، مسترحمين رفع هذا الأسر والحصار عن الأبرياء والضعفاء الذين لا جناية لهم ولا تقصير ولا رضا. وأشد البلاء قطع الماء فإنه من العقوبات التي لا تسوغ في جميع الأديان البشرية فإن لم تكن رحمة للرجال فنسترحم الرأفة على النساء والأطفال، وحاشا من عدالة هذه الدولة المعروفة بالرأفة والعدالة والقوة والسطوة أن تأخذ الأبرياء بالأشقياء، وقد أشرفت النفوس على التلف والهلاك من الجوع والعطش وتعطيل

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٠ ـ ٣٠١.

الأسباب، وهذه المعاملة ضربة على جملة العالم الإسلامي جارحة لعواطف عامة المسلمين، غير موافقة لما هو المعروف من سياستكم الجميلة في جلب عواطف عموم المسلمين.

فالمأمول إعمال التدابير الحازمة في رفع هذه الغائلة على وجه لا تهلك الضعفاء والأبرياء بإصدار العفو العام وتأمين البلاد وأنتم أعرف بذلك.

الأحقر الجاني

شيخ الشريعة الأصبهاني

وقع على هذه البرقية السيد اليزدي وعدد كبير من العلماء والفضلاء، فيمن وقع السيد اليزدي، وأضاف علاوة على ما فيها هذه العبارة بخطه: (حسب الظاهر، إن إطفاء هذه النائرة عن هذا البلد المقدس موقوف على العفو العمومي، وفيه المصلحة).

الأحقر

محمد كاظم الطباطبائي [١]

وأرسلوا المدعو علي هجوج إلى دار الإمارة إلخ..»[٢].

لقد أراد السيد اليزدي بكتابة هذه العبارة تأكيد موقفه في طلب العفو العام، وكان قد نُقل هذا الموقف سابقاً على لسان الشيخ جواد الجواهري الذي مثّله في الاجتماع الأول مع بلفور، كما أراد أن يؤكد للإنكليز من خلال العبارة السابقة أنه بصفته المرجع الأعلى للشيعة، يرى أن إنهاء الأزمة يتوف على إصدار العفو العام، وهو الطلب الذي طرحه الثوار في اجتماعه الأول، وهذا يعني أن السيد اليزدي قدم مطلب الثوار على أنه موقفه الشخصي.

إضافة إلى ذلك، فإن هذا الطرح يُفهم منه أن شروط الإنكليز الثلاثة مرفوضة ضمناً في عريضة العلماء وعبارة السيد اليزدي، لذلك سارع الجنرال «مارشال» القائد العام للقوات البريطانية في العراق إلى الرد عليها بشدّة ـ كما سيأتي ـ[٣].

---

(١) تاريخ ثورة النجف للخوئي ص٢٨٦.

(٢) مذكرات الشبيبي ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) دور علماء الشيعة ص١٦٦.

كما بعث الشيخ فتح الله، شيخ الشريعة الأصفهاني برسالة إلى الشيخ محمد تقي الشيرازي، يعرض له فيها مجمل ما حصل في النجف، ويطلب منه التحرك بوسائله وحلّ الأزمة، نصّها:

كربلاء المقدسة

بسمه تعالى

إلى سماحة شيخ الفقهاء والمجتهدين زين الملّة والدين حجة الإسلام والمسلمين الميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي دام ظله إن شاء الله.

بعد السلام وإهداء التحية والإكرام.

نشير إلى أنه لا بدّ أن يكون قد تناهى إلى سمعكم ما يحصل في النجف حالياً ولو بشكل مجمل؛ فإن الوضع بشكل متى ما شرح عشرهُ فهو كاف لسلب الراحة والطمأنينة من أي مسلم فكيف بمن هو في مقامكم. ورغم أن فساداً حصل أول الأمر بشكل لا يتوقعه أحد، حتى شيوخ النجف المعروفين، وبعده لجأت الحكومة الحالية إلى التأديب والعقاب، إلا أنها جعلت أحد طرق التأديب، حصار النجف وقطع الماء عن أهلها فضلاً عن منع دخول أي شخص أو طعام إليها؛ وإنّ الأمور ضاقت على الأهالي حتى الأغنياء منهم فضلاً عن الضعفاء والفقراء والعجزة بشكل يرقُّ معه قلب كل ذي قلب متحجر. وقد استعطف العلماء الحكومة شفهياً وتحريرياً علّها ترأف بحال الضعفاء والفقراء، وقيل مراراً إن هذا التضييق من قبل الحكومة لن يلحق الضرر سوى بأبرياء الناس وأهل العلم والكسبة والتجار الصغار وإن ضُيِّقَ الخناق أكثر من ذلك فلن يتحقق الهدف الرئيس للحكومة ألا وهو تطبيق العدل وبسط الأمن واستئصال المناوئين؛ ذلك أن الفريق الذي تعتبره من أهل الفساد ومصدر الشر سيهرب أعضاؤه، بعد شعورهم بالعجز، بالطرق التي يتقنونها ويبرعون فيها ولن تكون النتيجة سوى هلاك الأبرياء والضعفاء. وباختصار فإنَّ نسخة من رسالة الاستعطاف التي كُتبت أُرسلت إلى حضرتكم لتطلبوا بدوركم العطف والعفو ليُفكَّ الحصار عن النجف على الأقل ويُطلق الماء الآن علّهم يغضون الطرف عن كافة العصاة حالياً ويؤجلون معاقبتهم حتى تحين الفرصة. نرجو بذل ما بوسعكم للحصول على العفو،

وإرسال نسخة من برقية الاسترحام هذه إلى بغداد، وأن تكتبوا بشكلٍ منفصلٍ وتقولوا من جانبكم ما ترونه مناسباً. لا يسعني قول أكثر من ذلك وقد أطلت عليكم. إنكم تهتمون بأبسط الأمور التي تهم مصلحة المسلمين فكيف بمثل هذه القضية المهمة وختام الكلام الإقدام والإقدام.

حرره الجاني

فتح الله الغروي الأصبهاني

المشتهر بشيخ الشريعة عُفي عنه[1]

اليوم الثامن

الثلاثاء ١٣ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٦ آذار ١٩١٨م.

وفيه: تقدم الجيش في الصباح نحو الخان باستماتة، وبذل كثيراً من الضحايا للاتصال به وتحصينه خوفاً من إستيلاء النجفيين عليه، وفعلاً تمكنوا من الاتصال به وفكّوا الحصار من النار الحامية التي كانت تصليهم بها أبراج السور.

وفي هذا اليوم سلّمت القوة التركية في الرمادي، وخَفَّ الضغط على الجيوش البريطانية، فنقل قسم من الجيوش المعبأة للرمادي إلى النجف، ففي ذكريات بعض المحاربين النجفيين الرابضين على التل، أنه بعد فترة من انقطاع الإمدادات دامت يومين أو ثلاثة، عادت تنهال على الحاميات المحيطة بالنجف إحاطة السوار بالمعصم، وكان ذلك في اليومين العاشر والحادي عشر للثورة على ما يتذكرون.

وفي عصر هذا اليوم ذهب علي هجوج[2] إلى الخان لجلب جواب القائد العام على البرقية السابق ذكرها، فأُعيد بدون جواب، على أن يرسلوا الجواب في اليوم التالي إلى العلماء.

وفي ساعة متأخرة من مساء هذا اليوم عادت واشتدت المناوشات بين الجانبين في

---

(١) تاريخ ثورة النجف للخوئي ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٢) في مذكرات الشبيبي عن هذا اليوم: «ذهب علي هجوج للموافاة بجواب القائد العام عن برقية العلماء فحمل كتاباً من حميد خان جاء فيه أنه راجع ـ بلفرر ـ فأجاب أن برقية العلماء أُنفذت إلى حاكم العراق السياسي العام في بغداد وهو طيّرها إلى القائد العام وأن الجواب ورد إلى الكوفة وسيُعَرَّب ويُرسل غداً إلى العلماء».

متربي الثلمة والباب الصغير، على أثر مجيء جماعة من أفراد العشائر من المشخاب وأطرافه ـ أكثرهم من عشيرة الزرفات ـ وعلى رأسهم أحد أولاد حسون عرب، وهو تاجر نجفي يقيم هناك، فاخترقوا الحصار ودخلوا النجف بعد الاشتباك مع الجنود.

وفي هذا اليوم أيضاً جمع الثوار من الناس عدداً كبيراً من أكياس الجنفاص (الگواني) وملأوها رملاً لعمل المتاريس، بالإضافة إلى ما كانوا قد حفروا من الخنادق في البداية، وأهم المتارب أو التلول المتسلطة على مدينة النجف هي المتارب الواقعة على باب السور الصغيرة أي الباب الغربية التي تقابل بحر النجف. لذلك أحكم النجفيون الدفاع عن هذين المتربين بالخنادق والمتاريس والرجال المقيمين الذين كانوا يستبدلونهم بنظام خاص، وقد حاول الإنكليز كثيراً الاستيلاء عليهما فلم يتمكنوا، بالرغم مما بذلوه من جهود مستميتة، أما بقية أطراف النجف فقد أحكموا الدفاع عنها بالتمركز في أبراج السور والشيلان الذي كانوا يرامون الخان منه ويسيطرون به على طريق الكوفة.

أما وسائل الحصار التي أُستعملت لمحاصرة النجف فهي الأسلاك الشائكة والجنود المشاة الثابتون في مواقعهم المتمركزون في الخنادق والمتاريس، والفرسان المتجولون على طول خط الحصار ليل نهار، والسيارات المصفحة المنتشرة هنا وهناك.

وفي هذا اليوم ظهرت أول آثار الحصار في أسعار اللحوم والدهن والحطب، أما الخضروات فقد انعدم وجودها قبل ذلك؛ لأنها تأتي يومياً من خارج النجف.

كما بدأت تظهر آثار شحة الماء، فاضطر البعض لشرب ماء الآبار، وقد بلغ سعر حمل الماء، وهو قربتان، بليرة ذهب.

وفي مساء هذا اليوم اشتد تبادل إطلاق النار، حيث حاول الإنكليز احتلال المتربين الكبير والصغير فعجزوا وارتدوا خاسرين.

اليوم التاسع

الأربعاء ١٤ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٧ آذار ١٩١٨م.

وفيه: ورد جواب القائد العام على برقية العلماء، ونصّه:

الرقم ٢٨٠٤

التاريخ ٢٦ آذار ١٩١٧

«إلى حضرة حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي وحضرات العلماء الأعلام في النجف الأشرف، وإلى أهاليها.

وصلنا كتابكم فأمعنّا النظر فيه، وإنكم لمحقّون في وصفكم بأن الحكومة البريطانية رؤوفة، وأسطع برهان على ذلك، الرأفة التي عومل بها النجفيون في الحادثتين اللتين وقعتا في الستة شهور الماضية، وبرهان آخر على تلك الرأفة، الخطة السلمية التي ستتبعها في تنفيذ الشروط المشترطة عليكم.

فإننا لم نوقع العذاب بالأهالي الذين لم يخالفوا القانون، بل أولئك الذين خرقوا حرمته ومن ساعدهم على ذلك، وفي استطاعة النجف الأشرف أن تخرج سالمة من مأزقها الحالي إذا خضعت للشروط التي سبق وعرضناها.

ففي إمكان حضرات المجتهدين والعلماء الأعلام، لا بل بالأحرى عليهم أن يطهّروا بلدتهم من مفسديها، كما عليهم مساعدتنا على إيقاع العقاب بأولئك الذين اقترفوا تلك الجريمة وعلى من حرّضوا على ارتكابها.

وسوف لا تقصّر الحكومة في منح الصفح متى آن الوقت المناسب، فليتأكد سكان البلدة المسالمون بأننا سنعاملهم بالحسنى إذا أظهروا بأعمالهم أنهم يستحقون منا تلك المعاملة.

ولقد مضت سبعة أيام منذ قتل القبطان مارشال، ومع ذلك فلم يعبّر لنا أهالي النجف عن خضوعهم، ولم يقوموا بشيء ما لإرجاع القانون والنظام إلى نصابيهما. والسلام»[1].

٢٥/٢٦ آذار ١٩١٨م — الفريق الأول

السير. و. ر. مارشل كي سي. بي

القائد العام لجيوش جلالة ملك بريطانية العظمى في العراق

---

(١) جريدة العرب ع ٨٤ بتاريخ ٩ نيسان ١٩١٨م.

سبق أن ذكرنا في حوادث اليوم السادس للثورة، أن النجفيين، بعد أن تشككوا في خلاص رسولهم الأول إلى العشائر من أيدي الجنود، جعلوا يفتشون عن رسول آخر وعن مخرج أمين. وفي هذا اليوم غادر النجف رسولهم الثاني، وهو من بني عامر، وقد وثّقه للنجفيين حميد الرحباوي.

لقد خرج هذا الرسول من الباب الجنوبي الغربي (باب السقائين)، حيث المنخفض الواسع الذي يستطيع الإنسان أن يتخفى في مختلف دروبه ومنعطفاته وتضاريسه، إلى أن يبتعد عن أنظار الجيش، ليتجه مع انحداره إلى أن يتصل بالمشخاب، ومن هناك يذهب إلى كل من يريد، وهذه الطريق، بالرغم من طولها وصعوبتها، أمينة كل الأمان؛ لأنها بعيدة عن الأسلاك الشائكة وخنادق الجيش، وفعلاً وصل الرسول إلى جميع زعماء العشائر المرسل إليهم، ولكنه وجد أن الإنكليز قد أحكموا صلاتهم الرتهيبية والترغيبية بجمع زعماء الفرات، حتى إنهم أصبحوا يحلمون بالخيرات في المنام، لذلك لم يستطع الرسول الحصول على أية مساعدة من الزعماء، ولا أي وعد منهم بالمساعدة، وذلك لكثرة ما كان يغدقه الإنكليز عليهم من أموال ووعود من جهة، ومن جهة ثانية لانتشار نقاط الجيش ومخافره على كل طريق يمكن أن تصل منه المساعدات إلى النجف.

ومع ذلك فقد قام بعض الزعماء الصغار والأفراد بمحاولات متعددة للالتحاق بالثوار النجفيين، وبذلوا الغالي والرخيص، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك، سوى جماعات قليلة جازفت واقتحمت الحصار، لشدة يقظة الإنكليز وحذرهم وكثرة قواتهم المحيطة بالنجف.

وعن حوادث هذا اليوم يقول الشبيبي: «وقد انعقد مجمع كبير على أثر ورود هذا الجواب في دار الجواهري ـ وقد صارت داره هذه الأيام محل انعقاد مجامع النجفيين والثوار والمتصدّين وكل من يشتغل في هذه المسألة؛ لأن الجواهري من أكثر المتصدّين حركة وتفكيراً فيها ـ حضره الوجوه والأعيان والمتصدرون من أرباب العمائم ورؤساء الثوار والمتغلبين وفريق من الجمهور، فتلي عليهم جواب القائد وتنوقش فيه، وانعقدت أيضاً مجامع أخرى خاصة في دور آخرين من المتصدرين، لم يتقرر في الجميع شيء وأُشير باستئناف مراجعة القائد العام.

وفي عصر الأربعاء المتقدّم تقلّد الشيخ إبراهيم الكاشي الواعظ سيفاً وجعل يخطب الناس في الحثّ على الدفاع»[1].

اليوم العاشر

الخميس ١٥ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٨ آذار ١٩١٨م.

وكان يوماً هاماً في الثورة النجفية، ففي هذا اليوم احتل الإنكليز بلدة «عانة» بدون مقاومة، وهناك تمكن الإنكليز من تتبع الضباط الأتراك والألمان المنسحبين وإلقاء القبض عليهم والاستيلاء على جميع أوراقهم ومستنداتهم وسجلاتهم التي لم يستطيعوا حرقها وإتلافها، ومنها علم الإنكليز ـ كما يدّعون ـ بصلة الثورة النجفية بالأتراك والألمان في عانة، وقد أبرزوا بعض هذه الأوراق في محاكمة بعض النجفيين عند انتهاء الثورة.

وهكذا تطورت حوادث الحرب في العراق بسرعة في غير صالح الثورة النجفية، فزعماء العشائر أصبحوا غير قادرين على مساعدة الثوار، والجيوش التركية إنتهى أمرها في العراق بأسرع مما كان متصوراً عند المراقبين، فتحررت بذلك قطعات كثيرة من الجيش الإنكليزي، أُرسل بعضها إلى النجف، وبقي البعض الآخر على استعداد للرحيل إليها عند الحاجة.

كل ذلك والنجفيون لا يعلمون شيئاً عن هذا كله؛ لأن رسولهم لم يعد بعد، ليعلموا منه الأخبار التي تهمهم في هذا الشأن، لذلك كانوا في هذا اليوم وما بعده، إلى أن وقفوا على جلية الأمر عند العشائر والأتراك؛ كانوا على أنشط ما يكون المحاربون في الحماس والتهيؤ والاستعداد.

وفي مساء هذا اليوم تسلل بعض النجفيين من طرف العمارة إلى موارد الماء في الشواطي وحصلوا على قدر كبير منه.

أما أفراد العشائر الذين قدموا أمس، فقد تجولوا في صباح هذا اليوم في أسواق النجف على شكل تظاهرة حماسية قوبلت من قبل النجفيين بالترحيب والتشجيع والتصفيق.

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٤.

وفي حوادث هذا اليوم يقول الشبيبي: «وفي منتصف ليلة الخميس اشتد تبادل إطلاق النيران أيضاً بين حراس المقلاب (ويقصد التل) في الباب الصغيرة ومن بإزائهم من الإنكليز.

وفيها أيضاً اجتاز نطاق الحصار جماعة من النجفيين المقيمين في السواد مع آخرين من عرب هذه النواحي ودخلوا المدينة بعد أن جرح واحد منهم.

وفي هذه الليلة جُرح محمد بن الشيخ صافي الطريحي من حرّاس المقلاب.

ولم يحدث يوم الخميس شيء جدير بالذكر عدا المناوشات المتقطعة الخفيفة»[1].

اليوم الحادي عشر

الجمعة ١٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢٩ آذار ١٩١٨م.

وقد مرّ هذا اليوم على النجفيين وهم يستعدون لتعزيز مواقعهم والتهيؤ لإعداد خطة للهجوم على الخان والاستيلاء عليه عندما ترد أول مساعدة من العشائر. أما العلماء والوجوه فكانوا مشغولين في تدبّر الأمر وضرورة الضغط على القائد العام لجيوش الاحتلال، حيث اجتمع عدد منهم في دار السيد اليزدي وقرروا مواصلة جهودهم في هذا الخصوص.

وفي هذا اليوم نشرت جريدة العرب البغدادية، أول خبر عن الثورة النجفية، نصّه:

«في صباح التاسع عشر من شهر آذار، ذهب جماعة من القتلة الذين استأجرهم فحرّكهم على القتل رجال من أصحاب الأهواء إلى بيت الحاكم السياسي في النجف، الواقع خارج البلدة، فأطلقوا عليه عيارات نارية قتلته، وجرحوا أيضاً ضابطاً آخر.

وكان الحاكم المذكور قد نقل إلى النجف مؤخراً من الكاظمية، بعد أن أحرز فيها ثقة العلماء الأجلاء وودّهم، وكذلك قُل عن جميع الأهالي، فأسف عليه كل من عرف دماثة أخلاقه ولين جانبه.

وقد قام بعض المبغضين في النجف فأثاروا الشغب وقتلوا رجلين من رجال الشرطة، . والأنباء التي وصلت الحكومة تدل على أن ثلاثة أرباع سكان المدينة هادئة ساكنة، ورجال الفتنة هم: الشيخ كاظم الصبي، والحاج سعد من حي المشراق، وقد

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٥.

يكون المحرضون على هذه السيئة رجال من خارج النجف.

وقامت الحكومة بالتدابير اللازمة فأحاطت بالنجف في اليوم العشرين.

وفي الواحد والعشرين والثاني والعشرين حاولت جماعات من النجف أن يهجموا على الجنود فردتهم على أعقابهم خاسرين، ومن ذلك الحين أصبحوا يترامون بالرصاص من وقت لآخر.

وقد خاطب في الثاني والعشرين رؤساء المجتهدين رجال السلطة العسكرية الذين يشدّدون على من اشترك في تلك الأمور ومن يتعلق بهم.

وقد أرسل أصحاب السلطة العسكرية الملكية برسائل إلى السيد محمد كاظم اليزدي يبدون بها أسفهم لوقوع هذه المشاغبات واهتمامهم بالمحافظة على الأماكن المقدسة وخزائنها وعلى العلماء الكرام، ويحثون أيضاً المجتهدين على مشاركتهم في إعادة النظام إلى نصابه.

والرأي العام في كربلاء والحلة وبغداد وغيرها يقبّح كل التقبيح ما قام به أولئك المفسدون من إخلال النظام في البلدة، وعرض بعض شيوخ العرب الذين على الفرات أن يرسلوا بعض عشائرهم لتأديب أولئك المفسدين.

ويرغب الناس في كل مكان أن تعاقب الحكومة جماعة من المفسدين عقاباً شديداً حتى يأمن المجتهدون والزوّار وتضمن مصالح التجار والأهالي وأموالهم، والحكومة العسكرية توسّلت بالوسائل الواجبة بلوغاً لهذه الغاية»[1].

وعن هذا اليوم يقول الشبيبي: «وفي ليلة الجمعة ـ هذه ـ لم تكن مبادلة إطلاق النيران شديدة وكذلك في يومها حتى تمكن كثيرون في الليل من الوصول إلى الماء خلسة وذلك في شق العمارة.

وفي ضحى يوم الجمعة هذا حضر في دار اليزدي بعض أهل الحلّ والعقد وقرروا بعد الأخذ والرد استئناف مراجعة القائد العام بلهجة أشد من الأولى.

وفي عصر هذا اليوم جرح ابن أبي القسب في سطح الشيلان»[2].

---

(١) جريدة العرب العدد ٧٥ من المجلد الثاني في الجمعة ٢٩ آذار ١٩١٨، الموافق ١٦ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ.

(٢) مذكرات الشبيبي ص٣٠٥.

اليوم الثاني عشر

السبت ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٣٠ آذار ١٩١٨م.

مرّ هذا اليوم والنجف في هدوء شامل من الطرفين، ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، فالنجفيون يستعدون للهجوم على الخان، والجيش البريطاني يستعد، على ما ظهر بعد ذلك، للهجوم على التل.

وفي هذا المساء هبّت على النجف عاصفة ترابية شديدة قلّ بسببها مدى الرؤيا، فقلق الجانبان وتبادلا إطلاق النار عشوائياً.

وفي هذا اليوم وقّع العلماء البرقية التي تقرر أمس إرسالها إلى القائد العام لاستئناف مراجعته في موضوع وجوب التساهل حقناً للدماء وهذا نصّها:

«لحضور حضرة القائد العام للجيوش البريطانية في العراق دامت معدلته.

تلقينا تلغرافكم نمرة ٢٨٠٤ بتاريخ ٢٦ آذار ١٩١٨ وأخذنا ما فيه بنظر التدقيق.

تذكرون أنكم لم توقعوا العقاب بالأهالي الذين لم يخالفوا القانون، ونحن ننصح بالصراحة إن البلاء والعقاب ما وقع ولن يقع إلاّ على الأبرياء والضعفاء الذين لا جناية لهم ولا تقصير.

وقد نشدنا لعدالتكم التي ذاع صيتها ولا حاجة فيها إلى البرهان، طالبين رفع الحصار والأسر عن الأبرياء والضعفاء بإصدار العفو العام، وعسى أن لا يكون خفياً عليكم عجز العلماء وعامة الأهالي عمّا تقدر عليه دولة معظمة كالدولة البريطانية التي وعدت بحفظ حرمات الإسلام ورعاية المسلمين، كما أعلن القائد الفاتح مود في أوائل فتح بغداد، وأكده الحاكم الملكي العام بحفظ نواميس معابدنا التي صارت منذ أكثر من عشرة أيام هدفاً لرصاص المتراليوز، وشوؤون العلماء مهتوكة بهذا الحصار الشديد.

وبالنهاية نقول بكل صراحة بدافع النصيحة للدولة الفخيمة: إن هذا الحصار الذي أوجب تلف عدّةمن نفوس الأبرياء من الغرباء والمجاورين كل يوم بالقتل والجوع والعطش، كل هذا فضلاً عن مغايرته للرأفة والعدالة، ومخالفته للنواميس الإنسانية وحفظ حقوق البشرية، كما أنه موجب لهتك الحرمات الإسلامية، وهو ضد المصلحة المرعية لمثل هذه الدولة الوحيدة بالسياسة التي لا يعجزها حل مثل هذه المسألة الطفيفة.



الحاج عطيه أبو كلل يتوسط أولاده و اخوته و أبناء اخوته
و عدد من اصحابه و خلفهم الخدم في داره (الدرعية)

أما العلماء فلم يقصّروا ولا يقصّرون بالقيام بوظيفتهم في الوعظ والنصح والإرشاد، وكيف لا وهو من واجباتهم الدينية، ولكن لا تكاد تنحسم المادة بصرف الوعظ والنصح فقط، حتى تنضم إليها مساعدتكم بالعفو والسياسة اللازمة في مثل هذاالوقت.

ولذلك فالأمل فيكم أكيد بإصلاح هذه الغائلة بالتدابير الحازمة بالقريب العاجل إن شاء الله تعالىٰ».

٣٠ آذار سنة ١٩١٨م

نعم الصلاح بالإصلاح — الأحقر الجاني

الأحقر — شيخ الشريعة الأصبهاني[١]

محمد كاظم الطباطبائي

وقد وقّع على هذه البرقية جمع من العلماء والفضلاء.

وفي هذا اليوم أيضاً وقّع تجار النجف على برقية منهم خاصة تتضمن الشكوى من وقوف دولاب التجارة وأُرسلت مع البرقية المتقدمة.

وفيه قتلت بنت آل الصائغ على سطح دارهم في شق العمارة»[٢].

اليوم الثالث عشر

الأحد ١٨ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٣١ آذار ١٩١٨م.

وفيه: رفع القنصل الإيراني مذكرة إلى سفير إيران في بغداد يشعره بضيق حال

---

(١) تأريخ ثورة النجف للخوئي ص٢٩٦.

وفي هذه العبارة يؤكد السيد اليزدي موقفه السابق في طلب العفو العام.

ومما يلفت الانتباه أن الكُتّاب الذين تناولوا هذه الرسالة، تعرضوا لعبارة السيد اليزدي بإشارات إدانة، مع أنها واضحة الدلالة في تأكيد طلب العفو، والمعروف لدينا إن مراجع الدين وكبار العلماء اعتادوا على إيجاز كلامهم بعبارة مقتضبة في أمثال هذه الأمور.

وقد أثارت هذه الرسالة سلطات الاحتلال البريطاني، فهي تشكل وثيقة إدانة للسياسة البريطانية، خصوصاً وأن الذي وقّع عليها المرجع الأعلى، وقد لاحظت السلطة أن السيد اليزدي وبقية علماء الدين لم يتنازلوا عن مواقفهم في الاستمرار بمطالبة إصدار العفو العام، أي رفضهم للشروط البريطانية، كما أن الرسالة حملت مسؤولية استمرار الأزمة، لذلك كان رد الفعل البريطاني قاسياً في لهجته، حيث أوعز الحاكم السياسي العام في العراق إلى الكابتن بلفور أن يرد على رسالة العلماء بكتاب مؤرخ في ٢ نيسان ١٨١٧، سيأتي نصه. «دور علماء الشيعة ١٦٨ ـ ١٦٩».

(٢) انظر: مذكرات الشبيبي ص٣٠٦.

الجالية الإيرانية في النجف، هكذا شاع في المدينة بعد أن كثر التذمّر بين الإيرانيين المقيمن هناك.

وفي هذا اليوم تقدّم الواعظ المعروف الشيخ إبراهيم الكاشي نحو باب المشهد العلوي محاولاً كسر القفل، حيث كان المشهد (الحرم العلوي) لا يزال مقفلاً منذ اليوم الأول للثورة، فمنع من القيام بذلك.

وفي هذا اليوم أيضاً قام أحد الفقراء بذبح حمار وباع لحمه على الناس دون علمهم.

وفي المساء أمطرت السماء مدراراً ففرح الناس أيّما فرح وراحوا يجمعون كل قطرة تقع من السماء ما استطاعوا.

وقد رافقت هذه الأمطار رياح شديدة فاكفهر الجو وتلبدت السماء بالغيوم، فانتهز الثوار هذه الفرصة وهاجموا الخان متسللين إليه من الشيلان، وعندما اقتربوا من الخان عجوا بالتكبير وإطلاق النار الحامية وزحفوا نحوه راكضين، غير أن حامية الخان ومعسكر «كميل» قد قابلت قواتهما الكبيرة ـ بعد اكتشاف مواقعهم بالأنوار الكشّافة ـ المهاجمين بما لا يصدّق من نيران المدافع الرشاشة والقنابل ومرميات السيارات المصفحة التي هجمت حالاً بنيرانها عليهم، فقابلوا كل هذه النيران برصاص بنادقهم وبإيمانهم الشديد بعدالة قضيتهم؛ مما جعل هذه الليلة كليلة الهرير، تنادى لها كل من في المدينة من النساء والرجال بالتهليل والتكبير وحمل السلاح.

وقد انتهز قائد الميدان الإنكليزي هذه الفرصة فأوعز إلى اللواء المرابطْ إزاء التل (المگلاب) بالهجوم عليه واحتلاله لانشغال الثوار بالهجوم على الخان، فتنادى النجفيون المسلحون من غير الثوار والتحقوا بحاميته يشاغلون الجيش الإنكليزي إلى أن عاد الثوار وأخذوا مواقعهم في التل والتحم الطرفان في موقعة عظيمة دامت أكثر من ساعة في هرير صاخب وصراع عنيف فأعادوا الجيش على أعقابه بعد أن تكبد كثيراً من الضحايا والأضرار.

وفي وصف هذه المعركة العنيفة والهجوم الإنكليزي الفاشل يقول المرحوم يوسف رجيب:

«. . . وبعد مرور أيام (من بداية الثورة) أجمعت القوة الإنكليزية المتجمعة حول

النجف أمرها لتضرب «التل» ضربة قاضية، وبذلك تضع حداً للحادث، وقد طال حبله واشتد كلبه.

وفي ليلة ليلاء تقدّمت جيوشهم للزحف، وكانت المدافع تقصف مواقع التل، وكانت مواقع هذا التل تصب ناراً حامية على مقرات الجنود وخنادقهم، حتى أكثرت فيهم قتلاً ودماراً، غير أن أبواب المدد على هذا الفاتح كانت مفتوحة والخسارة معوضة.. وقد أحبط الله هجمتهم هذه بالثبات النجفي أمام مدافعهم وحديدهم، فتكبدت القوات ضرراً بليغاً، وباءت باندحار مريع، تاركة جثث قتلاها طعاماً للنسور»[1].

أما المرحوم الشبيبي فإنه في وصف أحداث هذه الليلة يقول:

«وإنما أفردنا هذه الواقعة بالذكر وأكبرناها في الوصف؛ لأنها أم حوادث الثورة التي حدثت إلى الآن.

فلقد كانت ليلتها وهي ليلة الاثنين (١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦) حالكة الجلباب، مسودة الإهاب، أول الأمر وكان الجوّ عابساً مكفهراً والسماء متلبدة بالغيوم، والريح ثائرة، والأرض مطيرة، كأن كل ظواهر الكون يومئذ منذرة مؤذنة بحدوث حادث لا مفرّ منه، وقد انقبضت النفوس، وضاقت الصدور توقعاً لما عسى أن يصيبها منه، وإنه لسرّ من أسرار النفس أن تتوقع في بعض الأحوال حدوث بعض المزعجات فتجيء كما توقعت أو شبيهاً بذلك، كأنما للنفس مع عوامل الغيب الخفية خلسات أو علاقات.

فقد خرج من ثوار النجف في الساعة الرابعة والنصف من تلك الليلة خارج السور من ثقب لهم فيه قرب الباب الكبيرة الشرقية، محاولين الهجوم على الخان وهو كما لا يخفى أمنع معاقل الإنكليز، وقد سمعناهم قبيل خروجهم يتظاهرون ويعطعطون فلما صاروا على مقربة من الخان وأحست بهم الحامية أطلقت عليهم النار فأجابوها بالمثل وعلت لهم جلبة ولغط، واهتم لهذه الحركة القائد الإنكليزي على ما يظهر وظنّ أنها الفرصة التي يستأصل بها شأفة الثوار.

---

(١) مجلة الاعتدال، المصدر السابق، ص٢٢٢.

وفي الحقيقة أنه فاجأهم بما لم يكونوا يحلمون به وصبَّ عليهم ناراً حامية هائلة من البندقيات والرشاشات، واشتركت في الحرب بعض السيارات المجهزة، واستعمل الإنكليز ضد القوم هذه المرة القنابل المتفرقعة ـ الديناميت ـ وهي أول مرّة فعلوا معهم فيها ذلك، واستعانوا على استكشافهم بالنجيمات المضيئة ـ وهي قسم من الصواريخ ـ وحاول هذا القائد إشغال خواطرهم أو منع وصول الإمداد إليهم فأمر طائفة من جنده مرابطة إزاء ـ المقلاب ـ أو مترب الباب الصغير بالتقدم إليها وكانت حاميته ضعيفة قليلة فاستغاثت بمن في المدينة من الثوار فأنجدها كاظم الصبي وجماعته، ونشبت الحرب بين الفريقين حول المترب في الوقت الذي كانت ناشبة فيه جهة الخان بشدة عظيمة دامت بين نصف ساعة وثلاثة أرباع الساعة.

وكانت النتيجة أن الثوار الذين تقدموا إلى الخان تقهقروا تحت وابل من النيران الحامية حتى توهّم كثيرون إن الحرب انتقلت إلى الأزقة والشوارع فقامت قيامة المدينة، وجاشت وغلت غلية المراجل بين مظاهرة الرجال وهلهلة النساء لكن الثوار ستروا تقهقرهم بمهارة تامة وكانوا على ما يظهر بقيادة الحاج نجم وكريم بن سعد.

وأما الإنكليز الذين تقدّموا إلى المترب فقد تقهقروا أيضاً وطاردهم النجفيون، ومن الغريب أنه لم يظهر عدد من أُصيب هذه الليلة من الثوار وربما أنكروا ذلك لكنهم يبالغون ـ ومبالغتهم ليست بحجة ـ في عدد من أُصيب من الإنكليز.

ثم تلى الحادثة سكون عجيب استولى على المدينة فلا تكاد تسمع فيها حسّاً ولا ركزاً من ذي حياة، كما يتلو عادة مثل هذا السكون حروب التطاحن الكبيرة على أثر ما ينال خائض غماره من الكلال والإعياء، وفزع الناس إلى الزوايا المظلمة والسراديب المطبقة يتهامسون في عظم الحادث وجلالة الخطب في وسط ذلك السكون الشامل الرهيب، واعلم أنه ما كادت تغمض هذه الليلة لنجفي عين لهول ما سمعه الناس وما شهدوه.

وفي هذه الليلة جادتنا السماء وأغاثتنا الأنواء قبل الواقعة وبعدها بمطر مدرار كانت مواقعه من أهل المدينة، مواقع الغيث من ذي الغلة الصادي، إذ أدركهم في الوقت الذي عدموا فيه الماء العذب ولم يتذوقوه منذ أيام، فسالت عنه الميازيب، وانحدرت الشآبيب، حتى ملأ القوم خوابيهم وأوانيهم، ولو أن مبلغه محدود لا يتبلغ به إلا أياماً

يسيرة، إلاّ أن النجفيين اهتموا اهتماماً زائداً في جمعه والحرص عليه، حتى وجدناهم في الصباح التالي يقدّمون على التحية والسؤال عن الحال هذا السؤال: ـ مقدار إيش جمعت من الماء ـ»[1].

اليوم الرابع عشر

الاثنين ١٩ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١ نيسان ١٩١٨م.

مرّ هذا اليوم في هدوء شامل أخلد فيه الطرفان إلى الراحة بعد ذلك العناء الكبير.

عاد رسول النجفيين الثاني إلى العشائر، وهو يحمل لهم أخباراً غير سارّة عن المساعدات العشائرية المنتظرة، وعن إندحار الأتراك في جميع الجبهات؛ مما أضعف معنويات الثوار إلى حدّ بعيد، وبخاصة فيما يتعلق بالمساعدات العشائرية التي كان عليها المعوّل الأساس.

وفي هذا المساء شوهدت بعض قطعات الجيش الإنكليزي تتقدم خلسة نحو مواقع الثوار، فأحس الثوار بذلك وأصلوها ناراً حامية وجرى بين الطرفين تبادل إطلاق النار حوالي الساعتين انتهت باندحار الإنكليز وعودتهم خاسرين.

اليوم الخامس عشر

الثلاثاء ٢٠ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٢ نيسان ١٩١٨م.

مرّ هذا اليوم في أشدّ الحراجة بالنسبة للثائرين، بالنظر لتأكدهم من إستحالة وصول المساعدات العشائرية على ما أخبرهم به الرسول.

أما الأتراك فما كان هؤلاء المحاربون يعوّلون عليهم مثلما كان يعوّل عليهم مضرمو نار الحادث الذين هجموا في البداية على الخان وقتلوا الكابتن مارشال، أي الحاج نجم وجماعته الذين لا شأن لهم الآن في مقررات الثوار بعد ما اشترك الزعماء الكبار، ولكن انهيار المقاومة التركية كان مقلقاً للثائرين على كل حال، حيث سيتفرغ الإنكليز لهم ويقضون على كل أمل في النجاح، لذلك أصبح الموقف حرجاً جداً، وأصبح الأمل باستمرار المقاومة من أضعف الأمور، الأمر الذي جعلهم يفكرون جدّياً بما يجب أن يكون، غير أنهم لا يريدون أن يقوموا بأية مبادرة تشعر بضعفهم، لذلك قضوا هذا اليوم

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٨.

بانتظار مبادرة جديدة من قبل الوسطاء الذين يئسوا من الثوار فاتجهوا نحو السلطة البريطانية يستعطفونها.

وفي جملة ما قاموا به في هذا الخصوص أنهم أوعزوا إلى طلبه العلم وخدم المشهد العلوي بتقديم «إسترحام» للسلطة يشكون فيه الجوع والعطش وضيق الحال.

وفي عصر هذا اليوم ورد جواب السلطة المحتلة على كتاب العلماء الثاني، وهذا نصّه:

«حضرة حجة الإسلام السيد محمد كاظم الطباطبائي.

وحضرات العلماء الأعلام.

سعادة الحاكم العام تسلم كتابكم المؤرخ في ٣٠ آذار سنة ١٩١٨ وهو يعتبر من الضروري أن أبيّن لكم بأن قولكم إن البلد المقدس أصبح هدفاً لنيران المتراليوز ليس مطابقاً للحقيقة. إذ إنه معلوم تماماً أننا لم نطلق نيراننا إلاّ على الأشقياء الذين يطلقون نيرانهم علينا.

وسعادته يرغب منكم أن تعلموا أن مثل هذه الأقوال لا تساعدكم في المدافعة عن واقعة النجف الأشرف.

كتب هذا الكتاب بأمر قائد الجيوش في الكوفة.

الكوفة ٢ نيسان سنة ١٩١٨ حاكم سياسة الشامية

كابتن بلفور

لقد كان مضمون الجواب ولهجته سبباً في خيبة آمال الأوساط النجفية التي كان قد خاب أملها في الثوار لرفضهم كل محاولة للمفاوضات.

وقد أورد المرحوم الشبيبي نصّ هذا الكتاب مشيراً إلى أن الذي حمله إلى العلماء هو الشيخ علي أبو السبح، ومعلقاً عليه بقوله: «وقد كان لهذاالجواب أسوأ وقع في محافل النجف سيما الروحانية لما يظهر فيه من عدم الاعتداد بأقوال الجماعة المخاطبين به، لولا أنه لم يكن من إملاء القائد العام وقد تدورك سوء أثره بالجواب الآتي ذكره والوارد من نفس القائد العام بعد ذلك.

ومن حوادث عصر هذا اليوم قتل علوان بن حسين ثامر في مترب

الثلمة»[1].

أما عن أحداث هذا اليوم بصورة عامة فإنه يقول:

«وفي صباح الثلاثاء ٢٠ جمادى الثانية ٣٦ رفع سدنة المشهد العلوي وطلبة العلوم في النجف والغرباء رفقاً إلى القائد العام وإلى حكومة الإنكليز يشكون من الحصار، وفيه كتب وكلاء اليزدي إلى حميد خان إن السيد عازم على انتداب جماعة لمشافهة رجال الإنكليز في الكوفة، وفي عصر هذا اليوم ورد جواب من حميد خان ـ معاون حاكم سياسة النجف ـ بأن القوم في الكوفة قبلوا ذلك وأن تعيين الوقت منوط برأي الجماعة المنتدبين ويشترط في كتابه، بناء على طلب الإنكليز أن لا يزيد المنتدبون على خمسة»[2].

اليوم السادس عشر

الأربعاء ٢١ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٣نيسان ١٩١٨م.

وفي صباحه كان موعداً لعقد مؤتمر سري من قبل رؤساء الثائرين، وكان ذلك في دار الشيخ كاظم صبي على أرجح الأقوال، وكانت تخيّم على جوّ الاجتماع روح التشاؤم والخيبة وسوء المصير، حيث قد خاب آخر أمل لهم باستمرار المقاومة لتعذر وصول المدد من خارج النجف بأي شكل من الأشكال، لذلك جعلوا يفكرون بالحلول التي يمكن أن تتم عن طريق المفاوضات، خاصة وأن ضغط الجوع والعطش وارتفاع الأسعار ونفاد كثير من المواد الغذائية الرئيسة، بدأ يشتد على الناس، وهؤلاء بدورهم يعكسونه على الثوار؛ حيث كان الحصار محكماً تمام الإحكام، فلا طعام ولا ماء ولا عتاد يمكن أن تصل إلى النجف بأي حال من الأحوال، فقد سدَّ الإنكليز حتى قناة الآبار الشاهية التي كانت تصل بعض آبار بيوت النجف بالفرات، وإذا ما علمنا إن موسم إكتيال الطعام لم يحن بعد، وأن آلاف الزوّار الذين حوصروا في النجف شاركوا النجفيين بالقليل المخزون من الطعام لانتهاء السنة الموسمية ونفاد الكيل المختزن لتلك السنة، سواء في السوق أو في البيوت، ولم تبق منه سوى فضلات لا تسمن

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٠٩.
(٢) ن.م ص٣٠٨.

ولا تغني من جوع، لذلك بلغ ثمن وزنة الحنطة (مائة كيلو) خمس ليرات ذهب، أما اللحم فلم يبق في النجف أي أثر للماشية، ومن المؤكد أن البعض أكل لحم الحمير، وبخاصة الفقراء.

وفي صدد غائلة الجوع التي تمكنت من النجفيين في الحصار، يروى المرحوم السيد محمد علي كمال الدين، للأستاذ حسن الأسدي، طرفاً من مشاهداته فيقول: «ومن أغرب ما شاهدت أن القطط اضطرت لأكل التمر، ولم تكن معتادة على أكله من قبل، ولم أنس منظرها المحزن وهي تتقلب في الطرقات بكثرة، وكأنها تستنجد المارة بموائها ونظراتها، وهي تعالج سكرات الموت جوعاً».

أما المرحوم الشيخ جعفر محبوبة فيقول في وصف الحصار بصورة عامة وما ترتب عليه من الضيق والضنك والمعاناة ما يلي:

«... فكانت الحرب الشعواء بين الفريقين، ووقف رجال النجف مواقفهم الخطيرة مندفعين عن شيم عربي وحس ديني وطني، وبذلوا نفوسهم الطاهرة دون كرامة البلدة وشرف العرب، وعانى الأهلون آلاماً كثيرة خلال الحصار، وضجَّ الناس وشحّت الأرزاق، وكضَّهم الظمأ، وكثر القتلى بين الفريقين، وكان قتلى الإنكليز أكثر عدداً، ولهم مقبرة واسعة مستطيلة على ضفة كري سعد».

ثم يقول في الهامش: «الذي استقيته من المصادر الوثيقة أن قتلى الإنكليز كانوا سبعمائة، وأما قتلى النجفيين في مدّة الحادثة فهم أربعون قتيلاً منم أبرياء[1]».

أما قادة الثوّار فبينما هم مجتمعين سرّاً في مؤتمرهم، وإذا بدعوة من السيد اليزدي تصلهم وهم في الاجتماع، للحضور في داره للمداولة في موضوع الحصار الذي ضجَّ منه الناس، وكان السيد قد دعا جماعة من رجال الدين والوجوه وفاوضهم في الأمر وقرَّ رأيهم أن يدعوا قادة الثورة والموالين للسلطة ليحملوهم على القبول بالمفاوضات والتسامح فيها.

وفعلاً أرسلوا عليهم فحضروا، ولكنهم بالرغم من يأسهم وتخاذلهم قرروا أن لا ينقادوا كل الانقياد ولا يتصلبوا كل التصلب.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٤٧.

وبعد جدال عنيف بلغ حد الصراخ والنقد اللاذع، وافقوا على طلب اليزدي ضرورة التفاهم مع الحكومة الإنكليزية والموافقة على بعض شروطها، حيث لا يمكن التفاهم بدون ذلك.

وبعد أن توثّق اليزدي من كلام الثوار قرر إيفاد جماعة من خواصّه ليباشروا موضوع التفاهم مع الإنكليز ووضع أخف الشروط الممكنة لتكون أساساً للمفاوضات، غير أن بعض الموالين للسلطة لا يرون غير التلخص من زعماء الثورة الذين لا يمكن أن يكون للموالين نفوذ في البلد بوجودهم، لذلك حالوا دون خروج مبعوثي اليزدي إلى الكوفة لوضع أُسس المفاوضات، كما أن بعضهم قد اتصل بالإنكليز وأشعرهم بخذلان الثوار فلا يجب أن يتساهلوا معهم بأي حال، وبذلك فشلت محاولة الوساطة التي كان يعلّق عليها الناس والثوار كل الآمال، وفعلاً ظل الثوار يترقبون النتائج دون أن يعلموا بما دبّره الموالون.

وفي غروب هذا اليوم الحافل بالآمال والآلام، ورد جواب القائد العام على برقية العلماء الثانية التي كان بلفور قد أجاب عليها قبل إجابة القائد العام، كما مرَّ بنا ذلك. نصّه:

٣ نيسان ١٩١٨

حضرة آية الله حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي والعلماء الأعلام.

قصاص البلدة الذي تضمنته شروطنا لم يبتدىء بعد وهو لا يحتوي على أذية الأبرياء.

الماء الموجود في البلدة كافٍ لحفظ الأنفس على ما بلغنا.

وأما قطع الواردات الخارجية فلا ينتج عنه سوى عدم راحة الأهالي موقتاً.

وقد تبيّن مراراً إلى القائد العام للجيوش أن الأهالي الخاضعين للقانون هم الجانب الأكبر، وهذا ما يزيد خجلهم لعدم اتخاذهم أية إجراءات ضد الأشقياء الذين هم يستمرون على تجريبهم علينا، لا نمس بأذى أي شخص روحاني أو أي شيء مقدس، فإننا نحترم المحلات المقدسة المختصة بجميع الأديان. لكن الأهالي هم أنفسهم الذين يجلبون الخجل على بلدتهم المقدسة لعدم مقاومتهم القاتل وبذل جهدهم تلقاء تنفيذ القانون والنظام، لم يتقدم إلى الآن سبب يوجب منح العفو، ولم يصل إلى القائد

العام للجيوش أي كتاب يظهر شعور الأسف على قتل الكابتن مارشال من أي مصدر معتبر خارج بغداد والكاظمية.

بناء عليه لا يخفف الحصار، وربما تقتضي الضرورة آناً ما باتخاذ إجراءات أشد في تنفيذ القيام بشروطنا.

الفريق الأول السر. و. ر. مارشل كي سي بي

القائد العام للجيوش البريطانية

في العراق

وعند تلاوة هذا الكتاب من قبل السيد اليزدي وخوّاصه عاد لهم بعض الأمل وساورتهم الطمأنينة، فقرروا جمع نفس المؤتمر في اليوم التالي وأرسلوا من يبلغ الجميع بذلك.

وقد مرَّ مساء هذا اليوم (الأربعاء) وكل حديث المعنيين يدور حول جواب القائد العام وما سيتخذه العلماء غداً من الإجراءات في ضوئه.

وعن أحداث هذا اليوم يقول الشبيبي: «وفي ليلة الأربعاء ٢١ جمادى الثانية سنة ٣٦/ ٣ نيسان ١٩١٨ كان السكون غالباً على المتحاربين.

وفي ضحىٰ الأربعاء عقد السيد كاظم اليزدي مؤتمراً مهماً في داره حضره جماعة من المتصدرين، كالجواهري، والسيد عبد الرزاق الحلو، والحاج محمود آغا تبريزي، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، وآخرون من بطانة اليزدي وغيرهم.

دعا إلى هذاالمؤتمر زعماء المتغلبين الكبار والصغار كالسيد مهدي السيد سلمان، وكاظم الصبي، وسعد الحاج راضي، وابنه كريم، وكردي بن عطية، وسماوي، وغيدان، وحسون شربة من زعماء شق الحويش، وعباس علي الرماحي، والسيد علي جريو وغير هؤلاء.

ودار الكلام فيه على لزوم الاتفاق مع الإنكليز وكيفية ذلك، وقد طال الجدال وكثر القيل والقال بين بعض الحاضرين من المتغلبين، حتى أدى ذلك أو كاد إلى تعطيل الجلسة؛ لأن (السيد مهدي) وزعماء شق الحويش كانوا يتبرأون من الثورة والثوار فلا يحبّون أن يُجَرّوا في هذا المضمار.

وأما الصبي فإنه يبرهن على أن أولاد السيد مهدي وبعض أتباعهم من مدبري هذه

الحادثة إلى نحو ذلك.

وقد تكلم اليزدي وبقية المتصدرين في لزوم دفع هذه الغائلة وإصلاح ذات البين والتفاهم مع الحكومة الإنكليزية، وذكروا أن الغرض من هذا المجمع بيان أن المندوبين الذين عزموا في هذا اليوم على مقابلة رجال الإنكليز والتوسط بين الفريقين لا يفعلون ذلك إلاّ إذا استوثقوا من النجفيين أنهم يتنازلون إلى قبول بعض مطالب الإنكليز فعلاً ولا ينقضون لهم قراراً ولا ينكثون عهداً في ذلك، فتظاهر الزعماء بالإجابة وحلفوا على ذلك وعلى إتّباع رأي العلماء والمندوبين، واتفق الجميع على أن يرفع النجفيون رفعاً إلى حكومة الإنكليز مضمونه الندم على وقوع الواقعة والتظاهر بالطاعة والإذعان، ليكون بمثابة أساس للمذكرات ويوقع عليه الزعماء والحاضرون أجمع بعد أن أبى التوقيع زعماء شق الحويش، لكن اليزدي أجبرهم عليه إلاّ واحداً لم يوقع، نعني غيداناً، وهذا نص ما كتبوه: . . . .[1]

«سلم هذا الرفع إلى الرسول ليحمل إلى الإنكليز ثم ليخرج في أثره منتدبو اليزدي عصر هذا اليوم وظن الناس أن المسألة صارت في آخر أدوارها، بيد أن زعماء شق الحويش جاؤوا ـ على عادتهم ـ بما ليس في الحسبان فإنهم استرجعوا الرفيعة وأَبَوا تسريحها بل مزّقوها، وتأجّلت بذلك حركة المنتدبين هذا اليوم مما جعل عامة الناس يحرقون الأرَّم على ذلك.

وفي أصيل هذا اليوم ـ يوم الأربعاء ـ ورد جواب القائد العام نفسه عن رفيعة العلماء الثانية، وهذا نصه: (وهنا أورد الشبيبي نص الجواب الذي سبق أن نشرناه في أحداث هذا اليوم، وعلّق عليه بما يلي):

«كان لهذا الجواب على الإجمال وقع حسن في النفوس بالقياس إلى الجواب الأول وأمضى الناس ليلة الخميس يتحدثون به ولم يحدث هذه الليلة ما يستحق الذكر عدا ذلك»[2].

---

(١) ترك الشبيبي فراغاً في هذا المكان أملاً في الحصول على النص فيما بعد كما يظهر.

(٢) مذكرات الشبيبي ص٣١١.

اليوم السابع عشر

الخميس ٢٢ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٤ نيسان ١٩١٨م.

وفي صباحه توجه إلى الخان وفد من الموالين، والتقوا هناك بالحاكم السياسي بلفور المشرف على القوات المحاصرة للنجف، وجعل الوفد يفاوض ويتردد بين الثوار والإنكليز، إلى أن أدرك بلفور من البعض مبلغ الوهن الذي دبَّ إلى نفوس الثوار، واليأس الذي استولى عليهم، وأنهم بدأوا يفقدون عطف الرأي العام النجفي شيئاً فشيئاً، حيث أصبح الوقت يمر لغير صالحهم.

لذلك تمادى بلفور في المماطلة ثم ظهر على حقيقته وأصر على طلبه السابق في المفاوضات الأولى، وهو تسليم القتلة بدون قيد أو شرط.

وعندما علم السيد اليزدي بهذا الموقف الإنكليزي المتصلّب أعاد في ضحى هذا اليوم عقد مؤتمر الأربعاء في داره وتلى عليهم جواب القائد العام المؤرخ في ٣ نيسان ١٩١٨ وطلب إليهم أن يوقعوا كتاباً موجهاً للإنكليز يعبّر عن أسفهم وندمهم على ما حصل، مع إظهار الطاعة لهم.

وبعد مناقشات طويلة امتنع الثائرون عن توقيع مثل هذا الكتاب قبل صدور العفو العام عنهم، أما الموالون فقد تنصلوا من الثورة والثائرين، الأمر الذي اضطر معه السيد اليزدي إلى أن ينفذ وفداً بعد الظهر إلى الإنكليز في الكوفة يتألف من: الشيخ علي كاشف الغطاء، وابنه الشيخ محمد حسين، والشيخ جواد الجواهري، والحاج محمود أغا، والسيد رضا، أنفذهم لإطلاع الإنكليز على جلية الأمر ورفض الثوار لمطاليب السلطة، ثم طلب الرأفة بالمدينة المحاصرة، غير أن موقف بلفور لم يتزحزح، وأصرَّ على ما أراد.

وفي هذا اليوم أيضاً نادى منادي الرؤساء بوجوب إخراج المخزون من الطعام وبيعه للناس بالأسعار المناسبة، وإلاّ جرى نهبه وسلبه، وذلك للضيق الشديد الذي عانى منه الفقراء الذين مات بعضهم من الجوع.

وقد تكررت حوادث السرقات ليلاً ونهاراً، وربما كانت بعض السرقات تعتبر نهباً وسلباً في وضح النهار، بعد أن اختفت كل أنواع الطعام وصارت تباع خفية بأسعار خيالية.

أما الثوار فإنهم عندما بلغهم إصرار السلطة الإنكليزية على التسليم بدون قيد أو شرط، اجتمعوا وقرروا الهرب من وجه السلطة وعدم التسليم بأي حال من الأحوال، وربما كان ذلك بإيحاء من أحد الموالين لإيغار صدور الإنكليز عليهم والتخلص منهم؛ لأن الموالين للسلطة لا يقرّ لهم قرار مع وجود هؤلاء الأقوياء الأشداء.

كان مساء هذا اليوم (السابع عشر للثورة) حالك الظلمة، لوقوعه في اليوم الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ، كما كانت سماؤه ملبّدة بالغيوم منذ الصباح، حيث كانت قد أمطرت السماء مطراً غزيراً فجمع النجفيون كل قطرة أمكن جمعها من ذلك المطر، وكانت قد حصلت أمطار قبلها وبعدها وخففت من مشكلة الماء.

لقد كان البرق والرعد هداراً في ذلك المساء، عندما تسلل الثوار المطلوبون فرادى وجماعات نحو الأسلاك الشائكة لعبورها من عدّة مواقع، والنجاة بأنفسهم في ذلك الظلام الدامس، ولكن الحرس المحيط بالنجف من كل مكان: مصفحات وفرسان ومشاة ليل نهار، أحس بهذه المحاولة، وربما كان عارفاً بها ومستعداً لها، فتصاعدت طلقات الإنارة حتى أصبح الليل نهاراً في جميع أطراف النجف، وثارت نيران الخنادق من كل صوب، وتحركت المصفحات والخيول، فحال ذلك دون إفلات أي واحد من الثوار.

وعن حوادث هذا اليوم يقول المرحوم الشبيبي: «وقد أعاد اليزدي ضحى الخميس ٢٢ [جمادى الثانية] سنة ١٣٣٦ عقد مؤتمر الأربعاء في داره للمناقشة في الحالة الراهنة - مرة ثانية - حضره المتغلبون أيضاً وتلي عليهم الجواب وتقدم اليزدي والمتصدرون إليهم بالكتابة إلى الإنكليز أسفاً على الواقعة وتظاهراً بالطاعة كتابة يوقع عليها الجميع. طالت المراجعة وكثرت المداورة في ذلك بلا فائدة فقد أصرّ زعماء شقّ الحويش بدعوى البراءة على عدم التوقيع وتكاشفوا أو كادوا بالقبيح مع مطالبهم بذلك، ولكن اليزدي بنى على أي حال قيام المنتدبين إلى الكوفة هذا اليوم.

خرج إلى الخان بعد الظهر من هذا اليوم - يوم الخميس ٢٢ ج٢ سنة ٣٦/ ٤ نيسان ١٩١٨ - منتدبو السيد كاظم اليزدي وهم:

١ - الشيخ جواد الجواهري.

٢ـ الحاج محمود أغا.

٣ـ الشيخ علي الجعفري (كاشف الغطاء).

٤ـ ابنه الشيخ محمد حسين.

٥ـ السيد رضا، من حفدة اليزدي.

ثم فصلوا من الخان إلى المعسكر الإنكليزي في الثوية ـ كميل ـ حيث استقبلهم بلفور حاكم الشامية ثم حضرت سيارتان أقلّتهم ومعهم بلفور إلى جسر الكوفة.

وفي هذا اليوم تأذن زعماء المتغلبين بلزوم إخراج تجار الحبوب حبوبهم وتعريضها للبيع وإلاّ نهبت وذلك لعموم الشكوى من الجوع.

وتكاثر سواد المحاويج حتى مات جوعاً بعض المتكففين.

وإن أسعار الحبوب وموارد المعيشة الضرورية لم تزل في ارتفاع وتعددت السرقات وتسوّر البيوت»[1].

اليوم الثامن عشر

الجمعة ٢٣ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٥ نيسان ١٩١٨م.

وعند صباحه كان الثوار النجفيون قد عادوا إلى مواقعهم ولم يفقد منهم أحد، كما لم يعلم بذلك أكثر النجفيين؛ بحيث إن النجفيين المسلحين من غير الثوار، عندما سمعوا دوي المدافع وإطلاق النار في الليلة السابقة، ظنوا أن الإنكليز هجموا على التل، فاتجهوا جميعاً نحوه وأخذوا مواقعهم فيه، وراحوا يطلقون النار بكثرة، دفاعاً عن مدينتهم المقدسة.

أما الإنكليز فإنهم في صباح هذا اليوم تظاهروا بعدم معرفتهم بحقيقة ما جرى في الليلة الماضية، وأوعزوا إلى مواليهم بطلب استمرار المفاوضات وتخدير الثوار

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١١. وفي كتاب ثورة النجف للحسني ص٧٨: بلغ سعر وزنة الحنطة في الأيام الأخيرة من الحصار، خمس ليرات ذهبية، واختفت من الأسواق جميع المواد الضرورية والكمالية، واضطر بعضهم إلى ذبح البغال، والحمير، للاستفادة من لحومها، ولولا الكميات الكبيرة من التمور التي كانت مدّخرة في خانات كبار التجار، لهلك الناس جوعاً، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الوفيات بين الفقراء والمرضى غير قليلة، وكانت البيوتات المرموقة، والعائلات الميسورة، قليلة التأثر بهذا الوضع الشاذ على كل حال».

إستعداداً لتدبير هجوم ماحق على التل بعد أن تأكدوا من إنهيار أعصاب الثوار وتحطيم معنوياتهم، وعلى هذا الأساس ساد الهدوء في هذا اليوم وعاد المسلحون من غير الثوار إلى بيوتهم، وأُشيع بين الناس من قبل الموالين أن القضية ستنتهي سلماً عن طريق المفاوضات إكراماً للعلماء؛ فاستبشر النجفيون وباتوا ليلتهم مطمئنين.

وفي صباح هذا اليوم عاد إلى المدينة الشيخ علي سبيلو وهو الرجل الذي يتردد في حمل الرسائل بين النجفيين والإنكليز، يحمل كتاباً من بلفور إلى السيد مهدي السيد سلمان يدعوه فيه إلى مقابلته، وقد خرج وقابل الإنكليز وعاد إلى المدينة عصراً وهو يحمل منشوراً للنجفيين هذا نصه:

«منشور إلى أهالي مدينة النجف الأشرف

١ ـ إن إطلاق النار المستمر من الأشقياء على العساكر البريطانية لا يمكن أن يتحمل أكثر.

٢ ـ وبالنظر إلى هذا ستتخذ الإجراءات التي أجدها ضرورية، غير أن هذه الإجراءات ستسري في بادىء الأمر على بعض المحلات الخارجة عن البلدة فعلى الأهالي أن يبتعدوا عن الأسوار وعن نواحي البلدة كي يسلموا من الضرر وأنصحهم أن يختبئوا داخل السراديب، بينما المدافع الطواب تطلق نيرانها.

٣ـ وليتأكد حضرات العلماء الأعلام والأهالي الخاضعون أنه لا يحصل أي ضرر للمحلات المقدسة داخل البلدة.

الكوفة ٥ نيسان ١٩١٨م قائد جيوش الكوفة والنجف

أذاع السيد مهدي هذا المنشور في المدينة وذكر أن الإنكليز أمهلوا النجفيين ٢٤ ساعة ليسلّموا في أثنائها القتلة وأعوانهم الخمسة والعشرين وذهب توا إلى السيد اليزدي مطلعاً له على المنشور، وشافه بذلك بعض أركان الثوار، فأورد بهذا على السواد الأعظم في المدينة من الحيرة والدهشة والوجوم والاستغراب ما لا يمكن وصفه، وبدلاً من أن يحمل الثوار وحملة السلاح على الإذعان زادهم إصراراً على الدفاع وثباتاً على المقاومة وانضم إليهم غيرهم من فتيان الأحياء ممن إعتزل الحرب إلى ذلك الأوان، وتظاهروا مستميتين مستقتلين، فتعقدت المسألة بل صارت أعقد من ذنب الضب.



الحاج عطية أبوكلل يتوسط أولاده وأخوته وأبناء أخوته وعدد من زعماء النجف وخلفهم الخدم. ويظهر في يمين الصورة الجالسين: كاظم صبي، والسيد مهدي السيد سلمان، فالحاج عطية، والواقف في الخلف بينهما الحاج نجم البقال.

وفي هذا اليوم توجه الشيخ جواد الجواهري، والحاج محمود أغا من منتدبي اليزدي إلى بغداد على سيارة حملتهما من المعسكر الإنكليزي حول النجف[1].

وفيه: عرضت بعض الحبوب للبيع، وقتل في عصره ابن غلام ـ قلوم ـ السقا على السور في شق الحويش، وشرع الناس المجاورون للسور بالنزوح إلى داخل المدينة عملاً بمفهوم منشور الإنكليز»[2].

اليوم التاسع عشر

السبت ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٦ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: كان الهدوء شاملاً وكان رؤساء الثوار الذين قد بلغ اليأس منهم مبلغه، قد تظاهروا بتصديق ما أشاعه الموالون على الناس ـ بالرغم من تشكيكهم فيه ـ فتهاونوا في تنظيم القوات المرابطة على التل وتقوية معنوياتهم؛ لأنهم صمموا على شيء بعد أن طغى عليهم اليأس وتجلّت لهم خيانة بعض الموالين، خاصة بعد ما أشاعوا بين القوات المرابطة على التل أن رؤساءهم يتفاوضون مع الإنكليز وأن المفاوضات على وشك النجاح، لِلْفَتِّ في عضدهم، والتهاون في أداء واجباتهم في هذه الليلة التي يدبّر فيها الإنكليز هجوماً على التل، الأمر الذي جعلهم يتهاونون فعلاً في إحتلال مواقعهم مثل كل ليلة، وإنما راحوا يتجمعون جماعات جماعات هنا وهناك، يتحدثون عن انفراج

---

(١) نشرت جريدة العرب، بعددها ٨٨ من المجلد الثاني، ١٣ نيسان ١٩١٨ تحت عنوان: «دعوة منزلية في دار الحاكم السياسي العام» نقتطف منه ما يلي:

«أنفذ حضرة نائب الحاكم السياسي العام في العراق قبل بضعة أيام أوراق دعوة يدعو بها كبار الأشراف والعلماء وموظفي الحكومة من المسلمين ووجوه الإسرائيليين، فتوارد المدعوون نهار الثلاثاء ٩ نيسان في الساعة الرابعة بعد الظهر.

وكان حضرة النائب يستقبل الأفاضل عند دخولهم ويرحب بهم ببشاشة وطلاقة وجه، وممن حضر النادي من خارج بغداد بعض مجتهدي النجف، وهما:

الحاج محمود هندي.

والشيخ جواد صاحب الجواهر.

وكانت الدار مفروشة بأفخر . . . إلخ».

وكان قد أُشيع عند النجفيين حول سفرهما إنهما سافرا لطلب التخفيف من حصار النجف، بالنظر للضيق الذي استولى عليها.

(٢) مذكرات الشبيبي ص٣١٢.

الأزمة.

وتشاء الصدف أن تهبّ هذه الليلة عاصفة قوية يصحبها مطر غزير امتلأت به خنادق المحاربين، فترك أكثرهم التل إلى بيوتهم، منتظرين الصباح الذي ستنفرج فيه الأزمة بالمفاوضات كما أقنعهم الموالون، أما الباقون الذين لم يقتنعوا بذلك، فإنهم كانوا يتنقلون من مكان إلى مكان ليحموا أنفسهم من العاصفة الشديدة وأمطارها الغزيرة، بعد أن تركوا خنادقهم التي غمرتها المياه.

وما انكشف الظلام عن خيوط الفجر الأولى حتى اضطر هؤلاء الباقون أيضاً إلى ترك التل بسبب العواصف والأمطار، سوى نفر قليل لا يتجاوزون عدد الأصابع ظلوا قابعين في مواقعهم لأغراض الحراسة والتنبيه، من باب الاحتياط؛ لأنهم كانوا شبه مطمئنين إلى نتيجة المفاوضات، كما أشاعها بينهم الموالون.

أما الإنكليز فقد كانوا في هذه الليلة والنهار الذي سبقها منهمكين في إحكام خطة هجوم كاسح جديد على التل، وفي تلك الليلة أكملوا إعداد قوة هائلة تكفي لفتح أعظم الحصون، كما انتهزوا فرصة العواصف وأصوات الرعد لصنع سلّم من أكياس الرمل من أسفل التل إلى أعلاه، من الجانب الغربي الذي لا يقع عليه بصر المحاربين النجفيين المرابطين في أبراج السور ولا يصل إليه رصاص بنادقهم.

وفي هذا اليوم خرج السيد مهدي السيد سلمان، والحاج محسن شلاش إلى الإنكليز في الخان، بسبب التوتر الذي كان يسود المدينة، لإشعارهم بحقيقة الحال وطلب التسامح إزاء عناد الثوار.

وعند عودتهم خدّروا الثوار ـ كما يقول المرحوم الشبيبي ـ بإعلانهم موافقة الإنكليز على عدم قصف مواقعهم بالمدافع، تمهيداً لإجراء مفاوضات الصلح الذي تظاهر الإنكليز بالموافقة عليه، وفعلاً توقفوا عن إطلاق المدافع.

وبعيد ظهر اليوم ظهرت في سماء المدينة طائرة منخفضة حامت حول مواقع الثوار حوالي ربع الساعة للاستكشاف، وقد أصلاها الثوار ناراً حامية، غير أنها لم تكترث، مما يدلّ على أنها كانت مدرعة، وعند إتمام مهمتها الاستكشافية ألقت بمنشورين:

أحدهما يتضمن شروط الحكومة الإنكليزية لإيقاف النار ورفع الحصار.

والثاني يتضمن انتصارات الإنكليز في لواء الرمادي، لِلَفّتِ في عضد الثوار. وهذا

نص المنشورين:

المنشور الأول

«شروط الحكومة البريطانية الموضوعة على النجف الأشرف

بعد الغدر بحياة المرحوم القبطان مارشال الحاكم السياسي في النجف الأشرف، أبلغت الحكومة البريطانية الفخيمة شروطها الموضوعة على النجف الأشرف في مجلس عقد في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارج سنة ١٩١٨ المطابق ٨ جمادى الثانية ١٣٣٦ وحضره حضرات العلماء الأعلام والشيوخ المخلصون وهاكم بنود الشروط:

أولاً - تسليم القتلة ومن اشترك معهم في الفتنة بلا شرط ولا قيد.

ثانياً - غرامة ألف تفكة وخمسين ألف ربية يجمعها الشيوخ المخلصون.

ثالثاً - تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة إلى الحكومة البريطانية لسوقهم من النجف الأشرف بصفة أسرى حرب[١]. وقد تبلّغ أيضاً إلى من حضروا أن البلدة ستبقى تحت الحصار الشديد إلى أن تسلّم بهذه الشرووط وتنفذها»[٢].

المنشور الثاني:

«انتصار البريطانيين على الفرات

بعد احتلال هيت في ٩ مارج سنة ١٩١٨ المطابق ٢٥ جمادى الأولى تقهقرت القوات التركية إلى خان بغدادي.

وفي ٢٦ مارج هجمنا بنجاح على المواقع التركية في خان بغدادي الواقع على بعد عشرين ميلاً من هيت، فأسرنا أكثر من ألفي أسير؛ وكانت خسائرنا طفيفة.

وفي ٢٧ مارج أهلكنا وأسرنا كل القوة التركية التي كانت في جنوبي حديثة، فبلغ عدد الأسرى ثلاثة آلاف أسير بينهم مائتا ضابط تركي وضابط ألماني، وغنمنا أيضاً أطوابهم ومتراليوزاتهم وتفكهم وحيواناتهم.

---

(١) ويضيف ولسن إلى ما تقدم قوله: «لقد أثار تقديم هذه الشروط غضب الأهلين فكثر التوتر، وخشي أن يؤدي إلى رد فعل شديد، ولا سيما بعد أن أبلغ رجال الدين في إيران القنصل البريطاني، خشيتهم على زملائهم في النجف، وحذت حكومة إيران حذو العلماء فطلبت تدخل السفير البريطاني.

وفي الوقت نفسه فإن تقديم هذه الشروط القاسية يَسَّرَ للألمان والأتراك بثّ الدعايات المشينة ضد الإنكليز في مختلف البلاد العربية، وفي إيران نفسها. A clash of Layaltics p74

(٢) جريدة العرب ع٨٤ الصادرة في ٩ نيسان ١٩١٨م.

ثم بعد ذلك تقدمت جنودنا نحو الفحيمة الواقعة على بعد أربعين ميلاً من خان بغدادي، وقد أسرنا بين الأسرى قائد الفرقة الخمسين وأميرالين.

ثم عقبنا بقية القوات التركية فدخلنا إلى عنه في ٢٨ مارج بدون أن نلقى مقاومة، فازداد بذلك عدد الأسرى بعد ٢٦ مارج حتى بلغ خمسة آلاف أسير، وقد أسرنا القومندان التركي وقائمقام عنه، وقد وجدنا مخازن ذخيرة كبيرة فاستولينا عليها؛ وقد عقّبنا الهاربين الذين لجأوا إلى الفرار إلى مسافة ٧٣ ميلاً شمالي عنه، حيث أسرناهم، وكان بينهم بعض الألمان وأحدهم يدعى بروسير [1] الضابط الألماني الموفد للعشائر.

وبالجملة فإن نتيجة هذه الانتصارات الباهرة هي أننا أبدنا القوات التركية التي كانت على الفرات واستولينا على جميع مدافعها وذخائرها الحربية، وما كان معها من الأوراق.

أما خسائرنا فلا يعتد بها».

---

(١) لما جرت محاكمة المتهمين بقتل الكابتن مارشال، ادّعت المحكمة العسكرية التي حاكمتهم، أنها عثرت بحوزة هذا الضابط الألماني «بروسير» على مراسلات دلّت على ارتباط «جمعية النهضة الإسلامية» بالقيادة التركية التي كانت تقاتل الإنكليز في الفرات الأعلى.

«ثورة النجف للحسني ص٩٧»

وفي تقرير الحكومة البريطانية Review of the civil Administration of Mesopotamia

«لما استولت الفرقة الخامسة عشرة على «هيت» وغزت «عانه» أسَرَتْ ضابط الارتباط الألماني، ومعه جميع أوراقه. وقد دلت هذه الأوراق على وجود جمعية إسلامية في النجف غايتها جعل هذه المدينة مركزاً لخلق الإضطرابات بين القبائل».

وعلى هذا التقرير يعقب السيد عبد الرزاق الحسني في «ثورة النجف» ص١٢٨ ـ ١٢٩ قائلاً:

«لقد ربطت الحكومة البريطانية بين هذه الأوراق وبين «ثورة النجف» وخلصت إلى الزعم أن الثورة كانت بتدبير وإيعاز من الأتراك، فكتب إلينا الشيخ محمد جواد الجزائري، قطب رحى «جمعية النهضة الإسلامية» ما يلي بالحرف:

«لما يئس ـ الجزائري ـ من استنفار القبائل المحيطة بالنجف لدعم الثوار النجفيين، ارتأى أن يستعين بالأتراك الذين كانوا ما يزالون يقاتلون الإنكليز في لواء الرمادي، فأرسل مع عباس الحاج نجم النجفي ـ البقال ـ رسائل إلى القائد التركي نور الدين، ومحمد العصيمي، وعجمي السعدون، عسى أن يمدوه بالسلاح والعتاد. وقد وصل الرسول إلى قصبة عانة سالماً، وسلم رسالة القائد التركي إليه، فترجمت إلى اللغة الألمانية ليطلع عليها القائد الألماني في عانة، وهو يومئذ الجنرال فلكس هانم، ويتخذ القرار النهائي في هذا الصدد. فلما احتلّ الإنكليز عانة واستولوا على هذه الرسائل ـ في جملة ما استولوا عليه من وثائق ومستندات ـ ربطوا بينها وبين «ثورة النجف»، وادعوا أن مقتل الكابتن مارشال وما أعقبه من قيام النجفيين في وجه السلطة المحتلة، إنما كان بتدبير من الألمان وحلفائهم الأتراك».

وعن أحداث هذا اليوم يقول المرحوم الشبيبي : «وفي هذا اليوم جرح غير واحد من الثوار، وفي ليلة الأحد ٢٥ ج٢ سنة ٣٦/ ٧ نيسان لم يحدث من المناوشات ما يستحق الذكر، لكن شوهدت في الهزيع الأول من هذه الليلة سحابة مبرقة مرعدة مسخرة من تلقاء القبلة، وكان الناس يتوقعونها بفارغ صبرهم، وما لبث أن حققت آمالهم فإنها تداركت المدينة وأطرافها بمطر قلّ أن يسبق له نظير، حتى خزن النجفيون ما يكاد يكفيهم شهراً أو أكثر من ذلك، وقد أدرك الإنكليز أن ذلك أحد الأسباب التي تجعل النجفيين يصابرون الحصار بحسب الظاهر، فلذلك صمموا على مهاجمة مواقع الثوار والاستيلاء عليها عنوة»[1].

اليوم العشرون

الأحد ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٧ نيسان ١٩١٨م.

لم يبزغ فجر هذا اليوم حتى بدأ على التل قصف مدفعي هائل دام حوالي الساعتين تشتّت على أثره البقية الباقية من المحاربين النجفيين الذين تخلفوا في التل للمراقبة، وقد صدموا بهذه النتيجة التي ما كانوا ينتظرونها، وتحت ستار ذلك القصف العنيف، تقدم فوجان من السيخ والكركة فاحتلا مواقع الثوار على التل بدون مقاومة.

وفي تعليل هذه السهولة التي تم فيها احتلال التل دون أية مقاومة، يقول المرحوم السيد محمد علي كمال الدين، وهو شاهد عيان، حيث تقع دارهم في الحويش بالقرب من التل. قال كمال الدين:

«ربما استغرب القارىء هذه الهزيمة بعد تلك المقاومة، غير أن الظروف التي أحاطت بالثوار تهوّن هذا الاستغراب، فقد علمت السلطة في خلال المفاوضة أن معظم الثوار ترك الخنادق مبكراً إلى أهله للفطور بعد سهر الليل، وفي هذا اليوم خاصة لم يبق في التل إلاّ شباب سئموا تلك الخنادق المليئة بمياه الأمطار في تلك الليلة، وربما خدعوا على ترك التل من قبل من كانوا على علم بساعة الهجوم، أو أنهم اضطروا إلى ذلك إضطراراً من قبل أهالي (الحويش)، فقد شاهدنا وقت الهجوم بعض رجال هذه المحلة يتحصّن في مدرسة الشيخ ملا كاظم ضد الثوار المرابطين في التل.

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١٤ ـ ٣١٥.

كما شاهدنا عقب إحتلال التل بدقائق أول بادرة لخضوع النجف، فقد اندفع الشرطة اللاجئون رافعين علماً أبيض، غير أن الجنود رموا حامل العلم فوقع صريعاً في الجادة أمام جدار مدرسة الملا كاظم المقابل للتل؛ فسحبه الأطفال من رجله إلى رحبة الحويش الصغير، مشيّعين له بالسخرية واللعنات.

وقد نشرت جريدة العرب بهذا الصدد في العدد ٨٩ البلاغ الرسمي وهذا نصه: «في ٧ نيسان ١٩١٨، احتلت الجنود البريطانية التلول، ويمكننا الآن من موقفنا المشرف (على النجف) نعضد السيد مهدي السيد سلمان شيخ محلة الحويش الصادق للحكومة، وأن نردع العصاة عن القيام بأعمالهم العدائية».

ومما لفت نظرنا ما قام به ثلاثة من كبار الضباط الإنكليز بعد احتلال التل بساعتين، من الدخول إلى المدينة من طريق محلة الحويش، وقد سحبوا معهم سلك التلفون وذهبوا رأساً إلى بيت المجتهد السيد كاظم اليزدي الطباطبائي، ويقال: إنه تحادث مع الحاكم العام في بغداد تلفونياً، سائلاً عن سلامته وسلامة البلدة والغرض من ذلك بعث الاطمئنان في نفوس الشيعة في مختلف الأقطار، وإزالة وساوسهم»[1].

---

(١) النجف في ربع قرن ص٢٢٤.

لم تكن وسائل الإعلام يومذاك متاحة ومنتشرة كما هو اليوم فتصاغ الإشاعات وتنتشر كما يريدها مروّجوها والمستفيدون من ورائها بواسطة الزائرين والمسافرين داخل العراق، وبواسطة البرق والمكالمات الهاتفية الضّيقة يومذاك، فكان مما أشيع وتناقله البرق إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي أن المجتهد الأكبر السيد محمد كاظم اليزدي قد لاقى إضطهاداً ومضايقة عند محاصرة القوات البريطانية للنجف.

فقد قام الإنكليز بعد احتلال «تل الحويش» المشرف على النجف، أن أوصلوا الخط الهاتفي إلى دار السيد اليزدي ليتمكن مقلّدوه في الخارج وسفارات الدول الإسلامية في بغداد الإتصال به والاطمئنان على سلامته وليشعرهم بأن النجف لم تصب بسوء. لتهدأ الخواطر والنفوس القلقة.

جاء في مذكرات الإمام كاشف الغطاء ص٣٨٩ ـ ٣٩٠:

«.. بعد أسبوعين تقريباً من بدء الحصار، زحفت الجنود إلى قرب سور البلد لضعف الحامية ونفاذ ذخيرتها، ثم احتلوا جبل الحويش المطلّ على النجف ونصبوا المدافع عليه، وأنذروا المحاربين بالتسليم أو الضرب، وانتظروا مدة عشرين يوماً يحاذرون من ضرب النجف واتساع لهيب الثورة، وهياج العشائر سيما وفي النجف المرجع العام لكافة الأقطار وهو سيدنا السيد محمد كاظم، وكانت البرقيات تنهال على قائد تلك الحملة من الهند وإيران والأفغان.

وكانت سياسة بريطانيا تحتم عليهم مداراته وجلب مراضيه فكانوا كل يوم صباحاً ومساءً يرسلون الرسل إليه بشتى الوسائل، أن يخرج معززاً إلى شريعة الكوفة، إلى أن تنتهي القضية، والتمسوا منّا ذلك=

وعن احتلال هذا التل قال السير أرنولد ولسن ما يلي :

«وفي ٧ نيسان احتل لواء الجنرال سندرز التل المشرف على المدينة ، وأطلق سراح الموظفين الذين كانوا في المدينة .

وفي الرابع من مايس سلّم جميع الرجال المهمين الذين طلبناهم ، ورفع الحصار . وفي خلال هذه العمليات الحربية لم تطلق إطلاقة واحدة على المدينة نفسها . وكانت المخابرات متصلة مع المجتهد الكبير السيد محمد كاظم اليزدي»[١] .

أما المرحوم يوسف رجيب ، فإنه يصف هذه الليلة التي تَمَّ في نهايتها إحتلال التل بقوله : «ولم تطل ليلة العشرين على هذه الحرب حتى كانت أُهبة العدو مما لا مجال لصدّها ، وبعد معركة فغر فيها الموت فاه ، ابتلع ما شاء أن يبتلع من الأرواح ، تمكن الجنود من الصعود إلى التل . . »[٢] .

أما المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي فإنه يصف هذا الهجوم بقوله :

«افتتح الإنكليز هجومهم الكبير على مواقع الثوار النجفيين في صباح الأحد ٢٥ ج٢ سنة ٣٦/ ٧ نيسان بإطلاق وابل من نيران رشاشاتهم وبنادقهم وبعض مدافعهم الكبيرة التي نصبت على المترب الشرقي المطل على ـ بير عبيد ـ أو على كري الشيخ إطلاقاً يصمّ الآذان دام زهاء الساعة وفي نفس واحد ، فإنه بدأ الساعة ١١ صباحاً (غروبية) واستمر إلى الساعة الثانية عشرة وربع ، ثم وقف ، ثم عاد بمثل تلك الشدة والمدة على متربي الباب الصغيرة والمشرفين على المدينة وعلى ضواحيها اللذين هما أهم معاقل الثوار . . ثم عَقِب ذلك زحف مشاة الإنكليز فاحتلوا المتربين أو المقلابين بدون مقاومة تذكر ، لأن الحامية من الثوار كانت آحاداً تعد على الأصابع فلم تطق الصبر على تلك النيران الشديدة فانسحبوا إلى داخل المدينة وحاولوا الثبات عبثاً في ـ شق الحويش ـ ومقاومة المتربين منه لكن أهل الحويش المسالمين في طليعتهم السيد مهدي انتفضوا عليهم فانسحبوا إلى ما وراء الحويش من بقية الأحياء وتظاهروا فيها مع أن إمارات

= أيضاً فأبينا ، وقلنا نحنا مع أبناء وطننا إن عاشو عشنا معهم ، وإن هلكوا هلكنا معهم ، وكان الإنكليز يلتمسون أن يقبل ما يرسلون من الماء والأطعمة واللحوم وغيرها ، فيأبى أشد الإباء . . . » .

(١) Wilson, Loyalties vol.2 .

(٢) مجلة الاعتدال ، المصدر السابق ص٢٢٢ .

الخذلان ظاهرة عليهم حتى إنهم أخلوا بعد إحتلال الإنكليز مترب الباب الصغيرة مواقعهم على مترب الثلمة وانتقلوا إلى بعض الأبراج على السور ثم تركوها بعد قليل وعادوا إلى قلب المدينة، ولم يقتل بنار الإنكليز إلاّ إثنان من الثوار، وجرح - غازي طوبة - صهر كاظم الصبي، لكن قتل من الأبرياء والفقراء جماعة، وقد شرع الإنكليز لساعتهم يحصنون المواقع التي استولوا عليها، ورفع السيد مهدي إلى بلفور تسليم شق الحويش ونشر أهله على بيوتهم الأعلام الحمر إجابة لطلب الكابتن بلفور، فتسلل كثير من الثوار المقاومين واندسوا في الحويش وهاجر خلق من أهل الأحياء الأُخرى إنتجاعاً للأمان.

وفي منتصف هذا اليوم حلّقت طيارة إنكليزية في سماء المدينة ربع ساعة وألقت نسخاً من منشورين أحدهما جواب القائد العام الذي سبق وروده في يوم ١٣ جمادى الثانية سنة ٣٦ والمنشور الثاني هذا نصه»[١].

كان الإنكليز يعانون في ثورة النجف من أمرين:

قدسية النجف في العالم الإسلامي، مما لا يمكن معه ضرب النجف بأي حال من الأحوال.

وقوة الدفاع النجفي، لما هو معروف عن المحاربين النجفيين من البسالة والتمرس في القتال، ذلك الدفاع الذي كبّد الإنكليز كثيراً من الخسائر في الأرواح والمعدّات.

لذلك فإنهم لم يستطيعوا إقتحام التل إلاّ بعد أن تمكنوا من مخادعة الثوار بالمفاوضات المفتعلة على الشكل الذي مرّ شرحه، وإلاّ بعد أن حشدوا لهذا الميدان الصغير ما يكفي لاقتحام أمنع الحصون، كما أنهم لم يقدموا على الهجوم إلاّ بعد أن أحضروا زعماء العشائر وأعطوا لكل واحد منهم ناظوراً ليرى بأُم عينيه بأن الجيش سوف لا يطلق طلقة واحدة على المدينة داخل السور، وإنما سيكون الهجوم مقصوراً على التل دون غيره.

وقد أُشيع، عندما احتل الإنكليز التل وحال أهل الحويش دون مرابطة الثوار في

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١٥ - ٣١٦.
المنشور الأول سبق نشره في حوادث اليوم الثالث.
والمنشور الثاني سبق نشره أيضاً في حوادث اليوم السادس.

محلتهم، أن كلاً من كاظم صبي، وكريم الحاج سعد ونخبة من أصحابهما، حاولوا أن يجلّلوا المنارتين العلويتين بالسواد للتحصن فيهما، لاستثارة العشائر؛ ولكن النجفيين حالوا دون ذلك، بالنصح تارة وبالقوة تارة أخرى، حفاظاً على قدسية المدينة وحرمتها.

وعلى كل حال فقد احتل التل بدون مقاومة تذكر، وأُخليت أَبراج السور وانتهى كل شيء؛ ولم يبق أمام الثوار الحقيقيين المجالدين، وبخاصة رؤساؤهم، سوى الاختفاء لانتظار ما ستسفر عنه طلبات الإنكليز، وكان عدد هؤلاء حوالي المائتين، تنقلوا مجتمعين من مكان إلى مكان إلى أن أدركهم الغروب فاتجهوا نحو الصحن العلوي الشريف واعتصموا به، وتظاهروا بأنهم سيدخلون الروضة الشريفة ولا يغادرونها مهما كلّفهم الأمر.

وفي الليل غادروا الصحن متفرقين للاختفاء في بيوت المدينة، كل عند معارفه وأصدقائه، غير أنهم أشاعوا وهم يتفرقون في البيوت على لسان من جندوهم لهذا الغرض: أنهم غادروا المدينة في تلك الليلة وقد سَرَت هذه الإشاعة بشكل غريب، وأصبح الناس يتحدثون بها في كل مكان فرحين مسرورين لنجاة الثوار من أيدي الإنكليز والموالين لهم من النجفيين.

غير أن الأيام التالية خيّبت الآمال، فظهر أنهم لا يزالون مختفين في السراديب في مختلف البيوت، وفي أثر ذلك راجت إشاعة مفادها أنهم عادوا بعد ما أرجف الموالون بأنهم سيسبون عوائلهم؛ وفعلاً حاولوا ذلك مع عائلة أو أكثر مبتدئين بالضرب والتنكيل، ولكثرة اهتمام الناس بالثوار، راجت بينهم مختلف الإشاعات حولهم.

وعن حال المدينة في هذا اليوم يقول المرحوم الشبيبي:

«ومما يجدر بنا الإشارة إليه هو أن الهدوء والسكينة كانا على أتمهما في المدينة إلى أن انتهت الواقعة مع أنها أدهى الوقائع، حتى إن واقعة ليلة ١٩ ج٢ سنة ٣٦ السالفة لا تعد بالنسبة إليها شيئاً مذكوراً»[1].

ثم يستمر في الكلام عن أحداث هذا اليوم ويقول:

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١٦.

«وفي منتصف هذا النهار أيضاً خرج من أهل شق البراق جماعة في غرّتهم الحاج عبد المحسن شلاش يرفعون طاعة أهل محلتهم إلى بلفور وكذلك فعل بعض أهل المشراق والعمارة.

وفي عصر هذا اليوم، التجأ الثوار إلى المشهد العلوي وامتنعوا فيه ونقلوا مؤنهم وذخائرهم إليه وأظهروا إنهم لا يزايلون هذا المكان، وهم يومئذ صميم الثوار الذين محّصتهم المحنة، ومخضتهم الفتنة، فأبوا أن يستسلموا للإنكليز: كالحاج سعد الحاج راضي، وبنيه، وجماعة من أقربيه ومن الشمرت، وكاظم الصبي عقيد شق البراق، مع بعض رفاقه، وعباس علي الرماحي، وأخيه وآخرين من عشيرته، وكردي بن عطية مع جماعة من أهل شق العمارة، والحاج نجم رئيس العصابة الثائرة ومن معه من عصابته، وأفراد آخرين، بحيث قدّر الجميع بما يناهز المائتين.

وأما سائر من حمل السلاح وأطلق النيران على الإنكليز واشترك في المظاهرة ضدّهم فقد ألقوا سلاحهم واحداً بعد الآخر وتظاهروا بأنهم كانوا ولا يزالون من الحزب الناقم على أهل الثورة حتى قاموا يومئذ على حراسة أحيائهم أن يدخلها أحد الثوار وشهروا ظاهراً في وجوه رفاقهم اليوم سلاحهم الذي شهروه بالأمس في وجوه الإنكليز»[1].

وما أن سمع سكان محلة العمارة بعزم السلطة المحتلة على قرب قصف محلتهم، حتى استولى الرعب على جمهورهم، وشرعوا في الانتقال إلى المحلات الأخرى تهرّباً من الأذى، تاركين وراءهم معظم ما كانوا يملكون من أثاث ونحوه، كما شرع المسالمون وأنصار الإنكليز في المسالمة، وتولى السيد مهدي السيد سلمان رئيس محلة الحويش زعامة النجف برمتها، وباشر هو وأعوانه، ولا سيما السيد علي جريو، والحاج عبد الحسن الشمرتي، باشروا في القبض على المطلوبين من قبل السلطة، الذين دوّنت أسماؤهم في قوائم أعدتها السلطة نفسها، وإيصالهم إلى مقرّ الحكومة خارج السور، بعد أن يكونوا قد أشبعوهم ضرباً ولكماً وإذلالاً وكانوا يقبضون على الواحد والاثنين في اليوم الواحد بشق الأنفس، إذ كانوا يبحثون عنهم في دورهم،

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١٦ ـ ٣١٧.

ودور أقاربهم ومعارفهم، كما أن لفيفاً من المطلوبين سلّم نفسه من تلقاء نفسه، بعد قناعته بضرورة التسليم إما إباءً من أن يسلّمهم غيرهم، وإما لحرمان الذين كانوا يبحثون عنهم طمعاً في الإكراميات المخصصة لهم. ولما لم يكتمل العدد المطلوب، فقد وضعت السلطة جوائز مالية مغرية، هي ٥٠٠ روبية لكل من يأتي بأحد من المطلوبين، فاشتدَّ البحث عن هؤلاء، وتعرضت بعض العائلات إلى أنواع الأذى، إذ أخذ القساة الطامعون بأموال السحت، يلجأون إلى إكواء النساء، ووضع الجمر على أيديهن وأرجلهن، لحملهن على الاعتراف بمكامن أولادهن، فكان هذا العمل وصمة عار في جبين النجف. والأهم من هذا وأتعس، أن الإنكليز كانوا يربطون المقبوض عليهم «بالحبال إلى الخيول التي كانت تسحبهم كما تسحب الأثقال أو العربات فيهرولون خلف الخيل لاهثين»[1].

وتنفيذاً للإنذار الذي وجهه الكابتن بلفور إلى السيد اليزدي في ٩ نيسان ١٩١٨م، شرعت المدفعية البريطانية في قصف «باب الثلمة» بالمدافع من شواطىء النجف، فرمت هذا الموضع إحدى وعشرين قذيفة؛ ثم تقدمت القوات الأرضية لاحتلالها. وقد أحضر المسؤولون بعض رؤساء قبائل الفرات الأوسط، أضراب: عبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الحاج سعدون، ومرزوك العواد، وعبادي الحسين وغيرهم، أحضروهم إلى شواطىء النجف ـ أثناء قصف المدافع ـ ليشهدوا أن المدفعية تقصف «باب الثلمة» دون المدينة المقدسة، وفي ذلك من المكر والخداع ما فيه.

وفي اليوم الثاني عشر من نيسان، شرعت المدفعية في هدم الدور المشيدة في أواوين السور، أو الملاصقة له في محلتي العمارة والحويش، فتجاوز عدد المهدوم منها الخمسمائة دار، بعد أن عوّض أصحابها تعويضات نقدية، وفق تقديرات خمنها أحد المعماريين المحليين، وقد نصبت الأسلاك الشائكة حولها، واعتبرت منطقة محرّمة، يقتل كل من يمر بها أو منها رمياً بالرصاص. وقد قتل عدد كبير من الفقراء والغرباء وغيرهم، أما الذين جرحوا أو ماتوا متأثرين بجروحهم فإن عددهم غير معروف؛ لأن أهلهم كانوا يدفنونهم سرّاً، خشية أن تتخذ السلطة الإجراءات الانتقامية

---

(١) جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم ٤/ ٩٥.

بحقهم بزعم أنهم من المناهضين لها[1].

وهكذا مر اليوم العشرون للثورة، بعد احتلال التل، باتخاذ كل التدابير والاجراءات التي تكفل تطمين الشعوب الاسلامية والحكومات المعنية، بأن النجف لم تمس بسوء، وإن المسألة مسألة تعقيب لجماعة من المتمردين الذين قاموا بقتل الكابتن مارشال ليس إلاّ؛ وأن اطلاقة واحدة لم تطلق على النجف الأشرف من جراء هذا التعقيب. وكان الموالون أول من اتصل بالانكليز هذا اليوم والتفوا حولهم، وعلى ألسنة هؤلاء جعل الانكليز يبثون كل ما أرادوا من إشاعات وأراجيف تضمن لهم تحقيق أغراضهم وفرض سيطرتهم وتهويل قوتهم وعدالة حكمهم، وعلى لسانهم أيضاً، أعلنوا بأن الحصار سوف لا يفك عن النجف إلاّ بعد استسلام جميع الثائرين.

وفي الوقت نفسه، قد احتل الجيش جميع أبواب السور وأبراجه، بعد أن غادرها الثوار النجفيون، ثم جعلوا يخربون جميع البيوت المجاورة للسور، بعد اقتحامها ونهبها وقتل من بقى فيها. وقد استمر ذلك يومين جرى فيها كثير من المآسي والآلام.

وقد وصف السيد محمد علي كمال الدين مجريات الأحداث في هذين اليومين وهو شاهد عيان، حيث يسكن محلة الحويش التي تقع على جانب التل، بقوله تحت عنوان: «يومان عصيبان» ما نصّه:

«اختبأ الثوار في البيوت واحتل الجيش السور وأبوابه والدور الملاصقة له، ووضعوا الأسلاك الشائكة في جادة السور المحيطة بالمدينة. وكان الجنود مصوبين بنادقهم. فلم تقع اعينهم، في خلال الجادات والأزقة النافذة الى جادة السور، على نجفي، صغيراً كان أو كبيراً، رجلا أو امرأة، إلاّ ورموه بالرصاص عن بعد.

فاضطرب الناس أشد الاضطراب، ودامت هذه الحال مدة يومين، والذي شاع بين الناس أن عدد القتلى والجرحى في خلال اليومين العصيبين، ما يزيد على عشرين بريئاً، وأعتقد أن العدد يزيد على هذا كثيراً، فإن الغريب والفقير والمشرد لا تبلغ أنباؤهم الناس. ومما جرى في خلال هذين اليومين العصيبين، تخريب جميع الأبنية والبيوت المشادة في أواوين السور، وعددها لا يقل عن خمسمائة بيت. وكذلك جميع البيوت

---

(١) ثورة النجف للحسني ص٨٩ ـ ٩٢.

في خارج السور، ومنها محلة كاملة تدعى محلة عطية أو «الجديدة» وهي تقع في جنوب محلة العمارة مما يلي مقام زين العابدين، وعدد دورها لا يقل عن خمسمائة أيضاً. فيبلغ عدد الدور المخربة في خلال اليومين ألف دار تقريباً، ولا تسل عما ذهب فيها من التلف والضياع والنهب في الأثاث وتوابعها. فإن معظم هؤلاء السكان أسرعوا ناجين بأنفسهم وأطفالهم وعائلاتهم إلى داخل المدينة، تاركين معظم ما يملكون.

ومما جرى في هذين اليومين تحصين هذا السور الشاهق المطل على المدينة، تحصيناً يعجز عنه الوصف. مئات الألوف من أكياس الرمل نظمت في أواوين السور وممره أو سطحه الأعلى، وفي الأبراج ووراءها طريق للجنود في الطابقين السفلي والعلوي، ومن خلالها تظهر افواه المدافع والرشاشات والبنادق، مصوّبة على أهل هذا البلد الذي كان آمناً. وياله منظراً مفزعاً تضطرب عند تصوره الأعصاب.

وفي خلال هذين اليومين تسرب إلى الأذهان أن هذه الأعمال هي مقدمة للاستباحة، غير أني لم أفهم من استباحة الجيوش التاريخية أكثر مما وقع في هذين اليومين سوى التنظيم، فقد روى المؤرخون الخوف والرعب والجوع والعطش. ووصفوا اليأس والحيرة، ووصفوا النجاة بالنفس، وهكذا كان الأمر في هذين اليومين، حتى أن سكان البيوت الواقعة عند رؤوس الجادات قرب السور لا يصلون إلى بيوتهم إلاّ من بيوت أخرى أبوابها في الأزقة، في حين أن كل جادات النجف تنفذ إلى السور، وعليه ليس من الانصاف ان نبخس هذا الجيش أشياءه: قوته وبطشه وقسوته، ونقلل من شأنه عن جيوش هولاكو وتيمورلنك ونيرون. وهل استطاع هؤلاء أن يخربوا ألف دار في خلال يومين، في مدينة صغيرة مثل النجف؟!....»[1].

اليوم الحادي والعشرون

الاثنين ٢٦ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٨ نيسان ١٩١٨م.

وفيه قدم الانكليز قائمتين بأسماء من يريدون إلقاء القبض عليهم:

القائمة الأولى تحتوي على أسماء من يريدون محاكمتهم، وهم:

---

(١) النجف في ربع قرن ص٢٢٥.

١ـ كاظم صبي
٢ـ كريم الحاج سعد
٣ـ أحمد الحاج سعد
٤ـ محسن الحاج سعد
٥ـ عباس الخليلي
٦ـ محمد علي بحر العلوم
٧ـ محمد جواد الجزائري
٨ـ الحاج نجم البقال
٩ـ محسن أبو غنيم
١٠ـ مجيد الحاج مهدي دعيبل
١١ـ حميد حبيبان
١٢ـ مطرود الجعباوي
١٣ـ علوان البودليهم
١٤ـ سعد العامري
١٥ـ صادق الأديب
١٦ـ شمران العامري
١٧ـ حميد أحمد ياسين أبو السبزي
١٨ـ السيد جعفر السيد حسن الصائغ
١٩ـ حسن جوري
٢٠ـ حبيب بن جاسم خضير
٢١ـ خطار بن سلطان البديري
٢٢ـ جودي ناجي
٢٣ـ جاسم السيد محمد علي طبار الهوا
٢٤ـ عباس علي الرماحي
٢٥ـ علوان علي الرماحي

أما القائمة الثانية فكانت بأسماء من طلبوا نفيهم كأسرى حرب إلى الهند وهؤلاء هم :

١ـ سعد الحاج راضي
٢ـ مغيظ الحاج سعد
٣ـ راضي الحاج سعد
٤ـ عطية أبو كلل
٥ـ كردي أبو كلل
٦ـ هندي أبو كلل
٧ـ حاجم أبو كلل
٨ـ جاسم أبو كلل
٩ـ الحاج حسين أبو كلل
١٠ـ كريم أبو كلل
١١ـ محمد بن مطر العكايشي
٥٢ـ علي عيسى حبيان
٥٣ـ محمد جبر العامري
٥٤ـ نجم العبود العامري
٥٥ـ السيد إبراهيم السيد باقر
٥٦ـ محمد الحاج حسين الصنم
٥٧ـ عطية العينتاكي
٥٨ـ خطار العبد
٥٩ـ علوان الملا
٦٠ـ حسوني العلوان
٦١ـ جواد مطر
٦٢ـ حسن كصراوي

١٢ـ طلال العكايشي
١٣ـ حسن علوان العكايشي
١٤ـ زاير العكايشي
١٥ـ الحاج محمد أبو شبع
١٦ـ عباس حسون أبو شبع
١٧ـ هادي أبو شبع
١٨ـ عبد يوسف أبو شبع
١٩ـ خليل أبو شبع
٢٠ـ رشيد هادي كرماشة
٢١ـ رشيد غانم كرماشة
٢٢ـ صالح كرماشة
٢٣ـ كريم كرماشة
٢٤ـ مجيد كرماشة
٢٥ـ غني كرماشة
٢٦ـ عبد الرزاق عدوة
٢٧ـ تومان عدوة
٢٨ـ حمود الحار
٢٩ـ مسلط الحار
٣٠ـ سعيد الحار
٣١ـ مهدي الحار
٣٢ـ عطية صبي
٣٣ـ حامض صبي
٣٤ـ تومان بقر الشام
٣٥ـ فنجان بقر الشام
٣٦ـ متعب بقر الشام
٣٧ـ حسين بقر الشام

٦٣ـ عباس الحاج نجم
٦٤ـ كاظم علي الدعدوش
٦٥ـ السيد هادي السلطاني
٦٦ـ عزيز الأعسم
٦٧ـ غازي طوبه
٦٨ـ حميد آل صكر
٦٩ـ الشيخ إبراهيم المومن
٧٠ـ عبد حميمة النداف
٧١ـ الحاج حبيب أبو الجاموس
٧٢ـ حسون أبو جحيفة
٧٣ـ طماطة سعيدان
٧٤ـ عبود صخيلة
٧٥ـ عبد الحممچي
٧٦ـ حسون بدرنك
٧٧ـ السيد أحمد العذاري
٧٨ـ شعلان أبو نصيحة
٧٩ـ عبد نورية
٨٠ـ حسن شاهين
٨١ـ طنوس آل علي
٨٢ـ ناصر الحسون
٨٣ـ حتروش نسيب غيدان
٨٤ـ مسلم دريعي
٨٥ـ قلوم ملكي
٨٦ـ محمود الحاج حمود
٨٧ـ السيد جاسم طبّار الهوا
٨٨ـ جبر جبرين

٣٨ـ الحاج رديف ثالثه
٣٩ـ محمد الحاج مهدي ثالثه
٤٠ـ عبد الله الروازقي
٤١ـ علي عبد الروازقي
٤٢ـ جدوع الروازتي
٤٣ـ أحمد الصراف
٤٤ـ حسين الصراف
٤٥ـ خضر عباس الصراف
٤٦ـ حساني المختار
٤٧ـ مجيد المختار
٤٨ـ زباله بن عزيز كور
٤٩ـ عراك بن عزيز كور
٥٠ـ حسين علي كور
٥١ـ عبد عيسى حبيبان
٨٩ـ مجيد طالب
٩٠ـ عبد الله الرويشدي
٩١ـ حلوس بن محمد الصبار
٩٢ـ محمد حسن الشمرتي
٩٣ـ كريم عبود الجيلاوي
٩٤ـ مطشر الرماحي
٩٥ـ جاسم الطيار
٩٦ـ علي جوزة
٩٧ـ السيد جبر الفحام
٩٨ـ الحاج وادي السيد
٩٩ـ حنتوش الرماحي
١٠٠ـ عزيز الحارص
١٠١ـ عبد الله سابوح
١٠٢ـ عباس العجمي

إن جميع هؤلاء الأشخاص، سواء من ذكر إسمه في القائمة الأولى، أو القائمة الثانية، قد اختفوا منذ اللحظة التي تم فيها احتلال التل؛ ذلك لأن احتلاله لم يبق أي أمل في المقاومة. إختفوا في البيوت والسراديب والآبار، مما لا يمكن معه إلقاء القبض عليهم من قبل الجيوش الانكليزية مهما طال الحصار، وذلك لسيطرة من يكون في تلك المخابىء على جميع الداخلين إليها، وبخاصة إذا كان الداخلون من غير النجفيين، حيث لا يعرفون شيئاً من دروبها ومداخلها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لاتصال أكثر الآبار بعضها ببعض، بحيث يستطيع الإنسان أن يدخل في دار ويخرج من أُخرى داخل النجف أو خارجها، كما فعل بعضهم ونجوا نهائياً، قبل أن يلتفت الانكليز ويسيطروا على مخارجها خارج النجف، كعباس الخليلي وغيره، أضف إلى ذلك أن السياسة الإنكليزية والتزاماتها تجاه الأقطار الإسلامية لا تسمح بدخول الجيوش إلى مدينة النجف، فماذا سيكون عند عدم تسليم هؤلاء أنفسهم؟!

من هنا نشأ المشكل المعقّد للانكليز، والورطة الكبرى، فإنهم من جهة لا يريدون

أن يقوموا بأية حركة عنيفة ضد النجف، ولا يريدون أن يدخلوا الجيش للمدينة والبيوت للتفتيش عن المطلوبين، لئلا يحدث ما لا تحمد عقباه، مما ليس في الحسبان؛ ومن جهة أُخرى، فإنهم لا يريدون أن يضعفوا أمام النجفيين في بداية حكمهم للعراق.

وهنا كانت الورطة الكبرى، والمأزق الصعب الذي ليس من السهل الخروج منه، لذلك اضطر الانكليز إلى القيام بكل ما يرهب النجفيين ويرعبهم، فقد أشاعوا في البلد على لسان الموالين، مختلف الاشاعات، وأرجفوا مختلف الأراجيف، مما جعل النجفيين - وبخاصة عامّتهم - يضربون أخماساً بأسداس.

ومما أشاعوا وأرجفوا: أن النجف ستستباح إن لم يسلّم المطلوبون أنفسهم، وأن الجنود البريطانيين سيعتقلون عوائل هؤلاء المختفين إن لم يسلموا، وأن الماء والطعام سيمنعان كلياً عن النجف إلى أن يسلّم هؤلاء أنفسهم للسلطة... إلى غير ذلك من الاشاعات المزعجة والأراجيف المخيفة.

وقد نشط الموالون أيّما نشاط في تحقيق هذه الأغراض طيلة هذا اليوم واليوم الذي سبقه.

وهكذا مرّ هذان اليومان اللذان قضاهما الجيش والموالون للسلطة في أنشط ما يكون المرهبون والمرجفون؛ وقد حصل ما أرادوا إلى حد بعيد، حيث اضطرب الناس في النجف وسيطر الذعر على نفوسهم، وبخاصة التجار والكسبة وطلاب المدارس الدينية، وأكثرهم من الأجانب؛ وبدأ عطف الناس على المطلوبين المختفين يضعف شيئاً فشيئاً، حتى انقلب إلى نقمة عليهم في أواخر أيام الحصار، لان الناس سأموا تلك الحياة، حياة الجوع والعطش والخوف وجهل المصير، وقد نظر الانكليز بعيون الموالين إلى ما طرأ على الناس من تبدل تجاه الثائرين بعد ارهاصات هذين اليومين، فاوعزوا حالاً بتشكيل لجان من الموالين في كل محلة للتفتيش عن المطلوبين، ولجمع الغرامة المطلوبة».

وعن هذا اليوم يقول المرحوم الشبيبي: «ذاع في البلدة أن الثوار الذين امتنعوا في المشهد أمس وباتوا فيه ليلتهم خرجوا ليلاً ونفذوا من نطاق الحصار ونجوا من شراك الانكليز، وأبواب المشهد لا تزال مقفلة لكن وجدت ثقوب جديدة في السور مما يلي الثكنة العسكرية والناس بين مصدّق ومكذّب محقّق ومرتاب.

وفي هذا اليوم خرج إلى لقاء بلفور في الرحى المتظاهرون بالطاعة له من زعماء المتغلبين كالسيد مهدي وبقية زعماء الحويش، والسيد علي جريو من البراق، وعبد الله الرويشدي من المشراق، وآخر من العمارة، وخرج أيضاً السيد عباس خازن المشهد، وعمّه السيد هادي، والحاج محسن شلاش وغير هؤلاء وقد سألهم بلفور عن الثوار، فقالوا له: خرجوا على ما نسمع، فطلب إليهم بلفور أن يضمنوا درك قولهم هذا فيما لو دخلت الجنود الانكليزية إلى المدينة بناء على ذلك، ولكنهم لم يقدموا على ذلك فكلّفهم وشدّد عليهم بالمبادرة إلى الفحص عنهم والبحث عن مكانهم، وقد تظاهروا بإجابته وتقلّد أتباع كل منهم السلاح، وجاؤا إلى المشهد وفتحوا الباب وبحثوا عنهم فيه فلم يقفوا لهم على أثر.. ثم خرجوا وجلسوا خلال شقي العمارة والمشراق فلم يعثروا على أحد من القوم.

«ويقال إن بلفور استوثق من رؤساء المتغلبين في مقابلتهم هذا اليوم في شأن جمع السلاح والغرامة المالية، وقد قتل وجرح غير واحد من النسوة هذا اليوم، قيل ثلاث داخل السور برصاص الانكليز؛ لأنهم يطلقون نيرانهم من حين لآخر على بعض المحلات التي ما زالوا يحتملون فيها وجود الثوار، يأبون كل الاباء التصديق بخروجهم، حتى قال بلفور لزعماء المتغلبين: إن مخافرنا زادت والسلك الشائك لم يزل محيطاً بالبلاد وقد سددنا فوهات الآبار في الخارج - وذلك أن لثوار النجف السابقين عادة في الهروب من داخل الأقنية والآبار الجارية والنفوذ من الموجود منها داخل المدينة إلى خارجها - وقع ذلك منهم غير مرة - فمن أين خرج الثائرون؟؟»[1].

اليوم الثاني والعشرون

الثلاثاء ٢٧ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ٩ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: تشكلت في كل محلة لجنتان:

الأولى: لجنة لجمع الغرامة.

والأخرى للقبض على المطلوبين المختفين.

وقد كانت هذه اللجان المخرج الوحيد للإنكليز من ذلك المأزق الذي وقعوا فيه،

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١٨.

فلو لم تتشكل هذه اللجان لما خرج الإنكليز من هذه الورطة بسهولة ؛ لأنهم لو دخلوا بأنفسهم وقاموا بجمع الغرامة والسلاح لعادت الحرب من جديد داخل المدينة بينهم وبين الثوار المختفين، حيث يظهرون من مكامنهم ويؤيدهم الناس.

وبدأت اللجان بالعمل بكل فضاضة وقسوة مع الناس الضعفاء من غير المسلحين، حيث كانوا يشددون على الفقراء ويستعملون معهم مختلف صنوف العنف لجمع هذه الغرامة من بنادق ونقود.

وقبل أربعة أيام (٥ نيسان) كان قد سافر عدد من النجفيين إلى بغداد بدعوة من الإنكليز لحضور حفلة منزلية يقيمها الحاكم السياسي العام في داره في هذا اليوم (٩ نيسان). حيث كانت بطاقة الدعوة قد وصلت إلى بعض النجفيين الموالين. وقد نشرت جريدة العرب البغدادية، وصفاً لهذا الحفل[1]

وفي هذا اليوم القي القبض على حسين الرماحي من البراق، وهو من الشبانة الذين كانوا في الخان عند مهاجمته فاشرك مع الثوار، كما يقول المرحوم الشبيبي. وفي غروب هذا اليوم أبلغ بلفور السيد اليزدي إنذاراً بأن الجيش سيقصف محلة العمارة في صباح اليوم التالي؛ وكان بكتاب هذا نصه:

«٩ إبريل سنة ١٩١٨

حضرة آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي دامت بركاته

بعد السلام.

إني مأمور من قبل القائد العام لابلغكم أن جنابه قرر إطلاق المدافع على نواحي محلة العمارة بكرة صباحاً، تقرر بموجب أمر قائد الكوفة والنجف، بناء على وساطة مندوبي حضرتكم الشيخ محمود أغا والشيخ صاحب الجواهر عند سعادة القائد العام إدخال الماء إلى المدينة وترخيص الزوار والمسافرين لمغادرتها، وأنا مشغول بترتيب ذلك. فإن مقصد القائد العام رفع الصدمات الزائدة التي تلحق الأبرياء بسبب حركات

---

(١) انظر: حوادث اليوم الثامن عشر.

المجرمين. ولي أمل أن أتشرف بحضرتكم في هذا القرب. واستدعي لحضرتكم دوام الصحة.

حاكم سياسة الشامية
«بلفور»[1]

عند ذلك انتشر الرعب بين أهالي محلة العمارة، فترك أكثرهم محلتهم إلى المحلات الأخرى، فارّين بأنفسهم وبما خف وغلا من أمتعتهم.

وفي الهزيع الأول من الليل حاول الحاج نجم وبعض جماعته الخروج من النجف من جهة البحر فاطلق جنود الحصار عليهم النار فعادوا أدراجهم. وعندما أُلقي القبض على محسن بن حبيب أبي غنيم هذا اليوم أفاد بأنه هو والحاج نجم وغيره حاولوا الخروج من النجف من جهة البحر فلم يتمكنوا.

وفي الهزيع الأخير من الليل اطلق الإنكليز نيران رشاشاتهم ومدافعهم على جبل الثلمة في محلة العمارة واحتلوه ومنه أطلقوا النيران على المحلة وقتلوا بعض الفقراء الأبرياء بمرمياتهم التي لا يزالون يطلقونها من كل مكان احتلوه في جميع المحلات عدا محلة الحويش. ثم قاموا بتحصين هذا الجبل ونصبوا عليه المدافع الثقيلة.

وعن هذا اليوم يقول الشبيبي:

«في ليلة الثلاثاء اعطى الإنكليز إلى بعض مستخدميهم الذين شملهم الحصار جوازاً بالخروج إلى الكوفة.

وفيه أمسك ـ أبو نويصير ـ مسكه عبد الله الرويشدي في شق المشراق فدفعه إلى الإنكليز وقد اعترف على ما يقال بأنه من العصابة التي هاجمت دار الحكومة ـ الخان ـ ووشى برفاقه والثوار قائلا إنهم في المدينة لم يزايلوها بعد.

وقبض أيضاً على حسين الرماحي في شق البراق وهو من الشرطة الأهلية التي ألفّها الإنكليز الشبانه كان في الخان أثناء الهجوم عليه فاشترك في إطلاق النار على الجنود..

في أصيل هذا النهار ورد إلى السيد اليزدي هذا البلاغ[2] (وهنا أورد الشبيبي نص

(١) مذكرات الشبيبي ص٣١٨.
(٢) ن.م.

الكتاب المؤرخ ٩ نيسان والذي نشرناه آنفاً).

اليوم الثالث والعشرون

الأربعاء ٢٨ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١٠ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: انهارت أعصاب الكثير من المشاركين في الثورة عندما لاحظوا اضطراب الناس وضعف عطفهم عليهم، فبدأوا يستسلمون الواحد بعد الأخر.

وقد أشارع إلى ذلك المس بل بقولها: «في ١٠/٤/١٩١٨ بدأ استسلام قتلة مارشال والأشخاص المشتبه بهم، والمدونة أسماؤهم في قائمة قدّمها الانكليز»[١].

وأيّد هذا التاريخ لونگريك بقوله: «وفي ١٠ نيسان بدىء بالقاء القبض على القتلة وأعوانهم»[٢].

وعندما بدأ استسلام بعض المختفين، أوعزت السلطات البريطانية بالسماح لعودة الماء إلى النجف كعربون لفك الحصار عندما يستسلم جميع المطلوبين. وفي هذا الشأن نشرت جريدة العرب ما يلي:

«وقد جاء بغداد حضرة المجتهد!! محمود أغا هندي والمجتهد الشيخ جواد صاحب الجواهر. ومراعاة لما عرضاه على الحكومة بالنيابة عن السيد محمد كاظم اليزدي وللطلب الذي جاء في برقية من السيد محمد تقي الشيرازي في كربلاء ومن مجتهدين آخرين، أصدر القائد العام أوامره بإعادة الماء الذي قطع عنهم، حتى لا يتأذى أهالي النجف الأبرياء وعلى الأخص علماؤها الأعلام»[٣].

وفي الصباح الباكر من هذا اليوم كان الانكليز قد اطلقوا من جبل الثلمة إحدى وعشرين إطلاقة مدفع على محلة العمارة، تحقيقاً لمضمون بلاغهم الأخير، فقتل جراء ذلك أربعة أشخاص، منهم ابن شيخ طاهر، وجرح جماعة منهم السيد حسن الدسبولي.

وفي هذا اليوم أيضاً قدم الزوار والغرباء إسترحاماً يطلبون فيه السماح لهم بالخروج من المدينة. كما أجازت السلطة لخمسة وعشرين من السقائين بجلب الماء من

---

(١) فصول من تأريخ العراق القريب، للمس بل ص٥١.

(٢) Longrigg, iraq, p. 96.

(٣) جريدة العرب العدد ٨٩ من المجلد الثاني بتاريخ ١٥ نيسان ١٩١٨.

الشواطي إلى المدينة، فبيع حمل الماء بربية واحدة.

وفي هذا اليوم - كما يقول المرحوم الشبيبي - إن أحد الموالين للسلطة من لجنة التفتيش استولى على ثلاثة أفراس للحاج سعد وسلّمها للإنكليز.

إن كثرة تساقط الأمطار في هذه الأيام، وأن خفف من وطأة انقطاع الماء عن النجف، ولكن الناس مع ذلك قد فرحوا كثيراً بعودة الماء إلى النجف واعتبروا هذه البادرة بشير الفرج القريب، وجعلوا يتنادون بضرورة تسليم المختفين. لذلك نشطت لجان التفتيش في اليوم التالي.

اليوم الرابع والعشرون

الخميس ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١١ نيسان ١٩١٨م.

وفي صباحه حلقت في سماء النجف طائرة إنكليزية ثم اختفت، وبعد حوالي الساعتين عادت إلى الظهور ولم تقم بأي عمل من الأعمال. ونادى في هذا اليوم أيضاً منادي السلطة محذراً من إيواء أحد الثوار ومهددا بالعقاب الصارم، كما وعد بمكافأة قدرها خمسمائة ربية لكل من يرشد إلى مكان أحد الثوار المختفين وكان قد ازداد نشاط لجان التفتيش، وجعلت تقوم بأعمال التفتيش بقوة قلب في جميع المظان، مما جعل كثيراً من المختفين يتنقلون من مكان إلى آخر عن طريق الآبار، أو الخروج ليلاً تحت ستار الظلام، هرباً من لجان التفتيش التي تضاعف عدد أفرادها، وكانت على أنشط ما تكون في هذا اليوم.

والقي القبض في هذا اليوم على السيد جاسم السيد محمد علي طبار الهوا.

كما شهد لدى السلطة أحد أفراد الشرطة الإيرانيين بأنه شاهد الشخص المدعو سوادي من آل فتلة، وهو يحمل السلاح مع الثوار، فأُلقي القبض عليه.

وفيه قام الانكليز باحتلال مواقع جديدة من السور داخل المدينة من جهة محلة المشراق والعمارة، ومن جملتها الثكنة التركية الكبيرة التي أصبحت فيما بعد «مدرسة الغري».

ثم انتشروا بعد ذلك في شوارع المشراق والعمارة بصحبة بعض الموالين، وفتّشوا بعض الدور، كما اطلقوا النار في بعض شوارع العمارة فقتلت امرأة وجرحت أخرى، وكان أكثر هؤلاء الجنود من الانكليز، وبعضهم من الصينيين والكركة والهنود.

وفيه أيضاً استدعى الانكليز جميع الرؤساء الموالين صغاراً وكباراً وأبلغوهم بأن الحصار يستمر بكل شدّة حتى يُلقى القبض على المطلوبين. وقد طلب الانكليز في هذا اليوم من السيد اليزدي أن يخرج من النجف فلم يوافق.

اليوم الخامس والعشرون

الجمعة ٢٩ جمادى الثانية ١٣٣٦هـ/ ١٢ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: سمح لبعض العوائل الموالية بالخروج من النجف إلى الكوفة، حيث أخرجوهم من الباب الغربي (باب السقّاية) تحت حراسة الجيش، وقد كان ذلك مثار نقد شديد للانكليز ونقمة عليهم، لتفريقهم بين العوائل النجفية غير المحاربة، للسماح لبعضهم بالخروج وعدم السماح للآخرين. في حين أن في المدينة كثيراً من الزوّار الأبرياء الذين هم أحق من غيرهم بالخروج ليذهبوا إلى أماكنهم في مختلف أنحاء العراق، وبذلك يرفّرون على النجفيين ما يستهلكونه يومياً من الطعام، ولكن الانكليز لهذا السبب نفسه لا يسمحون لهم بالخروج، لتزداد ضائقة النجفيين.

في الجهة المقابلة للكوفة من سور المدينة، أي الجهة الشرقية، يوجد بابان:

الأول: باب كبير وفوقه تقع بلدية النجف التي كان قد أحرقها النجفيون عندما ثاروا على الأتراك سنة ١٩١٥.

الثاني: باب صغير يقع على بعد حوالي المائة متر من شمال الباب الكبيرة، وفوقه تقع بناية اتخذت في عهد الأتراك ادارة لنادي الاتحاد والترقي، وبعد الاحتلال استؤجرت من قبل مدرسة الغري ليفتح فيها القسم الثانوي من المدرسة، وقد فتح فعلاً وجلب له المعلمون من مصر وسوريا.

وكان قد جرى إغلاق هذين البابين منذ اليوم الأول للثورة والحصار.

وفي هذا اليوم تم فتح هذين البابين، بعد تحصين البنايتين اللتين تقعان عليهما واحتلال أبراج السور التي في امتدادهما من الجانبين، مثل «قولة أم السبع» في جنوب الباب الكبيرة والقول الواقعة في شمال الباب الصغيرة.

ثم شرعوا بعد ذلك بهدم الدور الملاصقة للسور بامتداد الباب الكبيرة، وكلها تعود للفقراء.

في هذ اليوم أُلقي القبض على السيد جبر الحداد ابن أخت الحاج نجم، ويقال: إنه

أرشد إلى مكمن خاله الحاج نجم البقال بعد أن وعدوه بإطلاق سراحه. ـ كما يظن المرحوم الشبيبي ـ

كما ألقي القبض على الحاج نجم عندما «أسرع إليه جماعة من هؤلاء المتظاهرين بالمسالمة شاكي السلاح في طليعتهم عبد الله الرويشدي ومحسن الشمرتي وغير هؤلاء، دخلوا عليه البيت من دار حطحوط في شق المشراق، بعد أن فتشوا عنه عدّة دور، وقد اختبأ وراء دثار في البيت. فلما رآهم حاول مناجزتهم، لكنهم تغلّبوا عليه وأمسكوه وضربوه حتى أدموه وشجّوه، وما ذاع خبر إمساكه في المدينة حتى هرع الناس إلى مشاهدته وأُقفلت الأسواق واهتم الجمهور بذلك اهتماماً عظيماً، وكذلك الانكليز. وقد جيء به، كما جيء بغيره من قبله، إلى دار السيد مهدي السيد سلمان في الحويش في سواد عظيم يحيط به، والخلق صفوف في الشوارع التي يمر عليها، وهو مطرق يدخّن لفافته لا أثر للجزع عليه، واستدعى بالقهوة والدخان فأحضروا له ذلك، وقرعه صاحب الدار أيّ تقريع، وسبّه، وقد أُخرج من دار السيد مهدي فسُلّم إلى الانكليز خارج المدينة»[1].

وفي هذا اليوم أيضاً: قُبض على جماعة من المطلوبين منهم: مجيد بن مهدي دعيبل في محلة الحويش، وجودي بن عيسى ناجي في خرابة بمحلة البراق، وهما شابان في العقد الثالث من عمرهما، كبقية عصبة الحاج نجم الذين هم كلّهم تقريباً من الشباب عداه.

وأُلقي القبض كذلك على طماطة بن سعيدان في الحويش.

اليوم السادس والعشرون

السبت ١ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٣ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: وصل النجف بالطائرة نائب الحاكم السياسي واتصل بجماعة من الموالين وتذاكر معهم في أحوال البلد وما يجب أن يكون، وبخاصة فيما يتعلق بخروج الزوّار، وفيما حصل من التذمّر لخروج بعض العوائل وعدم خروج البعض الآخر، وقد حثّهم كثيراً على مضاعفة جهودهم في إلقاء القبض على المختفين.

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

وقد نشرت جريدة العرب عن هذه الزيارة ما نصّه:

«وقد زار نائب الحاكم بنفسه النجف يوم السبت، فتلاقى مع حميد خان معاون الحاكم السياسي، ومع السيد مهدي بن السيد رحبي، ومع الحاج محسن شلاش، ومع غيرهم من ذوي الشأن؛ فعبّر لهم عن رضاء القائد العام للعمل الذي قاموا به ضد اولئك الذين أرادوا نشر الاضطراب والشغب في مدينة النجف المقدسة، وحرّضهم على القبض على الزعماء والقتلة الآخرين، وقال لهم: إنهم سيعاقبون عقاباً يكون عبرة لغيرهم، والحكومة لا تريد أن تعاقب إلاّ المحرّكين الحقيقيين للشغب»[1].

وفي هذا اليوم أَرسل الحاج سعد على جماعة من الرؤساء الموالين وخرج معهم من داره ليسلم نفسه إلى الانكليز في موقعهم الجديد في «الشواطي»، وكان يحيط به جماعة من الناس وهم يبكون، أما القادة الإنكليز فكانوا في الخان، ولما علموا بذلك أوعزوا بتشديد الحراسة عليه وإرساله مخفوراً إلى الكوفة.

وفي هذا اليوم أيضاً قبض على عبود صخيلة.

كما قبض في محلة الحويش على عبد الخممجي.

وقد ألقى أمين كرماشة القبض على الشيخ إبراهيم الكاشي في محلة العمارة.

وقام الإنكليز في هذا اليوم بهدم كثير من الدور الملاصقة للسور في محلتي البراق والمشراق.

وفي هذا اليوم مات شبادة شقيق سعد الحاج راضي، وهو شيخ مسنّ، جزعاً على مصير أخيه وأولاد أخيه.

اليوم السابع والعشرون

الأحد ٢ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٤ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: نشطت اللجان في تعقيب المختفين، وبسبب هذا النشاط عثروا على كثير منهم، وكانوا يهينونهم ويقسون معهم ويعتدون عليهم، فقد عثرت لجنة تفتيش البراق على كل من أحمد ومحسن ولدي الحاج سعد، في بيت إحدى قريباتهم في البراق، مقابل مقبرة السيد عمران؛ وعندما أمسكوا بهما وأخرجوهما إلى الشارع جعل أحدهم

---

(١) جريدة العرب، العدد ٩١ من المجلد الثاني بتاريخ ١٧ نيسان ١٩١٨.

يضربهما بعصاه ويسبهما، وقد طلب أحمد رؤية ابنه كاظم متوسلاً متخضعاً بداعٍ من عاطفة الأبوة، وبعد لأي وافقوا على إحضار ابنه كاظم فاحتضنه وقبّله كثيراً، ثم سحبوه وسلموه للسلطة خارج المدينة مع أخيه محسن.

واستمر نشاط اللجان التفتيشية بقوة طيلة هذا اليوم بدفع من تحريض نائب الحاكم السياسي العام، كما مر آنفاً.

في هذا اليوم ضاق الخناق على النجفيين من ناحية انعدام المواد الغذائية وغلاء سعر الموجود منها، وهو قليل جداً، فقد بلغ سعر الحقة (أربعة كيلوات) من الحنطة خمس ربيات، ومثلها التمن، أما صفيحة الدهن فبلغ سعرها اثنتي عشرة ليرة ذهب، وأوقية اللحم (كيلو) - إن وجد سرّاً - فبخمس ربيات، والدجاجة الصغيرة بأربع روبيات، أما الخضروات فتكاد تكون معدومة.

وما زال منادي السلطة يحذّر النجفيين من إيواء الثوار، مع التهديد بأشد العقوبات، وقد فجّر الانكليز لغماً في الثكنة الكبيرة لهدم بعض أبنيتها.

ما زال الانكليز يهدمون بعض الدور في محلتي البراق والمشراق في مناطق السور، وما انفكوا يحصنون المواقع التي احتلوها، كما لو كانوا ينتظرون ثورة أُخرى، فقد قاموا بمد كثير من الأسلاك الشائكة داخل المدينة وخارجها. وإلى هذا اليوم لم يأذن الانكليز بإدخال شيء من الغذاء إلى النجف، بالرغم من أن الأبرياء من الفقراء قد أصبحوا في حالة يرثى لها، مع العلم بأن الغرباء والزوار لم يفرج سوى عن القليل منهم ولا يوجد من يهتم بوجودهم ويؤمن بعض حاجتهم، وكأن السلطة تريد أن يتضايق هؤلاء ليعبثوا بالأمن ويزاحموا النجفيين على الشحيح الموجود من الطعام المتداول سرّاً في البيوت، وغاية ما تم إلى الآن خروج بعض من نصّ عليهم الانكليز من خواص المعممين والبيوتات الكبيرة والأعيان، وبخاصة الموالين، أما الفقراء فليس لهم ذكر في هذا المجال، مع أنهم أكثر الناس حاجة إلى الخروج ليعملوا ويعيشوا، حيث لا عمل لهم في النجف المحاصرة سوى الاستجداء، وقد صار معوّل الفقراء والسواد في غذائهم على التمور الموجودة بكميات لا بأس بها، لأن النجفيين يختزنون عادة حاجتهم السنوية من التمور في كل عام، وقد جعل البعض يوزعونه على الفقراء مجاناً.

اليوم الثامن والعشرون

الاثنين ٣ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٥ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: شددوا البحث عن جماعة من صغار المختفين، وكان من بين هؤلاء مطرود الجعباوي[١]. وهو من المتكاتبين مع ألبو شبع، وكان من بين من دخلوا الخان مع الحاج نجم وقتلوا مارشال، وعندما ألقي القبض عليه توسّط له السيد كاظم اليزدي والسيد مهدي السيد سلمان؛ فأطلق سراحه فهو وحيد أبيه وكان أبوه ثرياً، هذا ما هو شائع على ألسنة كثير من الناس[٢].

وفيه: سُمح بخروج الزوار وبعض العوائل النجفية.

وفيه أيضاً: أُلقي القبض في محلة البراق على عطية بن محمد صبي ابن أخ كاظم صبي.

وفي العمارة أُلقي القبض على طلال بن جاسم العكايشي، وغازي طوبة.

عيّن الانكليز بقالاً خارج النجف من جهة الشرق لبيع الحاجيات بإجازة من السلطة.

قام غيدان عدوة بإلقاء القبض على السيد عزيز الله، أخرجه من المدرسة ليسلّمه إلى الإنكليز ولكن الناس تجمعوا على غيدان وأهانوه فاضطر لاخلاء سبيله.

وفي هذا اليوم نسف الانكليز جانباً من الثكنة الكبيرة.

وفيه أيضاً: نشرت جريدة العرب صورة البيان الرسمي الذي كان قد صدر بعد احتلال التل، وهذا نصّه:

«لما كان العصاة في النجف لا يزالون يطلقون النار على جنودنا من وراء الأسوار، ومن التلول التي تبتدىء من محلة الحويش، وكانت هذه التلول مكمناً لهم، احتل جنودنا التلول في ٧ نيسان وقد اتخذت جميع الاحتياطات حتى لا يقع أدنى ضرر بالمدينة المقدسة. ويمكننا الآن من موقعنا على التل المشرف على المدينة أن نعضد

---

(١) يقول الشبيبي أن مطروداً هذا قد ألقي القبض عليه في يوم الثلاثاء ٤ رجب/ ١٦ نيسان. والحقيقة أنه قد ألقي القبض عليه في هذا اليوم.

(٢) ومما أُشيع: أن جاسماً أبا مطرود هذا قد باع بستاناً بثلاثمائة ليرة ذهب وأعطاها للسيد مهدي السيد سلمان وخلّص ابنه.

السيد مهدي بن السيد رحبي شيخ محلة الحويش الصادق مع الحكومة، وأن نردع العصاة عن القيام بأعمالهم العدائية»[1].

اليوم التاسع والعشرون

الثلاثاء ٤ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٦ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: سمحت السلطة لمن يريد أن يخرج من الزائرين الباقين، فخرج كثير منهم، كما سمحوا لبعض العوائل النجفية غير المحاربة بالخروج من النجف.

وفيه أيضاً: نشرت جريدة العرب نبأ جاء فيه:

«ساد السكون الآن في النجف، وقد أُذن لـ ٦٠٠ شخص من الزوار والمسافرين الخروج من المدينة والرجوع إلى أوطانهم. والماء يسيل إلى المدينة بوفرة، وقد قبض أهالي البلدة أنفسهم على كثير من الزعماء الذين أثاروا الشغب، وعلى بضعة من القتلة، وسلّموهم إلى أرباب السلطة الانكليز»[2].

وفيه: أُلقي القبض على كريم بن الحاج غانم كرماشة من قبل أمين كرماشة.

حلّقت طائرة في سماء المدينة ثلاث مرات.

أجيز لعدد من السقائيين بنقل الماء إلى محلتي البراق والمشراق.

اليوم الثلاثون

الأربعاء ٥ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٧ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: نادى منادي السلطة معيداً تحذير النجفيين من إيواء الثوار بأشد العقوبات.

قامت السلطة بجمع من بقي من الزوّار في خان الهنود.

اليوم الحادي والثلاثون

الخميس ٦ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٨ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: قام قائد منطقة الحركات في النجف والكوفة ضحوة هذا اليوم، ومعه عدد من الضباط لتفتيش المواقع.

وفي عصر هذا اليوم أُلقي القبض على حميد بن صكر العكراوي، والسيد سلمان بن

---

(١) جريدة العرب البغدادية، العدد ٨٩ في المجلد الثاني، الاثنين ١٥ نيسان ١٩١٨م.

(٢) جريدة العرب البغدادية، العدد ٩١، المجلد الثاني، الأربعاء ١٧ نيسان ١٩١٨م.

السيد جاسم، ورجل من ألبو عامر، وكلهم كانوا في مكان واحد من محلة المشراق.

كما أُلقي القبض على علي حبيبان.

اليوم الثاني والثلاثون

الجمعة ٧ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٩ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: ضحًى أُلقي القبض على محمد الصنم وهو من الشرطة الشبانة.

سمح اليوم بخروج عدد من البغال والحمير خارج المدينة بعد أن تفشى بها الهلاك من الجوع.

كما سمح بإخراج الجنائز المودوعة أثناء الحصار لدفنهم خارج المدينة.

اليوم الثالث والثلاثون

السبت ٨ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٠ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: صباحاً قام الجياع نساء ورجالاً بمظاهرة عنيفة بالميدان، حيث يعسكر الجيش في أطرافه، بعد أن نفدت الحنطة والشعير وأقفل الخبازون مخابزهم، وقد بيعت حقّة الحنطة هذا اليوم بثماني ربيات.

وفيه قابل بلفور السيد اليزدي في داره، وعن هذه المقابلة يقول المرحوم الشبيبي:

«وفي ضحوة هذا اليوم دخل النجف من الباب الصغيرة أو باب البركة، الكابتن بلفور وضابط انكليزي من أركان الحرب ومعه طائفة من الجنود في بندقياتهم الحراب ذاهباً إلى مطالعة اليزدي، وقد وصل إلى داره ووقف الجنود على الباب وفي الشارع كهيأة حراس، وقد وصلوا دار اليزدي حيث هم بسلك مسرة ـ تلفون ـ.

ثم صعد بلفور وحده وخلا باليزدي وببعض خوّاص بطانته ساعة أو شبيهاً بذلك، دار الكلام فيها على رفع الحصار، وتجهيز الأقوات إلى المدينة، والكف عن نقض الدور.

ومما قاله اليزدي: إن لحصار الأبرياء فيمن يتولى حصرهم أسوأ مغبة وأشأم أو ما يؤدي المعنى.

فأجابه بلفور: أنا مجهّزون إلى المدينة ما يقتضي من الأقوات، وأما الحصار فسوف يرتفع على التدريج، سيّما إذا ألقينا القبض على بقية المتسترين من الثوّار وهم الخمسة: كاظم الصبي، وأولاد سعدٌ، والرماحي، وأخوه، لكن سنتسامح فعلاً في إعطاء

الجوازات لمن يرغب في مزايلة المدينة من الأبرياء، وأما المساكن والدور فقد تقرر نقض ما كان ملاصقاً للسور لا غير.

وقد خرج بلفور بعد ختام المذاكرة وعاد أدراجه»[1].

وفي عصر هذا اليوم أُلقي القبض على علوان دليهم من جماعة كاظم صبي، ومعه بندقية من طراز موزر الألماني وخراطيش.

اليوم الرابع والثلاثون

الأحد ٩ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢١ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: أرجف الرؤساء الموالون وأتباعهم ببعض الأخبار المخيفة المزعجة التي ستترتب على النجف والنجفيين إن لم يتم تسليم البقية الباقية من الثوار، وذلك تمهيداً لما تقرر أن تقوم به السلطة فيما سيتم من الاجراءات المشددة وتبريراً لها، حيث كان بلفور قد استدعى سراً كبير الموالين فذهب مع الفجر وعاد قبل طلوع الشمس ليسخّر أعوانه في نشر الرعب والخوف بين النجفيين لعدم إلقائهم القبض على بقية الثائرين، وفعلاً اضطرب الناس وزاد طين بلائهم بلة.

اليوم الخامس والثلاثون

الاثنين ١٠ رجب١٣٣٦هـ/ ٢٢ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: فتح الناس عيونهم صباحاً على الجنود وهم في حركة دائبة لنصب الأسلاك الشائكة في الأماكن التي لم يسبق نصب الأسلاك فيها داخل النجف وخارجها لمنع الثوار من الهرب، وبذلك ألقوا الرعب في نفوس النجفيين المتوترة من إرجافات الموالين.

وإمعاناً في الإرهاب وتضييق الخناق امتنعت السلطة من إعطاء جوازات بالخروج من المدينة مع شيء من سوء المعاملة والزجر للمراجعين.

وفي ضحى اليوم نادى المنادي في المدينة عن ورود برقية للسيد اليزدي من قائد جيش المنطقة يحذّر فيها النجفيين من إيواء أي ثائر، ويتهدد المخالف بالإعدام، أو الحرمان الأبدي من كل شيء، مضافاً إلى مصادرة أمواله المنقولة وغير المنقولة،

---

(١) مذكرات الشبيبي ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.

وكانت نيران المدافع والرشاشات خلال ذلك غير منقطعة، مما اضطر بعض المسالمين من الأهلين إلى استئناف البحث عن المطلوبين، والتضييق على آلهم وذويهم لتسليمهم، قبل أن ينفد صبر السلطة، فتصب جام غضبها على المدينة ومن فيها، وكانت الطائرات البريطانية تحوّم فوق سماء المدينة في معظم أيام الأسبوع لترعب الناس وتخيفهم، وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً[1].

اليوم السادس والثلاثون

الثلاثاء ١١ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٣ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: انتشرت في المدينة لجان جديدة تألفت على أثر ورود برقية القائد بالأمس يترأسها موالون كبار، وشدّدت البحث عن الثوار، مع أنهم يعلمون بمكامن الكبار منهم، ولكنهم يخشون اقتحام البيوت عليهم، وبخاصة كاظم صبي الذي يرعبهم اسمه، بالرغم من علمهم بترفعه عن الدنيّة وتحلّيه بأخلاق الفرسان. ومع كل التفتيش الشديد الذي جرى هذا اليوم لم يستطيعوا القبض على أي واحد من الثائرين.

بلغ سعر حقة الحنطة (أربعة كيلوات) تسع ربيات.

اليوم السابع والثلاثون

الأربعاء ١٢ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٤ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: أُلقي القبض ضحوة على السيد جعفر الصائغ.

وقبض فيه كذلك على حسون ابن عم كاظم صبي، وحامض ابن أخ كاظم صبي.

ضاقت الحال الغذائية بالناس هذا اليوم، فضج الجميع بالشكوى والنقمة على الانكليز، الأمر الذي حمل الرؤساء الموالين على الذهاب إلى بلفور وإخباره بجلية الحال والطلب إليه السماح ببعض المواد الغذائية فلم يجبهم بأكثر من قوله: «لا يمكن ذلك قبل تسليم جميع الثائرين».

وفي مساء هذا اليوم خرج عباس علي الرماحي وذهب إلى دار الحاج محسن شلاش الذي قام بتسليمه إلى السلطة.

---

(١) ثورة النجف للحسني ١٠١.

اليوم الثامن والثلاثون

الخميس ١٣ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٥ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: على أثر مقابلة الموالين لبلفور في اليوم السابق وتشديده في طلب الباقين، تضاعف نشاط لجان التفتيش، ولكن لم يتمكنوا أيضاً من القبض على أي أحد.

اليوم التاسع والثلاثون

الجمعة ١٤ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٦ نيسان ١٩١٨م.

وفي غروبه أُلقي القبض على راضي الحاج سعد، وفنجان بن صگبان بقر الشام. ويعتقد الشبيبي بأن كردي بن عطية أبوكلل قد سلّم نفسه في هذا اليوم، في حين أن ما ورد في أقوال السيد عبد الرزاق عدوه يدل على أنه سلم نفسه في اليوم الذي ألقي فيه القبض على عبد الرزاق، حيث يقول: إنه وجد كردياً أمامه في الخان في انتظار نقله إلى الكوفة. حيث جرت العادة أن يجمع من يلقىٰ القبض عليهم أو يسلّمون أنفسهم، يجمعونهم في الخان إلى ما بعد الظهر ثم ينقلونهم سوية إلى الكوفة. وبذلك يكون كردي قد سلّم نفسه في يوم ١٥ رجب، أي اليوم التالي.

وفيه: «استدعى الكابتن بلفور رؤساء النجف وزعماءها إلى مقره خارج السور، وأبلغهم أن على المدينة أن تشرع فوراً في جمع الفدية أو الغرامة المفروضة عليها، والتي سبق تقديرها واذاعتها من قبل، وهي ألف بندقية وخمسين ألف ربية.

وبعد هذا البلاغ، توجه بلفور إلى دار السيد اليزدي، يحفّ به رهط من الضباط، وجماعة من الجنود المدججين بالسلاح، وإذا به يقدم إلى هذا المرجع الكبير قائمة بأسماء أرباب العمائم من النجفيين الواجب تسليم أنفسهم إلى السلطة لاستجوابهم عما أسند إليهم، فارتبك طلاب العلم، واتجهوا إلى السيد اليزدي يطلبون وساطته، فلم يلقوا منه الاهتمام المنتظر، فاضطر المطلوبون إلى تسليم أنفسهم بعد أن وعدوا بمعاملة كريمة، وكان في مقدمتهم السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري.

ثم استدعى «بلفور» بعض زعماء النجف إلى دار الحكومة وقال لهم: «إن النجف رأت في المدة الأخيرة من أنواع العذاب أشياء ما كانت رأتها من قبل وهيهات أن تحصل على الراحة، أو تعود المياه إلى مجاريها، إذا لم يلق القبض على بقية المستترين،

فجيئوني بأربعة من هؤلاء المستترين ليرفع الضيق عنكم. وهؤلاء الأربعة: عباس علي الرماحي، وأخوه علوان، وكردي بن عطية أبو كلل، وكريم الحاج سعد، فذهب الزعماء يبحثون وأعوانهم عن المطلوبين، فوطّن هؤلاء أنفسهم على الاستسلام؛ لأنهم أنفوا أن يقبض عليهم رجال الحكومة أو الطامعون في الحصول على الجوائز المخصصة لهذا الغرض»(١).

اليوم الأربعون

السبت ١٥ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٧ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: أُلقي القبض على عبد الرزاق بن علوان عدوة، ، وتومان بن غيدان عدوة، ومحمد أبو شبع، وهادي إدريس، وحاكم أبوكلل، وجاسم أبوكلل.

كما سلم نفسه علوان علي الرماحي، وكان قد التجأ مساء اليوم إلى دار حميد خان وبات ليلته هناك.

وسلّم نفسه أيضاً كردي بن عطية أبوكلل.

وفي ساعة متأخرة من مساء هذا اليوم ألقي القبض على تومان بقر الشام، وكان بلفور قد استدعى الرؤساء الموالين بعد ظهر هذا اليوم وكلّفهم بجمع الغرامة وقدرها خمسون ألف ربية وألف بندقية، فألفوا اللجان لهذا الغرض واندفعوا متحمسين لجمعها.

وفي هذا اليوم سلّم عطية أبوكلل نفسه إلى الإنكليز في الشنافية، بعد أن ضايقه بدو عنزة من أعوان الإنكليز في البادية، وحمل إلى النجف بواسطة باخرة مستشفى عسكرية، وصلت إلى النجف يوم ١٩ رجب ١٣٣٦هـ/ ١ مايس ١٩١٨م.

اليوم الحادي والأربعون

الأحد ١٦ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٨ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: زار بلفور السيد اليزدي صباحاً وخلا به ثم عاد أدراجه.

وفي الضحى نادى منادي السلطة يطلب إلى الناس تسليم ما لديهم من السلاح لمدة ثلاثة أيام وإلاّ فالعاقبة وخيمة والعقاب شديد.

---

(١) ثورة النجف للحسني ١٠١ ـ ١٠٣.

ألقي القبض على حمود الحار، ومسلط، وسعيد، ومهدي أولاد حبيب الحار، وعلى رشيد كرماشة.

وقد جرى تسليم حوالي المائتين من البنادق القديمة من مجموع الغرامة.

وإلى هذا اليوم يكون قد تمّ إلقاء القبض على جميع المطلوبين المهمين تقريباً عدا كاظم صبي الذي علم وأدرك أن الحصار لا يفكّ عن النجف، بما فيها من أبرياء، ما لم يسلم نفسه للسلطة، لذلك صممّ على التسليم.

ففي فجر هذا اليوم خرج من مكمنه وذهب إلى الحمّام، ثم إلى الصحن الشريف، وكان الباب موصداً، فسلّم على الأمير وصلى صلاة الصبح ثم ودّعه واتجه نحو باب المدينة مخترقاً السوق الكبير، حيث الأسلاك الشائكة في نهايته وعليها الحرس الهنود، ولما وصل إليهم أعلمهم بأسمه وطلب إليهم السماح بمروره لتسليم نفسه، فرفضوا ذلك، أو إنهم لم يفهموه. عند ذلك عاد واتجه إلى «خان البو مرزة في سوق المسابك» الذي كان مقراً للّجنتين، ليسلم نفسه للّجنة التفتيشية، ولكن خبر قدومه قد وصل اللجنة قبل وصوله، ففر أعضاء اللجنة جميعهم، ولما وصل الخان لم يجد أحداً منهم فيه، فاستغرب لهربهم وتساءل ساخراً: ألا يريدون إلقاء القبض عليّ؟! ثم توجه إلى «قهوة فيروز» قرب الخان وشرب القهوة هناك. ثم ذهب بعد ذلك إلى دار الحاج محسن شلاش وأخذه معه إلى الكابتن بلفور ليسلّم نفسه إليه؛ لأن الجيش يعرف الحاج محسن ويسمح له بالمرور[1].

---

(١) ثورة النجف للأسدي ص٣٢٨. وفيه - أي هذا اليوم -: «أعلمني السيد عبد الرزاق عدوة أنه كان حاضراً في اليوم السابق لهذا اليوم عندما فتشوا داراً متواضعة تعود إلى أحد أقارب سعيد الحار، تقع قرب ساباط الحداد بين البراق والحويش: «حيث وقف السيد مهدي السيد سلمان والسيد علي جريو في باب الدار ودخل جلاوزتهما إلى البيت الذي كان يختفي فيه كاظم صبي ومعه عبد عيسى حبيان، وعلي عيسى حبيان، ثم خرج الجلاوزة كما دخلوا، وهم يقولون: لا يوجد أحد. في حين أنهم كانوا فعلاً في الدار. وبعد ظهر هذا اليوم جاءني أسود شيرعلي يطلب حضوري أمام حميد خان فذهبت معه إليه، وكان في خيمة منصوبة في الميدان قرب البلدية. ولم رآني كتب تذكرة وسلمها إلى من أخذني معه إلى خان عطية، حيث وجدت أمامي كلاً من كردي بن عطية وعلوان الرماحي وكانا مختفيين فألقي القبض عليهما في ذلك الصباح. وكان في الخان أيضاً تومان عدوة ولم يكن من المختفين، كذلك أنا لم أختف. وبعد ساعة أخذونا إلى الكوفة واحتجزونا في خان الشيخ علي نصر الله (خان بيت شلاش) الذي كان فيه جميع المحتجزين، بما فيهم المطلوبون للمحاكمة. وبعد سبعة أيام على ما أتذكر، سفرنا إلى بغداد ومنها إلى=

اليوم الثاني والأربعون

الأثنين ١٧ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢٩ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: أُلقي القبض على عبد بن يوسف أبو شبع، وخليل أبو شبع، وحسيني الصراف.

وفيه سلّمت للسلطة وجبة ثانية من بنادق الغرامة تقدر بحوالي المائة بندقية بالية.

اليوم الثالث والأربعون

١٨ رجب ١٣٣٦هـ/ ٣٠ نيسان ١٩١٨م.

وفيه: قام المجاهد الكبير الشيخ محمد جواد الجزائري بتسليم نفسه ضحوة للسلطة مشيّعاً بحسرات العلماء وجميع النجفيين، حيث تجمهروا حوله معولين وهو ذاهب إلى مقر الحاكم السياسي، بعد أن فشلت جهود جميع العلماء وشفاعتهم، ليتركوه إلى أن تتضح إدانته.

ضربت لجان التفتيش رقماً قياسياً هذا اليوم في عدد من أُلقي القبض عليهم، فقد بلغ عددهم حوالي الثلاثين شخصاً: «خمسة عشر من محلة العمارة، وخمسة عشر من بقية المحلات، وربما كان أكثرهم من غير الثائرين، ولكن أغراض الرؤساء الموالين لعبت دورها، ومن بين من أُلقي القبض عليهم هذا اليوم: شنّون المعمار، وحساني، ومجيد ولدي الحاج عبود المختار، وحبيب أبو الجاموس، وحلوس بن محمد الصبار، وعطية العينتاكي.

وفي غروب هذا اليوم ألقي القبض على كريم الحاج سعد في أحد الدور الواقعة في سوق القاضي، فخف الألوف لمشاهدته وإظهار الحسرة عليه، وعندما تسلمه الانكليز أوجعوه ضرباً ولكماً، حتى كاد أن يغمى عليه. ويقول المرحوم الشبيبي: إن مطلك المعمار الذي أُلقي القبض على كريم قد كوفيء بألف وخمسمائة ربية.

وفي عصر هذا اليوم سلمت للسلطة حوالي الخمسين بندقية من الغرامات، فكان مجموع ما جرى تسليمه من البنادق حوالي الثلاثمائة وخمسين بندقية.

البصرة حيث ألبسونا لباس الجندي التركي لإخفاء هويتنا النجفية وسفرونا إلى «سمربور» في الهند.

اليوم الرابع والأربعون

الأربعاء ١٩ رجب ١٣٣٦هـ/ ١ مايس ١٩١٨م.

وفيه: أُلقي القبض صباحاً على حسين كربلائي من أنسباء كاظم صبي، وعلى محمد بن مطر العكايشي.

وفيه امتنع الانكليز عن إعطاء جوازات بالخروج من النجف دون إعطاء أسباب ضرورية لذلك.

وفي هذا اليوم عيّن الإنكليز أربعة من الخبازين وزودوهم بما يلزم من الحنطة والحطب، فانخفضت أسعار الحبوب انخفاضاً ملحوظاً.

وفيه أُذن للسيد عباس الكليتدار بفتح المشهد العلوي، فدخله الناس باكين معولين، وقد مرّ على إقفاله نيف وأربعون يوماً.

وفي عصر هذا اليوم وصلت الكوفة باخرتان إحداهما حربية والأُخرى باخرة مستشفى حمل عليها من الشنافية عطية أبوكلل حيث كان قد سلّم نفسه هناك بعد أن ضايقه بدو عنزة من أعوان الانكليز في البادية. وكان تسليمه من منتصف شهر رجب ١٣٣٦هـ.

اليوم الخامس والأربعون

الخميس ٢٠ رجب ١٣٣٦هـ/ ٢ مايس ١٩١٨م.

وفيه: أُلقي القبض على عدد من النجفيين المطلوبين، ومنهم: حميد أبو السبزي، وعبد الله الرويشدي، ومحمد علي وهب، وعبد الله بن نجم، ومتعب بن صكبان بقر الشام، وعرّاك الشمرتي، وابن أبي جحيفة من رماحية البراق.

وفيه توقف الخبازون عن توزيع الخبز فتظاهر الفقراء رجالاً ونساءً في الميدان أمام الباب الكبيرة.

لا يزال التفتيش ـ منذ تغلّب الانكليز ـ جارياً عن الميرزا عباس الخليلي، والشيخ محمد علي الدمشقي، وقد فتشت دور آل الخليلي مراراً، وكذلك المدرسة التي يقيم فيها. وفي هذا اليوم شدد كثيراً في التفتيش عنهما دون جدوى.

أُنزل عطية أبوكلل في صباح هذا اليوم من الباخرة بعد أن بات ليلته فيها وسلّم إلى السلطة في خان بيت شلاش والقيد الخفيف في يديه ورجليه.

وفي ضحى هذا اليوم جرى تسفير الوجبة الأولى من الذين تقرر نفيهم إلى الهند. وكانت هذه الوجبة تتكون من أربعة وسبعين شخصاً، منهم:

آل أبي شبع وعلى رأسهم محمد.

وآل كلل وعلى رأسهم كردي، وحاكم، والحاج حسين.

وآل الحار.

ومحمد مطر.

وأولاد ثالثة.

والسيد جعفر الصائغ.

وعبد الرزاق عدوة، وتومان عدوة.

والسيد جبر الحداد.

ومغيض الحاج سعد، ومحسن الحاج سعد.

والشيخ إبراهيم الكاشي.

وآل كرماشة، بما فيهم كريم، ورشيد.

ثم طماطة بن سعيدان.

وفي هذ اليوم أُعدم في كري سعدة: كاظم بن مهدي البستنچي، وهو نجفي من شرطة أبي صخير، ممن ثاروا على الانكليز هناك عندما ثارت النجف على الانكليز في المرة الأولى.

اليوم السادس والأربعون

الجمعة ٢١ رجب ١٣٣٦هـ/ ٣ مايس ١٩١٨م.

وفيه: عمّت النجف موجة من الحزن في أثر تسرّب نبأ تسليم عطية أبوكلل وانتشاره بين الناس.

كما عمّت موجة من السخط على أولئك النجفيين الموالين الذين تسببوا في غلبة الانكليز.

وفيه ألقى رجال التفتيش القبض على خمسة من النكرات وسلّموهم إلى السلطة.

اعلان شروط التسليم في النجف - خان عطية

رفع الحصار

اليوم السابع والأربعون

السبت ٢٢ رجب ١٣٣٦هـ/ ٤ مايس ١٩١٨م.

بعد أن تم للسلطات العسكرية البريطانية القبض على المطلوبين من قبلها كافة، وبعد أن تم تسفير الأشخاص الذين لم تتوفر لديهم الأدلّة المقنعة لمحاكمتهم، قررت رفع الحصار.

ففي الساعة الثامنة غروبية بعد الظهر (حوالي الساعة الثانية بعد الظهر) حضر الكابتن بلفور إلى النجف وأوعز بإزالة بعض الأسلاك الشائكة في الميدان إيذاناً بفك الحصار، ومثل ذلك فعلوا في الثلمة والباب الصغيرة (باب السقائين)، فاستبشر الناس وعمّت الأفراح، بعد حصار دام ستة وأربعين يوماً لم يشهد مثلها تأريخ هذه المدينة المقدسة، وكان الإنكليز قبل ذلك ببضعة أيام قد مهّدوا لفك الحصار برفع كثير من الأسلاك ونقل كثير من الحاميات من مكان إلى مكان.

وفي هذا اليوم أُلقي القبض على عزيز الأعسم وسلّم للسلطة.

وبهذا الصدد نشرت جريدة العرب ما يلي:

«قد أصبح جميع زعماء المتمردين وقتلة الكابتن مارشال في قبضة الحكومة، ما عدا بعض أشخاص قليلين لا يعتد بهم... وقد سلّم أيضاً إلينا أكثر من مائة رجل اشتركوا في الشغب. وستجمع في الوقت اللازم البنادق والغرامة التي فرضت على المدينة ومبلغها ٥٠,٠٠٠ ربية من المسؤولين، ونظراً إلى معروضات المجتهد الأعظم السيد محمد كاظم اليزدي بالنيابة عن الزوّار والفقراء، والطلاب، فقد قرر حضرة قائد الجيش العام أن لا يثابر على الحصار إلى أن تسلّم البنادق والنقود بأسرها، بل أنه أمر أن يرفع الحصار. وقد أرسل اليوم خمسون!! طناً من الحنطة إلى المدينة طعاماً للأهالي»[1].

---

(١) جريدة العرب، العدد ١٠٨ من المجلد الثاني بتاريخ ٧ مايس ١٩١٨.
أما موبرلي فإنه يقول عن فك الحصار: «وفي ٤ مايس كل المطلوبين المهمين قد سلموا وفك الحصار». «Moberly». انظر: ثورة النجف للأسدي ص٣٣١.
وقال السر ارنولد ولسن: «وفي الرابع من مايس سلم جميع الرجال المهمين الذين طلبنا ورفع =

وفي اليوم التالي نشرت جريدة العرب:

«نبشر العموم أن الحصار قد رفع عن النجف الأشرف يوم السبت الموافق ٤ من الشهر الحالي بعد أن دام نطاقه عليها شهراً ونصفاً. . . »[1].

وهكذا انتهى الحصار في النجف وتواردت عليها الأطعمة من كل مكان وقد انتشر في أعقاب ذلك، كثير من النجفيين في المدن المجاورة، لترويح النفس والترفيه عنها.

الأحد ٢٣ رجب ١٣٣٦هـ/ ٥ مايس ١٩١٨م.

في الوقت الذي انتهى فيه الحصار، بدأت محاكمة المقبوض عليهم من النجفيين المطلوبين للمحاكمة، حيث عقدت في هذا اليوم محكمة عسكرية في الكوفة في دار بلفور على النهر في شمال الكوفة، ومنذ إلقاء القبض على أول واحد من المطلوبين بدأ التحقيق العنيف، وبخاصة مع بعضهم إلى أن تشكلت المحكمة العسكرية برئاسة الكولونيل لجمن عندما تم استسلام جميع المطلوبين المهمين وبدأت المحاكمات، وقد امتد التحقيق والمحاكمات الصورية إلى يوم ٢٥ مايس ١٩١٨، وقد لعبت فيها أحقاد بلفور وبعض النجفيين الموالين دوراً هاماً في النتائج التي انتهت إليها، حيث لم يحكم بالأعدام من المشتركين بقتل مارشال سوى أربعة هم: الحاج نجم البقال، ومحسن أبو غنيم ـ القاتلان الفعليان ـ ومجيد دعيبل، وجودي ناجي من المشاركين في الهجوم على الخان.

أما السبعة الباقون المنفذ فيهم حكم الاعدام أيضاً، فلم يكونوا من المشاركين ولا من المحرضين.

ففي يوم ٢٥ نيسان صدر الحكم على ثلاثة عشر ثائراً بالأعدام:

أحدهم كان الحكم عليه غيابياً وقد أفلت من الموت وهرب إلى إيران، هو الميرزا عباس الخليلي.

كما بدل حكم الإعدام على آخر هو السيد محمد علي بحر العلوم، بالسجن

= الحصار». «Wilson, Loyalties, Vol. 2.».

وقالت المس بيل: «وفي ١ مايس ١٩١٨ كان ١٠٢ شخصا من المطلوبين البالغ عددهم ١١٠ في قبضة الانكليز. وفي ٤ مايس رفع الحصار عن النجف». «فصول من تاريخ العراق القريب».

(١) جريدة العرب العدد ١٠٩ من المجلد الثاني بتاريخ ٨ مايس ١٩١٨.

المؤيد.

ونفذ الحكم بالباقين[1].

عدا هؤلاء حكمت المحكمة العسكرية بالسجن لمدد مختلفة على تسعة آخرين. وأما بقية المحتجزين، ويبلغ عددهم حوالي الثمانين ثائراً فقد حكم عليهم بالنفي خارج العراق كأسرى حرب.

أما الشيخ محمد جواد الجزائري، فقد غادر النجف مخفوراً في الرابع عشر من رجب ١٣٣٦، بعد انتهاء ثورتها إلى بغداد، حيث حوكم هناك أمام مجلس عرفي عقد له في سجن أم العظام وحكم عليه بالإعدام، ولكن بمساعي الشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ خزعل وغيرهما أبدل حكم الأعدام باعتقاله في معسكر الشعيبة مدة طويلة، ثم أُبعد إلى المحمرة لاعتقاله هناك عند الشيخ خزعل. وقد بلغت مدّة اعتقاله كلها سنة وعشرة أشهر، أُطلق سراحه بعدها[2].

وأما الذين حكم عليهم بالنفي إلى خارج العراق فقد كان خمسة وستون منهم، قد كمل التحقيق معهم في السادس عشر من مايس ١٩١٨ فسفروا كوجبة أولى إلى بغداد ليمكثوا فيها إلى أن يلتحق بهم المنفيون الآخرون فيجري تسفيرهم سوية إلى الهند، وكان سبب الاستعجال في تسفير هؤلاء إلى بغداد قبل أن يكتمل عددهم، هو إن أحدهم وهو شمران العامري، طلب من حارسه الإنكليزي أن يذهب به للخلاء، وكانوا يقضون حاجتهم على جرف النهر، حيث يقع الخان المحتجزون فيه على شارع النهر في الكوفة. فأخرجه الحارس، وهو مكبّل بالحديد، واتجه به عبر الشارع إلى جرف النهر،

---

(١) يقول الأستاذ حسن الأسدي في «ثورة النجف» ص٣٣٢: «هذا ما هو شائع، أما ما نعتقد فإن المحكومين بالإعدام هم من نفذ فيهم فقط، وقد أعلمني الأستاذ ضياء الدين بحر العلوم عن والده محمد علي بحر العلوم أنه بعد أن حكم عليه بالأعدام في الكوفة، تدخل الشيخ محمد تقي الشيرازي فأبدل حكم الأعدام بالنفي ونقل إلى بغداد ليقيم فيها تحت رقابة الجيش حوالي الشهر في بيت أصفر في رأس القرية، ثم أرسل إلى المحمرة، ليقيم إقامة إجبارية عند الشيخ خزعل في قصر الفيلية حيث مكث حوالي الخمسة عشر شهراً أُطلق سراحه بعدها عند صدور العفو العام.

(٢) يعلّق الأستاذ حسن الأسدي بنفس المصدر ص٣٣٣ ما نصّه: «هذا ما اخبرني به الشيخ عز الدين، ولم أقف على أصل مذكرات والده. حيث اطلعني نجله على ما يشبه المذكرات مكتوبة بخط الشيخ عز الدين نفسه».

وفي يده إبريق. ولما بلغ العامري النهر وقضى حاجته ملأ الإبريق وهوى به على رأس الحارس، ثم رمى بنفسه في النهر وراح يعوم فيه حتى عبره، وهناك وجد من كسر له القيد الذي في رجله فلاذ بالفرار، حيث اختفى إلى ما بعد الثورة العراقية وشمله العفو العام الذي أصدرته الحكومة البريطانية في ٣٠ أيار ١٩٢١م.

أما الحارس الإنكليزي فإنه عندما أفاق من إغماءته أخبر مراجعه المختصة فشددوا النكير على المحتجزين وسفّروا من كمل التحقيق معهم إلى بغداد، كوجبة أُولى، قبل أن يتم التحقيق مع الباقين وهم قليلون، ويقال: إن الحارس أُعدم حالاً رمياً بالرصاص بعد إخباره المراجع مباشرة.

بدأ الإنكليز بهدم كل البيوت الملاصقة للسور إكمالاً لما بدأوه. حيث قرر الإنكليز، بالنظر لما علموه من ستراتيجية النجف، وجوب هدم سورها، وتمهيداً لذلك بدأوا بهدم الدور الملاصقة له.

بدأت محاكمة المطلوبين للمحاكمة الذين تم إلقاء القبض عليهم، وكانت محاكمة صورية سريعة يراد بها التخلّص من العناصر القوية التي لا تخضع للسلطة في كل عهد، وقد التقت في ذلك مصلحة الإنكليز ومصلحة الرؤساء الموالين، حيث لا تستتب لهم سلطة بوجودهم، فانتهزوا فرصة هذ الحادث وراحوا يزيلون جميع العقبات من طريقهم.

الإثنين ٢٤ رجب ١٣٣٦هـ/ ٦ مايس ١٩١٨م.

وفيه: جعل الناس يتذمرون من سوء معاملة الرؤساء المحتجزين عند محاكمتهم، وبخاصة سعد الحاج راضي، الرجل العجوز الذي لا يحتمل أية قساوة لئيمة. وقد استمر هذا التذمر طوال أيام المحاكمة.

وفي عصر هذا اليوم هبّت زوبعة هائلة من شمال غرب النجف مصحوبة بمطر غزير من غيوم واطئة كأنها تلامس السطوح وأنت تنظر إليها من بعيد، الأمر الذي لم يسبق له مثيل، ومن شدّتها رفعت سقف سوق المشراق.

وعند مرورها بالكوفة سقط سقف سوق الخلخالي فقتل وجرح عدة أشخاص، وسقط نخل كثير وغرقت سفن كانت راسية أو مارة في النهر، كما سقط كثير من شرفات المنازل والجدران في النجف والكوفة.

الثلاثاء ٢٥ رجب ١٣٣٦هـ/ ٧ مايس ١٩١٨م.

وفيه: كان الجيش نشطاً جداً وكانت وسائط نقله بين النجف والكوفة مستمرة الحركة، مما زاد في إسراع النجفيين للخروج من النجف خشية حصول ما يحول دون ذلك. ولم يحصل شيء ذي بال في هذا اليوم سوى تذمّر الناس من سوء معاملة المحتجزين الذين تجري محاكمتهم في الكوفة، الأمر الذي كان يلعب دوره الفعال في إلهاب حماس الناس ضد الإنكليز فيخرجون من النجف إلى مختلف أنحاء العراق، وبخاصة الجهة الجنوبية منه، فيقصون عليهم قصة هؤلاء الكفرة الذين جاءوهم من وراء البحار لينتقموا من الإسلام والمسلمين، فإنهم لم يتخلصوا من الأتراك الظلمة إلاّ ليبتلوا بمن هم أدهى وأمرّ. وهكذا أصبح النجفيون الخارجون من النجف أبواق دعاية سيئة ضد الإنكليز في كل مكان، ولذلك كان الإنكليز يحملون لهم أسوأ الانطباعات ويعاملونهم أقسى المعاملات، ولا يخفي الإنكليز حقيقة كرههم للنجفيين في كل مناسبة من المناسبات وقد استمروا يعاملون النجف والنجفيين بروح الحقد والانتقام طوال بقائهم في العراق.

الأربعاء ٢٦ رجب ١٣٣٦/ ٨ مايس ١٩١٨م.

وفيه: ظهرت للناس أسباب نشاط الجيش في اليوم السابق، حيث اندفع الجيش هذا اليوم منذ الصباح لتحصين الجبل الشرقي المشرف على كري الشيخ وأخذوا مواقعهم عليه، كما لوكانوا ينتظرون حدثاً كبيراً، والظاهر أنه بلغهم بأن العشائر تستعد للهجوم على الإنكليز في النجف وفك الحصار، الأمر الذي زاد في اضطراب النجفيين غير المحاربين فراحوا يستعجلون في الخروج إلى الكوفة بكل صورة من الصور.

الخميس ٢٧ رجب ١٣٣٦هـ/ ٩ مايس ١٩١٨م.

وفيه: قام الجيش بنسف عدد من المدابغ والدور المجاورة للخان، فخيّم الوجوم على وجوه الناس، وزاد تخوفهم من هؤلاء المستهترين بحقوق الناس وأموالهم في مستقبل حياتهم معهم، فكيف سيعيش الناس مع مثل هؤلاء الكفرة الطغاة الذين لا يرعون للاسلام والمسلمين إلاّ ولاذمة، وقد بدأ العلماء المتحررون يتحسسون بمخاوف الناس من مستقبلهم المظلم، هذه المخاوف التي كانت تنعكس تدريجياً إلى الخارج كلما خرج نجفي من المدينة.

الجمعة ٢٨ رجب ١٣٣٦هـ/ ١٠ مايس ١٩١٨م.

وفيه: استمر وجوم الناس من حركات الأمس في الهدم وهدر الحقوق دونما أي مبرّر معقول، وقد راجع بعض من هدمت مبانيهم، راجعوا العلماء والناس تشيّعهم بنظرات التأييد لهم والاستنكار لما يقوم به المغتصب الجديد، وقد تعالت ولولة الناس.

السبت ٢٩ رجب ١٣٣٦هـ/ ١١ مايس ١٩١٨م.

وفيه: وصلت بعض الجنائز المودعة في الخارج بسبب الحصار، فوجد أصحابها الولولة على أفواه الناس وهم يتذمّرون بمرارة من سلوك هؤلاء الكفرة، وقد عادوا إلى مدنهم يحملون صوراً سيئة مظلمة لهؤلاء المحتلين الظالمين.

الأحد ١ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٢ مايس ١٩١٨م.

وفيه: استدعى الكابتن بلفور السيد محمد علي بحر العلوم وأبلغه بأنه مطلوب من قبل الحكومة في بغداد. عند ذلك أُرسل مخفوراً إلى الكوفة ومنها إلى بغداد، ثم قاموا بنفس اليوم بتفتيش بيته والاستيلاء على جميع أوراقه والمعروف أن السيد محمد علي بحر العلوم له صلة بالأتراك.

الاثنين ٢ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٣ مايس ١٩١٨م.

وفيه: خرج السيد اليزدي إلى الكوفة لأول مرّة بعد الثورة[1].

وخرج أيضاً الشيخ فتح الله الاصفهاني (شيخ الشريعة) المجتهد الكبير[2].

---

(١) وكان السيد محمد كاظم اليزدي قد رفض طلب الإنكليز بمغادرة النجف، بعد أن شددوا الحصار عليها وأذاقوا أهلها ضروب العذاب والاضطهاد، فانتهز فرصة رفع هذا الحصار الآن وانتقل إلى الكوفة، كما انتقل إليها شيخ الشريعة وغيره من العلماء والأعلام الذين أبت مروءتهم إلا أن يشاطروا الأهلين آلام الحصار والعذاب. «ثورة النجف للحسني ص٨٥».

(٢) جاء في مذكرات الإمام كاشف الغطاء ص٣٩١:

إن الإنكليز «.. صاروا يفتشون كل من يخرج من النجف، سيما من المعممين خوفاً أن يكون معه كتب الدعوات لتحريض العشائر على الثورة والانتقام للنجفيين من الدولة المحتلة، وكان ممن وجدوا معه شيئاً من هذا القبيل الشيخ أحمد أحد أولاد المرحوم الأستاذ محمد كاظم الخراساني، فأخذوه إلى الجسر [الكوفة] وحاكموه في جلسة أو جلستين وأوشكوا أن يحكموا عليه بالاعدام، فتوسطنا إلى قائد الحملة بلفور وبلغناه أيضاً شفاعة السيد فيه، فلم يجد بداً من إطلاقه، ولولا ذلك لكان من المشنوقين.

وكذلك تشفعنا في أشخاص كثيرين فأطلقوا... إن سياسة تلك الدولة الغاشمة تقضي عليهم =

وفي هذا اليوم وصل النجف أغا تقي النواب، حيث عيّن معاوناً للحاكم السياسي بدل حميد خان الذي أُجيز وسافر إلى الهند للاستجمام والاستراحة بعد حوادث الثورة النجفية.

كما وصلها أيضاً المستر وينكت الذي عيّن حاكماً سياسياً بالوكالة مدّة غياب الكابتن بلفور في إجازته؛ على أن لا يغادر النجف كل من بلفور وحميد خان المجازين إلاّ بعد انتهاء محاكمة الثوار.

وقد جعل المستر وينكت ينظم الدوائر الرسمية أو يعيد تنظيمها لاعادة فتحها، وفي مقدمتها بلدية النجف، غير أن النجفيين إمتنعوا لمدة غير قصيرة عن مراجعة هذه الدوائر.

الثلاثاء ٣ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٤ مايس ١٩١٨م.

وفيه: قام الكابتن بلفور بصحبه المستر وينكت، بجولة داخل النجف وخارجها لاطلاعه على بعض ما يهمه الاطلاع عليه. وبعد عودتهما أذاعا منشوراً في كل من النجف والكوفة وأبي صخير يطلبان فيه أن يقوم كل من لديه سلاح بتسليمه إلى السلطة، وإلاّ فالعقوبة الإعدام. وحُدِّد آخر مايس لانتهاء التسليم، ولكن لم يتقدم أحد إلاّ ما ندر.

الأربعاء ٤ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٥ مايس ١٩١٨م.

وفيه: قام الكابتن بلفور يصحبه المستر وينكت، بزيارة بعض البيوت النجفية الموالية لتعريفه على بعض رجالات النجف ممن يهمه أمرهم في إدارة المدينة.

الخميس ٥ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٦ مايس ١٩١٨م.

وفيه: أعاد الانكليز بواسطة الموالين إذاعة المنشور الخاص بتسليم الأسلحة طالبين أن يلقى السلاح ليلاً في الأزقة ليجمع صباحاً من قبل الشرطة، وقد ألقى بعض الناس بعض ما لديهم من الأسلحة القديمة البالية.

وفي هذا اليوم تم على استعجال تسفير الوجبة الأولى من المحتجزين إلى بغداد.

بمجاملة الروحانيين، وعدم إثارة غضبهم تمكناً من وقاية نفوس كثيرة من الإعدام، وحفظ أموال غزيرة من المصادرة».

فأحضرت العدد الكافي من الزوارق البخارية، وشرعت في نقل المعتقلين من زنزاناتهم في خان الحاج محسن شلاش بالكوفة إلى هذه الزوارق تباعاً، وهم في حالة يرثى لها، وقد صفّدوا بالأصفاد والقيود الحديدية.

وازدحم الناس على الشريعة لتوديع المنفيين، وكان بكاء النساء وعويلهنّ يشقان عنان الفضاء، لكن النجفيين كانوا يتجلّدون، وقد شتموا المتفرجين وعيّروهم، وسلقوهم بألسنةٍ حداد.

ثم توجهت هذه البواخر إلى قصبة «المسيب» يخفرها زورق حربي، وهناك أنزلوهم في بستان على ضفة النهر اليسرى، تحيط بها الأسلاك الشائكة، ويحرسها جنود بريطانيون.

وبعد مضي ثلاثة أيام، أحضرت سيارات لوري عسكرية لحمل هؤلاء المعتقلين إلى «المحمودية» وهم مكبّلون بالسلاسل والأغلال، ومن «المحمودية» أركبوهم في شاحنات القطار المقفلة إلى ضاحية «أم العظام» في «كرادة مريم» فلبثوا فيها سبعة أيام، حيث أُحضرت لهم باخرة عسكرية نقلتهم إلى «العمارة» ومنها بشاحنات القطار إلى «البصرة» حيث كانت في انتظارهم باخرة حربية متوجهة إلى «الهند» وعليها عدد كبير من الأسرى الأتراك، فحشروهم في هذه الباخرة بعد أن صفدوهم بالقيود والأغلال.

ولما بلغت الباخرة ميناء «بومبي» نقلوهم بالقطار إلى منافيهم في «سمرپور» شمالي الهند، فلبثوا فيها إلى نهاية الحرب العالمية الأولى (حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨م) وأعلان الهدنة، فأعيدوا بالبواخر العادية إلى «البصرة» فلبثوا فيها مدة كُلِّف كل معتقل خلالها أن يقدّم كفالة مطوّبة بمبلغ من المال، وسمح له بالعودة إلى «النجف الأشرف»[1].

قائمة بأسماء المنفيين:

١ ـ السيد محمد علي بحر العلوم
٢ ـ الشيخ محمد جواد الجزائري
٣ ـ السيد إبراهيم بن السيد باقر البهبهاني
٤ ـ الحاج سعد الحاج راضي
٥ ـ راضي الحاج سعد راضي
٦ ـ مغيض الحاج سعد راضي
٧ ـ عيدان الحاج سعد راضي
٨ ـ الحاج عطية أبوكلل

---

(١) ثورة النجف للحسني ص١٠٣ ـ ١٠٥.

٩ ـ كردي بن الحاج عطية أبوگلل
١٠ ـ جاسم أبوگلل
١١ ـ الحاج حسين أبوگلل
١٢ ـ حسن حاجي أبوگلل
١١ ـ كريم أبوگلل
١٤ ـ حسيني الصراف
١٥ ـ أحمد الصراف
١٦ ـ عزيز الأعسم
١٧ ـ محمد مطر العكايشي
١٨ ـ زاير العكايشي
١٩ ـ عطية العكايشي
٢٠ ـ طلال العكايشي
٢١ ـ حسن علوان العكايشي
٢٢ ـ خطار العبد العكايشي
٢٣ ـ محمد آل جبر العامري
٢٤ ـ نجم العبود العامري
٢٥ ـ هادي أبو شبع
٢٦ ـ عباس حسن أبو شبع
٢٧ ـ الحاج محمد أبو شبع
٢٨ ـ خليل أبو شبع
٢٩ ـ عبود يوسف أبو شبع
٣٠ ـ غازي طوبة
٣١ ـ صالح كرماشة
٣٢ ـ كريم كرماشة
٣٣ ـ مجيد كرماشة
٣٤ ـ غني كرماشة
٣٥ ـ مجيد طالب
٣٦ ـ عبد الله الرازقي
٣٧ ـ ياسين الرازقي
٣٨ ـ عبد الرزاق الرازقي
٣٩ ـ جدوع الرازقي
٤٠ ـ عبد الرزاق عدوة
٤١ ـ تومان غيدان عدوة
٤٢ ـ حتروش عدوة
٤٣ ـ مسلط حبيب الحار
٤٤ ـ حمود الحار
٤٥ ـ مهدي حبيب الحار
٤٦ ـ سعيد حبيب الحار
٤٧ ـ عبد عيسى حبيبان
٤٨ ـ علي عيسى حبيبان
٤٩ ـ عطية صبّي
٥٠ ـ سلمان صبّي
٥١ ـ حامض صبّي
٥٢ ـ تومان بقر الشام
٥٣ ـ فنجان بقر الشام
٥٤ ـ متعب بقر الشام
٥٥ ـ حسين بقر الشام
٥٦ ـ علي الحاج حسين الصنم
٥٧ ـ محمد الحاج حسين الصنم
٥٨ ـ الحاج رديف ثالثة
٥٩ ـ محمد الحاج مهدي ثالثة
٦٠ ـ السيد هادي السلطاني

٦١ ـ خضير عباس البهّاش
٦٢ ـ محمود وهاب البهّاش
٦٣ ـ عبد الكريم وهاب البهّاش
٦٤ ـ حسن گصراوي البهّاش
٦٥ ـ سويدان گصراوي
٦٦ ـ حميد آل صگر
٦٧ ـ جواد مطرقانة
٦٨ ـ حسوني العلوان
٦٩ ـ عبود عبد الكريم جيلاوي
٧٠ ـ مطشر الرماحي
٧١ ـ حنتوش الرماحي
٧٢ ـ حسون أبو جحيفة
٧٣ ـ حساني المختار
٧٤ ـ مجيد المختار
٧٥ ـ طماطة سعيدان
٧٦ ـ حسون بادرنك
٧٧ ـ شعلان أبو نصيحة
٧٨ ـ السيد أحمد العذاري
٧٩ ـ مسلم الدريعي
٨٠ ـ مهدي الدريعي
٨١ ـ ناصر آل حسون
٨٢ ـ حسن نجم الشمرتي
٨٣ ـ محمد حسن الشمرتي
٨٤ ـ عراك عزيز كور الشمرتي
٨٥ ـ كاظم عزيز كور الشمرتي
٨٦ ـ حسين علي كور الشمرتي
٨٧ ـ قلوم ملكي
٨٨ ـ عمران جبرين
٨٩ ـ جبر جبرين
٩٠ ـ جاسم جبرين
٩١ ـ السيد مهدي دخيل
٩٢ ـ محمد حطبان
٩٣ ـ سلطان حمادي شبيب
٩٤ ـ عبد الله الرويشدي
٩٥ ـ إبراهيم الرويشدي
٩٦ ـ مجيد عرب
٩٧ ـ الحاج مهدي الخباز
٩٨ ـ محمود الحاج حمود
٩٩ ـ جاسم بن السيد محمد علي طبار الهوا
١٠٠ ـ حلوس محمد الصبار
١٠١ ـ حميد أبو السبزي
١٠٢ ـ علوان إدليهم الفتلاوي
١٠٣ ـ علي جوزة
١٠٤ ـ السيد سلمان الفحام
١٠٥ ـ السيد جبر الفحام
١٠٦ ـ عزيز الحارس
١٠٧ ـ الحاج وادي العبد
١٠٨ ـ عبد الله سابوح
١٠٩ ـ إبراهيم المؤمن
١١٠ ـ بشير العبد
١١١ ـ عبد حميمة النداف
١١٢ ـ عبود صخيلة

١١٣ ـ عبود نورية

١١٤ ـ إبراهيم جريان

١١٥ ـ علوان الملا علي

١١٦ ـ طنوس آل علي

١١٧ ـ عباس عجمي

١١٨ ـ مجيد عزوز

١١٩ ـ الحاج حبيب أبو الجاموس

١٢٠ ـ السيد سلمان الحجار

١٢١ ـ حسن شاهين

١٢٢ ـ السيد جعفر الصائغ

الجمعة ٦ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٧ مايس ١٩١٨م.

وفيه: استمر الموالون وأعوانهم على إذاعة مضمون المنشور بين الناس وتهويل العقوبات المترتبة على عدم تسليم السلاح.

وفي المساء ألقى بعض الناس أيضاً قليلاً من الأسلحة البالية، لأن النجفي يومذاك لا يمكن أن يبقى بدون سلاح لما تتطلبه ظروف حياته داخل النجف وخارجها.

السبت ٧ شعبان ١١٣٦هـ/ ١٨ مايس ١٩١٨م.

وفيه: استمر الانكليز في التشديد على وجوب تسليم الأسلحة الموجودة لدى النجفيين، أو إلقائها ليلاً في الأزقة. وقد نشروا أعوانهم بين الناس يرجفون بما يخيفهم ويحملهم على تسليم الأسلحة. ولكن النجفيين لم يرموا سوى الخناجر والقامات والسيوف والبنادق القديمة البالية، غير أن الانكليز لم يكتفوا بها وطالبوا بتسليم الأسلحة الجديدة.

الأحد ٨ شعبان ١٣٣٦هـ/ ١٩ مايس ١٩١٨م.

وفيه: ألقى النجفيون بعض الأسلحة الجديدة الصالحة بالنظر لضغط الانكليز الشديد على الموالين، وربما كان الموالون أنفسهم قد ألقوا هذه الأسلحة.

الأثنين ٩ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٠ مايس ١٩١٨م.

وفيه: بدأت محاكمة محمد علي بحر العلوم حيث جيء به من الحلة إلى الكوفة وفي ساقيه قيد خفيف.

الثلاثاء ١٠ شعبان ١١٣٦هـ/ ٢١ مايس ١٩١٨م.

لم يحدث فيه ما يستحق الذكر سوى استمرار الموالين على حثّ الناس لتسليم الأسلحة.

الأربعاء ١١ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٢ مايس ١٩١٨م.

وفيه: اندفع الموالون جماعات وأفراداً في الشوارع والأزقة يطرقون الأبواب على الناس ويحضونهم على تسليم السلاح.

الخميس ١٢ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٣ مايس ١٩١٨م.

وفيه: عين الكابتن «كرين هاوس» معاوناً للحاكم السياسي في النجف خلفاً للكابتن مارشال القتيل[1]. وبعد أن صدر أمره في بغداد سافر تواً إلى النجف وحلّ في خان عطية، أي في نفس المقر الذي قتل فيه مارشال، وبوصوله انتظمت أعمال الحكومة في النجف نسبياً، حيث بدأ «كرين هاوس» منذ وصوله بتنظيم دوائر السراي في الخان وجلب الموظفين، وراح يستقبل الناس من الموالين وغيرهم، وقد اتخذت احتياطات كثيرة لمحافظته[2].

الجمعة ١٣ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٤ مايس ١٩١٨م.

وفيه: ظهر شي من الاطمئنان على نفوس الناس بسبب عودة الحكومة إلى النجف وظهور شيء من النظام وحسن استقبال الموظفين للناس، الأمر الذي ازدادت معه نسبة تسليم الأسلحة من قبل النجفيين وإن كانت لا تزال من الإسلحة الاعتيادية البالية؛ بينما الإنكليز لا يريدون غير الأسلحة الجديدة.

السبت ١٤ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٥ مايس ١٩١٨م.

وفيه: كمل التحقيق وانتهت المحاكمات مع جميع المحتجزين وصدرت أحكام الإعدام والسجن والنفي كما تقدّم، فهاجت النجف وقامت قيامة النجفيين وغير

---

(١) Maj. Greenhous ث هو الحاكم البريطاني الذي خلف الكابتن مارشال.

ويقول أ. تي. ولسن: أنه جاء به من شوشتر بإيران ليخلف الحاكم القتيل في النجف، وقد تسلم منصبه في ٢٣ أيار ١٩١٨م أي بعد مقتل سلفه بشهرين وأربعة أيام. والمعروف عن الحاكم الجديد أنه كان فظاً شرساً، وكان إذا أراد الدخول إلى المدينة بعث بعض الجلاوزة لينادوا في الناس ليقفوا احتراماً للحاكم أثناء مروره اليومي. وكان النجفيون يتحملون هذه الإهانة ولسان حالهم يقول:

قالت الضفدع قولاً ... فسرته الحكماء

في فمي ماء وهل ينـ ... ـطق من في فيه ماء

(٢) يقول موبرلي: «وفي الثالث والعشرين من مايس، بعد فك الحصار عين الكابتن كرين هاوس معاون حاكم سياسي للنجف، وكان مركزه مماثلاً لمركز الكابتن مارشال. وقد وضع خارج السور فصيل من الجيش البريطاني» Moberly op. cit.

النجفيين. فكيف يمكن أن يعدم أحد عشر شخصاً تجاه قتل شخص واحد؛ فالشرع لا يجيز ذلك، وعلى هذا الأساس جرت مراجعات جريئة صاخبة من قبل جميع المدن العراقية تقريباً، وبخاصة من النجف وبغداد، لابدال حكم الإعدام[١].

كانت أحاديث الناس كلها حول أحكام الإعدام، وانتشرت النقمة عليها في جميع أنحاء العراق، فكان ذلك مصدر قلق للإنكليز، وسبّب كره لهم في جميع أنحاء القطر ومبعث حرج لمواقفهم السياسية في جميع البلاد الإسلامية الأمر الذي اضطر معه الإنكليز إلى تأجيل تنفيذ أحكام الإعدم للضغط الشديد الذي واجهوه في جميع الأوساط وفي مختلف أنحاء العراق، حيث انتشر الخبر بسرعة وبشكل عجيب. وقد أوشك أن يتم إبدال أحكام الإعدام بنتيجة الضغط المذكور، لولا إصرار الاستعماري الحاقد الشرس بلفور[٢].

الأحد ١٥ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٦ مايس ١٩١٨م.

وفيه: ظل الناس يلهجون بفداحة الظلم الذي تعرضت له النجف بإصدار حكم الإعدام على ثلاثة عشر لقتل واحد فقط؛ بالرغم من أن المباشرين للقتل هما اثنان ليس غير، وقد جرت مراجعات كثيرة من قبل أقارب المحكومين بالإعدام للعلماء وبعض الرؤساء الموالين، ولكن دون جدوى.

---

(١) مما أُشيع في حينه أن آل الحاج راضي - وقد حكم على ثلاثة منهم بالإعدام - قد طلبوا من المجتهد الأكبر السيد محمد كاظم اليزدي أن يصدر الفتوى بعدم جواز قتل أحد عشر بواحد، فلم يوافق وقال: «يجب تطهير النجف من المجرمين، فحاولوا قتله».

(٢) يقول ولسن: «اعقدت محكمة عسكرية في الكوفة لمحاكمة المجرمين، وقد انتهت المحاكمة بحكم أحد عشر منهم بالإعدام، وتسعة حكموا بمدد مختلفة من ست سنين إلى مدى الحياة، ومن بين أولئك المحكومين بالاعدام بعض الزعماء المهميّن في المدينة...» ثم يقول: «إن إعلان أحكام الإعدام كانت باعثاً على ورود سيل من الكتب والبرقيات من مختلف الجهات تحثني على نصح المرجع المختص بعدم تنفيذ عقوبة الإعدام إلاّ في الشخصين المشتركين فعلاً في قتل الكابتن مارشال، وإبدال العقوبة بالنسبة للآخرين. لأن الإسلام يحرم إعدام أكثر من واحد لقتل شخص واحد، كما إن رسل السادة والعلماء وصغار العلماء، جاءوا يستحثوننا على الرحمة، ويتنبأون بهيجان مفجع للرأي العام المتبرّم إذا نُفّذت جميع أحكام الإعدام.

أصر بلفور وهو المسؤول عن أمن المنطقة على عدم إبدال العقوبة؛ وأنا وافقت على رأيه، وكذلك فعل الجنرال مارشال، فنفذ حكم الاعدام في الأحد عشر صباح اليوم الخامس والعشرين من مايس ١٩١٨». Wilson loyalties, V01. 2.

في هذا اليوم جرت حركة ظاهرة للهدم والبناء خارج السور.

الأثنين ١٦ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٧ مايس ١٩١٨م.

وفيه: ما تزال النجف تعج بالشكوى من ظلم وطغيان هؤلاء الحكّام الكفرة الجدد، إذ يحكمون على ثلاثة عشر بالإعدام من أجل قتل واحد، وقد سافر في هذا اليوم عدد من وجوه النجفيين ورجال دينهم إلى بغداد لمراجعتها في هذا الشأن وبيان سوء مغبة الأمر.

الثلاثاء ١٧ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٨ مايس ١٩١٨م.

وفيه: أُشيع في النجف أن الحكومة الإنكليزية ستقوم بهدم بعض الدور داخل السور، وقد قويت الاشاعة أكثر عندما طلبت الحكومة عدداً من البنائين والعمال لهذا الغرض، غير أنه لم يظهر أثر لذلك في هذا اليوم.

الأربعاء ١٨ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٩ مايس ١٩١٨م.

وفيه: نادى منادي الحكومة بأن كل من لا يعرض ما عنده من الحبوب والدهن للبيع، ستفرض عليه غرامة قدرها مائة ليرة ذهب، وقد يعدم أيضاً.

كما نادى أيضاً بأن الحكومة قررت هدم جميع الدور المجاورة للسور ودعت أصحابها للحضور في سراي الحكومة للاتفاق على تقدير أثمانها، وقد صدر ذلك أيضاً بمنشور موقّع من قبل كرين هاوس وزع في كل مكان وألصق على الجدران، ويدخل في ضمن هذه الدور والبنايات خان الهنود الكبير والشيلان والبلدية القديمة.

وقد جرت عدة وساطات ومراجعات لاستثناء خان الهنود.

كما حصل خلاف بين السياسيين والعسكريين من الإنكليز حول هدم الشيلان.

لا تزال حركة الهدم والبناء مستمرة بشكل ملحوظ، وإلى جانبها حركة أُخرى في الجيش لا تنقطع طوال النهار قادمين رائحين.

في هذا اليوم جرى مزاد على أراضي الحاج سعد الحاج راضي، حيث استولت الحكومة عليها، فلم يشترها أحد سوى قطعة واحدة في حدود أبي صخير اشتراها آل براك بخمسة وأربعين ليرة.

وفي مساء هذا اليوم: «دعي إلى جسر الكوفة مشائخ النجف المودعون والمختارون ودعا الإنكليز قسماً من مشائخ عشائر الشامية، فحضر الجميع في جسر

الكوفة، وطلب الإنكليز أن يشهد أولئك شنق «المجرمين» يوم ١٩ شعبان قبل طلوع الشمس... وقد استحضر الإنكليز في جسر الكوفة باخرة مصفحة ومسلّحة رست تجاه الخان الذي أُعتقل فيه «المجرمون» ووجهوا مدافعهم إلى جهتي الشرق والغرب، وتحضر الجند في معاقلهم ولزموا متاريسهم ومنع الحرس اجتماع الناس، فكان السكون في جسر الكوفة مخيفاً لم يعهد له مثيل في العراق. وعاد الناس من جراء تلك الاستحضارات في قلق وخوف شديدين. وحقاً إن من يشاهد ذلك المشهد الحربي يعتقد أن الإنكليز صمموا على تخريب الجسر ـ أي مدينة الكوفة ـ لا سيما وأن اعداد تلك العدة كانت على حين غرة ولم يفهم الناس ماذا أراد الإنكليز من تلك الأعمال الفجائية، وما غربت شمس يوم الأربعاء حتى نصبت المشنقة في وسط الخان»[1].

الخميس ١٩ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٣٠ مايس ١٩١٨م.

وفي فجره وبمحضر من الرؤساء والزعماء المارّ ذكرهم، تم تنفيذ حكم الإعدام في أحد عشر نجفياً في خان بيت شلاش في الكوفة، وهو الخان الذي كان الثوار معتقلين فيه، وهم:

١ ـ كريم الحاج سعد.

٢ ـ أحمد الحاج سعد.

٣ ـ محسن الحاج سعد.

٤ ـ سعيد مملوك الحاج سعد.

٥ ـ كاظم صبّي.

٦ ـ محسن أبو غنيم.

٧ ـ عباس علي الرمّاحي.

٨ ـ علوان علي الرمّاحي.

٩ ـ الحاج نجم البقّال.

١٠ ـ جودي ناجي.

١١ ـ مجيد الحاج مهدي دعيبل.

---

(١) انظر: مذكرات الشبيبي ص٣٤٠ ـ ٣٤١.

«وكان الانكليز قد شنقوا قبل يومين في «الثويّة» خارج النجف كلاً من: كاظم بن الحاج مهدي البستاني، وهو نجفي من شرطة أبي صخير، وشعلان تاجية لعلاقتهما بحوادث أبي صخير.

ولم يبرقع الإنكليز وجوه المعدومين بالبراقع الأصولية قبل الشنق، كما جرت العادة في بلاد العالم كلها، إمعاناً في إلحاق الأذى بنفوسهم، وهم مقبلون على الموت، وإرهاباً للغير، وخرج الذين شاهدوا الشنق، خرجوا من الحفل ووجوهم مصفرّة وألوانهم ممتقعة.

وقد نقلت جثث المعدومين بواسطة عربات «الترامواي» إلى النجف، حيث دفنوا بين مقبرة الهنود ومقبرة السيد علوان البحراني، على يسار الذاهب من النجف إلى الكوفة، وبعد أن جرى غسلهم وتكفينهم في الكوفة من قبل أفراد من الشبانة.

وقد نشر الانكليز ـ بعد الاعدام ـ بياناً مطولاً في النجف والكاظمين بأسماء المعدومين، والتهم الموجهة إليهم، ونحو ذلك من المسوّغات القانونية لتبرير هذا العمل الانتقامي»[1].

---

(١) ثورة النجف للحسني ١١٢ ـ ١١٣.

تقول المس بل في موضوع الحكم والشنق ما يلي:

«وبعد محاكمات جرت في الكوفة في خان الشيخ علي نصر الله (هو خان بيت شلاش ومستأجره الشيخ علي نصر الله)، حكم على ثلاثة عشر منهم بالإعدام (أبدل القائد العام الحكم على أحدهم بالسجن المؤبد)، وحكم على خمسة بالسجن المؤبد، وعلى اثنين بالسجن لمدة أقصر. وحكم على حوالي مائة شخص بالنفي خارج العراق، فسفروا إلى الهند كأسرى حرب. وفي ٣٠ مايس ١٩١٨ نفذ حكم الأعدام في الكوفة». «فصول من تاريخ العراق الحديث ص٥١».

وأما الشيخ جعفر محبوبة فإنه يقول في وصف موضوع الشنق ما يلي:

«... وهؤلاء شنقوا في شريعة الكوفة (الجسر) في العشرين من شهر شعبان سنة ١٣٣٦هـ في خان الشيخ علي نصر الله بمحضر كثير من زعماء الفرات، بعد أن عقد لهم مجلس عرفي، ودفنوا في وادي النجف بين مقبرة الهنود ومقبرة السيد علوي البحراني، على يسار الذاهب إلى الكوفة من النجف. وأفلت الميرزا عباس الخليلي، وكان ممن حكم عليه بالإعدام غياباً. ولكن لحزمه لم يتمكنوا من القبض عليه، ففر إلى إيران؛ وهو اليوم يقيم في طهران. كما أنه أفلت بعض المقبوض عليهم من السجن». «ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٤٩»

ويقول لونكريك عن مجمل النتيجة التي انتهت إليها ثورة النجف ما يلي:

«... وبدون إطلاق نار حوصرت النجف بكاملها. والمجتهد الأكبر قد أدان هذه الجريمة وبقي على اتصال مع الحكومة. وفي ١٠ نيسان بدىء بإلقاء القبض على القتلة وأعوانهم. حتى بلغ المقبوض =

«وقد نشر الإنكليز في النجف والكوفة بيانا مطولا بأسماء المصلوبين وجرائمهم ونشروا عن ذلك أيضاً بياناً موجزاً في الكاظمية فقط من مدن العراق، ولم ينشروا عنهم شيئاً في بغداد ولا في الجرائد.

ومما يذكر وساد في حينه:

أنه عندما تم تنفيذ حكم الإعدام بالأشخاص المذكورين لم يقل أحد منهم شيئاً سوى كريم الحاج سعد الذي خاطب السيد مهدي السيد سلمان بكلمات قاسية.

وعندما بدأ التنفيذ بكى الزعيم المعروف الشيخ مرزوق العوّاد.

أما الشيخ سلمان العبطان فإنه انتخى بقوله: «أنا أخو فاطمة»!

وقد كان لعملية الإعدام التشهيرية هذه ردود فعل عنيفة في الأوساط العراقية، حيث تغلغل الحقد على الانكليز في نفوس جميع العراقيين، وبخاصة الفراتيين الذين كانوا ممتلئين غيظاً على الانكليز الذين خانوا العهود التي قطعوها للعرب ونظموا معاهدة سايكس ـ بيكو السرية لاقتسام بلادهم.

وقد كان ذلك كله من الأسباب القوية لاندفاع الناس وحماسهم في تدبير ثورة العشرين. وربما كان المدعوون لمشاهدة عملية تنفيذ حكم الإعدام في الكوفة، ربما

عليهم ١٠٢ من المطلوبين. فحكم على اثني عشر منهم بالإعدام وعلى ثمانية بالنفي مدى الحياة، وعلى الباقين لمدد أقصر. وبعد بضعة أيام أقيمت حفلة ترحيبية للقائد العام الذي زار المدينة. ولكن الجوّ بقي في المدن المقدسة مجهولاً ينذر بشر مستطير». «Longrigg p. 96».

وأما السير أرنولد ولسن، فإنه بعد أن يصف سيل برقيات ورسائل ووفود الاحتجاج التي وردت حول أحكام الإعدام، ـ كما سبق أن ذكرنا ذلك ـ، فإنه يقول مايلي:

«... ولكن النتيجة كانت من الغرابة بمكان. فبعد ساعات قليلة من تنفيذ حكم الإعدام، أقام كليتدار النجف حفلة استقبال في داره الكائنة في مركز المدينة. لقد حضر الدعوة معي بلفور وكرين هاوس الذي كنت أحضرته من شوشتر، حيث كان يقوم بأعمال مجيدة، ليخلف الكابتن مارشال. وقد تكلم الكليتدار بحضور جماعة من الأشراف والعلماء فأعرب عن رضا أهالي المدينة وإنقاذهم من أيادي الأشرار، وعن أمله الأكيد بأن إدارة البلد ستكون مماثلة للمدن الأخرى في العراق، وأضاف أنه يأمل بأننا سنساعد الأهلين بتحقيق أعز رغباتهم، وهو انجاز مشروع إسالة الماء، ثم ختم كلامه بإهداء سيف شرف إلى بلفور (للدفاع في المستقبل، كما في الماضي، عن حرية المدينة وسكانها). ثم سلّمني في الوقت نفسه حلقة ذهبية ضخمة مع مفتاح فضي وقال: هذه هدية ترمز إلى رغبة أهالي النجف في أن باب المدينة وقلوب أهلها ستفتح دائماً لممثلي الإدارة المدنية. أن خبر إقامة هذه الحفلة بقي سراً، لأن الكثير كانوا يخشون تأجيل إعدام بعض الزعماء في آخر لحظة!!». «Wilson, Loyalties, Vol. 2.».

كان هؤلاء الزعماء في مقدمة الثوار اندفاعاً وحماساً في ثورة العشرين.

عندما تبلغ المحكومون بالإعدام بالحكم وذهبوا إلى الغرفة المحتجزين فيها في ذلك الخان، صمموا على الهرب مهما كلفهم الأمر، وقد عمدوا إلى طريقة غريبة لثقب جدار الغرفة، ولعدم وجود أية أداة لديهم يمكن الاستعانة بها على ثقب جدار الغرفة الذي على الشارع، وهو جدار قديم من الجص والطابوق، عمدوا إلى ثقب الجدار بأن لا يبول واحد منهم إلاّ في موقع معين منه. وفي اليوم التاسع والعشرين، أي بعد أربعة أيام بلياليها، تمكنوا من إشباع الموقع بالرطوبة فجعلوا يستلون الطابوق بجهد قليل، وعندما قاربوا النهاية، شاءت الصدف السيئة أن يستشعر بالأمر عزيز الأعسم المحتجز في الغرفة المجاورة مع جماعة آخرين، فجبن وخاف أن يمسّه سوء فراح يصيح بأعلى صوته: «يا حكام تعالوا ذوله راح يشردون..» ولما حضر الحرس وفتحوا الغرفة شاهدوا الثقب فأوجعوهم ضرباً وشدّدوا الحراسة عليهم.

وقد تسبب هذا الحادث في شجار عنيف بين عزيز الأعسم والموقوفين الآخرين. كما تسبب في هيجان جميع المحتجزين للضرب المبرح الذي تعرض له المحكومون بالإعدام.

وقد كان ذلك سبباً للتعجيل بتسفير بقية المحكومين بالنفي إلى بغداد قبل أن يكتمل عدد المطلوبين، حيث اكتفوا وسفر الموجودون في نفس اليوم. ولا يبعد أن يكون الحادث قد سبب أيضاً التعجيل في تنفيذ حكم الإعدام في اليوم التالي: يوم ٣٠ مايس ١٩١٨.

وقد نشرت جريدة العرب البغدادية، تحت عنوان **«حفلة تاريخية في النجف»** ما يلي:

«لا يخفى على الجميع ما حصل بالنجف الأشرف مؤخراً من المشاغب التي دفعت الحكومة إلى استعمال السلطة العسكرية لاخمادها، والقبض على المجرمين وكافة الأشقياء، ومجازاتهم حسبما اقتضى القانون.

وقد رأى حضرات علماء النجف الأشرف ومشايخه وأعيانه وتجاره وأهاليه، أنه من الواجب المقدس عليهم أن يعبروا عن شكرهم الخالص للحكومة عن الأعمال التي قامت بها في تطهير البلد المقدس من أهل الفساد، محافظة على حرمة مقدساته،

فاتفقت آراؤهم على إقامة حفلة شائقة في النجف يدعون إليها مندوبي الحكومة من عسكريين وملكيين، وقد خرج رأيهم من حيّز القول إلى حيّز الفعل. فاتفقت آراؤهم على إقامة حفلة شائقة في النجف فعقدوا حفلة باهرة في بيت جناب السيد عباس كليتدار الروضة الحيدرية في الساعة التاسعة عربية في اليوم الثلاثين من أيار ١٩١٨ دعوا إليها جناب الحاكم العام وقائد جيوش الحلة وقائدي جنود الكوفة والنجف، وجميع حكّام وضباط وموظفي الكوفة وأبي صخير، ومندوبي جميع مشايخ وعلماء وتجار القبائل والبلدان المجاورة.

ولما أزفت الساعة التاسعة أقبل جناب الكابتن ولسن نائب الحاكم العام يصحبه جناب الكابتن بلفور حاكم الشامية، والكابتن بروثورو حاكم أبي صخير، والكابتن كرين هاوس حاكم النجف، والكابتن فيشر حاكم الكوفة، وجناب قائد جنود النجف وجميع ضباطه وحضرات موظفي الحكومة الملكيين من جميع أنحاء قضاء الشامية.

فاستقبلهم خارج البلدة حضرة السيد هادي نقيب الأشراف، وحضرة السيد عباس الكليتدار، وأتيا بهم إلى محل الحفلة، حيث كان بانتظارهم على باب الردهة حضرات العلماء والأعلام: الشيخ أغا محمود الهندي مندوب حضرة آية الله السيد كاظم اليزدي حفظه الله، والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر، فأدخلاهم إلى الردهة حيث كان بانتظارهم جميع علماء ومشايخ النجف والمندوبين من تجارها وسكانها والمدعوين من علماء ومشايخ وتجار جميع القبائل والبلدان المجاورة.

فابتدأ جناب الكابتن ولسن يصالح الجميع بلطافته المعهودة، ولما جلسوا أُديرت عليهم كؤوس المرطبات، وكان إذ ذاك المحل مجهّزاً بجميع وسائل الراحة ومفروشة جدرانه وأرضه وسقفه بأحسن وأفخر السجاد العجمي، ومزيّناً بالموائد اللطيفة الطافحة بكل ما طاب طعمه ولذّت رائحته.

ولما استقروا قابل حضرة المجتهد الحاج محمود أغا الهندي تحيات جناب نائب الحاكم العام والكابتن بلفور وسائر المدعوين، برد السلام وقال: لما كنت نائباً عن حضرة آية الله السيد محمد كاظم اليزدي أبلغكم تشكراته واعتذاره عن حضور هذا الحفل الكريم لعجزه وعدم تمكنه من المجيء من الكوفة إلى النجف الأشرف. ثم عبّر حضرة المجتهد الشيخ جواد صاحب الجواهر عن تشكراته القلبية وقال: ينبغي علينا

جميعاً أن نشكر الباري جل شأنه على أن تفضّل علينا بمثل هذا المجتمع المركب من العلماء الأعلام، والأمراء البريطانيين الكرام، والأشراف من جميع الأصناف في هذا البلد المقدس، وهذا ما لم يكن يخطر ببال ولا في الخيال، فهي نعمة جسيمة، وموهبة عظيمة، وعلينا أن نعتبرها رحمة وعدالة، وختم كلامه بعبارات لطيفة تدلّ عما تنطوي عليه قلوبهم من المحبة والإخلاص لدولتنا الكريمة.

ثم كلّف حضرة المجتهد أغا محمود حضرة التاجر المهم والمثري الشهير الحاج محسن شلاش بأن يقرأ خطاباً كان قد أعده علماء ومشايخ وأعيان وتجار بلدة النجف.

ثم ارتجل الحاج محسن خطاباً كان له أحسن وقع بالنفوس وكلّما أتى على عبارة تستوجب التصفيف كانت تدوّي به الردهة، ولما انتهى من خطابه صفّق له الجميع تصفيقاً شديداً استحساناً وإكراماً[1].

ثم تقدم حضرات: المجتهد أغا محمود، والمجتهد الشيخ جواد صاحب الجواهر، والسيد هادي نقيب الأشراف، والسيد عباس الكليتدار، والحاج محسن شلاش، والسيد مهدي السيد سلمان، والسيد محسن أبو طبيخ، والشيخ علوان الحاج سعدون، والشيخ عبادي، وأخذوا بيد جناب الكابتن بلفور، وأوقفوه وسط الردهة وقلّدوه سيفاً من ذهب علامة للنصر الذي أحرزته وتحرزه الأمة البريطانية في جميع ميادينها.

ثم رجع الكابتن بلفور إلى محله بإكرام عظيم، وفيما هو عائد إلى محله، استقبله جناب نائب الحاكم العام مهنئاً إيّاه، وهكذا فعل الجميع، ثم دارة عليهم كؤوس المرطبات وأواني الحلويات والقهوة والشاي، وكان جناب نائب الحاكم العام والكابتن بلفور يحادثان الجميع بأعذب لسان.

وبعد ذلك قام حضرة الكابتن بلفور وتلى خطاباً بليغاً كان له أشد تأثير على

---

(١) يروي العلامة الشبيبي في مذكراته من هذا الكتاب أن الوجيه الحاج محسن شلاش: «تلى خطبة بليغة، وثنى بها على رجال الحكومة، وعلى الأخص بلفور الذي عقدت له الحفلة، وأظهر بها امتنان النجفيين من الأعمال الفذة في النجف، وتطهيرها من أركان الفساد وأهل العناد، الذين شوهوا مدينة النجف المقدسة بسوء أفعالهم، وجاء في الخطبة ما معناه: إن أعمال بلفور في حادثة النجف الأخيرة هي من أكبر الأعمال التي جعلت النجفيين أن يعقدوا له حفلة تكريماً لحضرته، وأن يقلدوه سيفاً مرصعاً بالذهب، دليلاً على ما أودعه في النفوس من الحب والارتباط المتين» انتهى بالنص وبحرفه.

القلوب. ولما انتهى من تلاوته صفّق له الحضور تصفيقاً دوّه له الردهة.

ثم قام حضرة السيد عباس الكليتدار وألقى خطاباً عبّر فيه عن شكره الخالص بصفته خادماً وخازناً للمرقد الشريف، للدولة العظمى لحسن درايتها، إذ لم تتعرض بأضرار المحلات المقدسة بشيء، ولما أتى على آخره صفّق له الحضور تصفيقاً شديداً.

وبعد هذا دنا حضرته من جناب نائب الحاكم العام وألبسه ساعة من ذهب مرصّعة بالحجارة الكريمة. وألبس أيضاً الكابتن بلفور ساعة أُخرى كوسامين لهما من الحضرة الشريفة لحنكتهما في سياستهما، ومحافظتهما على حرمة المرقد المقدس وسائر المحلات المطهرة، وقد كان لفعله هذا أحسن وقع في النفوس.

وما تم ذلك إلاّ وقام جناب الكابتن ولسن نائب الحاكم العام وارتجل خطاباً باللغة الفارسية لم يُسمع أبلغ منه، عبّر فيه عن شكره الخالص للحضرة الشريفة على الوسام النفيس الذي قلّده، وبيّن الأسباب الشريفة التي دعت الحكومة إلى إتخاذ الوسائل لتطهير بلدة النجف الأشرف من الأشقياء الذين كانوا يسعون في الأرض فساداً، ولما أتم خطابه دوّت الردهة في التصفيق الشديد.

ثم أخذ جنابه يتجوّل في الديوان ويخاطب بأطيب كلام وأرّق عبارة كل شخص يتقدم إليه.

وهكذا استمر الحال إلى الساعة الثانية عشر عربية.

وفي الختام قام المدعوون بعدما شكروا الداعين، وذهب كل منهم إلى مكانه، ولسانهم ينطق بالشكر والثناء على علماء ومشايخ وتجار وأهالي بلدة النجف الأشرف لما وجدوه فيهم من طيب الأخلاق، وقد خصّوا بشكرهم حضرة الحاج محسن شلاش الذي أظهر همّة عظيمة في ترتيب هذه الحفلة»[1].

وقد حضر الاحتفال:

ـ قسم العلماء ـ

الفاضل الشيخ الحاج محمود أغا الهندي النجفي.

الفاضل الشيخ جواد الجواهري.

---

(١) جريدة العرب، العدد السادس من المجلد الثالث، في ٨ حزيران ١٩١٨.

الفاضل الشيخ مرزا مهدي الخراساني .

الفاضل الشيخ جعفر البديري .

الفاضل الشيخ مهدي المازندراني .

الفاضل الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء .

الفاضل السيد أبو الحسن الأصفهاني .

الفاضل الشيخ موسى تقي زايردهام .

الفاضل الشيخ عبد الكريم الجزائري .

الفاضل الشيخ هادي آل كاشف الغطاء .

الفاضل السيد عبد الرزاق الحلو .

الفاضل السيد محسن القزويني .

الفاضل السيد عبد الكريم الزنجاني .

الفاضل السيد ضياء الدين العراقي .

الفاضل السيد حسن آل صاحب الجواهر .

الفاضل السيد مهدي أسد الله .

الفاضل السيد جعفر بحر العلوم .

الفاضل السيد مهدي الكشميري .

الفاضل السيد حسن آغا آل شربياني .

الفاضل السيد محمد ابن الشيخ محمد علي الرشتي .

الفاضل السيد علي المانع .

الفاضل السيد أحمد البهبهاني .

وغيرهم من العلماء والأفاضل الذين لا يسع المقام لبيان أسمائهم .

ـ قسم الأشراف وخدام الروضة الحيدرية ـ

السيد هادي أفندي نقيب الأشراف .

السيد عباس أفندي كليدار الروضة الحيدرية .

السيد هاشم كمونة والسيد ناصر كمونة .

الحاج محمد علي شمسة .

الحاج محسن شمسة .

الحاج عبد الرزاق چلبي شمسة .

الحاج مهدي چلبي شمسة .

الحاج الشيخ عبد الغني چلبي شمسة .

السيد علوان الخرسان .

السيد داود نائب خازن الروضة الحيدرية .

الشيخ عباس رئيس خدمة الروضة الحيدرية .

وجميع خدام الحضرة الشريفة، وغيرهم ممن لا يسع المقام لبيان أسمائهم .

ونائب حكومة إيران المقيم بالنجف الأشرف .

ـ قسم المشايخ من النجف والشامية والهندية والكوفة ـ

السيد مهدي السيد سلمان .

الحاج عبد الله الحاج حمادي .

السيد علي جريو .

الحاج حسون شربة .

وغيرهم من رؤساء النجف .

ـ الهندية والكوفة ـ

الشيخ علوان الحاج سعدون رئيس جمع بني حسن .

الشيخ لفته الشمخي رئيس الجراح .

الشيخ خادم الغازي .

وغيرهم ورئيس عشائر هور الدخن .

ـ الشامية ـ

السيد محسن أبو طبيخ .

سلمان العبطان رئيس الخزاعل .

عبادي آل حسين وإخوانه رئيس آل فتلة .

وداي آل عطية رئيس آل علي .

وغيرهم .

إن هذه الأقوال وما سبق أن نشرناه في تاريخ ٢٥ مايس هو أهم ما قيل عن تاريخ تنفيذ حكم الإعدام والحفلة المقامة في عصر يوم التنفيذ.

أما الحفلة، فإنها إن كانت واقعة فعلاً، فلا بد وأنها كانت من السرية بحيث لم يشعر بها أحد. ومعلوم أن المنتصرين في كل زمان يجدون من يمالئونهم ويحرقون لهم البخور طمعاً أو خوفاً.

وأما تاريخ تنفيذ حكم الأعدام فقد اختلف فيه. فكل من ولسن وموبرلي يقول أنه نفّذ في صباح الخامس والعشرين من مايس. ثم يتفقان في أن حفلاً تكريمياً جرى في عصر ذلك اليوم في دار الكليتدار. أما المس بيل في فصولها فإنها تقول بأنه نفذ في ٣٠ مايس. والظاهر أنه هو الصحيح؛ وإن يوم ٢٥ مايس هو يوم صدور الحكم. ومعلوم أن الحكم نفذ بعد صدوره بأيام لحصول التردد في التنفيذ بسبب الوساطات والمراجعات والتأثيرات التي رافقت صدور الحكم. كما أن جريدة العرب البغدادية، عندما تصف الحفل المذكور، تقول إنه أقيم في عصر يوم ٣٠ مايس. وكذلك المرحوم الشبيبي فإنه يعيّن تاريخ الإعدام في يوم الخميس ١٩ شعبان/ ٣٠ مايس. وكذلك الشيخ جعفر محبوبة في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» يقول أنه نفذ في العشرين من شعبان ١٣٣٦هـ، وهذا يوافق ٣٠ أو ٣١ مايس ١٩١٨ حسب اختلاف الشهور القمرية.

«وبعد عشرة أيام، قام القائد العام بزيارة رسمية للبلدة، فذبحت له الذبائح عند دخوله من بابها بصورة لم يسبق لها مثيل منذ زيارة ناصر الدين شاه ملك إيران. ثم جرت حفلة استقبال في بيت الكليتدار حضرها العلماء والوجهاء والشيوخ. وفي الخطاب الذي ألقاه بهذه المناسبة، أوعز القائد العام للحاكم السياسي بتأسيس بلدية تتولّى شؤون البلدة، ووعد بأن قضية تحسين ماء الشرب سوف تلقى التفافاً عاجلاً»[1].

أما المنفيون فهم جميع من وردت أسماؤهم في القائمة التي قدّمها الانكليز غداة إحتلالهم التل كما أسلفنا، عدا بعضهم ممن لم يستطيعوا إلقاء القبض عليهم، أو أنهم أفلتوا من السجن، لذلك كان عدد المنفيين حوالي التسعين، بمن فيهم التسعة المحكومون بمدد مختلفة، ومنهم: الحاج عطية أبو كلل، والحاج سعد الحاج راضي،

---

(١) ثورة النجف للحسني.

والسيد إبراهيم السيد باقر.

وقد نفي هؤلاء التسعة إلى «پونة في الهند» لقضاء محكوميتهم هناك.

وقد جاء في أقوال راضي الحاج سعد أن والده أُطلق سراحه بعد مرور سبع سنين، من أحد مستشفيات بومبي. أما المنفيون عندما وصلت الوجبة الثانية إلى بغداد ـ وعدد افرادها حوالي الستة عشر ـ سُفّروا حالاً إلى البصرة حيث أُلبسوا هناك لباس الأسرى الأتراك لئّلا يعرفهم الهنود، وسفروا إلى «سمر پور» في الهند. ولما انتهت الحرب العامة أعيدوا للنجف بعد تقديم كفالات حفظ السلام في البصرة[1]. وبسبب هذه الكفالات تأخر إطلاق سراح كثير منهم، لعدم توفر الكفلاء. وقد اضطرت السلطة أخيراً إلى اطلاق الباقين بدون كفالة.

وكان من بين المقرر نفيهم إلى «پونة» في الهند أيضاً بعد إبدال حكم الإعدام، السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، وقد أرسلا إلى بغداد تمهيداً لتسفيرهما إلى الهند، ولكن تدخل كل من الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي، والشيخ خزعل أمير عربستان، أوقف هذا النفي فأُبدل بإقامتهما الجبرية في المحمرة من عربستان، تحت رقابة أُميرها الشيخ خزعل المذكور. وقد أُطلق سراحهما بعد حين[2].

---

(١) يذكره السيد محمد علي كمال الدين في «الثورة العراقية الكبرى» ص٥٣، «ان غيداناً هذا كفل أسرى النجفيين الذين نفوا في ثورة النجف بماله وملكه وحلاله بعد إصدار العفو العام ورجوعهم إلى العراق».

(٢) ثورة النجف للأسدي.

وحول هذا الموضوع ذكر السيد الحسني في «ثورة النجف ص١٢٢ ـ ١٢٤» ما نصه:

(انقاذ زعيمين من النفي)

كانت بين الشيخ خزعل خان، أمير المحمرة وشيخها العربي المعروف، وبين الشيخ عبد الكريم الجزائري، العلامة النجفي المشهور، صلات ودّ واحترام متبادلين، وكان الجزائري يستغل هذه الصلات في حل كثير من الأزمات العامة والخاصة؛ ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى في أواسط عام ١٩١٤م، كتب العلامة الجزائري إلى الأمير العربي، أن يساعد العثمانيين المسلمين في قتالهم الانكليز المشركين، وكان لدى الشيخ خزعل موانع تحول دون الاصغاء إلى هذا الواجب الديني، فقطع الجزائري علاقاته مع الشيخ المذكور. فلما قامت «ثورة النجف» ضد الانكليز في أذار عام ١٩١٨م، وثبت اشتراك الشيخ محمد جواد الجزائري، شقيق الشيخ عبد الكريم الجزائري، في هذه الثورة؛ استغل الشيخ خزعل مقامه الحسن عند الانكليز فبذل أقصى جهوده للحيلولة دون اعدامه، ودون اعدام زميله السيد محمد علي بحر العلوم، صهر غلام رضا خان، أمير بشت كوه، وصديق الشيخ خزعل، =

نتائـج الثـورة

من خلال استقراء ومتابعة مجريات ويوميات الثورة النجفية التي ابتدأت بمقتل الكابتن مارشال، حاكم النجف البريطاني، وانتهت بإعدام أحد عشر نجفياً، ونفي ما يزيد على المائة والعشرين منهم.

نستخلص ما يلي:

١ ـ مدينة النجف، المركز الإسلامي الكبير، قلعة العروبة الصامدة، عرفت بالتطلّع إلى الحرية، والنزوع إلى الاستقلال على مدى العصور، فلم تطأطىء رأسها للغزاة، ولم تستكنْ للمحتلين، فتهبّ للجهاد هبّة رجل واحد، كلما دهتها دواهيهم، وخيّمت على سمائها شرورهم، على الرغم من كونها مهبط العلم، ومدينة العلماء.

٢ ـ المجتمع النجفي يتميّز بوجود نوعين من الزعامة فيه:

الأولى: المرجعية الدينية، وما يلحق بها من طبقة الملائية، وطلبة الحوزة العلمية، وغيرهم.

الثانية: الزعامة المحلية (المشاهدة)، وما يلحق بها من فرقتي الشمرت، والزكرت، والمتحالفين معهم وغيرهم.

وهي تمثل فئة اجتماعية لها شأنها في الحياة العامة للمدينة، وما يرتبط بها من أوضاع سياسية واجتماعية. وليست هذه الزعامة صفة دينية، إنما هي سلطة محلية تقوم

وصنوه في حكم إمارة من إمارات إيران المستقلة آنئذ؛ ولم يكن في وسع الانكليز رد التماس الشيخ خزعل، فقرروا الاكتفاء بنفي الشيخ الجزائري والسيد بحر العلوم إلى الهند؛ إلا أن الشيخ خزعل لم يكتف بهذا الفوز المبين ـ لاستعادة علاقاته القديمة مع العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائري ـ فانتهز مرور المبعدين النجفيين إلى الهند بمقر إمارته «المحمرة» فتوسط لدى الانكليز مرة أخرى، وطلب قصر نفي الموما إليهما إلى إمارته، بعد أن تعهد لهم بأنه لن يسمح بعودتهما إلى النجف ما لم توافق الحكومة البريطانية على هذه العودة. وهكذا نزل الزعيمان الجليلان: الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم بضيافة الشيخ خزعل، ولبثا في المحمرة سنة أو بعض السنة، حتى إذا قررت الحكومة البريطانية السماح للمبعدين النجفيين بالعودة إلى النجف، بعد أن وضعت الحرب العامة أوزارها، عاد الزعيمان أيضاً إلى النجف الأشرف.

على أساس القوة والأعوان والاعتبارات الشعبية[1].

وقد اعتاد الناس في النجف احترام كلا هذين النوعين من الزعامة، بالرغم من أن توجهات هؤلاء الزعماء تختلف عن توجهات علماء الدين بحكم الفارق الاجتماعي والثقافي بينهما، إلاّ أنهم كانوا في المواقف الحساسة لا يخرجون عن إرادتهم[2].

ولكل من الفريقين رأيه، فحركة الجهاد عام ١٩١٤ قامت بدعوة رجال الدين، وتحت زعامتهم، وما يمليه عليهم الواجب الديني، فنصرة الأتراك على الإنكليز تخضع لاعتبار أن هؤلاء كفّار تجب محاربتهم، وأولئك مسلمون تجب نصرتهم، وقد ظلّ زعماء الدين على مبدئهم هذا لم يتغيّروا فيه حتى قيام ثورة العشرين التي أيّدوها، وقادوها باعتبارها إمتداداً لحركة الجهاد.

أما ثورة النجف ١٩١٨، فهي تختلف اختلافاً تاماً عن حركة الجهاد، فالمشاهدة يعيشون في عالم آخر غير عالم الملائية، وإن كانوا يعلنون ولاءهم، ولا يخالفون رأياً لهم، ولكن ما اعتادوا عليه من قيم البداوة، جعلهم لا يفهمون سوى المظاهر الشكلية والإعلامية، وأما حياتهم العملية، فهم يسيرون وفق ما تملي عليهم العصبية والنخوة والثأر والنهب، وسفك الدماء وفرض الأتاوة، والإسراف في الضيافة، وغيرهما.

وكل ما يطمحون إليه هو نظام حكم يجاريهم في عاداتهم هذه، ولا يتدخل في شؤونهم ومصالحهم، وهم لا يبالون إذ ذاك أن يكون الحاكم مسلماً، أو كافراً، نجفياً، أو غير نجفي، سنياً كان، أو شيعياً. ولهذا كانوا راضين عن الحكم التركي قبل الحرب، فلم يثوروا عليه؛ لأنه تركهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم، ولم يتدخل في شؤونهم إلاّ قليلاً. ولم يكد الحكم التركي يتدخل في شؤونهم خلال الحرب حتى ثاروا عليه، وأعلنوا العصيان. وكذلك فعلوا مع الحكم الإنكليزي؛ إذ هم لم يثوروا عليه إلاّ بعد أن تدخل في شؤونهم[3].

٣ ـ يتميز المجتمع النجفي بثقته العالية بنفسه، كمجتمع عشائريٍ محلي. مما دعته ـ هذه الثقة ـ إلى عدم الإكتراث بمشورة المرجعية الدينية في النجف، باعتبار أن

---

(١) دور علماء الشيعة ص١٢٢.

(٢) ن.م.

(٣) انظر: لمحات اجتماعية ج٤ ق٢ ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

مقاومة المحتل أمر وطني مشروع، وأنهم سوف ينتصرون لا محالة. وبما أن النجف مركز ديني لهم يضم رفاة شخصية عظيمة مقدسة، فلا بدَّ ـ والحالة هنا ـ أن تتعاطف معهم القبائل والعشائر، والمجتمعات الأخرى.

وبما أن الثورة على الوجود الانكليزي في النجف قد خُطط لها من قبل جمعية النهضة الإسلامية والتي تضم مجموعة مشتركة من رجال الدين الشباب، وزعماء العشائر، والطبقات النجفية، إلاّ أن التنظيم المسلّح الذي نشأ على هامش الجمعية، وإصابته بشيء من التغرير ـ الذي تجاوز الثقة بالنفس ـ واستغلال النزعة الإسلامية، والخداع، والتلويح من قبل الأتراك ـ كما نجد ذلك فيما حمل الحاج نجم وعقيدته الراسخة بورود المساعدة ـ فإن الأتراك عندما وصلهم رسول جمعية النهضة الإسلامية وعلموا بأن النجف تعدّ لثورة ضد الإنكليز، قرروا أن يستعجلوا النجفيين ويقدموا ساعة الصفر لهذه الثورة، ليضربوا مؤخرة الجيش البريطاني الذي يطاردهم في شمال العراق، فاتفقوا مع عباس الحاج نجم؛ ليراسل أباه بذلك ويخبره بأن الأتراك سيرسلون لهم النجدات الكافية من الأسلحة والمحاربين. ولم يكتفوا بذلك بل حددوا اليوم الذي ستصل فيه النجدات إليهم، والذي يجب أن يثوروا فيه. وفعلاً تمكن عباس من إقناع أبيه، فقرر ساعة الصفر في ذلك اليوم. وربما اتفقوا معه على ذلك، ليضرب الإنكليز النجف، فيثور الفرات، فيضرب الإنكليز من الخلف، وأينما أصابت فتح.

٤ ـ إندساس عناصر من المنتفعين، وأصحاب المصالح الذين ينتظرون منذ زمن قيام هذه وأمثالها من أعمال العنف التي تؤدي إلى الإنفلات الأمني الذي يلبي طموحاتهم في السطو، والسرقة والثأر، وغيرها.

٥ ـ تهميش دور المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد محمد كاظم اليزدي الذي حاول منع حدوث الصدام المسلّح مع الإنكليز باعتبار أن الأجواء لا تساعد على ثورة عاجلة، كما كان يرى ذلك أغلب علماء الدين، مع كون علاقته مع الأتراك غير جيدة، ويؤيد ذلك دعمه للاتجاه الاستقلالي لإدارة النجف خلال الفترة ١٩١٥ ـ ١٩١٧، إضافة إلى أنه كان يدعم من يطالب بالاستقلال التام

الناجز[1]. وقد التزم موقف الصمت والعزلة، فأبدت سلطات الاحتلال ميلاً لتوظيف هذا الموقف لصالحها عبر الزيارة المفاجئة التي قام بها الحاكم الملكي العام السير برسي كوكس إلى مقر إقامته في الكوفة.

وبعد مقتل الكابتن مارشال، وتجوّل بلفور في مدينة النجف، وقيام أبناء سعد راضي بقتل الشرطيين المسلحين وأخذ سلاحهما، وتوبيخ بلفور لأبيهما سعد، ومحاولة اغتيال بلفور من قبل أولاد سعد، ثم إلقائهم القبض على من وجدوه من أفراد الشرطة، وتجريدهم من السلاح، واحتجاز بعضهم وهجومهم على مقر الحكومة القديم، والاستيلاء على أثاثه، وإشعال النار فيه[2] وما لحق ذلك من تحدٍ جريء للسلطة البريطانية التي وضعت رؤساء النجف (المشاهدة) في دائرة الإتهام، وأنهم إزاء ثورة عامة في النجف.

أدرك سعد الحاج راضي أنه في مأزق حقيقي، لا خلاص منه، وأن أولاده أصبحوا عرضة للإعدام على يد الإنكليز.

حاول السيد اليزدي تدارك الموقف قبل أن تتطوّر الأحداث بصورة أكثر خطورة، وأرسل في طلب زعماء النجف مرّات متعددة، ودارت محاولات، ومناقشات لم تسفر عن نتائج ملموسة.

أصبح القرار بيد زعماء النجف، ومعهم المئات من المسلحين، وتعامل هؤلاء على أنهم أصحاب الموقف الأخير، خصوصاً بعد أن أحكموا سيطرتهم المطلقة على النجف، واستجابة الطبقات الشعبية لهم في تعزيز ثقتهم بأنفسهم في المضي بالثورة المسلّحة.

الحكمة والرؤية التي تراها المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد اليزدي على خلاف ذلك، فهي ترى أن المواجهة في هذه الظروف على النحو الذي حصل لا يحقق الأهداف المطلوبة، وأن الحالة فرضتها حوادث متسارعة طارئة.

ومع هذا فقد حاول السيد اليزدي استيعاب الموقف، والعمل على تهدئة الأوضاع

---

(١) انظر: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ٥٩.

(٢) انظر: لمحات اجتماعية، ج٥/ ق٢/ ص٢٢١.

من أجل تجنّب التصادم المسلّح مع الإنكليز؛ لعدم تكافؤ المواجهة في وقت لم يحن موعده.

بعد مداولات بين السيد اليزدي، وزعماء النجف توصّل فيها إلى استعدادهم لإنهاء الثورة فيما لو وافق الإنكليز على إصدار عفو عام. وقد بذل السيد اليزدي جهوده المتواصلة المعلنة وغير المعلنة من خلال مبعوثيه ورسائله، بينه وبين بقية العلماء، وبين السلطات المحتلة، دون التوصل إلى نتائج، مما جعل الموقف متأزماً بين الطرفين.

- حاول السيد اليزدي - بعد أن وصل الثوار إلى نهاية صعبة بذل جهد جديد لإنقاذهم، لكن السيد مهدي السيد سلمان زعيم محلة الحويش أحبط مشروعه، وراح يتفق مع الإنكليز على حسم عسكري خاطف ينهي الثورة، وبالفعل نجح في نشاطه وشكره الإنكليز على موقفه.

- طلب الإنكليز من السيد اليزدي مغادرة النجف تمهيداً لقصفها، قصفاً وحشياً شرساً، وأرسلوا إليه أن يخرج هو وعائلته من النجف لئلا يصيبه ما يصيب أهالي النجف، فرفض ذلك رفضاً قاطعاً بقوله: إن أهالي النجف كلهم عائلتي، فلو رمت الخروج بهم لخرجت بجميع أهالي النجف، لأنه أراد حماية الثوار والمدينة من الانتقام البريطاني.

ولم يقف عند هذا الحدّ، بل حاول السيد اليزدي إنهاء الحصار بعد اقتحام الإنكليز المدينة، لكن الإنكليز رفضوا طلبه، كما رفضوا وساطاته الأخرى لإنقاذ المحكومين بالإعدام، ولم يستجيبوا له إلاّ في تخفيف حكم الإعدام عن السيد محمد علي بحر العلوم، والميرزا أحمد الخراساني[1].

ومن خلال مسلسل الأحداث يتضح أن الإنكليز كانوا مصممين على الانتقام من الثوار، وأن أي محاولة في هذا الخصوص كانت مرفوضة، وفي إحباط مشروع السيد اليزدي الأخير دلالة على ذلك[2].

---

(١) انظر: مذكرات الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء - في الملحق رقم (١).
دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ص١٨١ - ١٨٣.

(٢) ستيفن لونكريك، في كتابه العراق الحديث ١/ ١٦٢ قائلاً: «كان الإنكليز قد اتخذوا قرارهم بقمع ثورة النجف عسكرياً، حيث اعتبرت القيادة البريطانية أن إبداء أي ضعف ظاهر إزاء ذلك من شأنه أن يؤدي =

كان السيد اليزدي الوحيد بين مراجع الدين وعلماء الشيعة الكبار الذي واكب الحوادث طوال فترة الثورة مواكبة فعلية، من خلال سعيه المتواصل لاستحصال العفو التام عن الثوار، وإنهاء الحصار المضروب على النجف الأشرف.

هذه أهم مواقف السيد اليزدي خلال الحوادث التي شهدتها مدينة النجف في مواجهتها الثورية مع الإنكليز بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، ولم يتخذ السيد اليزدي قراراً معارضاً لقرار الثوار، بل أن الخطوات التي اتخذها كانت بالاتفاق مع زعماء الثورة وبقية علماء الدين في النجف الأشرف طوال أيام الثورة.

على الرغم من هذه المحاولات، فلم يسلم السيد اليزدي، بل ساءت سمعته كثيراً، وانتشرت حوله الإشاعات القبيحة، ولا سيما بين أقارب المشنوقين والمنفيين، وكانت من جملة الإشاعات أن السيد كاظم اليزدي ليس سيّداً، ولا يزدياً، وإنما هو إنكليزي لبس العمامة السوداء للتنكر[1] وغيرها.

كانت السلطة المحتلة مصممة على الانتقام من الثوار، وأن أي محاولة في هذا الخصوص كانت مرفوضة، وقد تمّ القضاء على هذه الثورة المسلّحة.

أما الإنكليز فقد فرحوا فرحاً لا مزيد عليه بالنجاح الذي حققّوه في القضاء على ثورة النجف وهي في مهدها، وقد رُفّع بلفور لهذا السبب رتبتين مرّة واحدة، حيث رُفّع من رتبة كابتن (نقيب) إلى رتبة لفتننت كولونيل (مقدم)، ثم منح إجازة طويلة قضاها في لندن، وعندما عاد إلى العراق في أوآخر عام ١٩١٨ عُيّن في بغداد بمنصب الحاكم العسكري، والحاكم السياسي معاً، وقد باشر وظيفته في ١٧ كانون الأول ١٩١٨، وكان له دوره في أحداث رمضان التي جرت في عام ١٩٢٠[2].

يعتقد الإنكليز أن لثورة النجف نتيجتين مهمتين، أحدهما سياسية، والأخرى اجتماعية، فإن العقاب الشديد الذي حلّ بالثوار جعل النجفيين يخشون التحرّش بالحكومة بعد ذلك. وقد ظهر أثر ذلك واضحاً عند إجراء الاستفتاء في النجف في أواخر عام ١٩١٨. فإن النجفيين كانوا أقل معارضة في الإستفتاء من زملائهم في كربلاء

= إلى نتائج أشد سوءاً».

(١) لمحات ج٥ ق٢ ص٢٦٧.

(٢) لمحات اجتماعية، ج٥ ق٢/ ٢٦٥، انظر: ن.م، ق١/ الفصل ١٢.

والكاظمية وبغداد، وغيرها.

أما من الناحية الاجتماعية فإن العقاب الشديد كسر عزائم «المشاهدة» الذين كانوا قبل هذا دائبين على القيام بالمعارك المحلية، ويفاخرون بالرجولة، وقهر الأعداء، وحين قاموا بالثورة كانوا يظنّون إنها ستنتهي على منوال ما انتهت إليه حركة العصيان التي قاموا بها ضد الأتراك قبل سنتين، ولكنهم أدركوا أخيراً أن الوضع قد تغيّر، وأن الإنكليز غير الأتراك.

وهذا ما يشير إليه ويلسن في مذكراته، معلّقاً على تنفيذ حكم الإعدام بالأحد عشر رجلاً من النجفيين:

«إن تنفيذ حكم الإعدام كان له تأثير عميق في أنحاء العراق، وخاصة بين العشائر، وقد وصلتني من تعبيرات الامتنان والإرتياح لما حصل أكثر مما وصلني قبلئذٍ من طلبات الرأفة. وكان التأثير في النجف بوجه عام طيباً؛ لأن قوة الجماعتين المتنافستين في البلدة ـ الزكرت والشمرت ـ قد انكسرت، ولن تبقى النجف بعد هذا مصدراً للقلق الجدّي لدى حكومة البلاد...»[1].

وكيفما كانت الأسباب والنتائج، ومهما كانت الأهداف والأغراض، فهي لم تخلو من أنها أفهمت المواطن بقساوة الإنكليز وسطوتهم، ومقاومة الثائرين، وأصبحت هذه الحالة المتوترة سبباً غير مباشر في التهيؤ لمقاومة الإنكليز. والتربص للفرص التي تساعد على مواجهتهم وعدم إهمال دور المرجعية الدينية، والاستفادة من آراء أكبر عدد من زعماء القبائل وأصحاب الرأي فيهم والرؤساء المحليين.

فكانت بذلك الشرارة الأولى لقيام الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠.

---

(١) Wilson (op. cit.) vol.2 p.76


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الثورة العراقية الكبرى

١٩٢٠م




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠م

بعد انتهاء ثورة النجف التي أسفرت عن مقتل حاكمها السياسي الكابتن مارشال، وقيام السلطة بإعدام ١١ نجفياً، ونفي ١٢٢ آخرين إلى «سمرپور» شمالي الهند. والمجتمع النجفي في ضجيج من الأحاديث التي تدور حول إعدام وتسفير إخوانهم وأبنائهم كان مردودها أن انتشرت النقمة في جميع أنحاء العراق، وسببت كره العراقيين عامة والنجفيين خاصة للحكومة المحتلة، وظلت الناس تتحدث بفداحة الظلم، وتعج بالشكوى من الطغيان والحيف الذي لحق بها.

وبينا هم كذلك إذ نشرت جريدة العرب بعددها الصادر يوم ١٦ تشرين الثاني ١٩١٨م، نصّ بلاغ الحلفاء الّذي أُعلن في باريس ونيويورك ولندن والقاهرة في ٨ تشرين الثاني، ونصّه:

«إن الغاية التي ترمي إليها كلّ من فرنسا وبريطانيا العظمى من خوض غمار الحرب في الشرق من جراء أطماع ألمانيا هو تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء الأتراك تحريراً تاماً نهائياً، وتأسيس حكومات وإدارات وطنيّة تستمدّ سلطتها من رغبة نفس السكّان الوطنيّين ومحض اختيارهم، ولتنفيذ هذه الغايات اتفقت كلّ من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة إنشاء حكومات وإدارات وطنيّة في كلّ من سوريا، وقد حررها الحلفاء فعلاً، وفي الأقطار التي يسعى الحلفاء في تحريرها، والاعتراف بهذه الأقطار بمجرد تأسيس حكوماتها تأسيساً فعلياً، وإن فرنسا وبريطانيا العظمى لا ترغبان في وضع نظامات خاصة لحكومات هذه الأقطار، بل لا همّ لهما إلاّ أن تضمنا بمساعدتها ومعونتها الفعلية سير أمور هذه الحكومات والإدارات التي يختارها السكّان الوطنيون سيراً معتدلاً، وأن تضمنا سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة، وأن تساعدا على تعميم التعليم والتهذيب، وأن تضعا حدّاً للتفريق الّذي طالما توخاه الأتراك في سياستهم، هذه هي الخطّة التي ستسير عليها الحكومتان

المتحالفتان في الأقطار المحررة»[1].

وبعد قراءة هذا البلاغ من قبل مجموعة من الشباب المتحمسين للوطنية في النجف وهم: السيّد سعيد كمال الدين، والسيّد أحمد الصافي النجفي، والسيّد حسين كمال الدين، والسيّد سعد صالح جريو، والسيّد محمّد علي كمال الدين، تذاكروا في وادي النجف قرب السكّة الحديدية. واتفقت آراؤهم على ضرورة العمل للحيلولة دون نجاح الاستفتاء الّذي لا بدّ وأن يقع في العراق عاجلاً أو آجلاً، وأنه يجب أن يكون الاختيار لحكومة عراقيّة ملكيّة نيابيّة ديمقراطيّة ملكها أحد أنجال الشريف حسين، وأنه الرجل الوحيد الّذي يستطيع أن يشكّل حكومة في هذه البلاد[2].

فقاموا ببثّ الدعوة بين صفوف المثقفين وحملة الفكرة العربية رغم قلّتهم، فاستمالوا الشيخ محمّد رضا الشبيبي بواسطة السيّد سعيد كمال الدين، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيّد محمّد رضا الصافي بواسطة السيّد أحمد الصافي.

وبهذا اتسعت الحلقة فكانت في أربعة أسر كبيرة ذات نفوذ أدبي، ولها مجالسها العامرة التي يمكن من خلالها نشر الدعوة وبثّها: آل كمال الدين، وآل الصافي، وآل الجزائري، وآل الشبيبي[3].

حزب الثورة العراقية ومكتبها:

كانت في إحدى أواوين الصحن الحيدري في النجف مكتبة متواضعة لبيع الكتب وتجليدها، وترد إليها الصحف والمجلات السوريّة والمصريّة لغرض بيعها ونشرها، تعود هذه المكتبة للشيخ عبد الحميد زاهد[4]، فكانت أشبه بمكتب تختلف إليه الطبقة

---

(١) لودر، القول الحق في تاريخ سوريا وفلسطين والعراق: ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) مذكرات السيّد سعيد كمال الدين: ص١١، مذكرات السيّد حسين كمال الدين: ص١١، مذكرات السيّد سعد صالح جريو: ص١١.

(٣) مذكرات السيّد سعيد كمال الدين: ص١١ ـ ١٢.

(٤) هو عبد الحميد بن عليّ بن محمّد حسين بن عيسى بن حسين آل زاهد الكتبي، من الزواهد، إحدى عشائر مياح بن ربيعة، التي تقطن بمنطقة الغراف في جنوب العراق. ولد في النجف عام ١٨٩٥م/ ١٣١٤هـ. اشتغل ببيع الكتب فاتخذ غرفة في أحد أواوين الصحن الحيدري العلوي الشريف لتكون مكتبة متواضعة لبيع الكتب. ذكرنا ذلك مفصلاً أعلاه. وفي عام ١٩٢٣م انتقل إلى بغداد وأنشأ (المكتبة الوطنية) وفتح لها فرعاً في القاهرة عام ١٩٣٣م.

توفي في بغداد بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٧٠م. وورد ذكره ومشاركته في بعض المصادر والمذكرات التي=

المتجددة من شعراء وأدباء وكتّاب، فتدور بينهم الأحاديث الأدبية، والمساجلات، وأخبار الكتب، ثم هموم الأمة وغيرها، فهي بمثابة ندوة أدبيّة مستمرة، ومركز للقاء الطبقات المثقفة، إضافة إلى اتخاذها كمركز ارتباط للحزب النجفي السرّي الّذي شكّل فيما بعد.

أما الحزب النجفي (حزب الثورة العراقية) فكان مقرّه في غرفة السيّد محمّد عليّ كمال الدين بمدرسة الملاّ كاظم الآخوند في محلّة الحويش، وهي غرفة تحتوي على ساحة في زاوية غير منظورة، وقد أسموها بغرفة السّياسة لما يجري فيها من عمل جميع المقررات، والوثائق، والمراسلات، والأعمال، والنشرات السريّة.

وكان هذا الحزب مصدر جميع الأعمال قبل الثورة، من تهيئة الأجواء النفسيّة، وإفهام السّواد النجفي في حرية اختيار الشعوب المنسلخة من الدولة العثمانية لاختيار نوع الحكم، والحكومة التي ترغب فيها، والدعاية المضادّة لسلطة الاحتلال ومعظم الحركات الوطنية.

ومن بين المنتمين له بعض أفراد الثورة النجفية ضدّ الاحتلال في ١٩ آذار/ ١٩١٨م/ ٦ جمادى الثاني ١٣٣٦هـ. ويضمّ هذا الحزب ست طبقات:

الطبقة الأولى: وهي المفكرة والمتجددة، والتي سيّرت جميع الطبقات منذ الفكرة الأولى:

١ ـ الشيخ عبد الكريم الجزائري.

٢ ـ الشيخ محمّد رضا الشبيبي.

٣ ـ السيّد محمّد سعيد كمال الدين.

٤ ـ السيّد محمّد رضا الصافي.

٥ ـ الشيخ محمّد باقر الشبيبي.

٦ ـ السيّد حسين كمال الدين.

٧ ـ الشيخ محمّد جواد الجزائري.

تعرّضت لدراسة وتاريخ تلك المرحلة. له: مذكرات عن الثورة العراقية، قدّمها وعلّق عليها كامل سلمان الجبوري، طبعت ببغداد ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٨ ـ الشيخ عليّ الشرقي .

٩ ـ السيّد سعد صالح .

١٠ ـ السيّد أحمد الصافي .

١١ ـ السيّد محمّد عليّ كمال الدين .

الطبقة الثانية : وهي الروحية العليا، التي تولّت معظم الأعمال منذ بداية ثورة العشرين حتّى انتهائها :

١ ـ الشيخ عبد الكريم الجزائري .

٢ ـ الشيخ جواد الجواهري .

٣ ـ الشيخ عبد الرضا الشيخ راضي .

٤ ـ الشيخ مهدي الملاّ كاظم الخراساني .

أما الشيخ عبد الكريم الجزائري ، فهو أهمّ عضو في الطبقتين الأولى والثانية ، أو هو همزة الوصل بين جميع الطبقات ، بل كان في أيام الثورة محور الحركة ، ومجرى التفكير للثورة والثوّار والعلماء ، والمجتهدين والمثقفين ، يسانده في جهوده الشيخ جواد الجواهري وزعماء القبائل مع أفراد الطبقة الأولى المثقفة .

الطبقة الثالثة :

١ ـ الحاج محسن شلاش .

٢ ـ الشيخ محمّد حسن الجواهري .

٣ ـ عبد الأمير الشكري .

٤ ـ محسن أبو عجينة .

٥ ـ يوسف أبو عجينة .

٦ ـ السيّد عليّ الحلّي .

٧ ـ الشيخ عبد الغني الجواهري .

٨ ـ الشيخ عبد الحسين مطر .

الطبقة الرابعة :

١ ـ عبد الحميد الزاهد .

٢ ـ الشيخ باقر الجواهري .

٣ ـ الحاج عبد النبيّ الشكري .
٤ ـ الحاج حمود معلّه .
٥ ـ عبد الحميد مرزه .
٦ ـ الحاج عليّ كبّة .
٧ ـ أمين شمسة .
٨ ـ السيّد علوان الخرسان .
٩ ـ الحاج سعيد مرزة .
١٠ ـ الحاج رؤوف شلاش .
١١ ـ السيّد جواد زيني .

الطبقة الخامسة :

١ ـ السيّد يحيى الحبوبي .
٢ ـ السيّد ضياء الخرسان .
٣ ـ مكّي الشكري .
٤ ـ عبود مرزة .
٥ ـ عبد الرزاق الحاج مسعود .
٦ ـ السيد حسين الرفيعي .
٧ ـ الشيخ محمّد عليّ قسّام .
٨ ـ الشيخ حسين الصحاف .
٩ ـ الشيخ محمّد الشبيبي .
١٠ ـ الشيخ عبد عليّ الطرفي .
١١ ـ الشيخ عبد الحسين الحلّي .
١٢ ـ الشيخ محمّد الوائلي .
١٣ ـ الشيخ حسن الشيخ مهدي .
١٤ ـ الشيخ محمّد حسن محبوبة .
١٥ ـ السيّد محمّد زوين .
١٦ ـ الشيخ جعفر قسّام .

١٧ ـ عبد الرسول شريف .

١٨ ـ السيّد عليّ هادي الحبوبي .

الطبقة السّادسة :

١ ـ الشيخ سعيد الخليلي .

٢ ـ الملاّ عليّ الدلاّل .

٣ ـ سلمان بن الملاّ عليّ الدلاّل .

٤ ـ عليّ بن قاسم أفندي .

٥ ـ السيّد صالح البغدادي .

٦ ـ الشيخ حسين الحلّي .

٧ ـ محمّد علي الصحاف .

٨ ـ رؤوف الجواهري .

٩ ـ الشيخ محمّد عليّ الخليلي .

١٠ ـ نعمة الشيخ كاظم .

وهناك طبقة اشتغل بعض أفرادها مع الطبقة الأولى المتجددة ، وكان لهم الأثر الفعّال في تشجيع الحزب العامل ، لأنهم الطبقة المسلحة ، ونحن نذكر المفكّرين منهم :

١ ـ السيّد هادي زوين : وقد تبعه من نجفيي الحيرة المسلحين وغيرهم ما لا يقلّ عن ألف مسلّح .

٢ ـ محمّد أبو شبع .

٣ ـ رسول تويج : وقد تبعهما ما لا يقلّ عن خمسمائة من نجفيي الكوفة وغيرها .

٤ ـ السيّد كريم السيّد سلمان .

٥ ـ السيّد كاظم السيّد سلمان .

٦ ـ عبد الرزاق عدوة .

٧ ـ تومان عدوة .

٨ ـ حمود الحار .

٩ ـ عبد الصاحب هويدي .

وقد تبع هؤلاء المذكورين ما لا يقلّ عن مائة وخمسين مسلحاً باسم الجيش الوطني المحارب.

١٠ ـ الحاج محمّد الحاج عبد الله الهندي: وقد صرف على الجيش الوطني ما لا يقلّ عن عشرين ألف روبية من خالص ماله[١].

---

(١) مذكرات السيّد محمد عليّ كمال الدين: ٢٥ ـ ١٢٧.

وقد ذكر الأستاذ حسن الأسدي في كتابه (ثورة النجف ٣٦٩ ـ ٣٧٠): أن هناك مجموعات من المتنوّرين والمثقفين كانوا يعملون في القضايا العامة في النجف، في الفترة التي تلت ثورة النجف وسبقت ثورة العشرين، ولكلّ طبقة أتباع ومريدين من الأوساط التجارية والعامة. وقد قسّم هذه المجموعات إلى ثلاثة طبقات:

١ ـ الطبقة الروحية (شيوخ الأحرار) من ابرز رجالها:

الشيخ عبد الكريم الجزائري.

السيّد محمّد رضا الصافي.

الشيخ جواد الجواهري.

الشيخ حسن عليّ القطيفي... وغيرهم.

يتبعهم:

الحاج محسن شلاش.

الحاج عليّ كبّة.

محمّد الحاج سليمان مرزة.

السيّد نوري كمونة.

عبد الرسول شريف.

السيد علوان الخرسان.

حسون شربة.

عيسى الخلف.

حمود الحار... وغيرهم.

٢ ـ طبقة الأحرار: وهي أنشط من الطبقة الأولى، ولكنها تسير في هدي توجيهاتها، وأبرز رجالها:

الشيخ محمّد رضا الشبيبي.

السيّد سعيد كمال الدين.

الشيخ عبد الغني الجواهري.

الشيخ محمّد باقر الشبيبي.

الشيخ محمّد رضا كاشف الغطاء.

الشيخ عبد الحسين الحلّي.

الشيخ جعفر حيدر.

السيّد حسين كمال الدين... وغيرهم.

يتبعهم :
الحاج أحمد ناجي .
محسن عجينة .
محمّد الحاج عبد مرزة .
يوسف عجينة .
عبد الحميد مرزة .
أمين شمسة .
رؤوف شلاش . . . وغيرهم .
٣ ـ شباب الأحرار : وهم مجموعة من شباب كانت تجنّد نفسها للعمل في تنفيذ جميع المخططات الوطنية التي تضعها طبقة الأحرار تحت إشراف شيوخها ، ومن هؤلاء :
سعد صالح .
أحمد الصافي .
محمّد عليّ كمال الدين .
يحيى الحبوبي .
الشيخ عليّ الكتبي .
الملاّ سلمان صندوق أمين .
السيّد إبراهيم البهبهاني .
السيّد ضياء الخرسان .
مكّي الشكري .
عبود الحاج فليح مرزة .
السيّد ضياء الحكيم .
السيّد حسين النقيب .
السيّد كاظم السيّد سلمان .
كردي أبوكلل .
إسماعيل الحافظ .
عبد الحميد زاهد .
محمود الغروي .
تومان عدوة .
السيّد حسين جربو .
عبد الرزاق عدوة .
عبد الرزاق مسعود .
السيّد جعفر الكيشوان .
الشيخ عبد المنعم العكّام . . . وغيرهم .
تبعهم مجموعة من الناشئين المجدّدين الّذين لا يزال أكثرهم طلاباً في حلقات التدريس المسائية

وكان للحزب وللمكتب معتمدون في معظم مدن العراق وعلى النحو الآتي :

ففي بغداد : الحاج جعفر أبو التمن ، والسيّد محمّد الصدر ، والوسيط إليهما في الغالب محمّد باقر الشبيبي ، أو أخوه جعفر الشبيبي .

وفي الرميثة والسّماوة : الشيخ رحوم الظالمي .

وفي كربلاء : الشيخ أحمد الملاّ كاظم ، ومحمّد حسن أبو المحاسن .

وفي الحلّة : الشيخ محمّد مهدي البصير ، والسيّد محمّد الباقر ، ومحمّد السيّد موسى كمال الدين .

وفي الدغارة : السيّد كاظم عوزي .

وفي عفك والهاشمية والجزيرة : السيّدكـاطع العوادي .

وفي الغراف : الشيخ عليّ الشرقي ، غير أنه لم يستطع من تنفيذ خطّة الحزب في إثارة الغراف إذا ما وقعت الثورة ، الأمر الّذي أوجب سخط بعض أعضاء الحزب بدون مبرر .

وفي الناصرية : الشيخ عبد الحسين مطر .

الخاصّة التي كان أكثرها يعقد في البيوت ، وهم من أهم أدوات تنفيذ المقرّرات ، ومن هؤلاء :

يوسف رجيب .
حسن أحمد مرزة .
السيّد حسن هاشم زوين .
عليّ الشكافي .
صالح شمسة .
عبد الوهاب كمونة .
السيّد محسن النقيب .
عبد الغني الغروي .
محمّد الطريحي .
مهدي البرمكي .
محمّد حسن القطيفي .
راضي الأعسم .
السيّد كاظم الحبوبي .
جعفر حسين مرزة .
عبد الرحمن عدوة . . . وغيرهم .

وفي سوق الشيوخ: الشيخ محمّد حسن حيدر.

وفي البصرة: الشيخ عبد المهدي مظفر.

وفي الحيرة وأبي صخير: السيّد هادي زوين.

وفي الكفل وما جاورها: عبد الأمير الشكري.

وفي الكوفة: محمّد أبو شبع، ورسول تويج.

وبواسطة هؤلاء المعتمدين كانت صلات الحزرب والمكتب دائمة مع معظم البلاد، وكان الحزب على علم بجميع ما يجري من الأوامر والحركات العسكرية والسّياسية لحكّام الاحتلال ولجيشه الجرّار.

وكان هذا المكتب يقوم بتوزيع النشرات السريّة والصحف الواردة من دمشق وغيرها، التي يقرر الحزب إذاعتها، على أن الحزب كان شديد الحذر والتكتّم في أعماله ومراسلاته أولاً، ويتخذ أغرب الطرق لإخفائها، ومن هذا القبيل الوثائق والكتب المرسلة إلى الحجاز وسوريا فقد أخفاها صاحب المكتبة نفسه بين طيّات جلد نسخة من القرآن الكريم، وأوفد بها الحزب محمّد رضا الشبيبي في سنة ١٩١٩م، تلك الوثائق المتضمنة مطاليب العراق في الاستقلال، والمنددة لسياسة الاحتلال، وطلب فيها إلى الملك الحسين إيصالها إلى مؤتمر السّلام وإلى الحكومة الأمريكية، وعلى أساس هذه العرائض وغيرها أُعلِنَ استقلال العراق في دمشق بحضور الموفد النجفي الشيخ الشبيبي.

وقد قام المكتب بنشر العَلَم العربي الوارد إلى الحزب من سورية[1] بيد رسل من البدو، ولأول مرّة رُسمت صورة العَلَم السّوري على جدار في مركز الحزب، ودسّهُ المكتب إلى أحد الخياطين المنتمين للحزب فعمل له عَلَماً ورفعه على سطح سوق الخياطين، ثم وزع في جميع المدن والقرى والأرياف الفراتية.

وبعد أن وقعت واقعة الثورة وثارت الرصاصة الرميثة عظم شأن المكتب وتطوّر أمر الحزب، وأصبح علنياً باسم الحزب الوطني، فرفعوا العَلَم العربي في دار حكومة الثوار

---

(١) يحتفظ المؤلف بنسخة من صورة العلم العربي الوارد من قبل المؤتمر العراقي في دمشق مرسلة إلى السيّد محمّد السيّد حسن الصدر.

في النجف والكوفة والحيرة، وأُرسل علمٌ رفع في كربلاء باحتفال مهيب[1] ولأول مرّة حمل الجيش الوطني النجفي العَلَم العربي وسار إلى جبهة المسيب، ثم عمّ استعمال العَلَم لدى سائر جيوش الثوار.

وقام المكتب خلال الثورة في نشر النشرات التي يطبعها الحزب، ويقوم بتنظيمها محمّد باقر الشبيبي، وتتضمن سير المعارك في مختلف ميادين الثورة، وقام بنشر جريدة الفرات التي أصدرها الحزب، وجعل رئيس تحريرها محمّد باقر الشبيبي (وقد صدر منها خمسة أعداد كان الأول في يومْ السبت ٢١ ذي القعدة ١٣٣٨هـ، والأخير في يوم الأربعاء ٢ محرّم ١٣٣٩هـ).

وكذلك قام الحزب بنشر جريدة الاستقلال النجفية بعد احتجاب جريدة الفرات (فقد صدرت بثمانية أعداد كان الأول منها يوم السبت ١٨ محرّم ١٣٣٩هـ/ ١ تشرين الأول ١٩٢٠م، والأخير يوم الخميس ٣٠ محرّم ١٣٣٩هـ/ ١٣ تشرين الأول ١٩٢٠م) ولكن بدراهم شاب كان لاجئاً للثوار، وقام بتحريرها اثنان محمّد عبد الحسين، ومحمّد عليّ كمال الدين، غير أن الأخير أغفل اسمه لاعتبارات عائلية.

ولم تخمد أعمال المكتب وحزبه إلاّ بعد خمود نيران الثورة وتفرّق أعضاء الحزب، قام هذا الحزب السرّي مع مكتبه ببثّ الدعوة للحركة الوطنية سيّما بعد أن انضم إليه زعماء قبائل الفرات الأوسط وساداته.

ففي أثناء ذلك صادف أن التقى السيّد محمّد رضا الصافي مع السيّد علوان الياسري في دار حكومة أبي صخير، وكان كلّ منهما يتردد عليها لمراجعة شؤون أملاكه، فألفى السيّد علوان غاضباً يكاد ينفجر من الغيظ، ولم يكن السبب غير أن السيّد علوان قد شهد بعينه كيف أهان حاكم أبي صخير العسكري (الكابتن لايل) رجلاً من الوجوه حين طرده من أمامه ذليلاً.

---

(١) رفع العلم في كربلاء على دار البلدية يوم الخميس ٢٣ محرّم ١٣٣٩هـ/ ٦ تشرين الأول ١٩٢٠م عند تنصيب السيّد محسن أبو طبيخ متصرفاً للواء كربلاء من قبل الثوار.

يذكر السيّد عليّ البازركان في (الوقائع الحقيقية ص١٩١): ذهبت إلى السّوق في النجف بعد تعيين السيّد محسن أبو طبيخ في منصبه واشتريت الأقمشة الحريرية اللاّزمة لعمل العلم العربي العراقي، وذهبت إلى أحد الخياطين وعلّمته كيفية صنع العَلَم ذي أربعة ألوان، وبعد أن انتهى من خياطته أخذته وسافرت إلى كربلاء وبصحبتي السيّد طه البدري لتهيئة أسباب الزينة والمتصرف الجديد.



السر أي.تي.ولسن

نائب الحاكم الملكي العام في العراق

فخرج السيّد علوان وهو أشدّ ما يكون انفعالاً، وقد أفاض للسيّد محمّد رضا بأسباب انفعاله، وأسمعه الشيء الكثير من كرهه للإنكليز وحكومتهم، فبادله السيّد محمّد رضا الرأي، وتحدثا طويلاً، وتطرقا في أحاديثهما إلى أن الخلاص من الإنكليز لا يتم إلاّ بالعمل، وأن الاهتداء إلى كيفية النهوض بالعمل لا يتم في هذا الموقف على قارعة الطريق.

وافترقا على أن يتم الاجتماع في النجف، وعلى أن يتذاكرا مليّاً مع الجماعة الآخرين لإيجاد المنفذ الّذي يلجأون منه للحرية، ويتخلصون من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم[1].

وحين زار السيّد علوان الياسري النجف، قصد الشيخ عبد الكريم الجزائري بمعيّة السيّد محمّد رضا الصافي، ثم اتصل بالشيخ محمّد رضا الشبيبي، والشيخ محمّد باقر الشبيبي اتصالاً وثيقاً، وصار للسيّد كمال الدين، والسيّد حسين كمال الدين تماس قويّ بالسيّد علوان، وكان مع الشيخ عبد الرضا الشيخ راضي سابق اتصال وثيق على الاطمئنان من هذه الطبقات التي يلتقيها عند مجلسه أو في المجالس الأخرى المختلفة، فإذا بهذه الاتصالات تنمو وتسفر عن اتجاهات منتظمة، وكانت الحجر الأساس في قيام الثورة بوجه الإنكليز.

ثم التحق بهم السيّد كاطع العوادي، وشعلان الجبر رئيس عشيرة آل إبراهيم بواسطة السيّد علوان، انضم إليهم رؤساء العشائر الآخرون[2] كالسيّد نور الياسري، والسيّد محسن أبو طبيخ، والشيخ عبد الوحد الحاج سكر[3] والشيخ علوان الحاج سعدون، والشيخ غثيث الحرجان، والشيخ شعلان أبو الجون[4].

(١) على هامش الثورة العراقية: ١٠١ ـ ١٠٢، لمحات اجتماعية ٤/١/١١٦ ـ ١١٧.

(٢) على هامش الثورة العراقية: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) لمحات اجتماعية: ٥/١/١١٨.

(٤) مذكرات السيّد سعيد كمال الدين: ص٢٤.

الاستفتاء :

جاء في برقية وزارة الهند المؤرخة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٨ الموجّهة إلى السير أرنولد ولسن نائب الحاكم الملكي العام في العراق تقضي أن يستطلع وجهة نظر العراقيين، وبدوره فقد بعث إلى الحكّام السياسيين في الألوية والأقضية أن يجمعوا صغار النفوس وضعاف الإيمان والدين

ترتبط أعمالهم ومصالحهم مع السّلطة الحاكمة لتكون أجوبتهم صدى لإدارة السّلطة البريطانية وكانت الأسئلة :

١ ـ هل ترغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية، تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتّى الخليج؟

٢ ـ هل ترغبون أن يترأس هذه الدولة رئيس عربي؟

٣ ـ من هو الرئيس الّذي تريدونه لرئاسة الحكومة[1]؟

وعقدت الاجتماعات في المدن والقرى، وقام ولسن بزيارات ميدانية لبعض المدن، والتقى ببعض الشخصيات الدينية والسياسية، في سعي حثيث إلى إقناعهم وتزوير إرادة الشعب واستحصال قبولهم بالاحتلال..

---

(١) مذكرات السيد محمّد عليّ كمال الدين، ٢٨.

ولما كانت النجف وبسبب مركزها الديني الواسع النطاق، وتأثير علمائها على جماهير الشعب، فقد كانت أول بلدة تحسست بثقل السّلطة الأجنبية، وأول مدينة عراقية فكّرت بالتخلّص من الاستعمار البريطاني، بالنظر لما كانت قد تشبعت به من روح الحرية والنزوع إلى الديمقراطية، بسبب ما كانت تتلقاه من دروس متواصلة عن فلسفة نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السّلام)، وبسبب كونها مهد العلماء ومركز الروحانية، ولهذا فقد اهتم بها الحاكم الملكي العام اهتماماً عظيماً، وأراد أن يعرف رأي سكّانها والمحيطين بها في مستقبل بلادهم، معرفة دقيقة، فسار إليها في ١٢ كانون الأول ١٩١٨م، بعد أن أوعز إلى الميجر نوربري الحاكم السّياسي للواء الشامية والنجف، أن يدعو علماء النجف وأشرافها وزعماء القبائل وساداتهم في أبي صخير والشامية للاجتماع به، فكان ممن حضر هذا الاجتماع:

من العلماء: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمّد جواد صاحب الجواهر، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي.

ومن الرؤساء: السيّد نور الياسري، والسيّد محسن أبو طبيخ، والسيّد علوان الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الحاج سعدون، ومحمّد العبطان، وعبادي الحسين، ومرزوك العواد، ولفته الشمخي، ومجبل الفرعون.

ومن الوجوه والأشراف والأدباء: عبد المحسن شلاش، ومحمّد رضا الشبيبي، والسيّد هادي الرفيعي وغيرهم.

وكان (مصطفى خرمة البيروتي) أحد الموظفين العرب المستخدمين في دائرة الحاكم السّياسي الميجر نوربري، على علم من موضوع الاستفتاء، وقبل مجيء الحاكم الملكي العام إلى النجف بفترة قصيرة، ومن الدعوة التي وجهت إلى من سيجتمع به، فدفعه شعوره القومي إلى اطلاع السيّد سعيد كمال الدين أحد الشبان الوطنيّين المتحمسين على ذلك، وكان طبيعياً أن يطلع السيّد سعيد زملاءه على الموضوع، وأن تُتخذ التدابير اللاّزمة لمجابهة طواغيت الاحتلال[1].

ووصل الحاكم الملكي العام في الموعد المضروب، واجتمع بالعلماء والزعماء والأشراف والسرّاة، في سراي الحكومة، خارج المدينة، وبعد أن استقر المجلس أعلن الغاية من مجيئه، وهي أن بريطانيا وحلفاءها قرروا استمزاج آراء سكان البلدان المحررة من السّلطة العثمانية في شكل الحكومة التي يختارونها، ثم عرض الأسئلة الثلاثة المذكورة، وطلب الإجابة عليها، فجرت مناقشة حادّة نوجزها فيما يلي:

الحاج عبد المحسن شلاش: هل أنّ الحكومة البريطانية تريد أن تعامل العراقيين بهذه المعاملة رأفة منها بحال السكّان، أم هنالك عوامل أخرى تستدعي هذا الاستفتاء ؟

الحاكم العام: إن بريطانيا عادلة، ومن عدلها أنها تريد معرفة رأي السكّان في تقرير مصيرهم.

السيّد هادي الرفيعي: لا نريد غير الإنكليز.

الشيخ عبد الواحد الحاج سكر: بل نريد حكومة عربيّة وطنية.

الحاكم العام: هل هذا هو رأيك أم رأي الجميع ؟

فأجابه الشيخ عبد الواحد: إن هذا رأيي الشخصي، ولا بد من أن أكثر الحاضرين يؤيدونه.

الشيخ محمّد رضا الشبيبي: إن الشعب العراقي يرتأي أن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق، وإن العراقيين يرون من حقّهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً، وليس فينا من يفكر في اختيار حاكم أجنبي.

---

(١) مذكرات السيّد سعيد كمال الدين: ٢٤.

فاحتدم الحاكم غيظاً، وقاطع المتكلّم مراراً، ضارباً بيده على المنضدة التي أمامه، وحاول أن يطّلع على رأي بقيّة المدعوين، فلم يعترضوا على الأقوال السّالفة.

فكانت تلك أول مجابهة جوبهت بها سياسة الاحتلال، وطواغيت المحتلّين، ثم سرت في العراق سريان النار في الهشيم[1].

ثم تكلّم السيّد علوان الياسري، قائلاً: لما كان المدعوون غير مسبوقين بالموضوع فهم يرجون إمهالهم إلى الغد لدرس الأسئلة الثلاثة، وتوحيد الأجوبة عليها، وذلك بعد الاتصال بالعلماء وببقية الرؤساء.

فلم ير الحاكم مانعاً من ذلك، إلاّ أنه طلب أن ترسل الأجوبة إليه بواسطة الحاكم السّياسي للنجف والشامية، الميجر نوربري.

وقام الحاكم الملكي العام السير أي. تي. ولسن بزيارة السيد اليزدي والتحدث معه بشأن الاستفتاء يقول: «وكان لي صباح الثاني عشر شرف زيارة السيد محمد كاظم اليزدي الطاعن في السن. . قال: أنا أنطق باسم الذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم، ومهما تكن الحكومة أرجو أن تتركوا لهم أن يتبصروا بمصالحهم التي تتعلق بالشيعة خاصة، ولا سيما العامة التي لا تعرف من الأمر شيئاً، والتي لا حول ولا طول لها، إن هؤلاء الناس ليسوا متحضرين، وإن تنصيب الموظفين العرب سيؤدي إلى الفوضى، إنهم لم يتعلموا بعد معنى الاستقامة، وإلى أن يتعلموا ذلك فيجب بقاؤهم تحت أوامر الحكومة، ولا يمكن إيجاد شخص يكون مقبولاً كأمير»[2].

وبعد أن تفرّق المدعوون، ذهب رؤساء القبائل إلى الكوفة لاستطلاع رأي الزعيم الروحي السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي في الموضوع، فلمّا عرضوا عليه الأسئلة، قال:

---

(١) العراق في دوري الاحتلال والانتداب: ١/ ٧١ ـ ٧٢، أيضاً: الثورة العراقية الكبرى ٤٢ ـ ٤٣، وفي ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، إن قبل هذا جرى اجتماع في دار الحاج عبد المحسن شلاش فوضعوا الأسئلة المذكورة على بساط البحث، فاتضح لهم سوء النتيجة، وأن كلّ ذلك مكر وخديعة.

(٢) العراق، نشأة الدولة، للعطية ص٣٥٥.

«إنّ الأمر لخطير جداً، ولكلّ أحد حقّ إبداء الرأي، سواء أكان تاجراً أم بقالاً، زعيماً أم حمّالاً».

ونصحهم بالاجتماع والمداولة وموافاته بالنتيجة، فعادوا إلى النجف، وعقدوا اجتماعاً في اليوم التالي في دار الشيخ محمّد جواد صاحب الجواهر، حضره رهط من العلماء والزعماء والمتمولين والمتعلّمين والأشراف والسّادات وغيرهم، فجرى الكلام حول الأسئلة والأجوبة بنطاق واسع، وتشعّبت الآراء، فحمي وطيس الجدال، أراد الشيخ عبد الواحد أن يقضي على هذه البلبلة، فألقى كلمة موجزة، أقرّه المجتمعون عليها، قال:

«لسنا اليوم أيها السّادة أكفاء للجمهورية، ولسنا فرساً، أو تركاً، أو إنكليزاً، فنختار أميراً فارسياً، أو تركياً، أو إنكليزياً، وإنما نحن عرب، فيجب أن نختار أميراً عربياً، وحيث أن البيت الشريف في مكّة أكبر بيت في العالم العربي، فإننا نرغب أن تكون لنا حكومة عربية مستقلّة يرأسها أحد أنجال جلالة الملك حسين»[1].

وهكذا تفرّق القوم وذهب الرؤساء إلى الكوفة، وطالبوا السيّد اليزدي بإبداء الرأي، فقال لهم: «أنا رجل دين، لا أعرف غير الحلال والحرام ولا دخل لي بالسّياسة مطلقاً».

فلمّا ذكّروه بما قاله بالأمس، قال: «اختاروا ما هو أصلح للمسلمين»[2].

---

(١) الثورة العراقية الكبرى للحسني، ص٤٣.

(٢) جاء في مذكرات الإمام كاشف الغطاء ص٣٩٣:

«... كان كثير من زعماء القبائل وشيوخ الأطراف في النجف بعد إظهار موالاة الإنكليز قلبوا ظهر المجن له، وتذمروا من أعماله سيما (دلي) حاكم الديوانية، فإنه أساء معاملة رؤساء القبائل، وكان يعاملهم بسوء المعاملة، ويقابلهم بالاحتقار والمهانة، وكلما رفعوا شكواهم وطلبوا من معتمد بريطانيا في العراق تحويله لا يصغي إليهم، فصمموا على الثورة، وبما أن الثورة لا تكون ذات أثر إلاّ إذا استندت إلى موافقة الزعيم الروحاني والمرجع العام، فكانوا يحضرون ـ أرى ثلة ـ ويفاوضونه في الأمر سرّاً وتحت حجب الخفاء، والسيد ـ أعلى الله مقامه ـ لمعرفته البليغة بأحوال أهل العراق، وعدم ثقته بهم، يتنصّل من الدخول معهم ومن مساعدتهم، ويقول: أنا لا آمركم ولا أنهاكم، فدعوني جانباً وملجئاً عند الفزع، وعدم الفوز لا سمح الله. وبقيت الفكرة تختلج في الصدور، والقوم يحجمون تارة ويقدمون أخرى، كل ذلك من عدم موافقة السيد التي كانت هي الحزم والسداد».

مما دلّ على أن السّلطة اتخذت للأمر عدّته، إذ لم يكد المجتمعون ينتقلون إلى دار السيّد نور الياسري لمواصلة البحث، ووضع الضوابط المتفق عليها، حتّى داهمتهم الشرطة، فشتتهم أيدي سبأ، واضطر هؤلاء الرؤساء إلى الاعتصام بقبائلهم في الشامية وأبي صخير.

وبعد يومين دعاهم الحاكم السّياسي وحاول أن يحصل منهم على ما يريده معتقداً أن الحصول على ذلك في خارج مدينة النجف أجدى للسّلطة وأنفع، فأخفق، إذ وقّع الجميع مضبطة[1]، نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن اجتمع بنا الحاكم العام في النجف الأشرف، وأخبرنا بلسان الحكومة البريطانية المحتلة بشكل الحكومة التي نختارها ونتتخب ملكاً.

وبعد أن وقفنا على مقررات دولتي بريطانيا وفرنسا حول تحرير الشعوب، وخلاصة قولها إن غرض الحكومة في الشرق تحرير الشعوب تحريراً نهائياً، وإنشاء حكومات وإدارات وطنية في سورية والعراق تقوم بها الشعوب بذاتها من خالص رغبتها ومحض اختيارها، وبعد ملاحظة الأصول الإسلامية الجعفرية، فإننا قررنا على أن تكون لنا حكومة عربية إسلامية مقيّدة بقانون أساسي بشرط أن لا يخالف قواعدنا وعاداتنا وشعائرنا الدينية منها والوطنية، تحت ظلّ ملك عربي وهو أحد أنجال الشريف حسين.

هذه رغبات الأمة العراقية لا نحيد ولا نتنازل عنها قيد شعرة.

---

(١) الثورة العراقية الكبرى للحسني. انظر: مذكرات السّيد حسين كمال الدين: ١٢ ـ ١٣، الحقائق الناصعة ٨٤ ـ ٨٥، وفيه: إن التوقيع على هذه المضبطة جرى في دار الشيخ جواد الجواهري.

انظر: تأريخ العراق السياسي المعاصر ٢/ ١٨٢، وفيه إن المضبطة نظمت على أثر إستشارة السيد اليزدي.

ويذكر الأستاذ حسن الأسدي وهو ممن عاصر وقائع الاستفتاء: «إن السيد اليزدي حسم النزاع الذي ظهر نتيجة تعدد الآراء، برأي وسط فاعتمده الجميع ودوّنوه في مضبطتهم، ولو أنه امتنع عن حسم الخلاف، ولم يشر بالحل الوسط في ذلك الجوّ المضطرب لما تمّ الإتفاق على رأي موحّد، لأن الذين اختلفوا في وجهات النظر لم يكونوا من عامّة الناس، وإنما هم علماء الدين ورؤساء العشائر الذي يصعب أن تتغيّر قناعاتهم إلاّ بموقف المرجع الديني». «انظر: ثورة النجف للأسدي ص٣٣٦».

وقد وقّع عليها كبار رجالات الدين وزعماء العشائر ورؤساء القبائل ووجوه مدينة النجف الأشرف[1].

دعوة الإمام الشيرازي:

بعد أن فشل الحزب النجفي في إقناع السيد اليزدي وجلبه إلى حضيرتهم، وأدرك الرؤساء أن السيد تجرّد من الحركة أدبياً، وأن كل عمل لا يكتب له النجاح التام إن لم يعطف عليه ذوو المعرفة كالعلماء الأعلام وخصوصاً في مرحلة كهذه، عمدوا إلى إيقاع سوء التفاهم بينه وبين زعماء العشائر وبثّ روح التفرقة، والفصل بين المقلدين ومرجعهم، فقد بثّوا دعاية صارخة ضده ـ تحت غطاء الدين ـ في أنه متعاون مع المحتل الإنكليزي وأنه ليس كما يقال فيه، وأطلقوا عليه لقب (اليزيدي) وإن السيد نور السيد عزيز الياسري عدل عن تقليده ـ وهو من مقلدي السيد المتشدّدين ـ فكان أول من عدل عن تقليد السيد اليزدي وتبعه كثير من الزعماء.

كما قرر الحزب أن يوجّهوا أنظار الناس إلى مجتهد آخر، وكان المرشح الميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي، ـ حينئذ في الكاظمية ـ فقد وسّطوا ولده الميرزا محمد رضا والشيخ عبد الكريم الجزائري لعلاقة سابقة بينهم منذ الحركة المشروطة وحركة الجهاد عام ١٩١٤ ويعلموه استعداد الناس لتقليده، ويطلبون منه القدوم إلى النجف لقيادة الحركة، وردّ الجواب بالموافقة، ويرجو تحضير دار ليسكنها، وبعث بكتبه وأثاث داره، وهنا تغيّر رأي الرؤساء على أن يجعلوا مقرّه في كربلاء لاقتضاء المصلحة، ولئلاً يكون ذلك تحدياً ظاهراً للسيّد اليزدي، وكاتبوه بذلك فوافق، ولدى وروده إلي كربلاء استقبل استقبالاً حافلاً بالجماهير والأهازيج من (خان العطيشي) حتى كربلاء، معلنين ولاءهم له قائداً لمسيرة المصير والتحرير.

---

(١) الحقائق الناصعة ٨٤ ـ ٨٥.

كما عقد اجتماع آخر في كربلاء لغرض الاستفتاء نفسه حضره معاون حاكم الحلة، والتقى مع عدد من أعيان المدينة، وتداول الأعيان فيما بينهم في اجتماعين آخرين، أولهما في دار السيد محمد صادق الطباطبائي، والثاني في دار الإمام الشيرازي الذي حُسم الاختيار فيه بتقديم مضبطة إلى حاكم الحلة نصّها: «... وقد اجتمعنا نحن أهالي كربلاء امتثالاً لأمركم، وبعد مداولة الآراء، وملاحظة الأصول الإسلامية، وطبقاً لها تقرر رأينا أن نستظل بظل راية عربية إسلامية، فانتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف ليكون أميراً علينا، مقيداً بمجلس منتخب من أهالي العراق، لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة، وما تقتضيه شؤونها، تحريراً في الخامس عشر من ربيع الأول ١٣٣٧هـ».

وفي هذه الأثناء وقضية الاستفتاء ما تزال ساخنة، تقدم زعماء الثوار إلى الشيخ الشيرازي بالسؤال التالي يطلبون منه الإفتاء:

«ما يقول شيخنا وملاذنا حضرة حجّة الإسلام والمسلمين، آية الله في العالمين الشيخ ميرزا محمّد تقي الحائري الشيرازي، متّع الله المسلمين بطول بقائه، في تكليفنا معاشر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية العظمى في انتخاب أمير لنا نستظل بظلّه ونعيش تحت رايته ولوائه.

فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للإمارة والسّلطنة علينا، أم يجب علينا اختيار المسلم، بيّنوا تؤجروا».

فأجاب:

(بسم الله الرحمن الرحيم. ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم،

للإمارة والسّلطنة على المسلمين).

٢٠ ع٢ سنة ١٣٣٧هـ — الأحقر

محمّد تقي الحائري الشيرازي[(١)]

لقد شكلت هذه الفتوى بداية جديدة للتحرك الإسلامي، حيث ظهر الشيخ الشيرازي كقائد إسلامي يشرف على حركة المعارضة الجماهيرية ويوجهها بالاتجاه الصحيح، في الوقت الذي غاب فيه دور مراجع الدين بعد سقوط العراق بيد الاحتلال البريطاني، وبذلك يكون الشيخ الشيرازي قد سجّل مبادرة على قدر بالغ الأهمية في المواجهة مع الإنكليز، وهي المبادرة التي تكشفت آثارها الكبيرة فيما بعد.

وفي ٥ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ بعث برسالة بالفارسية إلى المفوّض الأمريكي في طهران يحتج فيها على تصرفات المحتّلين ويستنكر الأعمال الوحشية التي ترتكبها حكومة الاحتلال ويدعوه إلى تأييد قضية الشعب العراقي في تقرير مصيره[(٢)].

كما بعث في ١٢ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ متضامناً مع الإمام شيخ الشريعة برسالة أخرى إلى الرئيس الأمريكي (ولسن) يعرضان له قضية الشعب العراقي ويدعوانه إلى مساندته بإقامة دولة عربية مستقلة إسلامية يرأسها ملك مسلم مقيّد بمجلس وطني، وقد أُرسلت بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس[(٣)].

وفي مساء ٢٨ رجب ١٣٣٧هـ/ ٣٠ نيسان ١٩١٩م، انتقل إلى جوار ربّه آية الله العظمى السيّد محمّد كاظم اليزدي عن عمر تجاوز الثمانين، وقد أُقيمت للفقيد حفلات تأبينية كبرى في جميع أنحاء العراق، وكانت هذه الوفاة سبباً مباشراً لتقارب المسلمين في العراق، وعاملاً كبيراً من عوامل استحكام الصلات الحسنة بينهم، وقد استغلّ المفكرون السّياسيون هذه القوّة الكامنة ورَاحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبرى.

---

(١) الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى
وطبع عليها عشرات الآلاف من النسخ، ووزعت في كل مدينة وقرية إيذاناً بالجهاد، حتّى أصبح العراق عامة والفرات خاصة على انتظار الإيعاز والتوجيه.

(٢) معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية ١٨١ ـ ١٨٢.

(٣) انظر: الفصل الرابع الخاص بالوثائق السياسية.

وقد رأت سلطات الاحتلال أن تبعث إلى الإمام الحائري برسالة التعزية هذه:

إدارة الحاكم الملكي العام في العراق

العدد: ١٣٢٩٤.

التاريخ: ٥ أيام ١٩١٩م.

إلى حضرة آية الله العالم العلاّمة، والحبر الفهامة، الميرزا محمّد تقي الشيرازي دام ظلّه العالي.

تحيّةً وسلاماً وبعد:

نعت إلينا الأخبار بمزيد الأسف انتقال المرحوم الطيّب الذكر حضرة آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي، فأكبرنا المصيبة، وتغلّب علينا الحزن لفقدان ركن من أهم أركان حضرات العلماء الأعلام وحجج الإسلام دامت بركاتهم، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا قضاء الله لا مردّ له.

نعم إن الرزء أليم، والخطب جسيم، لاسيّما وأن الراحل الكريم كان تقيّاً، ورعاً، عالماً، علامةً، وحبراً فهّامة، مطاع الأمر والنهي في كلّ ما له تعلّق بالأمور الدينية والدنيوية، محبّاً للخير والوطن، عاملاً على تسكين الخواطر، ناصحاً عاقلاً، رشيداً حكيماً، حازماً هماماً، محرّضاً للناس على التزام جانب السّكينة، هادياً لهم إلى طريق الخير والصلاح، ناهياً لهم عن ارتكاب الهفوات والغلطات، على أن لنا في أشخاص حضرات آيات الله العلماء والأعلام، وحجج الإسلام دامت بركاتهم أكبر مُعز عن فقده، ولنا في تحلّيهم بصفاته واتباعهم خطاه الحكيمة خير سلوان يخفف عنّا وطأة فراقه.

فنسأل الله أن يتغمد الراحل الكريم برضوانه، ويسكنه فسيح جنانه، وأن يعوضنا عنه بكم خيراً، ونطلب من المولى عزّ وجلّ أن يطيل بقائكم، ويسعد أيامكم، ويعلي قدركم بين الأنام، بما أنتم أهل له من رفعة المقام، آمين.

وقد أوفدنا من جانبنا حضرة النواب محمّد حسين خان البوليتيكل أناشيه لدولة الحاكم الملكي العام في العراق إلى كربلاء المعلّى والنجف الأشرف لتقديم واجب التعزية إلى حضرات أنجال وأعضاء عائلة الراحل الكريم، وإلى حضرات العلماء والأعلام وحجج الإسلام دامت بركاتهم، فنرجوكم أن تشملوه بعناية خاصّة.

هذا واسمحوا لنا بالتعبير لكم عن تقدير الحكومة البريطانية العظمى لخدمات حضرات العلماء الأعلام دامت بركاتهم، واستعدادنا لقضاء ما ترون فيه خير العباد؛ ولكم منا السّلام أولاً وأخيراً.

أ. بي. هاول

القائم مقام القائم بأعمال الحاكم الملكي العام في العراق(١)

وعلى أثر تنظيم أهالي كربلاء مضابطهم حول الاستفتاء في الأسئلة الثلاثة، أضمرت السلطة المحلية لهم السوء، فلما اتسع الخرق على الراتق، وأصبحت المناوءة علنية، أمرت السلطة بإلقاء القبض على ستة منهم في يوم ٥ ذي القعدة ١٣٣٧هـ/ ١ تموز ١٩١٩ وهم:

١ ـ عمر الحاج علوان.

٢ ـ عبد الكريم العوّاد.

٣ ـ طليفح الحسون.

٤ ـ محمد علي أبو الحب.

٥ ـ السيد محمد مهدي المولوي.

٦ ـ السيد محمد علي الطباطبائي.

وقد أساءت هذه البادرة المرجع الديني الإمام الشيرازي، فكتب إلى «الكولونيل ولسن» كتاباً في اليوم التالي «ملؤه تأنيب وتبكيت لعمله المخالف للشرائع العالمية ويبرىء فيه ساحة المبعدين من كل تهمة خلا مطالبتهم السلمية بحقوق البلاد المغتصبة المشروعة وطلب إليه أن يخل سبيلهم»(٢) فلم يلتفت الكولونيل إلى هذا الطلب وإنما كتب الجواب التالي:

العدد ٥٣٩٤٥

التاريخ ٩/ ٨/ ١٩١٩

حضرة آية الله العظمى حجة الإسلام الميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي دامت

---

(١) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ٨١، الثورة العراقية الكبرى للحسني ٦١ ـ ٦٢.

(٢) كربلاء في التاريخ، للسيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة.

بركاته.

لي الشرف أن أعرض لكم أنه وصلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ تذكرون بكل أسف أن الأعمال التي أقدمت عليها حكومة بريطانية العظمى لإجراء واجبات وظائفها، ولحفظ أحكام القوانين والأنظمة، أوجبت استياء وتشويش العلماء الأعلام دامت بركاتهم في كربلاء. وكنت أعتقد أن تجاريب الأربع سنوات الماضية قد أثبت لدى حضرتكم ومتعلقيكم أن الحكومة البريطانية اعتنت بصيانة وسلامة العتبات المقدسة أكثر من أية دولة أخرى.

كانت كربلاء، منذ مدة طويلة، بؤرة للاغتشاشات والثورات بين الأهالي والحكومة، وكما لا يخفاكم بأن هذه الثورات كانت تحدث أضراراً وخسائر وتلفيات كثيرة من قبل الجنود التركية على الأهالي والمدينة، لاسيما أن شرف العلم والعلماء كان غير مصون في تلك العصور مما أدّى إلى تيقظ الحكومة البريطانية، واهتمامها بمثل هذه الأحوال المخالفة للعادات البريطانية.

لقد حصلت لنا اطلاعات كافية في مدة الاثني عشر شهراً الماضية، تثبت أن بعض الأشخاص في كربلاء يقومون بتشويش الأذهان، وينشرون أخباراً غير مرضية، وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية. وكنت منتظراً من مدة طويلة، انتهاء هذه الإشاعات الغير مرضية بعد إعلان الصلح، لكني ألاحظ أن الأمر قد انعكس، وأن بعض الجاهلين قد زادت جسارتهم، وكثر سعيهم في تشويش الناس. فلذا لاحظت أن من الواجب القبض على بعض الأفراد، وأن الأشخاص الذين قبض عليهم هم أربعة من أهالي المدينة الذين لم تكن لهم أية علاقة معكم، ولا مع العلماء الأعلام والروضات المطهرة، والاثنان اللذان هما من السادة، وإن لم يكونا من ذوي الأهمية، إلا أنهما كانا ينشران الإشاعات الكاذبة ضدّ الإنكليز، وهو باعث لتشويش أفكار الأهالي. ونظراً لإقداماتكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد علي الطباطبائي وإرساله إلى سامراء، على أن يسكن هناك، ولا يخرج منها بدون إجازة منا، فنرجوكم إشعاره بهذا الأمر تحريرياً عند وصول كتابنا هذا إليكم، مع إخباره بأن يبقى هناك ساكناً، وأن لا يتدخل في أمور الناس. وإذا تخلف عن التقيد بهذا الأمر، فإنا بكمال حريتنا ننفيه عن هذه المملكة، إلى محل لا يتمكن فيه من إحداث أي تشويش. وأما

السيد محمد مهدي المولوي فإن له اليد الطولى في تشويش أفكار العموم، وبما أنه هندي الأصل، فقد استحسنا إرساله إلى وطنه الأصلي، حيث يعيش بكمال الحرية، لأنه لا يمكن إبقاؤه في كربلاء، حيث وجوده موجب لعدم استراحة الناس فيها.

لنا وثيق الرجاء أن بعض الأشخاص في كربلاء قد انتبهوا، واحترزوا من بعض أعمالهم التي توجب عليهم المسؤولية، وإن حكومة بريطانيا ترغب في إعطاء جميع الناس الرفاهية التامة، لكنها لا تود أن يستعمل بعض الأشخاص هذه الحرية والرفاهية لأغراض تولد الاغتشاشات والتشويشات بين الناس. وقد قدمت هذه الرسالة بواسطة النواب محمد حسين خان، المعروف بالخدمة لدينا، وفي الحقيقة أنه الرجل الوحيد الذي نعتمد عليه، وقد زودته ببعض معلومات شفوية ليعرضها على حضرتكم والسلام.

لفتنت كولونيل اي. تي. ولسن

القائم بأعمال الحاكم الملكي العام في العراق[1]

لقد أوقع هذا الكتاب أثراً سيئاً في نفس الإمام الشيرازي، وقد أشيع في الأوساط خبر مفاده، أن الإمام الحائري قرر مغدرة العراق وسيترك قيادة الثورة، وعلى أثر قيام الإنكليز بهذه الأعمال الوحشية، وامتهان كرامات المواطنين، وضغطها على حريات الأهلين.

فقامت دنيا عشائر الفرات وقعدت لهذا الأمر الخطير، وصار سماحته يتلقى عشرات الكتب من أنحاء الفرات، وكان لهذا الأمر الخطير صدى تلقته مدينة النجف بألم ومرارة[2].

---

(١) الثورة العراقية الكبرى للحسني ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) فقد بعث علماء النجف إلى سماحته بهذا الكتاب:

مفزع الجميع، زعيم الكل، حجّة الإسلام حضرة آية الله الشيرازي دامت بركاته:

شقّ علينا جلباب الصبر ما جرى هذه الأيام الأخيرة في كربلاء المقدّسة من الأمر الّذي اغبرّت له مرآة خاطرك الأعلى، والخطب الذي مسّ مقام شرفك الأقدس، ونحن لا نشك أنه مسَّ روح الإسلام وأثر في نفس العصمة.

وقد بلغنا أنك عزمت على الهجرة من هذه الديار، فإذا تحقق العزم فنحن نهاجر أنّى هاجرت، ونقيم حيث أقمت، وما بالأوطان أوطار بعدك، الأمل أن تكشف لنا عن رأيك العالي في ذلك لتكون تهيئة =

وأخيراً أفرج الإنكليز عن المبعدين بعد أربعة أشهر، كما أرسلوا مبلغاً من المال إليه فرفضه[1].

وفي أوائل شعبان ١٣٣٧هـ/ نيسان ١٩١٩م، اجتمع رؤساء عشائر الفرات في

الركاب لمصاحبتك على أثر هذا الكتاب إليك، ودم مؤيداً، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
١٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ

الداعي لكم على الدوام: موسى ابن شيخ تقي بن زايرد هام.
الأقلّ: صالح كمال الدين.
المخلص: جواد شيخ شبيب.
الأقلّ: عبد الكريم الجزائري».

كما بعث بعض شباب النجف العاملين في الحقل الوطني الكتاب التالي:
«إلى مقامكم الروحاني المقدّس نرفع خلوصنا، ونقدّم واجب احترامنا يا آية الله الكبرى:
إن حادث كربلاء المقدّسة أقام قيامة اللعماء، وكدّر خواطر الفقهاء، أدمى القلوب وأبكى العيون، كيف وإنه اعتداء على مقام الإسلام، وتوهين بمنازل العلماء الأعلام، ومسّ لكرامة أهل البيت (عليهم السلام)، واستهانة بالشريعة، وتحقير للشيعة.
يا حجّة الإسلام: لم يبلغنا خبر هجرتكم إلّا وقد صممنا على اتباعكم، والسير على منهاجكم، فلا تطيب لنا بعدكم دار، ولا يكون لكافة أهل العلم قرار، فأمرونا فإنّا ممتثلون طوع أمركم، ورهن إشارتكم، فقد حرّم الله علينا البقاء في هذه الديار التي أكلها الظلم، فكبر علينا أن نرى أنفسنا أذلاء تحت رحمة الاستبداد، وسلطة الاستعباد، فالهجرة أولى، والحركة إلى موطن العلم أحرى.
إن دام هـذا ولـم تحـدث لـه غِيَـرٌ لـم يُبـكَ ميـتٌ ولـم يُفـرح بمـولـودِ
وإننا نلتمس مولانا ومقتدانا أن ينبه حملة عرش العلوم الشريفة إلى ضرورة تقديم الاحتجاجات إلى السّفارات الأجنبية، فإن كافة طلبة العلم في النجف الأشرف مهتمون بها وعازمون عليها، لما يترتب على تقديمها من النتائج الحسنة والفوائد العظيمة.
والسّلام عليكم، ودوموا ظلاً وارفاً على المسلمين.
١٢ ذي القعدة ١٣٣٧هـ

محمّد باقر الشبيبي.
سيّد سعيد كمال الدين.
محمّد الشيخ يوسف.
السيّد سعد جريو.
السيّد أحمد الصافي.
السيّد حسين كمال الدين.
عبد الرضا السّوداني».

«انظر: الحقائق الناصعة ١٧١ ـ ١٧٣، وثائق الثورة العراقية ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ والملحق الخاص بالوثائق في هذا الكتاب».

(١) لمحات اجتماعية ج٥/ ق١/ ١١٠، الحقائق الناصعة ١٠٦.

كربلاء بعد اتفاق مسبق توجهوا إلى منزل الإمام الشيرازي للتداول معه بشأن سبل مقاومة الاحتلال وتحقيق الاستقلال، فقال قدس سره: إن الواجب الديني يقضي علي أن أقوم بهذا العمل إن تمت موازينه»[1] ثم قرر الزعماء الاطلاع على رأي أهالي العاصمة وبعثوا وفداً إلى بغداد بهذا الشأن.

وفي هذه الأثناء كانت المفاوضات الإيرانية الإنكليزية بشأن عقد معاهدة بين الطرفين جارية على قدم وساق فدعا آية الله الشيرازي شيخ الشريعة الأصفهاني والسيد إسماعيل الصدر إلى اجتماع خاص يعقد في منزله للمداولة في الأمر، وبعد انعقاد الاجتماع قرر الشيخ وزميلاه إرسال برقية إلى رئيس الوزارة الإيرانية (وثوق الدولة) يطلبون منه فيها رفض المعاهدة وكسر طوق العبودية المفروض على رقاب المسلمين، ونتيجة لهذه المعارضة الشديدة استقال (وثوق الدولة) في ربيع ١٩٢٠[2] ويبدو أن هذه القيادة الحازمة جعلت الإنكليز يفكرون بضرورة استرضائها بشكل ما، ففي رمضان ١٣٣٧هـ/ حزيران ١٩١٩م جاء الحاكم الإنكليزي في العراق ويلسون، إلى كربلاء للتباحث مع آية الله الشيرازي وفي بداية اللقاء تحدث ـ وكان يتقن الفارسية ـ عن منصب كليدار سامراء وضرورة تعيين شخصية شيعية فيه بدلاً عن المسؤول السنّي الحالي، فأجابه الشيخ الشيرازي «لا فرق عندي بين السنّي والشيعي وأن الكليدار الموجود رجل طيب ولا أوافق على عزله فانتقل ويلسون إلى موضوع المعاهدة الإيرانية البريطانية، وما فيها من الفوائد لإيران، فأجابه «قدس سره»: نحن في العراق ونتكلم عن العراق وإن حكومة إيران وشعبها أعرف بشؤونهم منا، فلا يجوز لنا والحالة هذه التدخل في أمور لا تعنينا ولا نعرف عنها شيئاً» ثم تطرق ويلسون إلى ما يجري في جنوب إيران من قتال بين القوات الإنكليزية وبعض القبائل الإيرانية طالباً من الإمام الشيرازي الإفتاء بكف القتال حقناً للدماء فأجابه الشيرازي: «لا يسوغ لي الإفتاء بشيء لا علم لي به سيما وأن لتلك القبائل حكومة فحكومتهم أعرف بذلك المحيط وما تقتضيه»[3]. فأسقط ما في أيدي ويلسون وخرج يجر وراءه أذيال الخيبة والفشل

---

(١) الحقائق الناصعة ١٠١، الثورة العراقية الكبرى للحسني ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) لمحات اجتماعية ج٥/ ق١/ ١١٠.
(٣) الحقائق الناصعة ص٦٥.

الذريع، وبسبب ذلك أصبح الإنكليز يكنّون حقداً كبيراً على الشيخ الشيرازي ويشيعون عنه وعن نجله الشيخ محمد رضا مختلف التهم والأقاويل.

وهكذا بدأت الأحدث تسير نحو التفاقم وأصبح الاصطدام القريب أمراً محتوماً فاستدعى آية الله الشيرازي الشيخ مهدي الخالصي للإقامة في كربلاء والمشاركة في أعمال المجلس الاستشاري الذي تم تأسيسه بعضوية عدد من كبار العلماء أمثال السيد أبو القاسم الكاشاني والسيد هبة الدين الشهرستاني إضافة إلى الشيخ مهدي الخالصي.

وفي خطوة ثورية جديدة، أصدر الإمام الشيرازي في رجب ١٣٣٨هـ/ آذار ١٩٢٠م فتوى حرّم فيها الدخول في وظائف الدولة فعمّت موجة الاستقالات من الوظائف الحكومية امتثالاً لموقف المرجعية، وأصبح البقاء في أجهزة الدولة يعد نوعاً من الانخراط في الكفر، فعندما قتل أحد المجندين العرب في الجيش البريطاني في مدينة الديوانية رفض العلماء هناك أداء صلاة الميت على جنازته[١]، وفي هذه الأثناء كان الوفد المرسل من كربلاء إلى العاصمة ينشط في تحريك الأوساط الشعبية المختلفة باتجاه الثورة وقد تقرر أخيراً عودة الوفد إلى كربلاء بمعية ممثل أهالي بغداد جعفر أبو التمن لاطلاع قائد الثورة على سير الأوضاع الجارية في بغداد والاستماع إلى تعليماته[٢].

وقصد مدينة كربلاء لزيارة النصف من شعبان ١٣٣٨هـ ـ على العادة السنوية ـ جمع كبير من رؤساء الدين، وزعماء القبائل، وسادات العشائر، فعقد اجتماع تمهيدي في دار السيد نور السيد عزيز الياسري حضره لفيف من رؤساء «المشخاب» و«الشامية» و«الرميثة» وغيرها إضراب السادة: علوان الياسري، وكاطع العوادي، وهادي زوين، ومحمد رضا الصافي، ومحسن أبو طبيخ، والمشايخ: عبد الواحد آل سكر، ومجبل آل فرعون، وعلوان الحاج سعدون، وعبادي الحسين، ومرزوك العواد، وشعلان العطية، وسعدون الرسن، وشعلان أبو الجون، وغثيث الحرچان، وشعلان الجبر، كما حضره من سادات كربلاء ورؤسائها: السيد محمد علي هبة الدين، والسيد عبد

---

(١) دور الشيعة للنفيسي ص١٣٤.

(٢) من أعلام الفكر والقيادة المرجعية ص١٢٨.

الوهاب آل الوهاب، وعمر العلوان، ومهدي القنبر، وطليفح الحسّون، ورشيد المسرهد، وعبد الكريم العوّاد[1]، وترأس الاجتماع الشيخ محمد رضا، نجل الإمام الشيخ محمد تقي الحائري. وقد تداول المجتمعون في الوضع الراهن، وأقسموا يمين الإخلاص لكل حركة تستهدف تحرير العراق وتخليصه من براثن الاستعمار والاحتلال.

ثم عقد اجتماع آخر «لكنه سري للغاية» في دار الإمام الحائري[2] وتحت رئاسته مباشرة حضرة العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائري، والزعيم البغدادي الحاج محمد جعفر أبو التمن، كما حضره من السادة: السيد نور السيد عزيز، والسيد علوان السيد عباس، والسيد هادي آل زوين، وحضره من الرؤساء: شعلان أبو الجون، وغثيث الحرچان رئيسا قبيلة الظوالم، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر رئيس آل فتلة، والشيخ شعلان الجبر، فدارت بين المجتمعين مداولة ترمي إلى إصلاح الحالة العامة. وتعرض بعضهم إلى موضوع الثورة، فانتبه الإمام الحائري، فقال: «إن الحمل لثقيل، وأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية المحاربة، مع الجيوش المحتلة» فأكد له الزعماء أن فيهم الكفاية التامة لهذا العمل الخطير، وأن الثورة أمر لا بد منه وإن كانوا هم لا يريدون الحرب ولا يرغبون فيها.

ولكن الإمام تردَّد في إعطاء الجواب الحاسم اعتقاداً منه أن الحمل ثقيل فأجابهم بقوله: «أخشى أن يختل النظام، ويفقد الأمن، فتكون البلاد في فوضى، وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثورة، بل وأوجب منها».

---

(١) جاء في مجلة رسالة الشرق الكربلائية، رجب ١٣٧٣هـ، وماضي النجف وحاضرها ١/٣٦١، أن الاجتماع عقد في دار السيد ابي القاسم الكاشاني التي كانت ملاصقة للصحن الحسيني بالقرب من باب السدرة، حضره كل من: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيّد محسن أبو طبيخ، والسيّد نور السيّد عزيز الياسري، والسيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد الحاج سكر، وشعلان أبو الجون، وغيث الحرجان، وجعفر أبو التمن، والسيّد كاطع العوادي، والسيّد هادي زوين، والسيّد محمّد رضا الصافي، وشعلان الجبر، ومجبل الفرعون، وعبادي الحسين، ومرزوق العواد، وشعلان العطية، وسعدون الرسن، وعلوان الحاج سعدون، وهبة الدين الشهرستاني، وعبد الوهاب الوهاب، وحسين القزويني، وعمر العلوان، ومهدي القنبر، وطليفح الحسون، ورشيد المسرهد، وعبد الكريم العواد، وغيرهم.

(٢) الثورة العراقية الكبرى للحسني ٩٥ ـ ٩٨.

فأجابه الحضار أن قابليتهم على حفظ الأمن والنظام يجب أن لا يرتقي الشك إليها، وأنه لا مناص من إعلان الثورة، وأكدوا له أنهم سيبذلون كل ما في وسعهم لحفظ النظام واستتباب راحة العموم.

فلما رأى الإمام أن الرؤساء قد ضايقوه من كل جانب لم يرَ بداً من القول:

«إذا كانت هذه نياتكم، وهذه تعهداتكم، فالله في عونكم».

وعلى هذا الأساس فارق الزعماء المرجع الديني الكبير، واجتمعوا في ليلة ١٦ شعبان ١٣٣٨ في الحضرة الحسينية فعاهدوا الله ورسوله وفرقانه المبين على أنهم لا يدخرون وسعاً في تحقيق آمال البلاد الوطنية، وأنهم سيلفظون آخر نفس في سبيل إنقاذ بلادهم من الحكم الأجنبي، ثم قرروا الشروع في إعلان الثورة في مواضع مختلفة، وفي يوم واحد، ليتمكنوا من مشاغلة القوات الإنكليزية في ميادين مختلفة، وكلفوا الشيخين: شعلان أبو الچون، وغثيث الحرچان أن يستعدا للقاء في السماوة، وأن يحرّضا بقية الرؤساء على الانضمام تحت هذا اللواء المقدس.

موقف الإمام الحائري:

وهكذا أصبحت المرحلة السلمية في لحظاتها الأخيرة، وشارفت الأحداث على الانفجار الكبير، إلاّ أن قائد الثورة ظل يواصل إصراره على استخدام كل وسيلة ممكنة، فقد وجه نسخاً من الكتاب الآتي إلى الرؤساء والزعماء والأشراف والأفراد، في أنحاء مختلفة من العراق يستحثهم فيها على الاستعداد والتهيؤ ففعل الكتاب فعله في النفوس وبان أثره بعد أيام قليلة. أما نصّه فهو:

إلى إخواننا العراقيين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإن إخوانكم في بغداد، والكاظمية، والنجف، وكربلاء، وغيرها من أنحاء العراق، قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات، مع المحافظة على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية، وذلك أن يرسل كل قطر وناحية إلى عاصمة العراق (بغداد) وفداً للمطالبة بحقه، متفقاً مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد.

فالواجب عليكم، بل على جميع المسلمين، الاتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف، وإياكم والإخلال بالأمن، والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإن ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل، والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحداً منهم بسوء أبداً. وفقكم الله جميعاً لما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٩ ـ ١٠ رمضان ١٣٣٨ الأحقر

محمد تقي الحائري الشيرازي

مضابط التوكيل:

على أثر انتشار صور كتاب الإمام الحائري وتوزيع نسخه شرع سكان مدن الفرات الرئيسية في تنظيم مضابط التوكيل التي أرادها الإمام وقد رأينا أن نأتي على صورتين لمضبطتي كربلاء والنجف ليطلع على محتوياتهما القارىء الكريم:

نصّ مضبطة كربلاء:

نحن الموقعين أدنى هذا التحرير، من ممثلي أهالي كربلاء المشرفة، وما حولها: علمائها، وأشرافها، وساداتها، وكبرائها، وعموم أفرادها، من جميع طبقاتها، قد انتدبنا عنا وعن ممثلينا حضرات: الميرزا عبد الحسين نجل آية الله الشيرازي دامت بركاته، والشيخ محمد نجل حجة الإسلام الخالصي دامت بركاته، والسيد محمد علي الطباطبائي، والشيخ صدر الدين حفيد حجة الإسلام المازندراني، والسيد عبد الوهاب، والحاج شيخ محمد حسن أبو المحاسن، والشيخ عمر الحاج علوان: انتدبنا هؤلاء الأمجاد لينوبوا عنا إمام الحكومة الاحتلالية في تبليغها مقاصدنا المشروعة ومطالبتها بحقوقنا التي اعترفت بها من استقلال بلادنا العراقية استقلالاً تاماً لا تشوبه أدنى شائبة من أي تدخل أجنبي، وقد أعطيناهم هذا الاعتماد موقعاً بتوقيعاتنا، موافقاً لرغائبنا، رأيهم رأينا، وأمرهم أمرنا، لا نشذ عنه ولا نرضى بسواه.

١٦ رمضان ١٣٣٨

وقد حوت هذه المضبطة على ٦٥ توقيعاً، وطرزها الإمام الحائري بالكلمة التالية:

«صحيح، نافع، مفيد، إن شاء الله تعالىٰ شأنه»[1].

نص مضبطة النجف الأشرف:

وعلى هذا النهج نظمت مضبطة توكيل أهالي النجف والشامية، ونصّها:

«نحن عموم أهالي النجف الأشرف علمائها وأشرافها وأعيانها، وممثلي الرأي العام فيها، وكافة أهالي الشامية ساداتها وزعماء قبائلها وممثليها، قد انتدبنا بعض علمائنا وأشرافنا ووجهائنا وهم حضرات: الشيخ جواد الجوهري، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا آل شيخ راضي، والسيد نور آل سيد عزيز، والسيد علوان السيد عباس، والحاج عبد المحسن شلاش، لأن يمثلونا تمثيلاً صحيحاً قانونياً أمام حكومة الاحتلال في العراق وأمام عدالة الدول الحرة الديمقراطية التي جعلت من مبادئها تحرير الشعوب، وقد خوّلناهم أن يدافعوا عن حقوق الأمة، ويجمعوا في طلب الاستقلال للبلاد العراقية، بحدودها الطبيعية العاري من كل تدخل أجنبي في ظل دولة عربية وطنية يرأسها ملك عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي وطني.

هذه هي رغباتنا لا نرضى بغيرها، ولا نفتر عن طلبها، ومنه نستمد الفوز والنجاح، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

في ١٨ رمضان سنة ١٣٣٨هـ»

وقد تضمنت ٩٢ توقيعاً[2].

وعلى أثرها طلب المندوبون إلى الميجر نوربري الحاكم السياسي للواء الشامية والنجف أن يضرب موعداً للاجتماع بهم، ورفعوا له عريضة تمهيدية بمطاليبهم، إلاّ أنه اعتذر من مقابلتهم، وجرت بينهما مكاتبات وردود.

كان نبأ امتناع حاكم النجف عن مقابلة «الوفد النجفي» قد ذاع بين الناس، وانتشر خبره في كربلاء، والحلة، والشامية، وغيرها، انتشاره بين النجفيين، فارتأى الشيخ محمد رضا الحائري، كبير أنجال الإمام الحائري، أن يقوم بعمل حاسم، يعيد إلى الناس حماسهم، وإلى السلطة رشدها، فأمر بإقامة مظاهرات صاخبة في صحني

---

(١) الثورة العراقية الكبرى للحسني ٩٥ ـ ٩٨، انظر: الملحق الخاص بالوثائق السياسية.

(٢) انظر: الملحق الخاص بالوثائق السياسية.

الإمامين: الحسين والعباس عليهما السلام في مساء يوم ٤ شهر شوال ١٣٣٨، وتألفت لجنة لتنظيم المظاهرات مؤلفة من السادة: عمر العلوان، وعبد الكريم العواد، ومهدي قنبر، وطليفح الحسون، فأقيمت المظاهرة، وخطب فيها لفيف من الوطنيين في مقدمتهم الشيخ محمد الخالصي خطباً حماسية، وقصائد مهيجة أغاظت السلطة المركزية في بغداد، فأوعزت إلى «الميجر پولي» حاكم الحلة السياسي أن يتوجه إلى كربلاء على رأس قوة عسكرية للقبض على المتسببين بتهييج الأفكار وتشويش الأذهان.

وقد وصلت القوة إلى مدينة كربلاء عشية اليوم المذكور، فاحتلت مداخل المدينة، واتخذت بعض الاحتياطات التي كان يتطلبها الموقف.

وشعر الإمام الشيرازي بحراجة الموقف، فاستدعى «الميجر پولي» ليحذره سوء عاقبة كل حركة إرهابية قد يقدم عليها، ولكن الميجر امتنع عن الحضور مكتفياً بتوجيه هذا الكتاب:

«حضرة العلامة المجتهد الأكبر آية الله الميرزا محمد تقي الدين الشيرازي، دام علاه.

بعد تقديم مراسيم التحية والسلام، نعرض لحضرتكم أن قسماً من قواتنا قد وردت إلى هذه الأنحاء لأجل حفظ الأمن وإلقاء القبض على عدد من الأشرار الذين يقصدون الإفساد، ونهب الأموال، وإلقاء الرعب في قلوب الأهلين وإن قواتنا هذه لم تتعرض للصلحاء والأبرار، فنرجو أن تطلعوا على هذه المسألة لكي يرتفع الرعب والاضطراب عنكم، وفي الختام نقدم لحضرتكم فائق الاحترام

٢٢ حزيران ١٩٢٠ الميجر بولي

حاكم سياسي الحلة»[1]

ورأى الإمام الحائري أن يكلم هذا الحاكم بالحسنى، وأن يذكره بعاقبة العمل الذي أقدم عليه، عسى أن تنفع الذكرى، فكتب إليه هذا الجواب:

---

(١) انظر: الملحق الخاص بالوثائق السياسية.

«إلى حاكم سياسي الحلة الميجر بولي هداه الله

قرأنا كتابكم، وتعجبنا غاية العجب من مضمونه، حيث أن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة الضرورية لحياتهم من الأمور غير المعقولة، ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه، ويحتمل أن يكون الأشخاص الذين يقصدون الإفادة من إيجاد الخلاف بين أهالي العراق والإنكليز هم الذين غشوكم لينالوا بواسطته مقاصدهم. وفي الليلة الماضية أردت مقابلتكم، لرفع الشبهة من نفسكم، كي لا تغفلوا عن هذه النكتة، ولكنكم امتنعتم عن ذلك، وإن نظرياتنا في أمور المملكة أصلح وأنفع من سوق الجيوش، واستعمال القوة الجبرية، وأدعوكم عجالة لأبلغكم: أن توسلكم بالقوة في قبال مطالب البلاد، واستدعاءاتها، مخالف للعدل وللإدارة البلاد وإذا امتنعتم عن المجيء في هذه المرة أيضاً، فتصبح وصيتي للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها، وأترك الأمة وشأنها، وبهذه الصورة تقع مسؤولية كل نتائج السوء عليك، وعلى أصحابك.

وفي الختام لي الأمل أن تؤثر فيك هذه النصيحة كي لا يقع ما يفسد النظام والأمن، وكي لا تكونوا سبباً لإراقة دماء الأبرياء»[1].

محمد تقي الحائري الشيرازي

القبض على الوطنيين الكربلائيين:

لم يلتفت «الميجر بولي» إلى نصائح الإمام الشيرازي فقد استدعى لمقابلته في صباح اليوم الخامس من شهر شوال ١٣٣٨هـ/ ٢٢ حزيران ١٩٢٠م كلاً من السادة:

١ ـ محمد رضا نجل الإمام الشيرازي.

٢ ـ الشيخ هادي كمونة.

٣ ـ محمد شاه الهندي.

٤ ـ عبد الكريم عواد.

٥ ـ عمر الحاج علوان.

٦ ـ عثمان الحاج علوان.

---

(١) انظر: الملحق الخاص بالوثائق السياسية.

٧ ـ عبد المهدي قنبر .

٨ ـ أحمد قنبر .

٩ ـ محمد علي الطباطبائي .

١٠ ـ الشيخ كاظم أبو أذان .

١١ ـ إبراهيم أبو والده .

١٢ ـ السيد أحمد البير .

وقد تردد المطلوبون في إجابة طلب «الميجر بولي» فلما بلغ مسامع «الإمام الحائري» نبأ تردّدهم، أوعز إلى ولده، الشيخ محمد رضا الحائري، أن يكون في مقدمة من يجب تسليم أنفسهم إلى السلطة كما أوعز إلى الباقين بوجوب تلبية أمر الحكومة، فتحمل المطلوبون الصدمة على مضضٍ، وسلموا أنفسهم فوراً فنقلتهم السيارات المصفحة إلى الحلة، وأرسلوا منها بالقطار إلى البصرة، وبالبحر إلى «جزيرة هنجام» في الخليج العربي .

وكان الشيخان: عمر الحاج علوان، وعبد المهدي القنبر، قد امتنعا عن تسليم نفسيهما، وحاولا تأليف مجموعات مسلّحة في خارج المدينة تعيث بالأمن، وتتصيّد موظفي الحكومة، ولكن محمد خان بهادر، معتمد السلطة البريطانية في كربلاء، نصحهما بوجوب التسليم لأن امتناعهما سيؤدي إلى القبض على عائلتيهما .

كما أن الميجر بولي عدل عن القبض على السيد محمد علي هبة الدين الحسيني لثبوت إصابته بالرمد، وعدم اشتراكه في المظاهرات، كما عدل عن القبض على الميرزا أحمد الخراساني بتوصية من أحد العلماء، وكان السيد هبة الدين مخالفاً لفكرة القيام بالمظاهرات لئلا يفور الدم الإنكليزي فيقضي على الجنين قبل أن يولد[١] .

وفي هذه الأثناء تقدم العلماء وزعماء العشائر إلى الإمام الشيرازي بطلب الرخصة باستعمال القوة لانتزاع الحقوق الإسلامية والوطنية المهضومة، فأصدر الإمام الشيرازي فتواه التاريخية التالية :

«مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعاية السلم

---

(١) الثورة العراقية الكبرى للحسني ١٠٢ ـ ١٠٤، الحقائق الناصعة ١٥٤ ـ ١٥٦ .

والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم»، وكان من حسن حظ الوطنيين، والناقمين على السلطات المحتلة، أن يكون الشيخ محمد رضا نجل الإمام الحائري، في عداد المقبوض عليهم، وأن يجري إبعاده إلى البصرة فهنجام كبقية المنفيين. فقد كان الإمام الحائري ينصح الناس بوجوب الإخلاد إلى الهدوء والسكينة، وعدم القيام بأية حركة قد تؤدي إلى الإخلال بالأمن، أو انتشار الفوضى، فلما أقدمت الحكومة على ما أقدمت عليه تبدل موقفه فإنه ما كاد يُستفتى في «التوسل بالقوة الدفاعية» لتحقيق المطاليب الوطنية حتى أصدر فتواه المذكورة.

وهكذا أصبح الناس - على أثر صدور هذه الفتوى - في حل مما جاء في كتاب الإمام الأول الذي أوصى فيه العراقيين كافة بلزوم رعاية السلم، وعدم العبث بالأمن[1].

ومعروف للجميع أن أي عالم ديني أو مجتهد حقيقي لا يرضىٰ بتاتاً بأن تُراق حتى قطرة دم واحدة من أي فرد مسلم، لأن حياة الفرد بنظر الدين الحنيف هي أغلى من أي شيء آخر وإن صونها واجب مؤكد، ولكن عندما يجد أنّ العقيدة الإسلامية معرضة للخطر وأن المسلمين بأموالهم وأعراضهم مُهدّدون ومُعرّضون للقتل والنهب والاغتصاب فإنه من موقع المسؤولية الشرعية ينهض للدفاع عنهم فيصدر فتوى الجهاد المقدس، وفي مثل هذه الحالة تُصبح دماء المسلمين سياجاً واقياً لكيان الإسلام وسلامة الملة الإسلامية، خاصة إذا كانت أرضُ الإسلام مهددة ومُستباحة من جانب قوى أجنبية طامعة[2].

توسط شيخ الشريعة:

كان الشيخ فتح الله، شيخ الشريعة الشهير بالأصفهاني، الركن الثاني للزعامة الدينية إبان «الثورة العراقية الكبرى» وقد رأى أن يقف موقف الإصلاح بين الحكومة وبين الأهلين ولاسيما أن قادة الأفكار في العراق لم يكونوا ميالين للهدم، فوجه إلى الحاكم الملكي العام الخطاب التالي في ٨ شوال ١٣٣٨هـ/ ٢٥ حزيران ١٩٢٠م:

---

(١) الثورة العراقية الكبرى ١٠٦.
(٢) أسرة المجدد الشيرازي ٢٤٠.

عن النجف الأشرف

٨ شوال ١٣٣٨ الموافق ٢٥ حزيران ١٩٢٠

إلى حضرة الأجل، الحاكم الملكي العام في العراق، عمّت معدلته

بعد تقديم الاحترامات اللائقة أبدي:

إنكم قد عرفتم وجرّبتم في هذه المدة الطويلة، التي حدثت فيها هذه المظاهرات والاجتماعات أن أهل العراق سالكون سبيل السلم والهدوء والسكون، ويطالبون بما يريدون من حقوقهم حسب مواعيدكم من أول الأمر، وبموجب ما تقرّر لدى الدول المعظمة من حرية الشعوب، وكان طلبهم على وجه معقول مشروع، خالياً عن القلاقل والمشاغبات، خالصاً من إثارة أية فتنة أو فساد، وذلك بمقتضى سجيتهم، ومتانة عقولهم، وسلامة فطرتهم، ونصح عقلائهم، مؤكداً كل ذلك بما برز قولاً، وكتب كراراً ومراراً من آية الله الشيرازي، دامت بركاته، ومن بقية العلماء الأعلام من إيجاب السكون عليهم، وإلزامهم بترك كل ما فيه إخلال بالأمن وقد برهنوا في حركاتهم ومظاهراتهم المتواصلة، على تمسكهم بالنظام، والانقياد لفتاوى العلماء.

إلا أنه بلغنا خبر عجيب، كان يصعب علينا تصديقه حتى تحقق من القبض على نجل آية الله الشيرازي وجماعة من أهالي كربلاء، والحلة، لا ذنب لهم إلا مطالبة ما يطلبه إخوانهم، وقد مسّ كرامة كل الروحانيين، وتأذّى من هذه الجسارة كل المسلمين، وعن قريب يعمّ كل أهالي إيران، والهند، والقوقاس، وكل بلدة وقصبة يسكنها المسلمون، وهذا عمل هادم لكل ما اتصفت به من قديم الزمان أولياء الدولة الفخيمة، من إشاعة، حيث العقل والإنصاف، وهو يورث سوء ظنّ جميع الأمم في الحكومة البريطانية.

وبالجملة فقد تشوّشت الأفكار، وتبدلت الظنون، ويكاد يؤدي إلى الإخلال بالنظام، الذي تريدون حفظه، وأرى أن الإصلاح أن تأمر بفكّهم سريعاً قبل أن ينجرّ لما يخرج علاجه عن مقدرتنا، ولا أدري كيف خفي عليكم أن هذا الأمر غير مناسب لهذا الوقت والزمان، وأنتظر الجواب سريعاً إن شاء الله.

شيخ الشريعة

وبعث شيخ الشريعة برقية إلى قائد القوات البريطانية في العراق لنفس الموضوع ولكنها لم تجد نفعاً، خصوصاً عند ورود جواب نائب الحاكم الملكي العام بعدم تنفيذ ما ورد فيه، ونسبة السرقة وقطع السابلة وغيرها من الجرائم إلى المجاهدين الأبرار.

كان لهذا الجواب وقع أليم، لا في نفس شيخ الشريعة فحسب، بل في نفوس جميع زعماء الثورة وأقطابها كافة.

فتأججت بذلك المشاعر الثورية وألهبت النفوس حماساً، وفي هذه الأثناء كان الشيخ شعلان أبو الچون (شيخ عشيرة الظوالم) ينشط باتجاه الثورة خاصة بعد وصول رسالة من قائد الثورة إلى الشيخ رحوم الظالمي يعتبره فيها وكيلاً عنه في الرميثة، فأقدمت قوات الاحتلال على اعتقال الشيخ شعلان فأسرعت عشيرته إلى إطلاق سراحه بالقوة في اليوم التالي وذلك في الأسبوع الثاني من شهر شوال ١٣٣٨هـ/ ٣٠ حزيران ١٩٢٠م وبذلك انطلقت شرارة ثورة العشرين في العراق.

وتوالت الأحداث واشتدت العمليات العسكرية بين الطرفين وأخذ الشعب العراقي يحرز تقدماً ملموساً فيها رغم الأسلحة البدائية التي كان يستخدمها بالقياس إلى أسلحة الجيش البريطاني.

وفي عصر ٩ ذي القعدة ١٣٣٨هـ/ تموز ١٩٢٠م أمر قائد الثورة بطرد حاكم كربلاء، وفي صباح اليوم التالي جرت مداولات بين الإمام الشيرازي، وكبار معاونيه أسفرت عن تشكيل ثلاثة مجالس لإدارة شؤون المناطق المحررة، وهي:

١ ـ المجلس العلمي، ووظيفته الإشراف على أعمال المجلسين الآخرين، وعين السيد هبة الدين الشهرستاني رئيساً له ومن الناحية السياسية يمكن اعتباره مجلساً لقيادة الثورة.

٢ ـ المجلس الملي، ووظيفته الإدارة المحلية والأمن الداخلي.

٣ ـ مجلس جمع الإعانات للمعوزين من الثوار، ووظيفته تغطية الاحاجات الاقتصادية لعوائل الثوار والمجاهدين.

وتعمل هذه المجالس الثلاثة تحت إشراف قائد الثورة، وهناك مجلس رابع هو المجلس الحربي ووظيفته قيادة العمليات العسكرية ويتميز عن سائر المجالس بكونه لا يخضع لإشراف قائد الثورة، ويدخل في عضويته عدد من رؤساء القبائل.

وإلى جانب الجهد الثوري عمل قائد الثورة على مواصلة الجهد السياسي، ففي خضم الأحداث الثورية، بعث ويلسون رسالة إلى الإمام الشيرازي يُشمُّ منها الرغبة في التفاهم، فجمع قائد الثورة أعضاء المجلس العلمي وطلب منهم المشاورة، فاقترحوا إرسال وفد إلى ويلسون لعرض مطاليب الشعب العراقي عليه مجدداً، فأرسل السيد هبة الدين الشهرستاني والميرزا أحمد الخراساني إلى قنصل إيران في بغداد ليذهب القنصل نيابة عن الوفد إلى ويلسون ويعرض عليه الأمر، فاستجاب القنصل الإيراني للطلب وذهب إلى مقر الحاكم العام لمقابلته، ولما قدم القنصل الإيراني طلبات وفد قائد الثورة إلى ويلسون غضب وزمجر ورفض العرض، ورجع الوفد إلى كربلاء بهذه النتيجة، وعندما أبلغ الإمام الشيرازي بها قرر إرسال شكوى إلى عصبة الأمم يرفع فيها قضية العراق إلى العصبة ويطالبها بتأييد كفاح الشعب العراقي المسلم من أجل الاستقلال وقد تم ذلك في ٢٧ ذي القعدة/ آب ١٩٢٠.

ولما كانت رابطة رؤساء القبائل الدينية بمقام الإمام الحائري قويّة جداً، اتخذت هذه الرابطة صبغة سياسية واضحة، وأخذ الإمام يبثّ الدعوة بينهم إلى المطالبة باستقلال العراق بكلّ وسيلة ممكنة.

وفي شهر رمضان ١٣٣٧هـ، نظموا عدّة مضابط معنونة إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين يفوضوه بعرض قضيتهم والمطالبة بحقوقهم في الحريّة والاستقلال أمام المنظمات الدولية في مؤتمر السّلام وجمعية الأمم، وإعلامه بترشيح أخيه الأمير عبد الله ملكاً للعراق.

وقد وقّع عليها معظم زعماء الفرات الأوسط ووجهاء مدنه.

إيفاد الشبيبي:

ذكرنا سابقاً أن رأى الإنكليز رأوا أن أجوبة الاستفتاء جاءت ضدّ رغباتهم، فامتنع الحكّام السّياسيون من تسلّم المضابط التي تضمنت تلك الأجوبة.

ورأى الفراتيون أن ما قاموا به من الأعمال، لبيان رأيهم في شكل الحكومة الواجب إقامتها في العراق لم تكن كافية، فقرروا الاتجاه بأفكارهم إلى خارج العراق، لبثّ الدعاية اللاّزمة للقضية العراقية، تنفيذاً للقرار الخامس الّذي اتخذه المؤتمر السّوري السرّي الأول.

ودارت اجتماعات واسعة ومكثفة في بعض الألوية والمناطق، ومنها في بيت السيد علوان الياسري في النجف، وفكروا بانتداب من يقوم بهذه المهمة الخطيرة في سورية والحجاز، فوقع اختيار الطبقات على اختلاف درجاتهم، من زعماء الفرات، وعلماء النجف، وكربلاء والحلة، وشباب النجف المثقف، على انتداب الشيخ محمد رضا الشبيبي، ونظموا بذلك مضابط كثيرة موقّعاً عليها من قبلهم، وكلها تنطق بانتدابه لبسط ما جرى في العراق من استفتائهم، وما أجمعوا عليه من اختيار أحد أنجال الشريف حسين ليكون ملكاً على العراق، وطلب إنشاء حكومة دستورية مستقلة استقلالاً تاماً خالياً من الحماية والانتداب، وصرحوا في كتبهم إلى الحسين بأمرهم مستعدون للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل تحقيق هذه الغايات إذا لم تذعن السلطة البريطانية لمطاليب العراقيين.

وكان في طليعة هذه الكتب، كتاب الإمام الشيرازي إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين، ونصّه:

بسمه تعالى

إلى صاحب السمو الأمير فيصل نجل ملك العرب الحسين بن علي خلّد الله ملكه.

لقد بلغنا ما بذلتموه من المساعي العظيمة، وما تحملتموه من المجهودات الكبيرة، لاستقلال البلاد، فاستبشرنا بذلك كثيراً، وقدرنا نهضتكم حق قدرها، فشكر الله سعيكم، وجزاكم أحسن الجزاء، وتيقنوا أن عيوننا معاشر العلماء الروحانيين شاخصة إلى مدافعتكم، ونعتبر مطالبتكم باستقلال البلاد صادرة عن أعماق نفوسنا، وصميم ضمائرنا..

وها نحن نوجب عليكم، لما لنا من صفة التمثيل للطائفة الجعفرية، مواصلة سعيكم إلى النهاية، حتى يتحقق استقلال العراق استقلالاً تاماً عارياً عن شائبة الحماية والوصاية، وقد فوّضناكم في خصوص مطالبة مؤتمر السلام، وأعضاء عصبة الأمم على تحقيق استقلال البلاد التام. وفقنا الله وإياكم للعمل بما فيه مصلحة الأمة.

٨ رمضان سنة ١٣٣٧ — الأحقر

محمد تقي الحائري

ولدى وصول مبعوث الثوار إلى «أم القرى» واجتماعه بالشريف حسين، حيث سلمه المضابط التي كان يحملها إليه، وأرسلها إلى ممثله (الأمير فيصل) في مؤتمر الصلح إذ ذلك، وبعث برسالة إلى الإمام الشيرازي جواباً حول تلك المضابط :

الديوان الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

من الحسين بن علي

إلى الجهبذ الأفضل، والحبر الأكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

وأنه في أهنأ الساعات تلقينا محرركم الكريم وطيّه صور إفاداتكم للجنة وعلم مآل الجميع، وإني بعناية الله سأبذل كل ما في الجهد لحصول رغائبكم، وكيف لا أقول ذلك وإنها هي إحدى أساسات الأعمال التي ارتكبنا من جهتها التهلكة، فكونوا مطمئنين بالله سبحانه وتعالى بأنا على ما تأملون، أما الفوز برغائبكم بل رغائبي التي هي قرّة عيني، أو ترك الدنيا وما فيها، والله يتولانا وإياكم بتوفيقه، فإنه يخلق ما يشاء ويختار.

وسلامي عليكم كافة ورحمة الله وبركاته.

٢٤ ذي الحجة الحرام ١٣٣٧هـ الحسين بن علي

وفي غمرة انتصار الثوار، وقد بلغت الثورة مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الأوسط، وامتدت إلى جنوب الناصرية، وشمالاً حتى المحمودية، واشتملت على أهم مدن الفرات، ثم قامت حكومات مؤقتة في أهم المدن التي احتلها الثوار عنوة، أو إخلاءها الإنكليز اضطراراً، استطاعت أن تحافظ على الأمن والنظام، ونشر الطمأنينة في النفوس، وفي هذه الغمرة صَعَقَ النفوس نبأ وفاة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي في ٣ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ١٣ آب ١٩٢٠م، القطب الذي تدور حوله جميع رجالات الثورة، وإليه تفزع عند الملمات.

وانتقلت قيادة الثورة إلى الإمام فتح الله، شيخ الشريعة الأصفهاني . .

وأصبح شيخ الشريعة المرجع الأعلى، ومرجع إليه السواد الأعظم، وهو
والمرجع المقلد الوحيد في كافة الأقطار التي فيها الشيعة، وكان
في خلال تلك الفترة كثير العلل والأسقام، وهي آثار ما اعتراه بعد
رجوعه من السفر الى جبهات الجهاد، واشتد المرض عليه
حتى وفاته ليلة الأحد ٨ ربيع الأول ١٣٣٩ هـ في النجف الأشرف (١).

وانتقلت قيادة الثورة الى الامام السيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني،
وقد قادها وهي في مراحلها الأخيرة ..



(١) انظر: شيخ الشريعة ص ٤٩ ـ ٥٠. ٢٦٤